فتح الرحمن الرحيم
فى
تفسير القرآن الكريم

تأليف

أ. د/ محمد محمد محمد سالم محيسن
تخصص فى القراءات وعلوم القرآن
عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف
دكتوراه فى الآداب العربية

الجزء الثانى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

دار محيسن
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

دار محيسن
للطباعة والنشر والتوزيع

٤٣ طريق النصر (الأوتوستراد)
وحدة رقم ١ عمارات امتداد رمسيس ٢
مدينة نصر - القاهرة - ت: ٢٦٣١٤١٢ (٢٠٢)
ص.ب. ٨١٧٧ - مدينة نصر - الرقم البريدى: ١١٣٧١
المطابع: مدينة العبور - المجمع الصناعى - وحدة ٣٠٥

رقم الإيداع: ٢٠٠٢/١١٢٦٤
الترقيم الدولى: 3- 20 - 6076 - 977

منهجي في هذا التفسير

هذه أهمّ الأمور التي سأتبعها في تفسيري هذا ـ بإذن الله تعالى ـ:

١ ـ كتابة الآية القرآنية ثم ذكر رقمها وفقًا لترتيب القرآن.

٢ ـ إذا كان للآية سبب نزول سأذكره قبل تفسير الآية.

٣ ـ الأحكام المنسوخة سأذكرها قبل تفسير الآية، متبعًا في ذلك الروايات الصحيحة.

٤ ـ إذا كان في الآية قراءات متواترة سأذكرها بعد تفسير الآية ثم أوجهها مع نسبة كل قراءة إلى قارئها.

٥ ـ عقيدتي في آيات الأسماء والصفات عقيدة أهل السُّنّة والجماعة، فلا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تأويل، ولا تعطيل.

٦ ـ الآيات المتشابهة سأفوض العلم فيها إلى الله ـ تعالى ـ، وأقول: الله أعلم بمراده.

٧ ـ سأجتهد في البحث عن التفسير المأثور عن النبي ﷺ، أو الصحابة، أو التابعين مسندًا القول إلى قائله.

٨ ـ سأجتهد في تفسير القرآن بالقرآن إذا اقتضت مصلحة التفسير ذلك لزيادة إيضاح المعنى.

٩ ـ القضايا النحوية، والصرفية، والبلاغيّة سأذكرها بعبارة سهلة وموجزة حسب مقتضيات الأحوال.

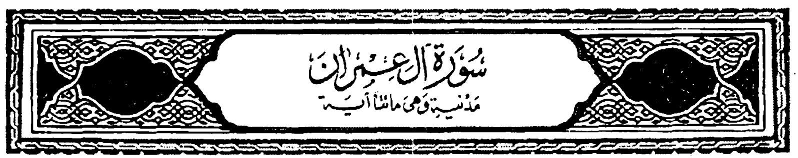
١٠ ـ المعاني الدلالية للكلمة القرآنية سأذكر أصحّها وأوضحها، معرضًا عن المعاني الضعيفة.

١١ـ سأستشهد بالأحاديث التي تلقي الضوء على المعنى الذي يدلّ عليه النصّ القرآني.

١٢ـ لن أتعرض للإسرائيليّات إلا بقدر الضرورة التي يحتاجها فهم الآية القرآنية.

أسأل الله أن يهديني إلى الحق والصواب إنه سميع الدعاء.

* * *



﴿ الٓمٓ (١) ﴾

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) ﴾

۞ سبب النزول :

* قال الكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ) والربيع بن أنس، وغيرهما: نزلت هذه الآية فى وفد نجران، وكانوا ستين راكبًا قدموا على رسول الله ﷺ وفيه ـ أى فى الوفد ـ أربعة عشر رجلا من أشرافهم، وفى الأربعة عشر ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم وهم:

١ ـ (العاقب) أمير القوم، وصاحب مشورتهم الذى لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه (عبد المسيح).

٢ ـ والسيد ثمالهم، وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه (الأيهم).

٣ ـ وأبو حارثة بن علقمة، وهو أسقفهم وحبرهم.

دخلوا مسجد رسول الله ﷺ حين صلى العصر، عليهم ثياب الحبرات جبب، وأردية فى جمال رجال.

وإذا بالحارث بن كعب يقول: ما رأينا وفداً مثلهم. وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «دعوهم» فصلوا إلى المشرق.

فتكلّم: السيد، والعاقب، فقال لهما رسول الله ﷺ: «أسلما» قالا: قد أسلمنا قبلك، قال: «كذبتما يمنعكما من الإسلام ادعاؤكما لله ولدًا، وعبادتكما للصليب، وأكلكما الخنزير». قالا: إن لم يكن ولدًا لله فمن أبوه؟ وخاصموه جميعًا فى «عيسى» ـ عليه السلام ـ، فقال لهم النبى ﷺ: «ألستم تعلمون أنه لا يكون ولدٌ إلا وهو يشبه أباه؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أن ربَّنا حيٌّ لا يموت، وأن «عيسى» يأتى

عليه الفناء؟». قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أن ربنا قيِّمٌ على كل شيء يحفظه ويرزقه؟» قالوا: بلى، قال: «فهل يملك «عيسى» من ذلك شيئًا؟» قالوا: لا، قال: «ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟» قالوا: بلى، قال: «فهل يعلم «عيسى» من ذلك إلا ما علم؟» قالوا: لا، قال: «فإن ربنا صوّر «عيسى» في الرحم كيف شاء، وربُّنا لا يأكل ولا يشرب» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أن «عيسى» حملته أمُّه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غُذِّي كما يُغَذّى الصبى، ثم كان يطعم ويشرب، ويحدث؟» قالوا: بلى، قال: «فكيف يكون هذا كما زعمتم؟» فسكتوا. فأنزل الله في ذلك: صدر سورة آل عمران وإلى بضع وثمانين آية منها(١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾:

أي: ليس معه شريك فى أمره، ولا فى ملكه. وصدق الله إذ قال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)﴾ [الأنبياء: ٢٢].

* ﴿الْحَيُّ﴾ أى: الذى لا يموت، وقد مات، وسيموت كلّ مَنْ عداه، والدليل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ (٢٧)﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)﴾ [القصص: ٨٨].

* ﴿الْقَيُّومُ﴾: القائم على سلطانه فلا يزول، وقد زال، وسيزول كل من عداه.

وصدق الله إذ قال: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [المائدة: ١٧].

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٩٩، والقاضى ص٤٦، وتفسير القرطبى (٤/ ٥)، وتفسير البغوى (١/ ٢٧٦)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥).

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾: عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: المراد بالكتاب (القرآن)[١].

* ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾: عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قال: المراد، الكتب التى أنزلت على «نوح، وإبراهيم، وهود، والأنبياء»[٢].

* ﴿ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴾: وهما كتابان أنزلهما الله ـ تعالى ـ فيهما هدى ونور، وأنزل التوراة على نبيه «موسى» ـ عليه السلام ـ، قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وأنزل الإنجيل على نبيه «عيسى» ـ عليه السلام ـ، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المائدة: ٤٦].

﴿ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أى: منَ القرآن وهذا متصل بقوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴾، وحينئذ يكون المعنى: أنزل الله ـ تعالى ـ التوراة على «موسى» والإنجيل على «عيسى» قبل أن ينزل عليك يا «محمد» القرآن لأنهما متقدمان عليك فى الزمن.

* ﴿ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ المراد به القرآن أنزله الله ـ تعالى ـ على نبينا «محمد» ﷺ، وجعله مصدقًا لما بين يديه من الكتب التى أنزلها الله ـ تعالى ـ على أنبيائه، كما جعله الله مهيمنًا على جميع الكتب السابقة يدل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥).

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾: يوضح معنى هذه الآية قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ (١٦٢)﴾ [البقرة: ١٦١ ـ ١٦٢].

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ (٥)﴾

* **المعنى:** هذا خبر عن علمه ـ تعالى ـ بجميع الأشياء على التفصيل، فهو العالم بما كان، وبما يكون، ومثله فى القرآن كثير مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ (٣٨)﴾ [إبراهيم: ٣٨]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤)﴾ [الأحزاب: ٥٤]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨)﴾ [الحاقة: ١٨].

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦)﴾

معانى المفردات:

* ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾: من الصور المختلفة: ذكرًا، أو أنثى، أبيض، أو أسود، حسنًا، أو قبيحًا، شقيًا، أو سعيدًا.

* ومما يزيد ذلك وضوحًا الحديثان التاليان:

* الأول: عن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق:

«إن أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه الملك، أو قال: يُبعثُ إليه الملك بأربع كلمات، فيُكتبُ رزقُه، وعملُه، وأجلُه، وشقىٌّ أو سعيد. قال: وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينها وبينه غير ذراع فيسبق عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهل النار فيدخلُها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه غير ذراع فيسبق عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» اهـ(١).

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨).

* والثانى: عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبى الطفيل، عن حذيفة ابن أسيد يبلغُ به النبىَّ ﷺ قال: «يدخل الملَكُ على النطفة بعدما تستقر فى الرحم بأربعين، أو خمسة وأربعين ليلة، فيقول: يا ربّ أشقىٌّ أم سعيد؟ فيكتب ذلك فيقول: يا ربّ أذكر أم أنثى؟ فيكتبان، ويكتب عمله وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يُزاد فيها ولا يُنقص» اهـ[1].

* ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ أى: لا خالق، ولا مصوِّر سواه، وهذا من الأدلّة على وحدانية الله ـ تعالى ـ. * ﴿الْعَزِيزُ﴾: الذى لا يغالب.

* ﴿الْحَكِيمُ﴾: ذو الحكمة، أو المُحْكِم الذى يضع الأمور كلها فى نصابها.

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ۝٧﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾: أى: مبيِّنات مفصَّلات.

وسُمِّيت محكمات من الإحكام، كأنه أحكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها.

* ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أى: أصله الذى يُعوّلُ عليه فى الأحكام.

وإنما قال ـ تعالى ـ: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ولم يقل: أمهات الكتاب، لأن الآيات كلها فى تكاملها واجتماعها كالآية الواحدة، وكلام الله ـ تعالى ـ كله واحد.

* ﴿وَأُخَرُ﴾: جمع أخرى، وهى ممنوعة من الصرف لأنها معدولة عن «الآخر» مثل: «عمر».

* ﴿مُتَشَابِهَاتٌ﴾ أى: يشبه بعضها بعضًا فى البلاغة والفصاحة، والإعجاز.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٧٨).

* فإن قيل: لم فرّق هنا بين المحكم والمتشابه، وقد جعل الله القرآن كلّه محكمًا في مواضع أخر فقال ـ تعالى ـ: ﴿الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ①﴾ [هود: ١].

وقال ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣].

* أقول: حيث جعل الله ـ تعالى ـ القرآن كله محكمًا، أراد أن الكل حق من عند الله ـ تعالى ـ، وليس فيه عبث ولا هزل، وأنه كله بليغ وفصيح. وحيث جعل الكل متشابهًا، أراد أنه يشبه بعضه بعضًا في الجودة، والفصاحة، والبلاغة، وأنه تنزيل من حكيم حميد. وهذا هو الإحكام العام، والتشابه العام.

وحيث جعل بعضه محكمًا، وبعضه متشابهًا، فهذا هو الإحكام الخاص، والتشابه الخاص. ولا تعارض بينهما: فالقرآن كله محكم أي متقن، وفصيح وبليغ، وكله متشابه أي يشبه بعضه بعضًا في الإتقان، والفصاحة، والبلاغة.

* وقد اختلف العلماء في المراد من المحكم، والمتشابه، على عدّة أقوال وهذه أهمها:

* أولا: قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)، وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قالا: المحكم: ما في القرآن من الحلال، والحرام.

والمتشابه: ما سوى ذلك يشبه بعضه بعضًا في الحقّ، ويصدّق بعضه بعضًا(١).

* ثانيًا: قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ)، والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)، والسدّي إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ).

قالوا: المحكم الناسخ الذي يُعمل به.

والمتشابه: المنسوخ الذي نُؤمن به ولا يُعمل به(٢).

* ثالثًا: رَوَى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) قال: محكمات القرآن: ناسخه، وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه، وما نؤمن به، ويُعمَل به.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩).

(٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٧٩).

والمتشابه: منسوخه، ومقدمه، ومؤخره، وأمثاله، وأقسامه، وما نؤمن به ولا يُعمل به[١].

* رابعًا: قال بعض العلماء: المحكم: ما أوقف الله الخلق على معناه.

والمتشابه: ما استأثر الله ـ تعالى ـ بعلمه، ولا سبيل لأحد إلى علمه نحو: الخبر عن أشراط الساعة، وقيام الساعة، وفناء الدار[٢].

* خامسًا: قال بعض العلماء: المحكم ما يُعْرفُ معناه وتكون حجته واضحة، ودلائله لائحة لا يُشتبه.

والمتشابه: هو الذى يُدرك علمه بالنظر، ولا يَعْرف العوامُّ تفصيل الحق فيه من الباطل[٣].

* ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أى: ميل عن الحق، أو شك.

* ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾: اختلف العلماء فى المعْنِىّ بذلك، وهذه أهم الأقوال:

* أولا: قال الكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ): هم اليهود طلبوا علم أجل هذه الأمة، واستخراجه بحساب الجُمَّل[٤].

* ثانيًا: قال ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ): هم المنافقون[٥].

* ثالثًا: قال جماعة من العلماء: هم المبتدعة[٦].

* ﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾: هذا وما بعده مفعول لأجله.

* قال مجاهد بن جبر المفسّر: ابتغاء الشبهات، واللبس ليضلوا بها جهّالهم[٧].

* ﴿ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ أى: تفسيره، وعلمه.

* عن «عائشة أم المؤمنين» (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيتَ الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم» اهـ[٨].

* ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾: اختلف العلماء فى معنى ذلك على عدّة أقوال وهذه أهمها:

(١ : ٨) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٧٩).

* أولا: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) والربيع بن خثيم أبو زيد الكوفى (ت قبل ٩٠هـ) قالا: الواو فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ واو العطف، يعنى: أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون فى العلم، وهم مع علمهم يقولون آمنا به(١).

* ثانيًا: قال أُبَىّ بن كعب (ت ٣٠هـ ـ رضى الله عنه) و«عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنه)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ ـ رحمه الله)، وعبد الله ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قالوا: إن الواو فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ واو الاستئناف، وقد تمّ الكلام عند قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ أى: لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله ـ تعالى ـ(٢).

* وهذا قول جمهور العلماء، وهو ما أرجِّحه وأميل إليه.

* ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ أى: ما يتعظ بما فى القرآن.

* ﴿إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ أى: أصحاب العقول السليمة.

﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾: أى: لا تملها عن الحق والهدى كما أزغت قلوب الذين فى قلوبهم زيغ، بعد أن وفقتنا لدينك والإيمان بك وبنبيك «محمد» ﷺ.

* ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ أى: أعطنا من عندك رحمة توثيقًا وتثبيتًا للذى نحن عليه من الإيمان والهدى.

* أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم عن «أم سلمة» ـ رضى الله عنها ـ: أن النبى ﷺ كان يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك» ثم قرأ: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ الآية»(٣).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٨٠).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٣).

* وأخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، وابن مردويه عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) قالت: كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يدعوا: «يا مثبت القلوب ثبت قلبى على دينك»، قلت: يا رسول الله ما أكثر ما تدعوا بهذا الدعاء، فقال: «ليس من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن، إذا شاء أن يقيمه أقامه، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه، أما تسمعين قوله ـ تعالى ـ: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾» اهـ[١].

* وأخرج ابن أبى شيبة فى المصنف، وأحمد، والبخارى فى الأدب المفرد، والترمذى وحسنه، وابن جرير عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: كان النبى ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك» قالوا: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم»، قال: «إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها» اهـ[٢].

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ⑨﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾: أى: فى يوم لا شك فيه وهو يوم القيامة.

* ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ أى: الموعد.

• فائدة مهمة:

* أخرج ابن النجار فى تاريخه عن جعفر بن محمد الخلدى قال: روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من قرأ هذه الآية على شىء ضاع منه ردّه الله عليه: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ ـ ثم يقول ـ: اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بينى وبين مالى إنك على كل شىء قدير» اهـ[٣].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٤).

(٣) انظر: تفسير الدرّ المنثور للسيوطى (٢/ ١٥).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ⑩ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ أى: لن تدفع عنهم من عذاب الله يوم القيامة شيئًا.

* ومن الأدلة على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ⑧٧ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ⑧٨ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ⑧٩ ﴾ [الشعراء: ٨٧ ـ ٨٩].

* ﴿ وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾: اسم الإشارة عائد على الذين كفروا.

✳ **المعنى:** أخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأن الكافرين سيكونون وقودًا للنار يوم القيامة.

* ومن الأدلّة على ذلك قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ②٤ ﴾ [البقرة: ٢٤].

﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ⑪ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾: الدأب: العادة والشأن.

* ﴿ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾: من كفّار الأمم الماضية مثل: عاد وثمود وغيرهم.

* ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ أى: كفروا بها، ولم يصدقوا بما جاء فيها.

* ﴿ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾:

أى: عاقبهم الله ـ تعالى ـ بسبب ذنوبهم التى فعلوها ومن أشدها التكذيب والكفر بآيات الله، والله شديد العقاب، وصدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ⑫ ﴾ [البروج: ١٢]، وإذ قال: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ④٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ⑤٠ ﴾ [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠].

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: لـمّا أصاب رسـول الله ﷺ قريشًـا ببدر ورجع إلى المـدينة، جمع اليهـود فى سوق بنى قينقاع وقال: «يا مـعشر اليهود احـذروا من الله مثل ما نزل بقـريش يوم بدر، وأسلمـوا قبل أن ينـزل بكم مثل مـا نزل بهم، فـقد عـرفـتم أنِّى نبىّ مرسل، تجدون ذلك فى كتابكم» فقالوا: يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قومًا أغمارًا لا علم لهم بالحـرب فـأصبت منـهم فرصـةً إنّا والله لو قـاتلناك لعـرفت أنا نحن الناس. فأنزل الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا . . . ﴾ الآية(١).

معانى المفردات:

* ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أى: قل يا «محمد» ﷺ لليهود.

* ﴿ سَتُغْلَبُونَ ﴾ أى: ستهزمون إن قاتلتم «محمدًا» ـ عليه الصلاة والسلام.

* ﴿ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾ أى: ستحشرون فى الآخرة إلى جهنم بسبب كفركم وعنادكم وعدم إيمانكم.

* ﴿ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ أى: الـفـراش، أى: بئـس مـا مُـهِّـد لكم أيها الكـفار وهو النار، لأن حرّهــا شديـد. وصـدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) ﴾ [النساء: ٥٦].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ ﴾ [رقم: ١٢]

قـرأ حمـزة، والكسائى، وخلف البـزار: ﴿ سيـغلبون ويحـشرون ﴾ بياء الـغيب فيهـما، والضميـر للذين كفروا والجملة مـقول القول أى قل لهم يا محـمد قولى هذا إنهم «سيغلبون ويحشرون إلى جهنم».

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ١٧)، وتفسير البغوى (١/ ٢٨٢).

وقرأ الباقون ﴿ ستغلبون وتحشرون ﴾ بتاء الخطاب فيهما، على أن الجملة محكية بقل، أى خاطبهم يا«محمد» وقل لهم إنكم «ستغلبون وتحشرون إلى جنهم»(١).

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ ﴾: الخطاب هنا للذين كفروا المتقدم ذكرهم فى قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ ﴾ أى: عِبْرة، ودلالة على صدق ما قلته لكم: إنكم ستغلبون.

* ﴿ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ﴾: يوم بدر، والفئتان: النبى ﷺ وأصحابه، وكفّار قريش.

* ﴿ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أى: طاعته، ودفاعًا عن دينه، وهم النبى ﷺ وأصحابه: كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا: سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين، ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الأنصار.

وصاحب راية المهاجرين على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ. وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة ـ رضى الله عنه ـ. وكان فيهم سبعون بعيرًا، وفرسان: فرس للمقداد بن عمرو ـ رضى الله عنه ـ، وفرس لمرثد بن أبى مرثد ـ رضى الله عنه ـ، وأكثرهم رَجَّالة. وكان معهم من السلاح ستّة أدرع وثمانية سيوف.

* ﴿ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ أى: وفئة أخرى كافرة: وهم كفار مكة، وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة، يرأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس. وفيهم مائة فرس.

وكانت غزوة بدر الكبرى أول معركة شهدها رسول الله ﷺ فى السنة الثانية من الهجرة فى السابع عشر من رمضان.

* ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ ﴾: اختلف العلماء فى المراد من الضميرين فى ﴿ يَرَوْنَهُم، مِّثْلَيْهِمْ ﴾:

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣١٦)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ٩٧).

* فعلى قراءة الغيبة فى ﴿ يَرَوْنَهُم ﴾ تكون الواو فى ﴿ يَرَوْنَهُم ﴾ للكافرين، والهاء والميم للمسلمين، كما أن الهاء والميم فى ﴿ مِّثْلَيْهِمْ ﴾ للمسلمين أيضًا.

وحينئذ يكون المعنى: يرى الكفار المسلمين فى غزوة بدر الكبرى مثلى عددهم، وذلك لتضعف عزيمتهم ويدُبّ فى نفوسهم الخوف والرعب.

وعلى ذلك يكون انتصاب ﴿ مِّثْلَيْهِمْ ﴾ على الحال.

* وعلى قراءة الخطاب فى ﴿ ترونهم ﴾:

الهاء والميم فى ﴿ مِّثْلَيْهِمْ ﴾ يحتمل أن تكون للمشركين، أى: ترون أيها المسلمون المشركين مثلى ما هم عليه من العدد، وهو بعيد فى المعنى، لأن الله لم يكثّر المشركين فى أعين المؤمنين، بل أخبرنا الله أنه قللهم فى أعين المؤمنين، يشير إلى ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً ﴾ [الأنفال: ٤٤].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً ﴾ [الأنفال: ٤٣].

* ويحتمل أن تكون الهاء والميم فى ﴿ مِّثْلَيْهِمْ ﴾ للمسلمين أى: ترون أيها المسلمون المسلمين مثلى ما هم عليه من العدد، أى ترون أنفسكم مثلى عددكم.

فعل الله ذلك بالمسلمين لتقوى أنفسهم على لقاء الكافرين ويجرءوا على لقائهم، ولعل هذا هو المعنى الراجح.

* ﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ ﴾ أى: لذوى العقول السليمة فيعلموا ويوقنوا أن النصر من عند الله، وصدق الله إذ قال: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يَرَوْنَهُم ﴾ [رقم: ١٣]

قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ ترونهم ﴾ بتاء الخطاب، وذلك لمناسبة الخطاب فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ ﴾، فجرى الكلام فى ﴿ ترونهم ﴾ على الخطاب فى ﴿ لَكُمْ ﴾ والمخاطب هم المسلمون.

وقرأ الباقون ﴿ يرونهم ﴾ بياء الغيبة، وذلك لأن قبله لفظ الغيبة، وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ فحمل آخر الكلام على أوّله(١).

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ زيِّن من التزيين، أى: التحسين.

* ﴿ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾: جمع شهوة، وهى ما تدعو النفس إليه.

* ﴿ مِنَ النِّسَاءِ ﴾: بدأ بهن لكثرة تشوف النفوس إليهن. واقتضت إرادة الله ـ تعالى ـ أن جعل الرجل يسكن إلى زوجته، وجعل بينهما مودّة ورحمة.

يدلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾[الروم: ٢١].

* ﴿ وَالْبَنِينَ ﴾: عطف على ما قبله، وواحد البنين «ابن» قال الله ـ تعالى ـ مخبراً عن «نوح» ـ عليه السلام ـ: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ [هود: ٤٥].

* ﴿ وَالْقَنَاطِيرِ ﴾: جمع قنطار.

قال الربيع بن أنس: القنطار: المال الكثير بعضه على بعض(٢).

﴿ الْمُقَنطَرَةِ ﴾: قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): هى الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض(٣).

* ﴿ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) قالا: هى المعلّمة، من السيماء وهى العلامة(٤).

* ﴿ وَالأَنْعَامِ ﴾: جمع «النَّعَم» وهى: الإبل والبقر والغنم. والأنعام: اسم جمع لا واحد له من لفظه.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣١٨ ـ ٣١٩)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٣٦).

(٢ : ٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٨٤).

* ﴿ وَالْحَرْثِ ﴾ أى: الزرع، وهو اسم لكل ما يحرث، وهو مصدر سمّى به، تقول: حرث الرجل يحرث حرثًا: إذا أثار الأرض وقلبها للفلاحة.

ويقع اسم الحراثة على زرع الحبوب، وعلى الجنات، وعلى غير ذلك من نوع الفلاحة.

* ﴿ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾: اسم الإشارة عائد إلى ما تقدم ذكره فى الآية الكريمة.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ أى: ما يُتمتع به فى الدنيا، ثم يذهب ولا يبقى.

* ﴿ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ أى: المرجع إلى الدار الآخرة. وفى الآية الكريمة إشارة إلى التزهيد فى الدنيا، والترغيب فى الآخرة.

وصدق الله إذْ قال لنبيه «محمد» ﷺ: ﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) ﴾ [طه: ١٣١].

وقال ـ تعالى ـ للتزهيد فى الدنيا: ﴿ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣) ﴾ [لقمان: ٣٣].

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ ﴾ أى: أؤخبركم بخير مِّن الذى تقدم فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ الآية.

* ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ أى: من تحت قصورها.

* ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أى: حالة كونهم خالدين فى هذه الجنات خلودًا أبديًا لا نهاية له، ولا موت فيها ولا فناء، ولا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا إلا قيلا سلامًا سلامًا.

* ﴿ وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ أى: من الحيض، ومن كل ما يستقذر.

* ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾:

* عن عطاء بن يسار، عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال: قال النبى ﷺ: «إن الله ـ تبارك وتعالى ـ يقول لأهل الجنة: «يا أهل الجنة» فيقولون: لبيك

يا ربنا وسعديك والخير فى يديك، فيقول: «هل رضيتم؟» فيقولون: يا ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تُعْط أحداً من خلقك، فيقول: «ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟» فيقولون: يا ربنا وأىّ شىء أفضل من ذلك؟ فيقول: «أحلّ عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»(١).

﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ ﴾: مفعول لفعل محذوف تقديره: أعنى الذين أو أخصّ الذين يقولون... إلخ.

* ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا ﴾ أى: يا ربنا، وحَذْفُ حرف النداء كثير فى القرآن.

* ﴿ إِنَّنَا آمَنَّا ﴾ أى: بوحدانيتك، وبنبوّة سيدنا «محمد» ﷺ.

* ﴿ فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ أى: استرها علينا ولا تعذبنا بها، وتجاوز عنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

* ﴿ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ أى: جنبنا عذاب النار. وهنيئًا لمن وقاه الله ـ تعالى ـ عذاب النار، فإنه سيفوز بجنة عرضها السموات والأرض أعدّها الله ـ تعالى ـ لعباده المتقين.

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى الآية قال: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كان يقول: اللهم زينت لنا الدنيا، وأنبأتنا أن ما بعدها خير منها، فاجعل حظنا فى الذى هو خير وأبقى(٢).

* ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ (١٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الصَّابِرِينَ ﴾ قال: الصابرون قوم صبروا على طاعة الله، وعلى محارمه.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالصَّادِقِينَ ﴾ قال: هم قوم صدقت نياتهم، واستقامت قلوبهم وألسنتهم، وصدقوا فى السرّ والعلانية.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٨٤).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٠).

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْقَانِتِينَ ﴾ قال: هم المطيعون.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ قال: هم أهل الصلاة[١].

* وعن زيد بن أسلم (ت ١٣٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ قال: هم الذين يشهدون صلاة الصبح[٢].

* وأخرج ابن جرير، وابن مردويه عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نستغفر بالأسحار سبعين استغفارة[٣].

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* قال الكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ): لما ظهر رسول الله ﷺ بالمدينة، قدم عليه حَبْران من أحبار أهل الشام، فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى الذى يخرج فى آخر الزمان، فلمّا دخلا على النبى ﷺ عرفاه بالصفة والنعت، فقالا له: أنت محمد؟ قال: «نعم» قالا: وأنت أحمد؟ قال: «نعم» قالا: إنا نسألك عن شئ فإن أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك، قالا: فأخبرنا عن أعظم شهادة فى كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ فأنزل الله ـ تعالى ـ على نبيه: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ ﴾ فأسلم الرجلان، وصدّقا رسول الله ﷺ[٤].

معانى المفردات:

* قال القرطبى فى تفسيره: هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحدٌ أشرفَ من العلماء لقرنهم الله باسمه، واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء[٥].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٠).

(٤) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٠١، وتفسير البغوى (١/ ٢٨٦).

** مهمة: قال الدكتور محمد حسين الذهبى فى كتابه «التفسير والمفسرون» (١/ ٨٤): الكلبى مشهور بالتفسير، وليس لأحد تفسير أطول منه ثم قال ما معناه: وهو مرضىّ عنه فى التفسير دون الحديث.

(٥) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٢٧).

* ﴿ شَهِدَ اللَّهُ ﴾ أى: بيّن وأعلم.

* قال الزّجاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): الشاهد: هو الذى يعلم الشىء ويبينه، فقد دلّنا الله ـ تعالى ـ على وحدانيته بما خلق وبيّن(١).

* ﴿ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ أى: وشهدت الملائكة.

* قال البغوى فى تفسيره: معنى شهادة الله: الإخبار والإعلام، ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الإقرار(٢).

* ﴿ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ ﴾: قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) والكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ) قالا: المراد جميع علماء المؤمنين(٣).

* ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾: عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾: بالعدل(٤).

* ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾: قال جعفر الصادق: الحكمة من التكرير فى الآية: لأنّ الأولى وصف وتوحيد، والثانية رسم وتعليم، يعنى قولوا: ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(٥).

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) ﴾

* ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾:

المراد: الدين المرضى الصحيح عند الله ـ تعالى ـ هو الإسلام. والدليل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

* قال أبو العالية الرياحىّ (ت ١٩٠هـ): الدين فى هذه الآية: الطاعة والملّة، والإسلام بمعنى: الإيمان والطاعات(٦).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٢٨).
(٢ ـ ٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٨٦).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٢).
(٥ ـ ٦) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٢٩).

* وقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): الإسلام: شهادة أن لا إله إلا هو، والإقرار بما جاء به ـ أى نبينا «محمد» ﷺ ـ من عند الله ـ تعالى ـ وهو دين الله الذى شرع لنفسه، وبعث به رسله، ودلّ عليه أولياءه، فلا يقبل غيره، ولا يجزى إلا به(١).

* ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾:

* قال الكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ): نزلت فى اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام، أى: وما اختلف الذين أوتوا الكتاب فى نبوة سيدنا «محمد» ﷺ إلا من بعد ما جاءهم العلم وهو: بيان نعته فى كتبهم(٢).

* ﴿ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾: ﴿ بَغْيًا ﴾ مفعول لأجله أى لأجل البغى على الدنيا، وطلب ملكها وسلطانها، قتل بعضهم بعضًا على الدنيا من بعد ما كانوا علماء الناس، وهؤلاء هم اليهود والنصارى.

* ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ فيجازى كل واحد بعمله، وصدق الله إذ قال: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) ﴾ [البقرة: ٣٩].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [رقم: ١٩]

قرأ الكسائى ﴿ أنّ ﴾ بفتح الهمزة، على أنها مع اسمها وخبرها (بدل كلّ) من قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [رقم: ١٨].

فتكون «أَنَّ» وما بعدها فى محلّ نصب بـ ﴿ شَهِدَ ﴾.

وقرأ الباقون ﴿ إنّ ﴾ بكسر الهمزة، وذلك على الاستئناف لأن الكلام قد تمّ عند قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ثم استأنف بكلام جديد فكسرت همزة ﴿ إنّ ﴾(٣).

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٨٦)، وتفسير الدرّ المنثور للسيوطى (٢/ ٢٢).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٨٧).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات.

﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ ﴾: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وابن جريج عبد الملك ابن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) قالا: إن حاجك اليهود، والنصارى[١].

* ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾: أى: إن جادلك اليهود والنصارى بالأقاويل المزوّرة والمغالطات ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ أى: انقدت لله وحده بقلبى، ولسانى وجميع جوارحى.

وقال أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ): معناه: أخلصت عملى لله ـ تعالى ـ[٢].

* وإنما خصّ الوجه بالذكر لأنه أكرم الجوارح فى الإنسان، وفيه بهاؤه، فإذا خضع الوجه لله ـ تعالى ـ خضع له جميع جوارحه.

* ﴿ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾: «مَنْ» فى محلّ رفع عطفًا على التاء فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَسْلَمْتُ ﴾ أى: ومن اتبعنى فقد أسلم كما أسلمت.

* وإنما جاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير تأكيد بالضمير المنفصل، للفصل بينهما.

* ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ أى: اليهود، والنصارى.

* ﴿ وَالْأُمِّيِّينَ ﴾ أى: الذين لا يقرءون ولا يكتبون.

* ﴿ ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾: لفظة استفهام ومعناه الأمر أى: أسلموا، ونظير ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة: ٩١] ـ أى: انتهوا.

* ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ﴾: قال الربيع بن خثيم أبو زيد الكوفى (ت قبل ٩٠هـ): من تكلم بهذا صدقًا من قلبه يَعْنى الإيمان فقد اهتدى[٣].

---

(١) انظر: تفسير الشوكانى (١/ ٤٩٤)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٢).
(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٨٧).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٣).

* ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أى: عن الإيمان.

* ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ ﴾ أى: تبليغ الرسالة، وليس عليك الهداية.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

* ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾: فهو عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن. لأنه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد (ت ٣٨٥هـ): كان ناس من بنى إسرائيل جاءهم النبيون فدعوهم إلى الله فقتلوهم، فقام أناس من بعدهم من المؤمنين فأمروهم بالإسلام فقتلوهم، ففيهم نزلت الآية(١).

معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾: أى: يجحدون بآيات الله أى: بالقرآن الكريم، وهم اليهود، والنصارى، وظاهره عدم الفرق بين آية وآية من آيات الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

* ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾:

* أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم عن أبى عبيدة بن الجراح ـ رضى الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله أىّ الناس أشدّ عذابًا يوم القيامة؟ قال: «رجل قتل نبيًّا، أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ ثم قال رسول الله ﷺ: «يا أبا عبيدة قتلَتْ بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًّا أوّل النهار فى

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٣٠)، وتفسير الشوكانى(١/ ٤٩٤).

ساعة واحدة، فقام مائة رجل وسبعون رجلا من بنى إسرائيل، فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، فقُتِلُوا جميعًا من آخر النهار من ذلك اليوم، فهم الذين ذكر الله» اهـ[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ [رقم: ٢١]

قرأ حمزة: ﴿ ويقاتلون ﴾ بضم الياء، وفتح القاف، وألف بعدها، وكسر التاء، من قاتل والمفاعلة من الجانبين لأنه وقع قتال بين الطرفين: الكفار، والذين يأمرونهم بالقسط من الناس. وقرأ الباقون ﴿ ويقتلون ﴾ بفتح الياء، وإسكان القاف، وحذف الألف، على أنه مضارع قتل.

وذلك للعطف على قوله ـ تعالى ـ أوّل الآية: ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾[٢].

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (٢٢) ﴾

* **المعنى:** ﴿ حَبِطَتْ ﴾ أي: بطلت، وبطلان العمل فى الدنيا: هو عدم قبوله لعدم إيمانهم. وبطلانه في الآخرة: عدم مجازاتهم عليه، ومن الأدلّة على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣) ﴾ [الفرقان: ٢٣].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: دخل رسول الله ﷺ بيت المِدْراس[٣] على جماعة من يهود، فدعاهم إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ فقال له النعمان بن عمرو، والحارث بن زيد: على أيِّ دين أنت يا محمد؟ قال: «على ملّة إبراهيم ودينه»، قالا: فإن إبراهيم كان يهوديًا،

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٨٨)، وتفسير الشوكانى (١/ ٤٩٤)، وتفسير الدرّ المنثور للسيوطى (٢/ ٢٣).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٢٢)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٣٨)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١١٧).

(٣) المِدْراس: البيت الذى يدرسون فيه.

قال لهما النبى ﷺ: «فهلمًّا إلى التوراة فهى بيننا وبينكم» فأبيا عليه، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية[١].

❀ معانى المفردات:

* ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ الآية:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: هم اليهود، دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم فأعرضوا عنه[٢].

* ﴿نَصِيبًا﴾ أى: حظًا. * ﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾ أى: التوراة.

* ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾: وهم جماعة من اليهود حينما دعاهم النبى ﷺ إلى الدخول فى الإسلام، وتحكيم التوراة، رفضوا الدخول فى الإسلام، ولم يقبلوا تحكيم التوراة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ذَٰلِكَ﴾: هذا إشارة إلى تولى اليهود، وإعراضهم المتقدم ذكره فى الآية السابقة.

* ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: وهى أربعون يومًا مدة عبادة آبائهم العجل.

* ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: الغرور: هو الطمع فيما لا يحصل منه شىء. والإفتراء: اختلاق الكذب.

* وعن مجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ) قال: غرّهم قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾[٣].

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٠١، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٤٦، وتفسير القرطبى (٣/ ٣٣)، وتفسير البغوى (١/ ٢٨٨)، وتفسير الشوكانى (١/ ٤٩٦).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٨٨)، وتفسير الدرّ المنثور للسيوطى (٢/ ٢٤).

(٣) انظر: تفسير الشوكانى (١/ ٤٩٦)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٥).

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ ﴾ أى: فكيف يكون حالهم، أو كيف يصنعون إذا حشروا يوم القيامة، واضمحلّت عنهم تلك الأكاذيب التى ادعوها فى الدنيا، وجُوزُوا بما اكتسبوه من كفرهم، وقبيح أعمالهم.

* ﴿ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾: اللام فى ﴿ لِيَوْمٍ ﴾ بمعنى «فى» أى فى يوم لا شك فيه وهو يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [غافر: ٥٩].

* ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾: قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

سبب نزول هذه الآية:

عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وأنس بن مالك (ت ٨٣هـ ـ رضى الله عنه) قالا: لما فتح رسول الله ﷺ مكة المكرمة، ووعد أمته مُلْك فارس والروم، قال المنافقون، واليهود: هيهات هيهات من أين لمحمد مُلْك فارس والروم؟ هم أعزُّ وأمنع من ذلك، ألم يكف «محمدًا» مكّة والمدينة، حتى طمع فى مُلْك فارس والروم، فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية[1].

معانى المفردات:

* ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ﴾: قال الخليل بن أحمد الفراهيدى (ت ١٧٠هـ)، وسيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) وجميع البصريين: إن أصل ﴿ اللَّهُمَّ ﴾ يا الله، فلما استعملت الكلمة دون حرف النداء الذى هو «يا» جعلوا بدله هذه الميم المشدّدة، فجاءوا بحرفين وهما الميمان عوضًا عن حرفين وهما: الياء والألف[2].

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٠٢، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٤٧، وتفسير القرطبى (٣/ ٣٦)، وتفسير البغوى (١/ ٢٨٩)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٥).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٣٥)، وتفسير الشوكانى (١/ ٤٩٧).

* ﴿ مَالِكَ الْمُلْكِ ﴾: ﴿ مَالِكَ ﴾ منصوب لأنه منادى مضاف، أى: يا مالك الملك ويا مالك العباد وما ملكوا، ويا مالك السموات والأرض وما فيهن. قال ـ تعالى ـ: ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴿٥﴾ ﴾ [الحديد: ٥].

* ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ ﴾ أى: من تشاء إيتاءه إيّاه.

* ﴿ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ ﴾ أى: ممن تشاء نزعه منه.

* ﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ ﴾ أى: فى الدنيا، أو فى الآخرة، أو فيهما معًا.

يقال: عزَّ: إذا علا وقهر وغلب، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [ص: ٢٣].

* ﴿ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ﴾ أى: فى الدنيا، أو فى الآخرة أو فيهما معًا.

* ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ أى: لا بيد غيرك، وذكر الله الخير دون الشرّ، لأن الخير فضل محض، بخلاف الشرّ فإنه يكون جزاء لعمل وصل إليه، وقال بعض المفسرين: بيدك الخير، أى: والشرّ، فحذف كما حَذَف فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ [النحل: ٨١] أى: والبرد.

* وأقول: لعلّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ خصّ الخير بالذكر، لأنه موضع الدعاء من الناس، وهو محطّ الرغبة فى فضل الله ـ سبحانه وتعالى ـ والله أعلم.

* ﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾: وصدق الله إذ قال: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [فاطر: ٤٤].

﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾:

* عن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه)، وابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ)، وقتادة بن دعامة

السدوسى (ت ١١٨هـ)، والسدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قالوا فى معنى الآية: أى تدخل ما نقص من أحدهما فى الآخر حتى يصير النهار خمس عشرة ساعة وهو أطول ما يكون، والليل تسع ساعات وهو أقصر ما يكون(١).

* ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾:

* أخرج ابن مردويه من طريق أبى عثمان النهدى عن سلمان الفارسى ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم ـ عليه السلام ـ أخرج ذريته فقبض قبضة بيمينه فقال: هؤلاء أهل الجنة ولا أبالى، وقبض بالأخرى قبضة فجاء فيها كل ردىء فقال: هؤلاء أهل النار ولا أبالى، فخلط بعضهم ببعض، فيخرج الكافر من المؤمن، ويخرج المؤمن من الكافر، فذلك قوله: ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾» اهـ(٢).

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): قال: يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، والمؤمن عَبْد حىّ الفؤاد، والكافر عَبْد ميّت الفؤاد(٣).

* وعن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه)، وابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قالا: يخرج الرجل الحىّ من النطفة الميتة، ويخرج النطفة الميتة من الرجل الحىّ(٤).

* وعن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قال: هى البيضة تخرج من الحىّ وهى ميتة، ثم يخرج منها الحىّ(٥).

* ﴿ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾: أى: من غير تضييق ولا تقتير، كما تقول: فلان يعطى بغير حساب، كأنه لا يحسب ما يعطى.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ الْمَيِّتِ ﴾ معًا [رقم: ٢٧]

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وشعبة بتخفيف الياء ساكنة.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٣٧)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٦ ـ ٢٧).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدرّ المنثور للسيوطى (٢/ ٢٧).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٦ ـ ٢٧).

(٥) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٩١)، وتفسير الشوكانى (١/ ٤٩٩)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٧).

وقرأ الباقون بتشديدها مكسورة، وهما لهجتان(١).

﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) قال: كان الحجّاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق، وقيس بن زيد قد بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر، وعبد الله بن جبير، وسعد بن خيثمة لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء النفر من يهود، واحذروا مباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم، فأبى أولئك النفر، فأنزل الله فيهم: ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ اهـ(٢).

معاني المفردات:

* ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾:

* عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار ويتخذوهم وليجة من دون المؤمنين، إلا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين أولياء، فيظهرون لهم اللطف، ويخالفونهم فى الدين، وذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ اهـ(٣).

* ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾: أى: من يفعل ذلك وهو موالاة الكفار فى نقل الأخبار إليهم، وإظهارهم على عورات المسلمين، فليس من دين الله فى شيء.

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قال: فقد برئ الله منه(٤).

* ﴿ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾:

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١١٧).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٠٥، وأسباب النزول للقاضى ص٤٧، وتفسير البغوى (١/ ٢٩١)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٨).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٨).

* عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: التقاة: التكلُّم باللسان، والقلب مطمئن بالإيمان، ولا يبسط يده فيقتل، ولا إلى إثم فإنه لا عذر له[١].

* قال معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصارى (ت ١٧هـ ـ رضى الله عنه)، ومجاهد بن جبر المكى المفسّر (١٠٤هـ) قالا: كانت التقية فى جدّة الإسلام قبل قوّة المسلمين، فأمّا اليوم فقد أعزّ الله الإسلام أن يتقوا من عدوّهم[٢].

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قال: التقية جائزة إلى يوم القيامة[٣].

* ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾: أى: يخوفكم الله عقوبته على موالاة الكفار، وارتكاب المنهىّ عنه، ومخالفة المأمور به.

* ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ أى: المرجع والمآل يوم القيامة، فيجازى كل واحد بعمله، فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرّاً يره.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧)﴾ [الأنبياء: ٤٧].

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾:

✳ **المعنى:** أن كل ما يضمره الإنسان ويخفيه، أو يظهره ويبديه، فهو معلوم لله ـ سبحانه وتعالى ـ، لا يخفى عليه منه شىءﷺ ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء.

* ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

✳ **المعنى:** أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم بما فى السموات والأرض لا يغيب عنه شىء، سبحانه لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة، وهو على كل شىء قدير.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٩).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٣٨).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور (٢/ ٢٩).

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾:

* ﴿يَوْمَ﴾ مفعول لفعل محذوف، أى اتقوا يوم تجد كل نفس... إلخ، أو خافوا ذلك اليوم.

* ﴿مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ أى: موفوراً، لم يُبْخس منه شيء كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)﴾ [الكهف: ٤٩].

و ﴿مُّحْضَرًا﴾ حال من الضمير المحذوف من صلة ﴿مَّا﴾ تقديره: يوم تجد كل نفس ما عملته من خير حالة كونه محضراً.

* ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ﴾: معطوف على ﴿ما﴾ الأولى، والتقدير: وما عملت من سوء محضراً أيضًا. وحذف من الثانى لدلالة الأول عليه، وهو أسلوب بلاغىٌّ فصيح.

* ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ أى: تتمنى وتحب كل نفس أن يكون بينها وبين العمل السيء أجلا بعيداً، كما بين المشرق والمغرب بل أكثر من ذلك خوفًا من الله ـ تعالى ـ.

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قال: يسرُّ أحدهم أن لا يلقى عمله أبداً(١).

* ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾:

* ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾ أى: يخوفكم، لأن بطشه شديد. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)﴾ [هود: ١٠٢].

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قال: من رأفته بهم حذّرهم نفسه(٢).

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٩٣).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٠).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [رقم: ٣٠]

قرأ أبو عمرو، وشعبة، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف البزّار ﴿ رؤف ﴾ بحذف الواو التي بعد الهمزة، على وزن «فَعُل».

وقرأ الباقون ﴿ رءوف ﴾ بإثبات الواو على وزن «فعول» وهما لهجتان(١).

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر من طريق أبي عبيدة الناجي عن الحسن البصري (ت ١١٠هـ) قال: قال أقوام على عهد رسول الله ﷺ: والله يا «محمد» إنا لنحبّ ربنا، فأنزل الله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ الآية(٢).

معاني المفردات:

* ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ الآية: الحبّ والمحبّة: ميل النفس إلى الشيء.

* قال ابن عرفة: المحبّة عند العرب: إرادة الشيء على قصد له(٣).

* وقال الأزهري: محبة العبد لله ورسوله: طاعته لهما، واتباعه أمرهما، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾.

ومحبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران، وقال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢) ﴾ [آل عمران: ٣٢]، أي لا يغفر لهم(٤).

* وأخرج الحكيم الترمذي، وأبو نعيم، والديلمي، وابن عساكر عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ قال: على البرّ، والتقوى، والتواضع، وذلّة النفس.. اهـ(٥).

---

(١) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ١١٨).
(٢ : ٤) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٤٠).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٣٠).

* وأخرج الأصبهاني في الترغيب عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يستكمل مؤمن إيمانه حتى يكون هواه تبعًا لما جئتُ به» اهـ[١].

* وأخرج عبد بن حميد عن الحسن البصري (ت ١١٠هـ) قال: قال رسول الله ﷺ: «من رغب عن سنتي فليس منّي»، ثم تلا هذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ الآية[٢].

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا عن طاعة الله ورسوله.

* ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ أي: لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم.

* عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «كل من أمّتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» اهـ[٣].

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿اصْطَفَى﴾ أي: اختار. * وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾ قال: هم المؤمنون من آل إبراهيم، وآل عمران، وآل ياسين، وآل محمد ﷺ[٤]. وإنما خصّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ هؤلاء بالذكر لأن الأنبياء والمرسلين كلهم من نسلهم.

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤)﴾

* عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ) قال أيْ: في النية، والعمل، والإخلاص، والتوحيد[٥].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٣٠).

(٣) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٩٣).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٣١).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٣١ ـ ٣٢).

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ ﴾: ﴿ إِذْ ﴾ متعلق بفعل محذوف تقديره «اذكر».

* و ﴿ امْرَأَتُ عِمْرَانَ ﴾: هى (حنّة بنت فاقوذا) أمّ «مريم».

* و ﴿ عِمْرَانَ ﴾: هو عمران بن ماثان، وليس بعمران أبى «موسى» ـ عليه السلام ـ، لأن بينهما ألفًا وثمانمائة سنة. وكان (بنو ماثان) رءوس بنى إسرائيل، وأحبارهم وملوكهم.

* ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾:

أى: يا ربِّ إنى جعلت لك الذى فى بطنى محررًا، ونذرًا منى لك، والنذر ما يوجبه الإنسان على نفسه.

* ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾:

أى: تقبل منى يا رب هذا النذر إنك أنت السميع لدعائى العليم بنيتى وقصدى، وبكل شىء.

* قيل إن سبب قول امرأة عمران هذا: أنها كانت كبيرة لا تلد، وكانوا أهل بيت من الله بمكان، وأنها كانت تحت شجرة فبصُرت بطائر يَزُقّ فَرْخًا فتحركت نَفْسها لذلك، ودعت ربها أن يَهَبَ لها ولدًا، ونذرت إن ولدتأن تجعل ولدها محرّرًا: أى: عتيقًا خالصًا لله ـ تعالى ـ، خادمًا للكنيسة حبيسًا عليها، مفرَّغًا لعبادة الله ـ تعالى ـ، وكان ذلك جائزًا فى شريعتهم، وكان على أولادهم أن يطيعوهم، فحملت بمريم فحرَّرت ما فى بطنها، ولم تعلم ما هو، ومات عمران وحنّة حامل بمريم(١).

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٤٣)، وتفسير البغوى (١/ ٢٩٥).

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا ﴾ أى: ولدتها، فإذًا هى أنثى، والهاء فى وضعتها عائدة إلى النذيرة.

* ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ ﴾:

المعنى: قالت (حنّة) عندما وضعتها أنثى، وكانت ترجو أن يكون غلامًا إذ لم يكن يحرر لخدمة بيت المقدس إلا الغلمان، قالت معتذرة: ربِّ إنى وضعتها أنثى.

* ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ بإسكان التاء على إحدى القراءتين، وهو إخبار من الله ـ تعالى ـ، لأنه بكل شىء عليم.

* ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾ فى خدمة بيت المقدس، لضعفها وما يعتريها من الحيض.

* ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ قيل هى بلغتهم العابدة الخادمة.

* ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا ﴾ أى: أمنعها، وأجيرها، هى وأولادها بك يا ربّ العالمين.

* ﴿ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ أى: المرجوم، فعيل بمعنى «مفعول»، مثل: «قتيل» بمعنى مقتول، وجريح بمعنى مجروح.

* أخرج عبد الرزاق، وأحمد، والبخارى، ومسلم، وابن جرير، وأبو المنذر، وابن أبى حاتم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد، فيستهلّ صارخًا من مسٍّ الشيطان إيّاه إلا مريم وابنها»، ثم قال أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم: ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[1].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ [رقم: ٣٦]

قرأ ابن عامر، وشعبة، ويعقوب: ﴿ وضعْتُ ﴾ بإسكان العين وضم التاء، وهو من كلام (أم مريم) والتاء فاعل.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٤).

وقرأ الباقون: ﴿ وضعَتْ ﴾ بفتح العين وإسكان التاء، وهو من كلام الله ـ تعالى ـ أو (الملَك) والتاء للتأنيث[١].

﴿ فَتقبَّلَهَا ربُّهَا بِقبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حسنًا وكفَّلَهَا زكرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾: أى: قبل الله «مريم» من أمها (حنّة) وأنبتها نباتًا حسنًا، أى سوّى خَلْقها من غير زيادة ولا نقصان، فكانت تنبت فى اليوم كما ينبت المولود فى العام.

• فائدة صرفية:

«تقبّل» مصدره «التقبُّل» و«أنبت» مصدره: «إنباتًا» إذًا «بقبول، ونباتًا» اسْمَا مصدر وليسا بمصدرين.

* ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ فاعل «كفّل» ضمير مستتر يعود على الله ـ تعالى ـ المتقدم ذكره فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا ﴾ والهاء مفعول ثان مقدّم، و«زكريا» مفعول أوّل مؤخر، والتقدير: جعل الله «زكريا» ـ عليه السلام ـ كافلا مريم أى ضامنًا مصالحها.

* قال المفسرون: أخذت (حنّة) «مريم» حين ولدتها إلى المسجد فوضعتها عند الأحبار أبناء هارون، وهم يومئذ يلُون من بيت المقدس ما يلى الحجبة من الكعبة فقالت لهم ـ أى حنّة ـ: دونكم هذه النذيرة، فتنافس فيها الأحبار، لأنها بنت إمامهم وصاحب قربانهم، فقال لهم «زكريا»: أنا أحقّ بها منكم، لأن خالتها عندى ـ أى زوجتى ـ فقال له الأحبار: لا نفعل ذلك فإنها لو تركت لأحقّ الناس بها لتُركت لأمها التى ولدتها، لكنا نقترع عليها فتكون عند من يخرج سهمه، فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا إلى «نهر الأردن» فألقوا أقلامهم فى الماء على أن من ثبت قلمه فى

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٢٥)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١١٩)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٧٣.

الماء وصعد فهو أولى بها، وكان على كل قلم اسم واحد منهم، فألقوا أقلامهم التى كانت بأيديهم فى الماء، فارتد قلم «زكريا» فارتفع فوق الماء، وانحدرت أقلامهم ورست فى النهر(١).

* ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ ﴾:

المحراب: هو أشرف المجالس ومقدمها، وكذلك هو من المسجد، إلا أن المراد به هنا «الغرفة» الخاصة بإقامة «مريم»، وكان يصعد إليها بسلّم خاص وكان لا يصعد إليها غيره، لأنه كان كلما خرج من عندها أغلق باب غرفتها.

* ﴿ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (١٠٤هـ) قال: وجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء، وفاكهة الشتاء فى الصيف(٢).

* ﴿ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا ﴾ أى: من أىِّ جهة لك هذا، لأن ﴿ أَنَّىٰ ﴾ تكون للسؤال عن الجهة. أما «أيْن» فإنها تكون للسؤال عن المكان.

* ﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾، ويشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [رقم: ٣٧]

قرأ عاصم، والكسائى، وحمزة، وخلف البزّار ﴿ وكفّلها ﴾ بتشديد الفاء، على أنه فعل ماض من «كفّل» مضعف الفاء، وفاعل «كفّل» ضمير يعود على ربها، والهاء مفعول ثان مقدّم، و«زكريا» مفعول أوّل مؤخر.

والتقدير: جعل الله «زكريا» ـ عليه السلام ـ كافلا مريم، أى: ضامنًا مصالحها.

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٩٦).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٦).

وقرأ الباقون: ﴿ وكفَلها ﴾ بتخفيف الفاء، والفاعل «زكريا» ـ عليه السلام ـ، والهاء مفعول به، أى كفَل زكريا مريم(١).

* ﴿ زَكَرِيَّا ﴾ حيثما جاء فى القرآن الكريم.

قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ زكريا ﴾ بالقصر من غير همز فى جميع القرآن.

وقرأ الباقون ﴿ زكرياء ﴾ بالهمز والمدّ. والقصر، والمدّ لهجتان فصيحتان(٢).

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) ﴾

* **المعنى:** أخرج ابن جرير عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: لما رأى ذلك «زكريا» يعنى فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف عند «مريم» قال: إن الذى يأتى بهذا عند «مريم» فى غير زمانه قادر أن يرزقنى ولداً، فذلك حين دعا ربّه.. اهـ(٣).

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ ﴾:

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ فناداه ﴾ على ما سيأتى بإذن الله ـ تعالى ـ فيما بعد.

* عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قال: الذى ناداه «جبريل» ـ عليه السلام ـ(٤).

* ﴿ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾: * عن السدّى قال: المحراب المصلّى(٥).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٢٧)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٤١).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٢٦)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٢٠)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٤٢)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٦).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى(٢/ ٣٦).

(٤ ـ ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٧).

* ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾:

* ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ حال من «يحيى» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾: عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: هى «عيسى ابن مريم» ـ عليه السلام ـ[١].

وسمّى «عيسى» كلمة الله، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قال له: كُنْ من غير أب فكان.

يشهد لهذا قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٧].

* ﴿ وَسَيِّدًا ﴾: عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: حليمًا تقيّا[٢].

* ﴿ وَحَصُورًا ﴾ عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قال: الحصور: الذى لا يأتى النساء[٣].

* ﴿ وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾: قال الزجاج إبراهيم بن السّرى (ت ٣١١هـ): الصالح: الذى يؤدى لله ما افترض عليه، وإلى الناس حقوقهم[٤].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ [رقم: ٣٩]

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار ﴿ فناداه ﴾ بألف بعد الدال، على تذكير الفعل.

وقرأ الباقون ﴿ فنادته ﴾ بتاء التأنيث الساكنة بعد الدال، وذلك على تأنيث الفعل.

وجاز تذكير الفعل وتأنيثه، لأن الفاعل جمع تكسير، فمن ذكّر فعلى معنى الجمع، ومن أنث فعلى معنى الجماعة[٥].

* ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ [رقم: ٣٩]

قرأ ابن عامر، وحمزة: ﴿ إِنَّ ﴾ بكسر الهمزة، إجراء للنداء مجرى القول، أو على إضمار القول، أى قائلين: إن الله يبشرك بيحيى.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٨).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٩).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٥١).

(٥) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٢٨).

وقرأ الباقون: ﴿أَنَّ﴾ بفتح الهمزة، على تقدير حرف الجرِّ، أى بأنّ الله يبشرك[١].

* ﴿يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [رقم: ٣٩]

قرأ حمزة، والكسائى بفتح الياء، وإسكان الباء، وضم الشين مخففة من البشر وهو البشارة.

وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشدّدة من «بشّر» المضعف لهجة أهل الحجاز[٢].

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠)﴾

معانى المفردات:

* ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾: فاعل ﴿قَالَ﴾ هو «زكريا» ـ عليه السلام ـ.

المعنى: سأل «زكريا» ـ عليه السلام ـ ربّه ـ عزّ وجل ـ مستفهمًا هل سيُرزق هذا الغلام مع كبر سنّه، وعُقْر امرأته، وذلك لأن العادة كانت تقضى بأنه لا يحدث هذا من مثلهما، وليس السؤال للجحود والإنكار. قيل كان فى ذلك الوقت ابن عشرين ومائة سنة. وكانت امرأته فى سنّ ثمان وتسعين سنة. فأجابه الله ـ تعالى ـ بواسطة الملك بقوله:

* ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾: أى: يفعل الله ما يشاء من الأفعال المستبعدة بالنسبة للبشر، لأنه ـ عزّ وجلّ ـ لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء، إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٤١)﴾

معانى المفردات:

* ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾:

(١) انظر: الكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٤٣). (٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٢١).

أى: علامة أعرف بها وقت حمل امرأتى، فأتلقَّى هذه النعمة بالمزيد من الشكر لك يا ربِّ العالمين.

* ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا﴾: أى: علامتك على أن امرأتك قد حملت أن يُحْبَس لسانك عن تكليم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً: أى: إيماء بالشفتين.

* ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾: أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ عبده زكريّا بأن يكثر من ذكره، وأن يسبحه بالعشىّ: وهو ما بين زوال الشمس إلى غروبها. وبالإبكار: وهو ما بين صلاة الفجر إلى الضحى.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ﴾: «إذْ» متعلق بفعل محذوف تقديره: واذكر يا«محمد» هذا لأمتك. والمراد بالملائكة: جبريل ـ عليه السلام ـ.

* ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ أى: اختارك. * ﴿وَطَهَّرَكِ﴾:

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، والزجاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ) قالوا: طهرها الله ـ تعالى ـ من سائر الأدناس: من الحيض، والنفاس، وغيرهما، واصطفاها لولادة «عيسى» ـ عليه السلام ـ(١).

* ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾:

* عن الحسن البصرى، وابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) قالا: المراد عالمى زمانها(٢).

* أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء العالمين: خديجة، وفاطمة، ومريم، وآسية امرأة فرعون»(٣).

* وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك (ت ٩١هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى على نساء العالمين أربعًا: آسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت «محمد» ﷺ» اهـ(٤).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٥٣).   (٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٢).

﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ ﴾:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قال: أطيلى القيام فى الصلاة لربك[1].

* وعن مجاهد قال: لما قيل لها: ﴿ اقْنُتِي لِرَبِّكِ ﴾ قامت حتى ورمت قدماها[2].

* ﴿ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾:

قدّم الله السجود على الركوع لأنه أفضل من الركوع. ففى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»، ولأن الواو لا تقتضى ترتيبًا ولا تعقيبًا، إنما هى لمطلق الجمع.

* ﴿ وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ أى: صلِّى مع المصلين فى الجماعة، قيل: هذا دليل على مشروعية صلاة الجماعة.

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾:

المعنى: يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه «محمد» ﷺ ذلك الذى ذكرت لك من حديث «زكريا»، و«يحيى»، و«مريم» ـ عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ، من أخبار الغيب نوحيه إليك.

وهذا من دلائل نبوّة سيدنا «محمد» ﷺ، إذْ عرف قصة «زكريا، ويحيى، ومريم» علمًا بأنه أمىّ لم يقرأ ولم يكتب، ولم يجلس إلى معلّم قط.

* ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾:

المعنى: وما كنت بحضرتهم يا«محمد» إذ يلقون أقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة فى الماء الجارى على أن من وقف قلمه ولم يجر مع الماء فهو أحق بحضانة «مريم».

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٠١).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٣).

* ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ هذه الجملة معطوفة على ما قبلها، أى: وما كنت حاضراً يا«محمد» إذ يختصم سدنة بيت المقدس فى كفالة «مريم». وإنما عرفت ذلك عن طريق الوحى الذى أوحيه إليك عن طريق «جبريل» ـ عليه السلام ـ.

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾:

* قال إبراهيم النّخعى (ت ٩٦هـ): المسيح لقب «لعيسى» ـ عليه السلام ـ، ومعناه: الصدِّيق[1].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): سُمِّى «عيسى» ـ عليه السلام ـ مسيحًا، لأنه ما مسح ذا عاهة إلا برأ بإذن الله ـ تعالى ـ[2].

يشهد لذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٤٩]

* ﴿ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾: أى: شريفًا رفيعًا ذا جاه وقدر، وانتصب على الحال.

* ﴿ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾: عند الله ـ تعالى ـ، أى: ومقربًا.

﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فِي الْمَهْدِ ﴾ أى: صغيراً قبل أوان الكلام.

ويشهد لذلك قوله ـ تعالى ـ في سورة مريم: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [مريم: ٢٩ ـ ٣٤].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٥٧).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٠٢).

* وأخرج أبو الشيخ، والحاكم وصححه عن أبي هريرة (ت ٥٩هـ - رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يتكلم فى المهد إلا عيسى، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وابن ماشطة فرعون» اهـ[١].

* ﴿ وَكَهْلاً ﴾ أى: كبيراً، والكهولة حالة وسط بين حال الشباب، وحال الشيخوخة.

* ﴿ وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ أى: وهو من عباد الله الصالحين.

* عن ابن زيد قال: قد تكلم «عيسى» - عليه السلام - فى المهد، وسيتكلم إذا أقبل الدجّال وهو يومئذ كهل[٢].

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾: قالت ذلك تعجبًا وليس جحوداً وإنكاراً، إذ لم تكن جرت العادة بأن يولد ولد لا أب له.

* ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا ﴾ أى: أراد كوْن الشىء.

* ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾: أى: فهو يكون كما يريد الله - تعالى -. ويشهد لهذا قوله - تعالى - فى سورة مريم: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) ﴾ [مريم: ٢٠ - ٢٢].

﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (٤٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ ﴾: عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) قال: الخط بالقلم.

* ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ أى: العلم النافع والفقه فى الدين.

---

(١) انظر: تفسير الدرّ المنثور للسيوطى (٢/ ٤٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٦).

* ﴿ وَالتَّوْرَاةَ ﴾ أى: يعلمه التوراة، وهى الكتاب الذى أنزله الله على نبيه «موسى» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ وَالإِنجِيلَ ﴾ أى: ويعلمه الإنجيل، وهو الكتاب الذى أنزله الله عليه، أى على نبيه عيسى ـ عليه السلام ـ.

﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾: أى: ويرسل الله ـ تعالى ـ «عيسى» ـ عليه السلام ـ رسولا إلى بنى إسرائيل.

* ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾: لتكون دليلا على صدق نبوتى.

* ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾:

هذا تفصيل بعد إجمال أى: لما قال: ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أخذ يفصل ذلك فقال: ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾.

ومعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم ﴾ إلخ.

أى: أصور، وأقدّر لكم. * ﴿ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ ﴾ أى: فى الواحد منه. * ﴿ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أى: بأمره وإرادته إذْ كان تسوية الطير والنفخ من «عيسى» ـ عليه السلام ـ، والخلق والإيجاد من الله ـ تعالى ـ.

* قال وهب بن منبه: كان الطائر يطير ما دام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتًا، ليتميز فعل الخلق من فعل الخالق(١).

قال المفسرون: لم يخلق سوى الخفاش لأنه أكمل الطير خلقًا، ليكون ذلك أبلغ فى الدلالة على معجزة نبى الله «عيسى» ـ عليه السلام ـ(٢).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٦٠)، تفسير البغوى (١/ ٣٠٣).

* قال المفسرون: خُصَّ الخفاش لأنه أكمل الطير خَلْقًا: لأن له ثَدْيًا، وأسنانًا، وأذنًا، والأنثى تحيض، وتلد[(١)].

* ﴿ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾:

* ﴿ الأَكْمَهَ ﴾ أى: أشفى الأكمه بإذن الله ـ تعالى ـ.

واختلف المفسرون فى ﴿ الأَكْمَهَ ﴾:

١ ـ فقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): هو الذى ولد أعمى[(٢)].

٢ ـ وقال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): هو الذى يبصر بالنهار، ولا يبصر بالليل[(٣)].

* ﴿ وَالأَبْرَصَ ﴾: هو الذى به وضح.

* قال المفسرون: إنما خصّ هذين بالذكر لأنهما داءان أعيا الأطباء، إذْ كان الطب متقدمًا فى زمن «عيسى» ـ عليه السلام ـ، فأراهم الله ـ تعالى ـ معجزة «عيسى» من جنس ذلك[(٤)].

* ﴿ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أى: بأمره، وإرادته وقدرته.

* قال المفسرون: إن نبى الله «عيسى» ـ عليه السلام ـ أحيا أربعة فقط وهم: «عازر» وكان صديقًا له، و«ابن العجوز»، و«ابنة العاشر» لأن والدها كان يأخذ العشور، و«سام بن نوح»[(٥)].

* ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾: أى: أخبركم بما تأكلون مما لم أعاينه، وبما تدخرونه فى بيوتكم، فكان يخبر الرجل بما أكله البارحة وبما يأكل اليوم، وبما ادخره للمستقبل.

* ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾: أى: فيما ذكرته لكم من المعجزات لعلامة لكم على صدق نبوّتى إن كنتم مؤمنين.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٦٠)، وتفسير البغوى (١/ ٣٠٣).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٦٠).

(٤ ـ ٥) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٠٣)، وتفسير القرطبى (٣/ ٦١).

﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾: و﴿ مُصَدِّقًا ﴾ . . . إلخ، عطف على قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَرَسُولاً ﴾، ﴿ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ من اللحوم والشحوم، يوضح ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١) ﴾ [النساء: ١٦٠ ـ ١٦١].

* ﴿ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾: أى: ما ذكرت لكم من الآيات الدالّة على صدق نبوتى، وإما وحدها لأنها كلها جنس واحد فى الدلالة على رسالة نبىّ الله «عيسى» ـ عليه السلام ـ.

﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٥١) ﴾

❋ **المعنى:** هذه الآية الكريمة من الأدلة الواضحة على وحدانية الله ـ تعالى ـ، إذْ لو كانت هناك آلهة أخرى غير الله ـ تعالى ـ لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، ولاختلّ نظام الكون كله.

يشهد لذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣) ﴾ [الأنبياء: ٢٢ ـ ٢٣].

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾: قال الزجاج إبراهيم بن السرى (ت ٣١١هـ) ﴿ أَحَسَّ ﴾ معناه: علم ووجد[1].

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٦٢).

* ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾:

أى: مَنْ يضمُّ نصرته إلى نصرة الله ـ عزّ وجلّ ـ لى.

* ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾:

اختلف المفسرون فى «الحواريين» على أكثر من قول، وقد اخترت منها القول التالى:

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) سمّوا بذلك لبياض ثيابهم، وكانوا صيادين(١).

* أخرج البخارىّ، والترمذى عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) عن النبى ﷺ قال: «إن لكل نبىٍّ حواريّا، وإنّ حوارىَّ الزبير» اهـ(٢).

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾: فاعل ﴿آمَنَّا﴾ ضمير مستتر تقديره ﴿نَحْنُ﴾ يعود على «الحواريين» المتقدم ذكرهم فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾.

✳ **المعنى:** يقول الحواريون: ربنا آمنا بما أنزلت فى كتابك «الإنجيل» الذى أنزلته على نبيك «عيسى» ـ عليه السلام ـ، واتبعنا الرسول أى «عيسى» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أى: الذين شهدوا لأنبيائك بالصدق.

* وقال عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ): أى: مع النبيين لأن كل نبىٍّ شاهد أمته(٣).

ويشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١)﴾ [النساء: ٤١].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٦٣).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٦٣).

(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٠٦).

﴿ ومَكَرُوا ومَكَرَ اللَّهُ واللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين (٥٤) ﴾

أي: كفار بنى إسرائيل دبّروا قتل «عيسى» ـ عليه السلام ـ.

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾: ﴿ إِذْ ﴾ مفعول لفعل محذوف تقديره: اذكر.

* ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) معناه: إنِّى مميتك، يدل عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ [النحل: ٧٠].

* ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾:

* أخرج إسحاق بن بشر، وابن عساكر عن الحسن البصرى (ت ١١٠ هـ) قال: لم يكن نبىٌّ كانت العجائب فى زمانه أكثر من «عيسى» ـ عليه السلام ـ إلى أن رفعه الله، وكان من سبب رفعه أن ملكًا جبّارًا يقال له: داود بن نوذا، وكان ملك بنى إسرائيل وهو الذى بعث فى طلبه ليقتله، وكان الله أنزل عليه الإنجيل وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ورفع وهو ابن أربع وثلاثين سنة من ميلاده، فأوحى الله إليه: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعنى: ومخلصك من اليهود فلا يصلون إلى قتلك[1].

ويشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ فى سورة النساء: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) ﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨].

* ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾:

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٦٤).

قال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): يعني: الحواريين فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة[١].

* ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ أي: في الآخرة.

* ﴿ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾: أي: من الدين، وأمر «عيسى» ـ عليه السلام ـ. ويشهد لهذا قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨].

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (٥٦) ﴾

✴ **المعنى:** فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابًا شديداً في الدنيا: بالقتل، والسبي، والجزية، والذلّة، وفي الآخرة بالنار وبئس المصير، وما لهم من ناصرين.

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٧) ﴾

✴ **المعنى:** وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم، أي: لا يُنقصُ منها شيئًا.

ويشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

* ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ أي: لا يثني عليهم بالجميل.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ [رقم: ٥٧]

قرأ حفص، ورويس: ﴿ فيوفيهم ﴾ بياء الغيبة، على الالتفات من التكلم إلى الغيبة، والالتفات ضرب من ضروب البلاغة.

وقرأ الباقون ﴿ فنوفيهم ﴾ بنون العظمة الدالّة على التكلم، وذلك إخبار عن الله ـ تعالى ـ، ولمناسبة قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ [رقم: ٥٦][٢].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٣٠٩).

(٢) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٣٣٨)، والنشر لابن الجزري بتحقيقنا (٣/ ٨)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ١٢٥)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٤٥).

قال الراغب الأصفهانى فى مادة «وفّى»: توفيه الشىء بذله وافيًا، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾[١].

﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أى: هذا الذى ذكرته لك يا«محمد» ـ عليه الصلاة والسلام ـ: من الخبر عن: «عيسى ابن مريم»، والحواريين، الذين تقدم ذكرهم.

* ﴿ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ ﴾ أى: يا«محمد»، وذلك بتلاوة «جبريل» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾: أى: من القرآن الكريم، المحكم: أى واضح الدلالات. ويشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ ﴾ [القيامة: من ١٦ ـ ١٩].

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت فى وفد نجران، وذلك أنهم قالوا للنبى ﷺ: مالك تشتم صاحبنا، قال: «وما أقول؟» قالوا: تقول: إنه عبد الله، قال: «أجل هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول» فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنسانًا قط من غير أب؟ فأنزل الله هذه الآية[٢].

المعنى:

* ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ ﴾ ـ تعالى ـ فى كونه خلق «عيسى» ـ عليه السلام ـ من غير أب، ﴿ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ ـ عليه السلام ـ لأنه خلقه من غير أب وأمٍّ.

وهذا من تشبيه الغريب بالأغرب، ليكون أوقع فى النفس، وألزم بالحجة.

* ﴿ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ﴾: الضمير فى ﴿ خَلَقَهُ ﴾ يعود على «آدم» ـ عليه السلام ـ.

(١) انظر: المفردات فى غريب القرآن ص٥٢٨.
(٢) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٠٦، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٤٨، وتفسير القرطبى (٣/ ٦٦)، وتفسير البغوى (١/ ٣٠٩).

ويشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾

[الحج: ٥]

* ﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ أى: فهو يكون.

﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

✳ **المعنى:** * ﴿ الْحَقُّ ﴾ مبتدأ، والخبر ﴿ مِن رَّبِّكَ ﴾، والخطاب للنبى ﷺ، والمراد أمّته. * ﴿ فَلا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ أى: الشاكين.

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ والضمير فى ﴿ فيه ﴾ يعود على نبى الله «عيسى» ـ عليه السلام ـ، وحينئذ يكون المعنى: فمن جادلك، وخاصمك يا «محمد» فى أمر «عيسى».

* ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾: بأن «عيسى» عبد الله ورسوله.

* ﴿ فَقُلْ ﴾: لهم. * ﴿ تَعَالَوْا ﴾ أى: أقبلوا.

* ﴿ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ أى: فى شأن «عيسى» ـ عليه السلام ـ.

* أخرج الحاكم وصححه عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنه): أن وفد نجران أتوا النبى ﷺ فقالوا ما تقول فى «عيسى»؟ فقال: «هو روح الله، وكلمته، وعبد الله ورسوله» فقالوا له: هل لك أن نلاعنك أنه ليس كذلك؟ قال: «وذاك أحبّ إليكم؟» قالوا: نعم، قال: «فإذا شئتم» فجاء وجمع ولده: الحسن والحسين، فقال رئيسهم: لا تلاعنوا هذا الرجل فوالله لئن لاعنتموه ليخسفنّ بأحد الفريقين، وفى رواية: فوالله ما باهل قوم نبيًا إلا هلكوا، وأنتم قد عرفتم نبوته وصدقه.

فجاءوا فقالوا: يا أبا القاسم إنما أراد أن يلاعنك سفهاؤنا، وإنا نحبّ أن تعفينا، قال: «قد أعفيتكم»، ثم قال: «إن العذاب قد أظلّ نجران» اهـ[(١)].

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢) ﴾

* عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: يقول الله ـ تعالى ـ: إن هذا الذى قلنا فى «عيسى» هو الحق[(٢)].

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (٦٣) ﴾

المعنى: فإن أعرض هؤلاء الكفار عن الإيمان مع قيام الحجج الواضحة والبراهين الساطعة، فإن الله عليم بالمفسدين الذين يعبدون غير الله الواحد القهار، وسيعاقبهم يوم القيامة بأشدّ العذاب.

ويشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً (١١٦) ﴾ [النساء: ١١٦]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ﴾ [الحج: ٣١].

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ ﴾ أى: يا «محمد» ﷺ.

* ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾: هذا وما بعده مقول القول. واختلف المفسرون فى المراد بأهل الكتاب:

١ ـ فقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، والسدى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧) قالا: المراد وفد نصارى نجران[(٣)].

٢ ـ وقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)، وابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) قالا: المراد: يهود المدينة[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٦٩). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٧٠).
(٣ ـ ٤) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٦٨).

٣ ـ وقيل: هذا عام يشمل جميع أهل الكتاب من اليهود، والنصارى، ويشهد لهذا قول ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: إن كتاب رسول الله ﷺ إلى الكفار: ﴿ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾(١).

* وأخرج عبد الرزاق، والبخارى، ومسلم، وأبو داود والنسائى، والبيهقى فى سننه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: حدثنى أبو سفيان: أن هرقل دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه، فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من «محمد» رسول الله إلى (هرقل) عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أمَّا بعد فإنى أدعوك بدعوة الإسلام: أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ الآية»(٢).

* ﴿ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾:

معنى ﴿ سَوَاءٍ ﴾: عدل، والكلمة السواء هى التى بيّنها الله ـ تعالى ـ فى قوله: ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ الآية.

ومعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ أى: لايطيع بعضنا بعضًا فى معصية الله، ولا يتبع بعضنا بعضًا فى تحليل شىء أو تحريمه إلا فيما حلّله الله ـ تعالى ـ، أو حرَّمه.

ويشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾ [التوبة: ٣١].

* ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أى: أعرضوا عمّا دعوا إليه.

* ﴿ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾:

أى: قولوا أنتم أيها المسلمون لليهود والنصارى اشهدوا بأنا مسلمون أى: موحدون ومنقادون لله ـ تعالى ـ، ومتمسكون بتعاليم الله التى جاء بها القرآن الكريم وبالمنهج الذى بينه لنا نبينا «محمد» ـ عليه الصلاة وأفضل التسليم ـ.

(١) انظر: الدر المنثور (٢/ ٧١).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٧٠).

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٥) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: اجتمعت نصارى نجران، وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديًا، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيًا، فأنزل الله فيهم: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[(١)].

المعنى:

* عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قال: قالت النصارى كان «إبراهيم» نصرانيًا، وقالت اليهود كان يهوديًا، فأخبرهم الله بأن التوراة والإنجيل أنزلتا من بعده، وبعده كانت اليهودية والنصرانية[(٢)].

* قال الزجّاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): هذه الآية أبين حجة على اليهود، والنصارى، إذ التوراة والإنجيل أنزلا من بعد «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ إلى أن يقول: ويقال: كان بين «إبراهيم وموسى» ـ عليهما السلام ـ ألف سنة، وبين «موسى وعيسى» ـ عليهما السلام ـ أيضًا ألف سنة.. اهـ[(٣)].

* ويشهد لهذه الآية فى المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) ﴾ [آل عمران: ٦٧].

﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٦٦) ﴾

المعنى: يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ ﴾ أيها اليهود والنصارى، ﴿ حَاجَجْتُمْ ﴾ أى: جادلتم فيما علمتموه من أمر نبوة «محمد» ﷺ بالباطل، ﴿ فَلِمَ

(١) انظر: أسباب النزول للشيخ القاضى ص٤٨، وتفسير القرطبى (٣/ ٦٩)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٧٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٧٢).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٦٩).

تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾ من كذبكم وافترائكم وقولكم إن «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ كان يهوديًا أو نصرانيًا، ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ أنه ما كان يهوديًا ولا نصرانيًا ولكنه كان حنيفًا مسلمًا، ﴿ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) ﴾

معاني المفردات:

* الحنيف: هو المائل عن الأديان كلها إلى الدين الإسلامي الصحيح. ويشهد لهذا قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

* والمسلم: هو المتذلل لأمر الله ـ تعالى ـ، المنقاد له.

وحينئذ يكون المعنى: نزّه الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبيه «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ عن دعاوى اليهود والنصارى الكاذبة، وبين أنه كان على الحنيفية الإسلامية، وما كان من المشركين.

﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨) ﴾

المعنى: * عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ) في معنى الآية يقول: الذين اتبعوه ـ أي في زمانه ـ على ملّته، وسنته، ومنهاجه، وفطرته، ﴿ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾: هو نبي الله «محمد» ﷺ ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ معه هم المؤمنون[١].

* وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضي الله عنه): أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل نبيٍّ ولاة من النبيين، وإن وليِّي منهم أبي وخليل ربِّي ـ أي إبراهيم ـ ثم قرأ: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾. اهـ[٢].

﴿ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* قال المفسرون: نزلت في معاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، وعمّار بن ياسر حين دعاهم اليهود من بني النضير، وقريظة، وبني قينقاع، إلى دينهم[٣].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٧٤).
(٣) انظر: أسباب النزول للواحدي ص١١١، وتفسير القرطبي (٣/ ٧١)، وتفسير البغوي (١/ ٣١٥).

* ونظير هذه الآية فى المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ [البقرة: ١٠٩].

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: أى: تمنّت جماعة من أهل الكتاب وهم اليهود.

* ﴿لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ أى: يستنزلونكم عن دينكم إلى الكفر، لتكونوا مثلهم.

ويشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

* ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: أى: لا يفطنون أنهم لن يصلوا إلى إضلال المؤمنين.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾:

المراد: القرآن الكريم، وبيان نعت النبى «محمد» ﷺ.

* ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: أن نعته ـ عليه الصلاة والسلام ـ مذكور فى التوراة والإنجيل.

ومن الأدلة على ذلك المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)﴾ [البقرة: ١٤٦].

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾:

* ﴿تَلْبِسُونَ﴾ أى: تخلطون. وحينئذ يكون المعنى: يقول الله ـ تعالى ـ لليهود والنصارى مؤنّبًا، وموبِّخًا لهم: لم تخلطون اليهوديّة والنصرانية بالإسلام، وقد علمتم أن دين الله الذى لا يقبل من أحد غيره هو الإسلام.

* ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: تكتمون صفة «محمد» ﷺ، والحال أنكم تجدونها مكتوبة عندكم في التوراة والإنجيل.

﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢)﴾

المعنى: * قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)، والسدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قالوا: تواطأ اثنا عشر حَبْرًا من يهود خيبر، وقُرَى «عُرَيْنة» وقال بعضهم لبعض: ادخلوا فى دين «محمد» ﷺ أوّل النهار باللسان دون الاعتقاد ثم اكفروا آخر النهار وقولوا: إنا نظرنا فى كتبنا، وشاورنا علماءنا فوجدنا «محمدًا» ﷺ ليس هو ذلك المنعوت - أى فى التوراة - وظهر لنا كذبه، فإذا فعلتم ذلك شكَّ أصحابه فى دينهم واتهموه فقالوا: إنهم أهل كتاب وهم أعلم به منّا فيرجعون عن دينهم[1].

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣)﴾

معاني المفردات:

* ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾: هذا معطوف على ما قبله ومتصل به وهو قوله - تعالى -: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [الآية: ٧٢]. وهو من كلام اليهود بعضهم لبعض، أى قال الرؤساء السفلة، أى: لا تصدقوا إلا لمن وافق ملتكم.

* ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ﴾: هذا خبر من الله - تعالى -، وخبر الله متمحِّض دائمًا للصدق، أى: أنه - سبحانه وتعالى - هو المتفرد وحده بهداية من يشاء من عباده.

ويشهد لهذا المعنى قوله - تعالى - لنبيه «محمد» ﷺ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

* ﴿أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾: من العلم.

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣١٥).

* ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾: أى: ليخاصموكم، ويقيموا عليكم الحجة عند ربكم يوم القيامة وحينئذ تكون لهم الحجة عليكم. أى: لا تعترفوا بأن الله يؤتى غيركم مثل ما أعطاكم من العلم، كى لا يحاجوكم عند ربكم يوم القيامة ويقيموا عليكم الحجة.

* ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أى: قل لهم يا«محمد» ﷺ ذلك. فالله ـ سبحانه وتعالى ـ فعّال لما يريد، ولا رادّ لحكمه، وهو العزيز الحكيم.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٧٤)﴾

* عن مجاهد بن جبر قال: النبوّة يختص بها من يشاء[١].

* وعن الحسن البصرى قال: رحمته الإسلام يختص بها من يشاء[٢].

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥)﴾

❀معانى المفردات:

* أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) قال: لما نزلت: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ قال النبى ﷺ: «كذب أعداء الله، ما من شيء كان فى الجاهليّة إلا وهو تحت قدمىَّ هاتين إلا الأمانة فإنها مؤدّاة إلى البرِّ والفاجر» اهـ[٣].

* ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ قال مقاتل بن حيّان البلخىّ (ت ١١٠هـ): هم مؤمنو أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأصحابه[٤].

* ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾:

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٧٧).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٧٨).

(٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣١٧).

* قال كل من القرطبى، والبغوى: هو فِنْحاص بن عازوراء اليهودى، أودعه رجل من قريش دينارًا فجحده[(١)].

* ﴿إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): أى: مُلحّا، يريد يقوم عليه يطالبه بالإلحاح[(٢)].

* وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): قالا: مواظبًا، أى: تواظب عليه بالاقتضاء[(٣)].

* ﴿ذَلِكَ﴾ أى: الاستحلال، والجحود، والخيانة.

* ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾: أى: بسبب قولهم: ليس علينا فى أكل أموال الأميين حرج، أو إثم، أو عقوبة من الله ـ تعالى ـ. والمراد بالأميين: العرب، يقولون: لأنهم ليسوا على ديننا، ولا حرمة لهم فى كتابنا. وكانوا يستحلّون ظلم كل من خالف دينهم. وادّعوا أن ذلك فى كتابهم، وهذا كذب وافتراء كما قال ـ تعالى ـ:

* ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أى: يعلمون أنهم كاذبون فى قولهم هذا.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧٦)﴾

✳ **المعنى:** لما قال اليهود كذبًا وزورًا: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ أكذبهم الله ـ تعالى ـ وردّ عليهم بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾: أى: بلى عليهم سبيل وهو العذاب، بسبب كذبهم وافترائهم على الله ـ تعالى ـ واستحلالهم ما لم يُحلّه الله وهو أكلهم أموال العرب بالباطل.

ويشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨)﴾ [البقرة: ١٨٨].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٧٤)، وتفسير البغوى (١/ ٣١٧).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣١٧).

(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣١٧)، وتفسير الدرّ المنثور للسيوطى (٢/ ٧٧).

* ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ﴾ أى: الكفر والخيانة ونقض العهد وأكل أموال الناس بالباطل. * ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ أى: يثيبهم ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين.

* عن عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ - رضى الله عنهما): أن النبى ﷺ قال: «أربع من كنّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» اهـ[1].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَٰئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وأحمد، وعبد بن حميد، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائىّ، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى الشعب عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ - رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقى الله وهو عليه غضبان».

قال الأشعث بن قيس - رضى الله عنه -: (فِيَّ) والله كان ذلك، كان بينى وبين رجل من اليهود أرض فجحدنى، فقدمته إلى النبى ﷺ فقال لى رسول الله ﷺ: «ألك بينة؟» قلت: لا، فقال لليهودي: «احلف» فقلت: يا رسول الله إذن يحلف فيذهب مالى، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ الآية[2].

معانى المفردات:

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾: أى: يستبدلون بعهد الله، وأيمانهم الكاذبة، ثمنًا قليلا أى: شيئًا قليلا من حطام الدنيا.

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣١٨).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١١٣، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٤٩، وتفسير القرطبى (٣/ ٧٧)، وتفسير البغوى (١/ ٣١٨)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٧٨).

* ﴿أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾: أي: لا نصيب لهم فى ثواب ونعيم الدار الآخرة.

* ﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾: وذلك لغضبه عليهم.

* ﴿وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ﴾: أي: لا يطهرهم من الذنوب، بل يعاقبهم عليها.

* ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: مؤلم.

* أخرج مالك، وابن سعد، وأحمد، ومسلم، والنسائى، وابن ماجه، عن أبى أمامة إياس بن ثعلبة الحارثىّ، أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار، وحرَّم عليه الجنة»، قالوا: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ قال: «وإن كان قضيبًا من أراك ثلاثًا» اهـ(١).

* وأخرج عبد الرزاق عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن اليمين الكاذبة تنفق السلعة، وتمحق الكسب» اهـ(٢).

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا﴾ أي: من أهل الكتاب طائفة وهم: كعب بن الأشرف، ومالك بن الصَّيف، وحُيىّ بن أخطب، وأبو ياسر، وشعبة بن عمرو الشاعر(٣).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: هم اليهود كانوا يزيدون فى كتاب الله ما لم ينزل الله.. اهـ(٤).

* ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ أي: يعطفون ألسنتهم بالتحريف والتغيير، وهو ما غيَّروا من صفة النبى ﷺ وآية الرجم وغير ذلك.

وأصل «اللَّىّ»: الميل، يقال: لوّى لسانه عن كذا أى غيره.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٨٠).

(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٢٠).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور (٢/ ٨٢).

* ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أى: لتظنوا أيها المسلمون ما حرفوه من الكتاب الذى أنزل الله ـ تعالى ـ.

* ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنهم كاذبون.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩)﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال أبو رافع القرظى حين اجتمعت الأحبار من اليهود، والنصارى، من أهل نجران، عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا«محمد» ﷺ أن نعبدك كما تعبد النصارى «عيسى ابن مريم»؟

فقال رجل من أهل نجران نصرانى يقال له الرئيس: أوذاك تريد منَّا يا«محمد»؟

فقال رسول الله ﷺ: «معاذ الله أن نعبد غير الله، أو نأمر بعبادة غيره، ما بذلك بعثنى، ولا بذلك أمرنى»، فأنزل الله فى ذلك من قولهما: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

معانى المفردات:

* ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ أى: ما ينبغى لبشر. ويشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا﴾ [النساء: ٩٢]. أى: ما ينبغى لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا خطأ.

والبشر: اسم جَمْع لا واحد له من لفظه مثل: القوم. ويوضع موضع الواحد، والجمع. والمراد به هنا نبينا «محمد» ﷺ كما دلّ على ذلك سبب نزول الآية، وقد قال بذلك كل من:

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١١٥ ـ ١١٦، وأسباب النزول للقاضى ص٤٩، وتفسير البغوى (١/ ٣٢٠)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٨٢).

١ ـ عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما).

٢ ـ وعطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ)(١).

* ﴿أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾ أى: القرآن الكريم.

* ﴿وَالْحُكْمَ﴾ أى: إمضاء الحكم عن الله ـ عزّ وجلّ ـ.

* ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾: وهى المنزلة الرفيعة للأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

* ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾: أى: ما يجتمع لنبىٍّ إتيان النبوّة، وقوله: ﴿كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾ لأن هذا القول لا يتفق مع النبوّة القائمة على توحيد الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

* ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾: أى: ولكن الجائز فى حق النبىّ أن يقول لأمته: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ واحدهم (ربّانىّ). منسوب إلى الرب، والربّانىّ: هو الذى يربىّ الناس على التوحيد، والآداب السامية، والأخلاق الفاضلة. إلى غير ذلك مما جاء به جميع الأنبياء والمرسلين.

* ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ أى: تقرؤون.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ [رقم: ٧٩]

قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار ﴿تُعلِّمون﴾ بضم التاء، وفتح العين، وكسر اللام مشدّدة، على أنه مضارع «علّم» مضعف العين، فينصب مفعولين، أولهما محذوف تقديره: «الناس»، وثانيهما ﴿الكتاب﴾.

وقرأ الباقون ﴿تَعْلَمون﴾ بفتح التاء، وإسكان العين، وفتح اللام مخفّفة، على أنه مضارع «عَلِم» نحو: «فهم» مخفف العين، وهو ينصب مفعولا واحداً وهو «الكتاب»(٢).

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٢٠).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٣٩)، والنشر لابن الجزرى بتحقيقنا (٣/ ٩)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٥١)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٢٨).

﴿ وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (٨٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلا يَأْمُرَكُمْ ﴾: قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ ولا يأمرَكم ﴾ بنصب الراء، على أنه معطوف على قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ ﴾ إلخ وحينئذ يكون المعنى:

ليس للنبىِّ أن يقول للناس كونوا عبادًا لى من دون الله، ولا أن يأمرهم أن يتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا من دون الله.

* ﴿ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾: وهذا موجود فى الصابئين إذ قالوا الملائكة بنات الله. وفى اليهود إذ قالوا عزير ابن الله. وفى النصارى إذ قالوا: المسيح ابن الله.

* ﴿ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾: هذا على سبيل الإنكار والتعجب، أى النبىُّ لا يقول هذا، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ حرم على جميع الأنبياء أن يتخذوا الناس عبادًا يتألهون لهم.

▦ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾ [رقم: ٨٠]

قرأ نافع، وابن كثير، والكسائى، وأبو جعفر: ﴿ ولا يأمرُكم ﴾ برفع الراء، وذلك على الاستئناف، والفعل مرفوع لتجرده من الناصب والجازم.

وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ ولا يأمرَكم ﴾ بنصب الراء، على أنه معطوف على قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ ﴾ إلخ.

وقرأ السوسىّ بإسكان الراء، وباختلاس ضمتها. وقرأ الدورى عن أبى عمرو بإسكان الراء، وباختلاس ضمتها، وبالضمة الخالصة(١).

• تنبيه:

قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أيأمركم ﴾ اتفق القراء العشرة على قراءته برفع الراء.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٤٠)، والنشر بتحقيقنا (٣/ ٩)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٢٨)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٥٠).

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾:

* قال سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)، وطاوس بن كيسان أو عبد الرحمن (ت ١٠٦هـ)، والسّدّى إسماعيل ابن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قالوا: أخذ الله ـ تعالى ـ ميثاق الأنبياء أن يصدِّق بعضهم بعضًا، ويأمر بعضهم بالإيمان ببعض(١).

* ﴿ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾:

اللام هى لام الابتداء، و «ما» موصولة، والعائد محذوف. والتقدير: اذكر يا«محمد» وقت أن أخذ الله الميثاق على الأنبياء السابقين لَلّذى آتاهم من كتاب وحكمة.. إلخ.

* ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ﴾:

* قال على بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه)، وعبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قالا: الرسول هنا هو نبينا «محمد» ﷺ(٢).

* ﴿ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾:

✳ **المعنى:** يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ للأنبياء حين استخراج الذرّية من صلب «آدم» ـ عليه السلام ـ وأخذ عليهم الميثاق ـ أى العهد ـ فى أمر «محمد» ﷺ ﴿ أَأَقْرَرْتُمْ ﴾ أى: قبلتم ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ أى: عهدى، إذ الإصر: العهد.

* ﴿ قَالُوا أَقْرَرْنَا ﴾ أى: قبلنا يا ربنا هذا العهد.

* ﴿ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾: أى: قال الله ـ تعالى ـ للأنبياء: فاشهدوا أنتم على أنفسكم، وأنا معكم من الشاهدين عليكم.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٨٠).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٨١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿لَمَا آتَيْتُكُم﴾ [رقم: ٨١]

قرأ حمزة: ﴿ لِمَا﴾ بكسر اللام، على أنها لام الجر متعلقة بـ «أخذ» و«ما» مصدريّة، والتقدير: اذكر يا «محمد» وقت أن أخذ الله الميثاق على الأنبياء السابقين لإيتائه إيَّاهم الكتاب والحكمة.. إلخ.

وقرأ الباقون ﴿لَمَا﴾ بفتح اللام، على أنها لام الابتداء، و «مَا» موصولة، والعائد محذوف، والتقدير: اذكر يا «محمد» وقت أن أخذ الله الميثاق على الأنبياء السابقين لَلّذى آتاهم من كتاب وحكمة.. إلخ(١).

* ﴿آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [رقم: ٨١]

قرأ نافع، وأبو جعفر: ﴿آتيناكم﴾ بنون العظمة، وألف بعدها.

وقرأ الباقون: ﴿ آتيتكم﴾ بتاء مضمومة مكان النون من غير ألف وهى تاء المتكلم، وذلك لمناسبة صدر الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾(٢).

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢)﴾

المعنى: فمن تولى ـ أى أعرض ـ من أمم الأنبياء عن الإيمان بعد أخذ الميثاق، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أى: الخارجون عن الإيمان.

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣)﴾

المعنى:

* اختلف المفسرون فى تأويل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ على أكثر من قول، وهذه أهم الأقوال الواردة فى ذلك:

* أولا: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): أسلم أهل السموات طوعًا، وأسلم من فى الأرض بعضهم طوعًا، وبعضهم كرهًا خوفًا من السيف والسَّبْى(٣).

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٤١)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٥١)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٢٩).
(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٤٦)، والحجة فى القراءات السبع لأبى عمرو الدانى ص١١٢، وحجة القراءات لابن زنجلة ص١٦٩.
(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٢٣).

* ثانيًا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ أى: حين أخذ الميثاق(١).

* ثالثًا: قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): طوعًا: المؤمن، وكرهًا: ذلك الكافر، بدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥](٢).

* رابعًا: قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): أما المؤمن فأسلم طائعًا فنفعه ذلك وقبل منه، وأما الكافر فأسلم حين رأى البأس، فلم ينفعه ذلك ولم يقبل منه، بدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥](٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿يَبْغُونَ﴾، ﴿يُرْجَعُونَ﴾ من قوله ـ تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣)﴾ [رقم: ٨٣]

قرأ أبو عمرو، وحفص، ويعقوب: ﴿يبغون﴾ بياء الغيبة، لمناسبة قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [رقم: ٨٢].

فجرى الكلام على نسق واحد وهو الغيبة، ولأنه إخبار عن غُيَّب حيث لم يكونوا حاضرين وقت نزول هذه الآيات.

وقرأ الباقون: ﴿تبغون﴾ بتاء الخطاب، وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

المعنى: أمر الله نبيه «محمدًا» ﷺ أن يقول لهم: ﴿أفغير دين الله تبغون﴾ أيها الكافرون، فخوطبوا بذلك على لسان النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

وقرأ حفص: ﴿يُرجَعون﴾ بياء الغيبة المضمومة مع فتح الجيم لمناسبة قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿يبغون﴾.

---

(١) انظر: الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٨٥).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٢٣).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٨٥).

وقـرأ يعقـوب: ﴿ يَرجِعون ﴾ بياء الغيبة المفتوحة مع كسر الجيم، لمناسبة قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يبغون ﴾.

وقرأ الباقون: ﴿ تُرجَعون ﴾ بتاء الخطاب المـضمومـة مع فتح الجيم، لمناسـبة الخطاب فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ تبغون ﴾[1].

﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) ﴾

✵ **المعنى:** تقدم ذلك أثناء تفسير الآية رقم/ ١٣٦ من سورة البقرة.

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* عن ابن عبـاس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)، والسّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قالوا: نزلت هذه الآية فى الحارث بن سُوَيد أخو الجُلاس بن سُويد، وكان من الأنصار، ارتدّ عن الإسلام هو واثنا عشر معه ولحقوا بمكة كفّارًا، فنزلت هذه الآية[2].

وسبب نزول هذه الآية يلقى الضوء على معناها.

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٨) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٨٩) ﴾

سبب نزول هذه الآيات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): أن رجلا من الأنصار أسلم ـ وهو الحارث بن سُوَيد ـ ثم ارتدّ ولحق بالشرك ـ أى: بمكة ـ ثم ندم، فأرسل إلى

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ١٠٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٨٣)، وتفسير البغوى (١/ ٣٢٣).

قومه: سَلُوا لِيَ رسـول الله ﷺ هل لِيَ من توبة؟ فجاء قومه إلى رسـول الله ﷺ فقالوا: هل له من توبة؟ فنزلت هذه الآيات إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).
وسبب نزول هذه الآيات يلقى الضوء على معناها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (٩٠)﴾

سبب نزول هذه الآية:

* قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)، وعطاء بن أبى مسلم الخراسانى (ت ١٣٥هـ) قالوا: نزلت فى اليهود كفروا بعيسى ـ عليه السلام ـ والإنجيل، بعد إيمانهم بأنبيائهم، ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ والقرآن(٢).

معانى المفردات:

* ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾: فإن قيل: قد وعد الله قبول توبة من تاب، فما معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾؟.

قيل: المعنى لن تقبل توبتهم عند الموت، والدليل على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [النساء: ١٨].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (٩١)﴾

معانى المفردات:

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ الآية:

* عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): قال: هو كل كافر ـ مات على الكفر ـ(٣).

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص ١١٦ ـ ١١٧، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٥٠، وتفسير القرطبى (٣/ ٨٣)، وتفسير البغوى (١/ ٣٢٤).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١١٨، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٥٠، وتفسير القرطبى (٣/ ٨٤)، وتفسير البغوى (١/ ٣٢٤).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٨٩).

* ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا﴾: أى: قدر ما يملأها، من شرقها إلى غربها، و ﴿ذَهَبًا﴾ نصب على التمييز، كقولهم: عشرون درهمًا.

* ﴿وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُوْلَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ أى: ينصرونهم من عذاب الله ـ تعالى ـ.

* أخرج عبد بن حميد، والبخارى، ومسلم، والنسائى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقى فى الأسماء والصفات، عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه)، عن النبى ﷺ قال: «يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان ذلك ملء الأرض ذهبًا أكنت مفتديًا به؟» فيقول: نعم، فيقال: لقد سئلتَ ما هو أيسر من ذلك، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ الآية(١).

﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢)﴾

* أخرج مالك، وأحمد، وعبد بن حميد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: كان أبو طلحة أكثر أنصار المدينة نخلا، وكان أحب أمواله إليه (بيرحاء) وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبى ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيِّب، فلما نزلت: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال أبو طلحة: يا رسول الله إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإنّ أحبّ أموالى إلىّ (بيرحاء) وإنها صدقة لله، أرجو برَّها، وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ: «بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح وقد سمعتُ ما قلتَ، وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين» فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها فى أقاربه وبنى عمِّه(٢).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٨٥)، وتفسير البغوى (١/ ٣٢٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٨٩).

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* قال بعض العلماء: إن سبب نزول هذه الآية: أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: إنك تزعم أنك على ملّة «إبراهيم» وكان «إبراهيم» لا يأكل لحوم الإبل، وألبانها، وأنت تأكلها، فلستَ على ملته، فقال رسول الله ﷺ: «كان ذلك حلالا لإبراهيم ـ عليه السلام ـ» فقالوا: كل ما نحرّمه اليوم كان ذلك حرامًا على «نوح، وإبراهيم» ـ عليهما السلام ـ حتى انتهى إلينا، فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية: ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ . . . إلخ(١).

معانى المفردات:

* ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الآية:

* عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: جاء اليهود فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عمّا حرّم إسرائيل على نفسه؟ قال: «كان يسكن البدْو، فاشتكى عِرْقَ النَّسَا، فلم يجد شيئًا يُداويه إلا لحوم الإبل وألبانها، فنذر إن شفاه الله ـ تعالى ـ لا يأكل لحوم الإبل، ولا يشرب ألبانها، فشفاه الله ـ تعالى ـ، فحرمها على نفسه»(٢).

* ﴿ كَانَ حِلاًّ ﴾ أى: حلالا، ثم استثنى فقال ـ تعالى ـ:

* ﴿ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ وهو: «يعقوب» ـ عليه السلام ـ.

* قال عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ)، وأبو العالية الرياحى (ت ١٩٠هـ)، ومقاتل بن حيّان البلَخى (ت ١١٠هـ) قالوا: الذى حرمه «يعقوب» على نفسه: لحوم الإبل وألبانها(٣).

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١١٨، وتفسير البغوى (١/ ٣٢٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٨٧).

(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٢٦).

* ﴿ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ﴾:

وذلك لأن «يعقوب» - عليه السلام - كان متقدِّمًا فى الزمن على نبى الله «موسى» - عليه السلام -، والتوراة إنما نزّلها الله - تعالى - على نبيه «موسى» - عليه السلام -.

* ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾:

* **المعنى:** قل لهم يا «محمد»: ﴿ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا ﴾ حتى يتبين لكم صدق ما قلته لكم، فرفضوا ولم يأتوا بها فقال الله - عزّ وجلّ -:

﴿ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤) ﴾

﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩٥) ﴾

* **المعنى:** قل لهم يا «محمد»: صدق الله، إذْ إنه لم يكن ذلك محرّمًا فى التوراة.

ثم قال الله - تعالى - لنبيه «محمد» ﷺ: قل لهم: ﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

ويشهد لهذه الآية فى المعنى قوله - تعالى -: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) ﴾ [آل عمران: ٦٧].

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) ﴾

* **المعنى:**

* أخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، والبخارى، ومسلم، وابن جرير، والبيهقى فى الشعب عن أبى ذرّ (ت ٣٢هـ - رضى الله عنه) قال: قلت: يا رسول الله أىُّ مسجد وضع أوّل؟ قال: «المسجد الحرام»، قلت: ثم أىّ؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة» اهـ(١).

* وأخرج ابن المنذر عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ - رضى الله عنه) قال: إن الكعبة خلقت قبل الأرض بألفَىْ سنة وهى من الأرض، إنما كانت حشفة على الماء عليها مَلَكان من الملائكة يسبحان، فلما أراد الله أن يخلق الأرض دحاها منها فجعلها فى وسط الأرض. اهـ(٢).

(١ ، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٩٣).

* وأخرج ابن أبى حاتم عن محمد بن زيد بن مهاجر قال: إنما سميت ﴿ بَكَّةَ ﴾ لأنها كانت تبك الظلمة(١).

* وأخرج البزّار، وابن خزيمة، والطبرانى، والبيهقى فى الشعب عن أبى الدرداء (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل الصلاة فى المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة، وفى مسجدى ألف صلاة، وفى مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة»(٢).

* وأخرج أحمد، وابن ماجه عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما): أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة»(٣).

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله تعالى ـ: ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ قال: منهنّ مقام «إبراهيم»، والمشعر الحرام(٤).

* ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾:

* عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: من أحدث حدثًا ثم استجار بالبيت فهو آمن، وليس للمسلمين أن يعاقبوه على شىء إلى أن يخرج، فإذا خرج أقاموا عليه الحد. اهـ(٥).

* وعن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات فى أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة، ومن زارنى محتسبًا إلى المدينة كان فى جوارى يوم القيامة» اهـ. [أخرجه البيهقى](٦).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٩٤). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٩٥).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٩٦). (٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٩٧).

(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٩٨).

* ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سبِيلاً ﴾:

* أخرج عبد بن حميد، والحاكم، والبيهقى فى سننه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج»، فقام الأقرع بن حابس فقال: أفى كل عام يا رسول الله؟ قال: «لو قلتها لوجبت، ولو وجبت لم تعملوا بها، ولم تستطيعوا أن تعملوا بها، الحجّ مرّة فمن زاد فتطوّع» اهـ[١].

* وأخرج الدارقطنى، والحاكم وصححه عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه): أن رسول الله ﷺ سئل عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سبِيلاً ﴾ فقيل: ما السبيل؟ قال: «الزاد والرّاحلة» اهـ[٢].

* ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾:

* أخرج الترمذى، وابن جرير، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى الشعب، وابن مردويه، عن على بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من ملك زادًا وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام ولم يحجّ بيت الله فلا عليه أن يموت يهوديّا أو نصرانيّا، وذلك بأن الله يقول: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾» اهـ[٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ [رقم: ٩٧]

قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وأبو جعفر، وخلف البزّار: ﴿ حِجُّ ﴾ بكسر الحاء، وهى لهجة «نجد».

وقرأ الباقون بفتح الحاء، لهجة «أهل العالية، والحجاز، وأسد»[٤].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٩٩).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٠٠).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٥١)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٣١)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٧٨.

وهما مصدران «لحج يحج» والفتح هو المصدر القياسى قال ابن مالك فى ألفيته:

فعْل قياس مصدر المعدّى ∴ من ذى ثلاثة كردّ ردّا

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ ﴾ أى: لم تصرفون الناس عن دين الله وتمنعونهم من الإيمان؟.

* ﴿ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ أى: لم تصدّون عن سبيل الله تطلبونها ﴿ عِوَجًا ﴾ أى: زيغًا وميلا؟ قال أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ): «العِوج» بالكسر: فى الدين والقول والعمل. و«العَوج» بالفتح: فى الجدار، وكل شخص قائم[١].

* ﴿ وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾: أنّ فى التوراة مكتوبًا: إن دين الله الذى لا يقبل غيره الإسلام، وإن فى التوراة مكتوبًا نعت «محمد» ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) ﴾

❀ سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن زيد بن أسلم (ت ١٣٠هـ) قال: إنّ (مرشاس بن قَيْس اليهودى) وكان عظيم الكفر، شديد الطعن على المسلمين، فمرّ على نفر من الأوس والخزرج فى مجلس جمعهم يتحدّثون، فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم فى الإسلام بعد الذى كان بينهم فى الجاهلية من العداوة، وقال: قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار. فأمر شابّا من اليهود كان معه فقال: اعمد إليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم (بُعاث) وما كان فيه، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من أشعار.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٩٩)، وتفسير البغوى (١/ ٣٣١).

وكان (بُعاث) يومًا اقتتلت فيه الأوس مع الخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل وتكلم. فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا، وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيَّيْن على الرُّكَب: أوس بن قبطى، أحد بنى حارثة من الأوس، وجبّار بن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج، فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددتها الآن جذعة، وغضب الفريقان جميعًا وقالا: قد فعلنا السلاحَ السلاحَ موعدكم الظاهرة: وهى «الحرّة» فخرجوا جميعًا إليها، وانضمت الأوس، والخزرج بعضهم إلى بعض على دعواهم التى كانوا عليها فى الجاهلية.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال ﷺ: «يا معشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بَعْد إذْ أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهليّة، وألّف بينكم؟ ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا اللهَ اللهَ».

فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيدا من عدوّهم فألقوا السلام وبكوا وعانق بعضهم بعضًا، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ اهـ(١).

قال جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما): فما رأيت قط يومًا أقبح أوّلا أَحْسَنَ آخرًا من ذلك اليوم.

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾: هذا من الله ـ تعالى ـ على وجه التعجّب، أى: ولم تكفرون.
* ﴿ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ أى: القرآن الكريم.

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١١٩، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٥٢، وتفسير القرطبى (٣/ ١٠٠)، وتفسير البغوى (١/ ٣٣١)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٠٢).

* ﴿ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ أى: نبينا «محمد» ﷺ.

قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨ هـ): فى هذه الآية عَلَمان بيِّنان: كتاب الله، ونبىّ الله: فأمّا نبى الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد مضى.

وأمّا كتاب الله فأبقاه الله بين أظهركم رحمة من الله ونعمة، فيه حلاله، وحرامه(١).

* عن زيد بن أرقم بن قيس (ت ٦٦ هـ ـ رضى الله عنه) قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم خطيبًا، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: «أمّا بعد: أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيبه، وأنا تارك فيكم الثقلين: أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به»، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه. ثم قال: «وأهل بيتى ﷺ أذكّركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى» اهـ(٢).

* ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أى: من يعتصم بالله، أى: يؤمن به، ويستمسك بدينه وطاعته ﴿ فَقَدْ هُدِيَ ﴾ إلى الطريق المستقيم، وهو طريق الذين أنعم الله عليهم وهم المؤمنون.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾

•• الناسخ والمنسوخ:

* أخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قال: لما نزلت هذه الآية اشتدّ على القوم العمل، فقاموا حتى ورمت عراقيبهم، وتقرحت جباههم، فأنزل الله تخفيفًا على المسلمين ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦]، فنسخت الآية الأولى(٣).

* وممن قال بالنّسخ كل من:

١ ـ عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ).

٢ ـ قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨ هـ).

٣ ـ الربيع بن أنس(٤).

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٣٢)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٠٤).
(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٣٢).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور (٢/ ١٠٥ ـ ١٠٦).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور (٢/ ١٠٦).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾:

* أخرج الحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾: أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى» اهـ(١).

* عن أنس بن مالك (ت ٩١هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتقى الله عبد ﴿ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ حتى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه» اهـ(٢).

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾:

* عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ ﴾ قال: حبل الله القرآن(٣).

* وأخرج ابن أبى شيبة، وابن جرير عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض»(٤).

* ﴿ وَلا تَفَرَّقُوا ﴾:

* أخرج ابن ماجه، وابن جرير، وابن أبى حاتم عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور (٢/ ١٠٥).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٠٦).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٠٧).

فرقــة، وإن أمّتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، كلهم فى النار إلا واحدة،» قالوا: يا رسول الله ومَنْ هــذه الواحـدة؟ قـال: «الجماعـة»، ثم قال: « ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾» اهـ(١).

* ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: إذ كنتم تذابحون فيها يأكل شديدكم ضعيفكم، حتى جاء الإسلام، فآخى الله بينكم، وألّف به بينكم، أمَا والله الذى لا إله إلا هو إنّ الألفة لرحمة، وإن الفرقة لعذاب، ذكر لنا أنّ نبىّ الله ﷺ كان يقول: «والذى نفس «محمد» بيده لا يتوادّ رجلان فى الإسلام، فيفرق بينهما من أول ذَنْب يحدثه أحدهما، وإنّ أردأهما المحدث» اهـ(٢).

* ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ أى: على طرف حفرة من النار، مثل: شفا البئر.

✳ **المعنى:** وكنتم على طرف حفرة من النار ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا على كفركم، فأنقذكم الله منها بالإيمان.

* ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾:

* أخرج ابن مردويه عن أبى جعفر الباقر قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾، ثم قال: «الخير اتباع القرآن وسنتى» اهـ(٣).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٠٨).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٠٩).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١١٠).

* ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾:

* عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» اهـ(١).

* وعن حذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ ـ رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال: «والذى نفسى بيده لتأمرنّ بالمعروف، ولتنهونّ عن المنكر، أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عذابًا من عنده ثم لتدعنّه فلا يُستجاب لكم» اهـ(٢).

﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) ﴾

✵ **المعنى:** * أخرج أبو داود، والترمذى، وابن ماجه، والحاكم وصححه عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة» اهـ(٣).

* وأخرج أحمد، وأبو داود، والحاكم عن معاوية بن أبى سفيان (ت ٦٠هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الكتاب تفرقوا فى دينهم على اثنتين وسبعين ملّة، وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين ملّة، كلها فى النار إلا واحدة، وهى الجماعة، ويخرج فى أمّتى أقوام تتجارى تلك الأهواء بهم كما يتجارى الكلب بصاحبه، فلا يبقى منه عِرْق ولا مفصل إلا دخله»(٤).

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) ﴾

✵ **المعنى:** * أخرج الخطيب فى رواية مالك، والديلمى عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) عن النبى ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٣٨).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور (٢/ ١١٠).

قال: «تبيض وجوه أهل السنة، وتسودّ وجوه أهل البدع»(١).

* وأخرج أبو نصر السجزى فى الإبانة عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال: «تبيض وجوه أهل الجماعة والسنّة، وتسودّ وجوه أهل البدع والأهواء»(٢).

* وأخرج الطبرانى عن أبى الدرداء (ت ٣٢ هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: «ليس من عبد يقول: لا إله إلا الله مرّة إلا بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر» اهـ(٣).

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾: وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة كما أخبر بذلك الصادق المصدوق نبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أى: فى جنته، ودار كرامته خالدين مخلّدين أبدًا. أسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجعلنى منهم إنه سميع مجيب وما ذلك على الله بعزيز.

* ويشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً (٥٧)﴾ [النساء: ٥٧].

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ (١٠٨)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ المراد بها: القرآن الكريم.

* ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ أى: بالصدق، بواسطة «جبريل».

* ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ أى: لا يعذب أحدًا بغير ذنب، من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى(٢/ ١١٢).

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ (١٠٩) ﴾

* **المعنى:** بيّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى هذه الآية وغيرها لعباده أن جميع ما فى السموات وما فى الأرض ملك له ـ عزّ وجلّ ـ حتى يسألوه، ويعبدوه، فرحمته قريب من عباده المحسنين.

* اللهم إنى أسألك رضاك والجنّة، وأعوذ بك من سخطك والنار، اللهمّ آمين.

ويشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) ﴾ [الأعراف: ٥٦].

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾:

* أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وأحمد، والترمذى وحسّنه، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والطبرانى، والحاكم وصححه، وابن مردويه، عن معاوية بن حيدة ـ رضى الله عنه ـ: أنه سمع النبىّ ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قال: «إنكم تتمون سبعين أمّة، أنتم خيرها، وأكرمها على الله» اهـ(١).

* وعن أبى هريرة (ت٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمّتى مثل المطر لا يُدرى أوله خير أم آخره» اهـ(٢).

* ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾:

* عن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه): أنه قرأ هذه الآية: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ إلخ ثم قال: يا أيها الناس من سرّه أن يكون من تلكم الأمّة فليؤدِّ شرط الله منها. اهـ(٣).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١١٥).
(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٤٢).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١١٣).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الآية، قال: على هذا الشرط: أن تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر، وتؤمنوا بالله. اهـ[١].

* ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾:

✻ **المعنى:** أخبر الله ـ تعالى ـ أن إيمان أهل الكتاب بوحدانيته ـ تعالى ـ، وبما أنزله على أنبيائه ورسله، وإيمانهم بنبينا «محمد» ﷺ خير لهم من الكفر، لأن الإيمان عاقبته الجنة ورضوان الله، والكفر عاقبته غضب الله، وعذاب جهنم وبئس القرار.

* ومن الأدلة على أن أهل الكتاب منهم المؤمنون، ومنهم الكافرون قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة: ٨٢ ـ ٨٥].

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ أي: باللسان، والخطاب للمؤمنين.

* عن مقاتل بن حيان البلخي (ت ١١٠هـ) قال: إنّ رءوس اليهود مثل: كعب، وعديّ، وأبو رافع، وابن صوريا عمدوا إلى من آمَنَ مِنَ اليهود مثل: عبد الله بن سَلَام وأصحابه فآذوهم لإسلامهم[٢].

* ﴿وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾:

✻ **المعنى:** هذا وعد من الله ـ عزّ وجلّ ـ لرسوله، وللمؤمنين، بأن أهل الكتاب لا يغلبونهم، وأنهم منصورون عليهم لا ينالهم منهم إلا الأذى باللسان.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١١٣).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ١١٢)، وتفسير البغوي (١/ ٣٤٢).

قال القرطبى فى تفسيره: هذه الآية معجزة للنبى ﷺ، لأن من قاتله من اليهود ولاّه دبره[(١)].

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا ﴾:

✵ **المعنى:** جعل الله الذّلة على اليهود حيثما وجدوا.

* عن الحسن البصرى (ت ١١٢٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ ﴾ قالا: يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون[(٢)].

* ﴿ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) قال: إلا بعهد من الله، وعهد من الناس[(٣)].

* ﴿ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ أى: رجعوا بغضب الله - تعالى -، والويل ثم الويل لمن غضب الله عليه، قال - تعالى -: ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ (٨١) ﴾ [طه: ٨١].

* ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ﴾: وهى أثر الفقر ضربها الله على اليهود مهما كانوا أثرياء بالمال.

* ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾:

✵ **المعنى:** ما تقدم ذكره من ضرب الذلّة على اليهود، وضرب المسكنة عليهم، وغضب الله عليهم بسبب أنهم كفروا بآيات الله وقتلوا بعض الأنبياء بغير حق مثل زكريا ويحيى، وبسبب مخالفتهم تعاليم الله - تعالى -، واعتدائهم على غيرهم.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ١١٢).

(٢ - ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١١٥).

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣)﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن إسحاق، وابن المنذر، وابن جرير، وابن أبى حاتم، والطبرانى، والبيهقى فى الدلائل، وابن عساكر عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: لما أسلم عبد الله بن سَلاَم، وثعلبة بن سَعْية، وأُسَيْد بن سعية، وأسد بن عُبَيد، ومن أسلم من يهود معهم، فآمنوا وصدقوا، ورغبوا فى الإسلام، قالت أحبار يهود، وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد ﷺ وتبعه إلا شرارنا، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله فى ذلك: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ إلى قوله: ﴿وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(١).

معانى المفردات:

* ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أى: ليس كل أهل الكتاب سواء، لأن منهم المؤمنين، ومنهم الكافرين. ويشهد لهذا قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

* ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: مهتدية، قائمة على أمر الله لم تنزع عنه وتتركه كما تركه الآخرون وضيعوه(٢).

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) قال: مثل عبد الله بن سَلاَم، وثعلبة بن سعية، ومبشّر، وأسيد، وأسد(٣).

* ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾:

* عن الربيع قال: ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ أى: ساعاته(٤).

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٢٢، وتفسير القرطبى (٣/ ١١٣)، وتفسير البغوى (١/ ٣٤٣)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١١٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١١٦).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١١٥).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١١٦).

* ﴿ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾: عن أبى زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ)، والزجّاج إبراهيم بن السّرى (ت ٣١١ هـ) قالا: معنى ﴿ يَسْجُدُونَ ﴾ أى: يصلّون، لأن التلاوة لا تكون فى الركوع والسجود(١).

﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾: هذا متصل بقوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ أى: هؤلاء يقرون بوحدانية الله ـ تعالى ـ، وأنّه لا شريك له ويصدقون بيوم القيامة وما فيه من ثواب وعقاب.

* ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾: هذا متصل بما قبله ومعطوف عليه.

* ﴿ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾: معطوف أيضًا على ما قبله.

* ﴿ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ أى: الموصوفون بما ذكر قبلُ من عباد الله الصالحين.

﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥) ﴾

هذا معطوف أيضًا على ما قبله، أى: ما يفعلوا من خير فلن يعدموا ثوابه، بل سيكافؤهم الله ـ تعالى ـ الحسنة بعشر أمثالها، بل إلى سبعمائة ضعف.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾ [رقم: ١١٥]

قرأ الدورى عن أبى عمرو بخلف عنه، وحفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزار: ﴿ يفعلوا، يكفروه ﴾ بياء الغيبة فيهما، وذلك لمناسبة قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ إلخ.

وقرأ الباقون: ﴿ تفعلوا، تكفروه ﴾ بتاء الخطاب فيهما وهو الوجه الثانى للدورى عن أبى عمرو وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب(٢).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ١١٣).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٥٤)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٣٣)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٥٤).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٦) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾:

أي: لا تدفع عنهم أموالهم، ولا أولادهم من عذاب الله شيئًا، وخصهما بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه إمّا بالافتداء بالمال وإمّا بالاستعانة بالأولاد.

* ﴿ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ أي: لا يخرجون منها أبدًا، ولهم عذاب مقيم.

ويشهد لهذه الآية في المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦) يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٧) ﴾

[المائدة: ٣٦ ـ ٣٧]

﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٧) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ ﴾ أي: الكفار.

* ﴿ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾:

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الصرُّ: البرد الشديد. وأصله من الصرير الذي هو الصوت، فهو صوت الريح الشديدة.

* ﴿ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾:

✳ **المعنى:** مثل نفقات الكافرين في بطلانها، وعدم الانتفاع بها كمثل زرع أصابته ريح شديدة باردة فأحرقته وأهلكته، فلم ينتفع أصحابه منه بشيء بعدما كانوا يرجون فائدته، والانتفاع به، قال الله ـ تعالى ـ:

* ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بالكفر ومعصية الله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من يهود لما كان بينهم من الجوار، والحلف فى الجاهلية، فأنزل الله فيهم ينهاهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم منهم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ الآية[١].

معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾: هذا متصل بقوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) ﴾ [رقم: ١٠٠].

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة التأكيد من الله ـ تعالى ـ على الزّجر عن الركون إلى الكفار للأسباب التى بينها فى الآية.

* ﴿ لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ أى: أولياء، وأصفياء من غير أهل ملتكم.

وبطانة الرجل: خاصته، تشبيهًا ببطانة الثوب التى تلى البطن، لأنهم يستبطنون أمره، ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم.

ثم بيّن الله العلّة فى النهى عن مباطنتهم فقال عزّ من قائل:

* ﴿ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً ﴾ أى: لا يقصِّرون ولا يتركون الجهد فى فسادكم إذ الأصل فى معنى الخبال: الشر والفساد. و﴿ خَبَالاً ﴾ مفعول ثان لـ ﴿ يَأْلُونَكُمْ ﴾ والكاف مفعول أوّل.

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٢٣، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٥٣، وتفسير البغوى (١/ ٣٤٤)، وتفسير الدر المنثور (٢/ ١١٨).

* ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ أي: تمنوا عنتكم، والعنت: المشقة.

✵ **المعنى:** تمنوا لكم ما يشق عليكم من الضرّ والشرّ والهلاك.

* ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أى: ظهرت أمارة العداوة من أفواههم: بالشتيمة والوقيعة فى أعراض المسلمين.

* ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ أى: ما تخفى صدورهم من العداوة للمؤمنين أكبر وأعظم مما يظهرونه.

* ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

✵ **المعنى:** يحذر الله ـ تعالى ـ المؤمنين من مباطنة غير المؤمنين للأسباب التى بينها، إذًا فعلى المسلمين أن يأخذوا حذرهم، ويستجيبوا لتعاليم الله ـ تعالى ـ.

* ويؤيد هذه الآية فى المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢)﴾ [الممتحنة: ١ ـ ٢].

﴿هَا أَنتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿هَا أَنتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ﴾:

* عن مقاتل بن حيّان البلخىّ (ت ١١٠هـ)، وأبى العالية الرياحىّ (ت ١٩٠هـ) قالا: المراد: المنافقين، بدليل قوله ـ تعالى ـ بعدُ: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾[1].

* وقال القرطبى فى تفسيره: المراد اليهود[2].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ١١٧).

أى: تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم، ولا يحبونكم، لما بينكم من مخالفة فى الدين.

* ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ المراد: جميع الكتب المنزلة من الله ـ تعالى ـ على أنبيائه ورسله.

ويشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

أمّا اليهود فهم لا يؤمنون بالقرآن، بدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ [البقرة: ٩١].

* ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا ﴾ أى: بـ «محمد» ﷺ وبالقرآن.

* ﴿ وَإِذَا خَلَوْا ﴾ أى: كان بعضهم مع بعض.

* ﴿ عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ المراد: أطراف الأصابع واحدتها «أنملة» من الغيظ، والحنق عليكم فيقول بعضهم لبعض: ألا ترون إلى هؤلاء ظهروا وكثروا؟.

* ﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾ أى: ابقوا بغيظكم إلى وقت الممات.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أى: بما فى القلوب من خير وشرّ، لأنه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾:

* عن مقاتل بن حيّان البلخى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ قال: المراد النصر على العدوّ، والرزق، والخير يسؤهم ذلك. ﴿ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ يعنى: القتل، والهزيمة والجهد يفرحوا بها(١).

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١١٩).

* وقال القرطبي في تفسيره: اللفظ عام في كل ما يحسن ويسوء، وما ذكره المفسرون من الخصب، والجدْب، واجتماع المؤمنين، ودخول الفرقة بينهم إلى غير ذلك من الأقوال أمثلة وليس باختلاف، والمعنى في الآية: أن من كانت هذه صفته من شدّة العداوة والحقد، والفرح بنزول الشدائد على المؤمنين، لم يكن أهْلا لأن يُتخذ بطانة، لا سيَّما في هذا الأمر الجسيم من الجهاد الذي هو ملاك الدنيا والآخرة. اهـ(١).

* ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا ﴾ على أذاهم. * ﴿ وَتَتَّقُوا ﴾ أي: تخافوا ربكم.

* ﴿ لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾:

قال القرطبي في تفسيره: شرط الله ـ تعالى ـ نفي ضررهم بالصبر والتقوى، فكان ذلك تسلية للمؤمنين، وتقوية لنفوسهم(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لا يَضُرُّكُمْ ﴾ [رقم: ١٢٠]

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: ﴿ لا يضركم ﴾ بكسر الضاد، وجزم الراء، على أنها جواب الشرط.

وقرأ الباقون: ﴿ لا يضركم ﴾ بضم الضاد، ورفع الراء مشدّدة، على أنّ الفعل مرفوع لتجرده من الناصب والجازم، والجملة في محلّ جزم جواب الشرط(٣).

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) ﴾

المعنى:

* ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾: جمهور المفسرين على أن هذا هو يوم أحد في شوال سنة ثلاث من الهجرة.

* قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) وغيره: غدَا رسول الله ﷺ من منزل «عائشة» أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ يمشي على رجليه إلى «أحد» فجعل يصفّ أصحابه للقتال(٤).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير القرطبي (٤/ ١١٨).

(٣) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٣٥٩)، والنشر بتحقيقنا (٣/ ١٢)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٥٥)، والمستنير في تخريج القراءات (١/ ١١٢)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ١٣٤).

(٤) انظر: تفسير البغوي (١/ ٣٤٦).

* وقال محمد بن إسحاق، والسدّى عن رجالهما: إن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء، فلما سمع رسول الله ﷺ بنزولهم استشار أصحابه، ودعا عبد الله بن أُبىّ ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره، فقال عبد الله بن أُبَىّ، وأكثر الأنصار: يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا إلى عدو قط إلا أصاب منّا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فكيف وأنت فينا فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشرّ مجلس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوق، وإن رجعوا رجعوا خائبين، فأعجب رسول الله ﷺ هذا الرأى.

* وقال بعض أصحابه: يا رسول الله اخرج بنا إلى هذه الأكلب لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا.

وقال رسول الله ﷺ: «إنى رأيتُ فى منامى بقرًا مذبوحة، فأوّلتها خيرًا، ورأيتُ فى ذباب سيفى ثَلْمًا فأوّلتها هزيمة، ورأيتُ أنى أدخلتُ يدى فى درع حصينة فأوّلتها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة».

وكان يعجبه أن يدخلوا عليهم المدينة فيقاتلوا فى الأزقّة، فقال رجل من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر، وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد: اخرج بنا إلى أعدائنا، فلم يزالوا برسول الله ﷺ من حبِّهم للقاء القوم حتى دخل رسول الله ﷺ فلبس لأمته، فلمّا رأوه قد لبس السلاح ندموا، وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله ﷺ والوحى يأتيه. فقاموا واعتذروا إليه وقالوا: اصنع ما رأيت.

فقال ﷺ: «لا ينبغى لنبىّ أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل».

وكان قد أقام المشركون بأحد يوم الأربعاء والخميس، فراح رسول الله ﷺ يوم الجمعة بعدما صلّى بأصحابه الجمعة، ثم خرج إليهم فأصبح بالشعب من أُحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة، فكان من حرب أُحد ما كان(١).

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٤٦).

﴿ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢) ﴾

* **الذين نزلت فيهم هذه الآية:**

* عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنه) قال: نزلت فينا هذه الآية: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ قال: نحن الطائفتان: بنو حارثة، وبنو سلمة، وما نحب أنها لم تنزل لقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾(١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾:

الطائفتان هما: بنو حارثة من الأوس، وبنو سلمة من الخزرج، وكانا جناحى العسكر: وذلك أن رسول الله ﷺ خرج إلى «أُحد» فى ألف رجل، وقيل: فى تسعمائة وخمسين رجلا، فلما بلغوا الشوط، رجع عنه عبد الله بن أُبَىّ ابن سلول بثلاثمائة رجل مغاضبًا، إذْ خُولف رأيه حين أشار بالقعود فى المدينة، وعدم الخروج إلى قتال المشركين، وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فتبعهم أبو جابر السلمى وقال لهم: أنشدكم بالله فى نبيكم، وفى أنفسكم، فقال عبد الله بن أُبَىّ: لو نعلم قتالا لاتّبعناكم.

وهمّت بنو حارثة، وبنو سلمة بالانصراف مع عبد الله بن أُبَىّ فعصمهم الله فلم ينصرفوا.

* ﴿ طَّائِفَتَانِ ﴾ هما: بنو حارثة، وبنو سلمة.

* ﴿ أَن تَفْشَلا ﴾ أى: تجبنا، وتضعفا عن القتال.

* ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ أى: ناصرهما وحافظهما.

* ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾: إذ النصر من عند الله، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

---

(١) انظر: أسباب النزول للشيخ القاضى ص٥٣، وتفسير القرطبى (٤/ ١١٩)، وتفسير البغوى (١/ ٣٤٧)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٢٢).

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ ﴾: وبدر «ماء» هنالك وبه سمّى الموضع، وكانت «غزوة بدر» يوم سبعة عشر من رمضان، يوم جمعة لثمانية عشر شهرًا من الهجرة[١].

* وعن قتادة بن دعامة السّدوسى (ت ١١٨هـ) قال: بدر ماء بين مكة والمدينة، التقى عليه النبى ﷺ والمشركون. وكان أوّل قتال قاتله النبى ﷺ.

وذُكر لنا أن النبى ﷺ قال لأصحابه يومئذ: «إنهم اليوم بعدّة أصحاب «طالوت» يوم لقى «جالوت»» وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، وكان المشركون يومئذ ألفًا، أو راهقوا ذلك[٢].

* ﴿ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾: جمع ذليل، والمراد به قلة عددهم. ومع ذلك فقد نصرهم الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.

• مهمة تتعلق بغزوات النبى ﷺ، وسراياه:

قال القرطبى فى تفسيره: قال محمد بن سعد فى كتاب الطبقات له: إن غزوات رسول الله ﷺ سبع وعشرون غزوة.

وسراياه ست وخمسون، وفى رواية: ست وأربعون، والتى قاتل رسول الله ﷺ فيها تسع وهى:

١ ـ بدر. ٢ ـ وأحد. ٣ ـ والمَرَيْسِيع. ٤ ـ والخندق. ٥ ـ وخيبر.
٦ ـ وقريظة. ٧ ـ والفتح. ٨ ـ وحنين. ٩ ـ والطائف.

ثم قال ـ أى محمد بن سعد ـ: هذا الذى اجتمع لنا عليه[٣].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ١٢٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٢٣).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ١٢٣).

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الشعبي عامر بن شراحيل بن عبد (ت ١٠٥هـ): أن المسلمين بلغهم يوم بَدْر أن كُرْز بن جابر المحاربي يمدّ المشركين، فشق ذلك عليهم، فأنزل الله ﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ خَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ قال: فبلغت «كُرْزًا» الهزيمة فلم يمدّ المشركين، ولم يُمَدّ المسلمون بالخمسة. اهـ(١).

معاني المفردات:

* ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية.

* ﴿ إِذْ ﴾ ظرف متعلق بفعل محذوف تقديره: اذكر يا «محمد» ﷺ.

* عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ) قال: كان يوم بدر أمدّهم الله بألف من الملائكة كما قال: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) ﴾ [الأنفال: ٩].

ثم صاروا ثلاثة آلاف كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ مُنزَلِينَ ﴾ [رقم: ١٢٤]

قرأ ابن عامر: ﴿ مُنزَّلِين ﴾ بفتح النون، وتشديد الزاي، على أنه اسم مفعول من «نزّل» الثلاثي مضعف العين.

وقرأ الباقون ﴿ منزَلين ﴾ بسكون النون، وتخفيف الزاي على أنه اسم مفعول من «أنزل» الثلاثي المزيد بالهمزة. وهما لهجتان، والتشديد للتكثير، أو للتدرّج: قيل: إن الله أمدّهم أوّلا بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف(٣).

---

(١) انظر: أسباب النزول للشيخ القاضي ص٥٤، وتفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٢٣ ـ ١٢٤).

(٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ٣٤٧).

(٣) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٣٦٠)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ١٣٤)، والنشر لابن الجزري بتحقيقنا (٣/ ١٢)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٧٩.

﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا ﴾ الآية:

* عن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥ هـ) فى معنى الآية قال: كان هذا موعداً من الله يوم أُحُد عرضه على نبيه «محمد» ﷺ أن المؤمنين إن اتقوا وصبروا أمدّهم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين، ففرَّ المسلمون يوم أُحُد وولوا مدبرين فلم يمدهم الله(١).

* ﴿ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا ﴾:

* عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)، والسّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قالوا: معنى ﴿ مِّن فَوْرِهِمْ ﴾: من وجههم(٢).

* ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾: عن عروة بن الزبير (ت ٩٣هـ) قال: نزل «جبريل» يوم بدر على سيما الزبير وهو معتم بعمامة صفراء(٣).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضًا قد أرسلوها فى ظهورهم، وفى يوم حنين عمائم حمراً(٤).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾ [رقم: ١٢٥]

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، ويعقوب: ﴿ مسوِّمين ﴾ بكسر الواو اسم فاعل من «سوّم» مضعّف العين.

وقرأ الباقون: ﴿ مسوَّمين ﴾ بفتح الواو، اسم مفعول من «سوّم» مضعّف العين أيضًا. والسمة: العلامة(٥).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٢٤).
(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٢٥).
(٥) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٦١)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٣٤)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٧٩.

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ ﴾:

✵ **المعنى:** ما جعل الله هذا المدد بالملائكة إلا بشارة أى: لتستبشروا بهم.

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قال: إنما جعلهم لتستبشروا بهم ولتطمئنوا إليهم(١).

* ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ﴾ أى: لتسكن قلوبكم بهذا المدد، ولا تجزع من كثرة عدوّكم، وقلّة عددكم.

* ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾:

✵ **المعنى:** لا تظنوا أن النصر بهذا المدد، إنما النصر الحقيقى من الله العزيز الحكيم، فاستعينوا به وتوكلوا عليه، قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠) ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ (١٢٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾:

* قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قالا: هذا يوم بدر، قطع الله طرفًا من الكفار، وقتل صناديدهم، ورءوسهم، وقادتهم(٢).

* وعن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قال: هذا يوم أحد، ذكر الله قتلى المشركين بأحد، وكانوا ثمانية عشر رجلا، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(٣).

* ﴿ أَوْ يَكْبِتَهُمْ ﴾ عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قالا: معنى ﴿ يَكْبِتَهُمْ ﴾ أى: يحزنهم(٤).

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى(٢/ ١٢٦).

* ﴿فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ أى: يرجعوا خائبين، لم ينالوا شيئًا مما كانوا يرجون من الظفر بكم.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨)﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج البخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وغيرهم عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه): أن النبى ﷺ كُسِرتْ رباعيته يوم أُحُد، وشُجَّ وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟» فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية[١].

* وعن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كان النبى ﷺ يدعو على أربعة نفر ـ كانوا فى غزوة أحد ـ وهم: «أبو سفيان، والحرث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وصفوان بن أميّة» فنزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ...﴾ إلخ. فتيب عليهم كلهم، وهداهم الله للإسلام[٢].

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)﴾

معانى المفردات:

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قال: كانوا يتعاملون إلى الأجل فإذا حلّ الأجل زادوا عليهم وزادوا فى الأجل، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾[٣].

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٢٦).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٢٧).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ١٣٠).

* ﴿ أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾: ﴿ أَضْعَافًا ﴾ نصب على الحال، ﴿ مُّضَاعَفَةً ﴾ نعت لـ ﴿ أَضْعَافًا ﴾ وفى ذلك إشارة إلى تكرير التضعيف عامًا بعد عام كما كانوا يصنعون، فدلّ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مُّضَاعَفَةً ﴾ على شنعة فعلهم وقبحه.

* ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أى: لا تأكلوا أموال الربا لتفوزوا برضوان الله ـ تعالى ـ، وتكونوا من المفلحين ثم خوفهم الله ـ تعالى ـ فقال: ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) ﴾ [النساء: ٥٦].

* ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾: هذا أمر عام بطاعة الله فيما أنزله على نبيه «محمد» ﷺ، وبطاعة رسوله ﷺ فيما يبلّغه عن ربّه ـ عزّ وجلّ ـ.

والأمر هنا للوجوب، وفى مقدمة ذلك طاعتهما فى ترك التعامل بالربا، لأنه من المحرمات.

* ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أى: لكى يرحمكم الله ـ تعالى ـ إذا ما نفذتم أوامره، واجتنبتم نواهيه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً (٥٧) ﴾ [النساء: ٥٧]

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ مُّضَاعَفَةً ﴾ [رقم: ١٣٠]

قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ مضعّفة ﴾ بحذف الألف وتشديد العين للتكثير.

وقرأ الباقون: ﴿ مضاعفة ﴾ بإثبات الألف وتخفيف العين(١).

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٣٥).

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أى: بادروا وسابقوا إلى الأعمال التى يترتب عليها المغفرة من الله ـ تعالى ـ وهى فعل الأوامر، واجتناب النواهى.

ويشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد: ٢١].

* وعن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) قال: سارعوا بالأعمال الصالحة، ﴿ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أى: لذنوبكم.

* ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ قال ـ أى سعيد ـ: عرض سبع سموات، وسبع أرضين، لو لصق بعضهن إلى بعض فالجنة فى عرضهن(١).

* قال الزهرى محمد بن مسلم بن عبد الله (ت ١٢٤هـ): إنما وصفَ عرضَها، فأمّا طولها فلا يعلمه إلا الله، وهذا على سبيل التمثيل لا أنها كالسموات والأرض لا غير، وإنما المعنى: كعرض السموات السبع والأرضين السبع عند ظنكم(٢).

* وأخرج البزّار، والحاكم وصححه عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أرأيتَ قوله: ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ فأين النار؟ قال: «أرأيت الليل إذا لبس كل شىء فأين النهار؟» قال: حيث شاء الله، قال: «فكذلك حيث شاء الله» اهـ(٣).

* وأخرج مسلم، وابن المنذر، والحاكم وصححه عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه): أنّ رسول الله ﷺ قال يوم بدر: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» فقال عُمَير بن الحمام الأنصارى: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم» قال: بخ بخ لا والله يا رسول الله لا بدّ أن أكون من أهلها، قال:

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٢٨).
(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٥١).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٢٩).

«فإنك من أهلها» فأخرج تميرات من قرنه فجعل يأكل منهنّ، ثم قال: لئن حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتِل. اهـ(١).

* ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أى: أعدّها الله ـ تعالى ـ لعباده المتقين.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَسَارِعُوا﴾ [رقم: ١٣٣]

* قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: ﴿سارعوا﴾ بحذف الواو، على الاستئناف، وهى مرسومة بحذف الواو فى مصاحف: أهل المدينة والشام.

وقرأ الباقون: بإثبات الواو، وهى موافقة لرسم بقية المصاحف(٢).

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾

معانى المفردات:

* ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾: هذا شروع فى ذكر صفات المتقين إذْ وصفهم الله بعدد من الأوصاف إلى قوله: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ قال: فى العسر واليسر(٣).

هذه الصفة الأولى من صفات المتقين وهى السخاء. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾ [الحشر: ٩].

* وعن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «السخىُّ قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس، قريب من النار، والجاهل السخىّ أحبّ إلى الله من عابد بخيل» اهـ(٤).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٢٩).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٦٣)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٥٦)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ١١٤).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٢٩).

(٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٥٢).

* ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ هذه الصفة الثانية: وكظم الغيظ: هو أن يمتلئ غيظًا فيردّه في جوفه ولا يظهره، ويشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ﴾ [غافر: ١٨].

* وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: «من كظم غيظًا وهو يقدر على إنفاذه ملأه الله أمنًا وإيمانًا» اهـ(١).

* وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، وأبو داود، والترمذي وحسَّنه، والبيهقي في الشعب عن معاذ بن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفّذه دعاه الله على رءوس الخلائق حتى يخيره من أيّ الحور شاء» اهـ(٢).

* ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ هذه الصفة الثالثة:

* قال مقاتل بن حيّان البلخيّ (ت ١١٠هـ)، وزيد بن أسلم أبو أسامة (ت ١٣٠هـ) قالا: أي يعفون عمن ظلمهم وأساء إليهم(٣).

* أخرج الحاكم عن أُبَيّ بن كعب (ت ٣٠هـ ـ رضي الله عنه) أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ سرَّه أن يُشْرف له البنيان، وتُرفع له الدرجات، فليعف عمن ظلمه، ويعط من حرمه، ويصل من قطعه»(٤).

* ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ هذه الصفة الرابعة:

* أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن عمرو بن عَبَسَة: أنّ رجلا سأل النبي ﷺ ما الإيمان؟ فقال: «الصبر، والسماحة، وخلق حسن»(٥).

* وأخرج البيهقي عن علي بن الحسين: أن جارية جعلت تسكب عليه الماء يتهيأ للصلاة فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجَّه، فرفع رأسه إليها فقالت: إن الله يقول: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ قال: قد كظمتُ غيظي، قالت: ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ قال: قد عفا الله عنك، قالت: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ قال: اذهبي فأنت حرّة(٦).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٣٠).

(٣) انظر: تفسير البغوي (١/ ٣٥٢).

(٤ ـ ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٣٠).

* وعن الثورى سفيان بن سعيد بن مسروق (ت ١٦١هـ) قال: الإحسان: أن تحسن إلى المسىء، فإن الإحسان إلى المحسن تجارة[١].

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ هاتان صفتان: الخامسة، والسادسة.

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قال: هذان ذنبان: فعلوا فاحشة ذنب، وظلموا أنفسهم ذنب[٢].

* ﴿ فَعَلُوا فَاحِشَةً ﴾: هى كل قبيح خارج عمّا أذن الله فيه. إذ أصل الفحش: القبيح، والخروج عن الحدّ.

وقيل: فعلوا فاحشة: الكبائر، أو ظلموا أنفسهم بالصغائر.

* وقال جابر: الفاحشة الزنا، أو ظلموا أنفسهم: ما دون الزنا من القُبلة، والنظر، واللمس[٣].

* ﴿ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾:

* أخرج أبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وغيرهم عن أبى بكر الصديق (ت ١٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يذنب ذنبًا ثم يقوم فيذكر ذنبه، فيتطهر ثم يصلى ركعتين، ثم يستغفر الله من ذنبه ذلك إلا غفر الله له، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴾ الآية»[٤].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٥٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٣١).

(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٥٢).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٣٢).

* وأخرج عبد بن حميد، والبخاري، ومسلم عن أبي هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: «إن رجلا أذنب ذنبًا فقال ربِّ إنِّي أذنبت ذنبًا فاغفره، فقال الله: عبدي عمل ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي، ثم عمل ذنبًا آخر فقال: ربِّ إني عملتُ ذنبًا فاغفره، فقال ـ تبارك وتعالى ـ: علم عبدي أنّ له ربًا يغفر الذنب، ويأخذ به قد غفرتُ لعبدي، ثم عمل ذنبًا آخر فقال: ربِّ إني عملتُ ذنبًا فاغفره، فقال الله: علم عبدي أنّ له ربًا يغفر الذنب، ويأخذ به، أشهدكم أنّي قد غفرتُ لعبدي فليعمل ما شاء»(١).

* ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾: هذه الصفة السابعة.

✵ المعنى: لم يقيموا ولم يثبتوا على الذنب، ولكن تابوا وأنابوا واستغفروا، إذْ أصل الإصرار: الثبات على الشيء.

* عن أبي بكر الصديق (ت ١٣هـ ـ رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصرّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة»(٢).

﴿ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) ﴾

✵ المعنى:

* ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ أي: الموصوفون بما ذكر. جَزَاؤُهُم: ﴿ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ ـ لا يخرجون منها أبدًا ـ ﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾.

ويشهد لهذه الآية في المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) ﴾ [الحديد: ٢١].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨) ﴾ [البينة: ٧ ـ ٨].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٣٨). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٣٩).

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَدْ خَلَتْ ﴾ أي: مضت.

* ﴿ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) أي: تداول من الكفار، والمؤمنين فى الخير والشر(١).

* ﴿ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: كان سوء عاقبة الأولين والأمم قبلكم أن متعهم الله قليلا ثم صاروا إلى النار(٢).

ويوضح هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) ﴾

* عن قتادة بن دعامة السدوسى قال: هذا القرآن جعله الله بيانًا للناس عامَّة، ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ خاصة(٣).

قال ـ تعالى ـ: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) ﴾ [البقرة: ٢].

﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا ﴾: هذا حثّ من الله ـ تعالى ـ للمؤمنين على الجهاد والصبر على ما أصابهم من القتل والجرح يوم أحد: إذْ كان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة منهم: حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير. وقُتِل من الأنصار سبعون رجلا.

وحينئذ يكون المعنى: لا تضعفوا ولا تجبنوا يا أصحاب «محمد» ﷺ عن جهاد أعدائكم لما أصابكم، ولا تحزنوا على ما حدث من الهزيمة والمصيبة.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٣٩).

* ﴿ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾:

قال القرطبى فى تفسيره: يعنى الغالبين على الأعداء بعد أُحُد، فلم يخرجوا بعد ذلك عسكراً إلا ظفروا فى كل عسكر كان فى عهد رسول الله ﷺ(١).

* وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: انهزم أصحاب رسول الله ﷺ يوم أُحُد، فبينما هم كذلك إذْ أقبل خالد بن الوليد بخيل من المشركين، يريد أن يعلو عليهم الجَبَل، فقال النبى ﷺ: «اللهم لا يعلنّ علينا اللهم لا قوّة لنا إلا بك، اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر»، وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ ﴾(٢).

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾:

* ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ ﴾: عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: إن يصبكم(٣).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ ﴾ قال: جراح وقتل(٤).

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾ قال: إن يقتل منكم يوم أُحُد، فقد قتلتم منهم يوم بَدْر(٥).

* ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾:

* عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قال: يوم للمسلمين ـ وهو يوم بدر ـ ويوم للمشركين ـ وهو يوم أُحُد ـ(٦).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ١٤٠).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٤٠).

(٥ ـ ٦) انظر: المرجع السابق (٢/ ١٤١).

* ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ﴾:

* عن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) قال: كان المسلمون يسألون ربهم أن يريهم يومًا كيوم بَدْر، يبلون فيه خيرًا، ويرزقون فيه الشهادة، ويرزقون الجنّة، فلقوا يوم أُحُد - أي المشركين - فاتخذ منهم شهداء، وهم الذين ذكرهم الله فقال: ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ (١٥٤) ﴾ [البقرة: ١٥٤](١).

* وعن أبي الضحى في قوله - تعالى -: ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ قال: قتل منهم يومئذ سبعون، منهم أربعة من المهاجرين هم: حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، والشماس بن عثمان المخزومي، وعبد الله بن جحش الأسدي، وسائرهم من الأنصار. اهـ(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَرْحٌ ﴾ معًا [رقم: ١٤٠]

قرأ شعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف البزار بضم القاف. وقرأ الباقون بفتحها وهما لهجتان مثل: الضَّعف والضُّعف(٣).

﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) ﴾

المعنى:

* عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله - تعالى -: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ قال: يبتليهم. وفي قوله - تعالى -: ﴿ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ قال: ينقصهم(٤).

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) ﴾

المعنى: الخطاب هنا للمؤمنين، و﴿ أَمْ ﴾ بمعنى «بل» وحينئذ يكون المعنى: أحسبتم أيها المسلمون يا من انهزمتم يوم أُحُد أن تدخلوا الجنة كما دخل الذين قُتِلوا

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٤١). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٤٢).

(٣) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٣٦٥)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ١٣٦)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٥٦).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٤٢).

وصبروا على ألم الجراح والقَتْل من غير أن تسلكوا طريقهم، وتصبروا صبرهم؟ لا، حتى ﴿ يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ ﴾ أى: علم مشاهدة كى يقع عليكم الجزاء، أى: أنكم لم تجاهدوا فيعلم ذلك منكم. ﴿ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ منصوب بإضمار «أن».

﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (١٤٣) ﴾

المعنى:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): أنّ رجالا من أصحاب النبى ﷺ كانوا يقولون: ليتنا نقتل كما قتل أصحاب بدر ونستشهد، أو ليت لنا يومًا كيوم بدر نقاتل فيه المشركين، ونبلى فيه خيراً، ونلتمس الشهادة والجنّة، والحياة والرزق، فأشهدهم الله أُحُدًا، فلم يلبثوا إلا مَنْ شاء الله منهم فقال الله - معاتبًا لمن ولّى منهم الأدبار -: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ ﴾ الآية(١).

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن المنذر عن كليب قال: خطبنا عمر - رضى الله عنه - فكان يقرأ على المنبر: آل عمران، ويقول: إنّها أُحُديّة، ثم قال: تفرقنا عن رسول الله ﷺ يوم أُحُد، فصعدت الجبل فسمعتُ يهوديًا يقول: قُتل «محمد» ﷺ فقلتُ: لاأسمع أحدًا يقول: قُتل «محمد» إلا ضربتُ عنقه، فنظرتُ فإذا رسول الله ﷺ والناس يتراجعون إليه، فنزلت هذه الآية: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ ﴾ اهـ(٢).

معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾:

* قال البغوى فى تفسيره: «محمد» هو المستغرق لجميع المحامد، لأن الحمد لا يستوجبه إلا الكامل..... إلى أن يقول: وأكرم الله نبيه وصفيّه باسمين مشتقين من اسمه جلّ جلاله «محمد وأحمد»، وفيه يقول حسّان بن ثابت:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٤٢).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٥٢، وأسباب النزول للقاضى ص٥٥، وتفسير القرطبى (٤/ ١٤٣)، وتفسير البغوى (١/ ٣٥٨)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٤٣).

ألـم تـر أن الله أرسـل عـبـده ... ببرهـانـه والله أعـلـى وأمـجـد
وشـقَّ لـه مـن اسـمـه ليـجـلّـه ... فذو العرش محمود وهذا محمد(١)

* ﴿ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ أي: رجعتم إلى دينكم الأول.

* ﴿ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾: بل يضرّ نفسه ويعرضها للعقاب بسبب المخالفة، والله ـ سبحانه وتعالى ـ لا تنفعه الطاعة، ولا تضره المعصية.

* ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ أي: الذين صبروا، وجاهدوا، واستشهدوا.

• مهمة عظيمة:

قال القرطبي في تفسيره (٤/ ١٤٤): مات ﷺ يوم الإثنين بلا خلاف، في وقت دخوله المدينة في هجرته حين اشتدّ الضحاء، ودفن يوم الثلاثاء، وقيل: ليلة الأربعاء.

وقالت «صفية بنت عبد المطلب» ترثي رسول الله ﷺ:

ألا يا رسول الله كنتَ رجاءنا ∴ وكنتَ بنا بَرًا ولم تك جافيا
وكنت رحيمًا هاديًا ومعلّما ... ليبْك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبيَّ لفقده ... ولكن لمَا أخشى من الهرْج آتيا
كأنّ على قلبي لذكر محمد ... وما خفتُ من بعد النبيّ المكاويا
أفاطم صلّى الله رب محمد ... على جَدث أمسى بيثرب ثاويا
فدًى لرسول الله أمِّي وخالتي ... وعمِّي وآبائي ونفسي وماليا
صدَقتَ وبلّغت الرسالة صادقًا ... ومتّ صليب العود أبْلج صافيا
فلو أن ربّ الناس أبقى نبينا ... سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية ... وأُدْخلْت جنات من العدْن راضيا

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (١٤٥) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أي: بقضائه وقدره، وعلمه، وأمره.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٣٥٨).

* ﴿ كِتَابًا ﴾: منصوب على المصدر، أى: كتب الله كتابًا.

* ﴿ مُّؤَجَّلاً ﴾ أى: إلى أجل معيّن.

وأجل الموت هو الوقت الذى فى معلومه - سبحانه - أن روح الحىّ تفارق جسده، ومما يدل على ذلك قوله - تعالى -: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) ﴾ [الأعراف: ٣٤]. وقوله - تعالى -: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨) ﴾ [الرعد: ٣٨]. وقوله - تعالى -: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ [المنافقون: ١١].

* ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ أى: من يرد بطاعته لله - تعالى - الدنيا ويعمل لها نؤته منها: مما قدّره الله له.

ويشهد لهذا المعنى قوله - تعالى -: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) ﴾ [الإسراء: ١٨].

* ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾: قال - تعالى -: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩) ﴾ [الإسراء: ١٩]

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ نُؤْتِهِ ﴾ معًا [رقم: ١٤٥]

قرأ أبو عمرو، وشعبة، وحمزة: ﴿ نؤتهْ ﴾ بإسكان الهاء. وقرأ قالون، ويعقوب: ﴿ نؤته ﴾ بقصر الهاء، أى: بكسرها من غير صلة. وقرأ ابن ذكوان بالقصر، والإشباع، وقرأ أبو جعفر بالإسكان، والقصر. وقرأ هشام بالإسكان، والقصر، والإشباع. وقرأ الباقون بالإشباع. وقرأ ورش، وأبو جعفر، وأبو عمرو بخُلْف عنه بإبدال الهمزة وصلا ووقفًا، وكذا حمزة عند الوقف وكلها لهجات[١].

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٣٦ - ١٣٧).

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾:

اختلف المفسرون فى المراد من ﴿ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾، وهذه أهمّ الأقوال، وأرجحها من وجهة نظرى:

* أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قالوا معنى ذلك: جموع كثيرة(١).

* ثانيًا: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) أى: فقهاء علماء(٢).

* ثالثًا: قيل: ربِّيُّون: منسوب إلى الربِّ، وهم الذين يعبدون الربَّ جلّ جلاله(٣).

* ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أى: فما جبنوا عن الجهاد بما نالهم من ألم الجراح، وقتل الأصحاب.

* ﴿ وَمَا ضَعُفُوا ﴾ أى: عن قتال عدوّهم.

* ﴿ وَمَا اسْتَكَانُوا ﴾: اختلف المفسرون فى معنى ذلك:

١ ـ فقال مقاتل بن حيّان البلخى(ت ١١٠هـ): ما استسلموا، وما خضعوا لعدوهم(٤).

٢ ـ وقال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): وما ذلّوا(٥).

٣ ـ وقال أبو العالية الرياحىّ (ت ١٩٠هـ): ما جبنوا، ولكن صبروا على أمر ربهم، وطاعة نبيهم، وجهاد عدوّهم(٦).

* ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ أى: يثيبهم، وينصرهم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَكَأَيِّن ﴾ [آل عمران: ١٤٦، والطلاق: ٨]

(١ : ٦) انظر: فى ذلك تفسير البغوى (١/ ٣٦٠).

قرأ ابن كثير، وأبو جعفر: ﴿ وكائن ﴾ بألف ممدودة بعد الكاف، وبعدها همزة مكسورة، وحينئذ يكون المدّ من قبيل المتصل فكل يمدّ حسب مذهبه.

إلا أن أبا جعفر يسهل الهمزة مع التوسط والقصر.

وقرأ الباقون: ﴿ وكأيِّن ﴾ بهمزة مفتوحة بدلا من الألف، وبعدها ياء مكسورة مشدّدة، وهما لهجتان(١).

• **فائدة لغوية:**

اعلم أنّ «كأيّ» توافق «كَمْ» فى خمسة أمور وهى:

١ ـ الإبهام. ٢ ـ والافتقار إلى التمييز. ٣ ـ والبناء. ٤ ـ ولزوم التصدير.

٥ ـ وإفادة التكثير فى الغالب.

وتخالفها فى خمسة أمور وهى:

الأول : أنّ «كأيّ» مركبة، و «كمْ» بسيطة على الصحيح.

والثانى: أنّ مميِّز «كأيّ» مجرور بمن غالبًا، نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

والثالث: أنّ «كأيّ» لا تقع استفهامية عند جمهور النحاة.

والرابع: أنها لا تقع مجرورة خلافًا لابن قتيبة وابن عصفور.

والخامس: أن خبر «كأيّ» لا يقع مفرداً(٢).

* ﴿ قَاتَلَ مَعَهُ ﴾ [رقم: ١٤٦]

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: ﴿ قُتِلَ ﴾ بضم القاف، وحذف الألف، وكسر التاء، وذلك على البناء للمفعول، وهو من «القَتْل»، و «ربيون» نائب فاعل.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٦٥)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ١١٦)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٣٧).

(٢) انظر: مغنى اللبيب لابن هشام (٢٤٦ ـ ٢٤٧).

وقرأ الباقون: ﴿ قاتل ﴾ بفتح القاف، وألف بعدها، وفتح التاء وذلك على البناء للفاعل، وهو من القتال، و «ربيون» فاعل(١).

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾:

﴿ قَوْلَهُمْ ﴾ خبر «كان» مقدم، و ﴿ إِلاَّ أَن قَالُوا ﴾ عطف عليه فى محل رفع اسم «كان» مؤخر والضمير فى ﴿ قَوْلَهُمْ ﴾ عائد على قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾.

* ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾: قال القرطبى فى تفسيره وكذا البغوى فى تفسيره: المراد بالذنوب: الصغائر(٢).

* ﴿ وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾ أى: الكبائر، وقد قال بذلك الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) وغيره(٣).

* ﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ كى لا تزول أثناء القتال.

* ﴿ وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ هذا هو ختام دعائهم.

﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨) ﴾

✷ المعنى:

* عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ قال: النصر والغنيمة.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ ﴾ قال: رضوان الله ورحمته(٤).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٦٧)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٣٧)، والنشر بتحقيقنا (٣/ ١٣)، وحجة القراءات لابن زنجلة ص١٧٥.

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ١٤٩)، وتفسير البغوى (١/ ٣٦٠).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٤٧).

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ قال: الفلاح، والنصر على عدوهم. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ ﴾ قال: الجنّة[١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾:

* عن على بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) قال: المراد: المنافقين فى قولهم عند الهزيمة ـ فى أُحُد ـ للمؤمنين: ارجعوا إلى دين آبائكم[٢].

وقيل: المراد: اليهود، والنصارى[٣].

* ﴿ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ أى: يرجعوكم إلى أول أمركم من الكفر بالله، والشرك به، وحينئذ ﴿ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ أى: ترجعوا مغبونين قد خسرتم الدنيا والآخرة.

* ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ ﴾ أى: متولى نصركم وحفظكم إن أطعتموه.

* ﴿ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠) ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (١٥١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾:

* عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قال: لما ارتحل أبو سفيان، والمشركون يوم أُحُد متوجهين إلى مكة، انطلقوا حتى إذا كانوا ببعض

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٤٧).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ١٤٩)، وتفسير البغوى (١/ ٣٦٠).

الطريق ندموا وقالوا: بئس ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم، فلما عزموا على ذلك ألقى الله فى قلوبهم الرعب حتّى رجعوا عمّا هموا به(١).

* ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ تعليل أى: كان سبب إلقاء الرعب فى قلوبهم إشراكهم بالله ـ تعالى ـ.

* ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ أى: حجة وبرهانًا.

* ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ أى: بئس مقام المشركين والكافرين النار.

* أخرج أحمد، والترمذى وصححه، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقى فى سننه عن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ: أنّ رسول الله ﷺ قال: «فُضِّلتُ على الأنبياء بأربع: أرسلتُ إلى الناس كافّة، وجعلت لى الأرض كلها ولأمّتى مسجدًا وطهورًا، فأينما رجل أدركه من أمتى الصلاة فعنده مسجده، وعنده طهوره، ونُصِرتُ بالرعب مسيرة شهر يقذفه فى قلوب أعدائى، وأُحلّ لنا الغنائم» اهـ(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿الرُّعْبَ﴾ حيث جاء معرفًا ومنكرًا، نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [آل عمران: ١٥١]، ونحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ [الكهف: ١٨].

قرأ ابن عامر، والكسائى، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿الرعب، رعبًا﴾ حيثما وقعا فى القرآن الكريم بضم العين. وقرأ الباقون بإسكان العين، وهما لهجتان بمعنى واحد.

قال الراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ): الرعب: الانقطاع من امتلاء الخوف(٣).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ١٥٠)، تفسير البغوى (١/ ٣٦١)، تفسير الدر المنثور (٢/ ١٤٨).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٤٨).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٦٠)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٣٨)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٨٠، والمفردات فى غريب القرآن ص١٩٧.

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) ﴾

* المعنى:

* أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ الآية، قال: إنّ أبا سفيان أقبل فى ثلاث ليال خلون من شوّال حتى نزل أُحُداً. وخرج رسول الله ﷺ فأذَّن فى الناس فاجتمعوا، وأمَّرَ على الخيل الزبير بن العوّام ومعه يومئذ المقداد بن الأسود الكندى. وأعطى رسول الله ﷺ اللواء رجلا من قريش يقال له: مصعب بن عُمَير. وخرج حمزة بن عبد المطلب بالجيش، وبعث حمزة بين يديه، وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين، ومعه عكرمة بن أبى جهل، فبعث رسول الله ﷺ الزبير وقال له: «استقبل خالد بن الوليد فكن بإزائه حتى أوذنك» وأمر بخيل أخرى فكانوا من جانب آخر فقال: «لا تبرحوا حتى أوذنكم».

وأقبل أبو سفيان يحمل اللات والعزّى. فأرسل النبى ﷺ إلى الزبير أن يحمل، فحمل على خالد بن الوليد فهزمه ومن معه فقال: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ﴾ اهـ(١).

* وأخرج أحمد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والطبرانى، والحاكم وصححه، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال: ما نصر الله نبيه فى موطن كما نصر يوم أُحُد فأنكروا، فقال ابن عباس: بينى وبين من أنكر ذلك كتاب الله، إن الله يقول في يوم أُحُد: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ﴾ يقول ابن عباس «والحسّ»: القتل.

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾: وإنما عنى هذا «الرُّماة»: وذلك أن النبى ﷺ أقامهم فى موضع ثم قال:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/١٤٩).

«احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا». فلما غنم النبى ﷺ وأباحوا عسكر المشركين انكفأ الرُّماة جميعًا فدخلوا فى العسكر ينتهبون، والتفّت صفوف المسلمين فهم هكذا ـ وشبّك بين يديه ـ فلمّا أخلّ الرّماة تلك الخلّة التى كانوا فيها دخل الخيل من ذلك الموضع على الصحابة، فضرب بعضهم بعضًا والتبسوا. وقُتِلَ من المسلمين ناس كثير.

وقد كان لرسول الله ﷺ وأصحابه أوّل النهار، حتى قُتِلَ من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة. وجال المسلمون جولة نحو الجبل ولم يبلغوا حيث يقول الناس: «الغاب» وصاح الشيطان: قُتِل «محمد» ﷺ فلم يُشَكّ فيه أنه حق.

فما زلنا كذلك ما نشكّ أنه قُتِلَ حتى طلع بين السعدين نعرفه بتكفؤه إذا مَشَى، ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا، فَرَقَى نحونا وهو يقول: «اشتدّ غضب الله على قوم دموا وجه نبيهم» ويقول مرَّة أخرى: «اللهمّ إنه ليس لهم أن يعلونا» حتى انتهى إلينا[(١)].

* ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم﴾ أى: الرسول ﷺ، وخالف الرُّماة أمره.

* ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم﴾ الله. * ﴿مَّا تُحِبُّونَ﴾ يا معشر المسلمين من النصر والظفر على المشركين أوّل المعركة.

* ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾: وهم الرماة حينما تركوا أماكنهم، وخالفوا تعاليم الرسول ﷺ من أجل جمع الغنائم.

* ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾: وهم الذين ثبتوا ولم يفرّوا.

* ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ أى: ردّكم عن المشركين بالهزيمة ليمتحنكم.

* ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

إذْ لم يستأصلكم بعد مخالفتكم لأمر نبيكم ﷺ.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٤٩ ـ ١٥٠).

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾: الصعود: الارتفاع على الجبل والسّطوح، والدّرج.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: صعدوا فى أُحُد فراراً ـ والرسول ﷺ ـ يدعوهم فى أخراهم: «إلىّ عباد الله ارجعوا، إلىّ عباد الله ارجعوا» اهـ(١).

* ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: الغمّ الأوّل: الجراح والقتل، والغمّ الآخر: حين سمعوا أن النبى ﷺ قد قُتل. فأنساهم الغمّ الآخر ما أصابهم من الجراح والقتل، وما كانوا يرجون من الغنيمة. اهـ(٢).

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم﴾ فاعل ﴿أَنزَلَ﴾ الله ـ سبحانه وتعالى ـ. والخطاب فى ﴿عَلَيْكُم﴾ للمسلمين.

* ﴿مِّنۢ بَعْدِ الْغَمِّ﴾: الذى أصاب المسلمين بسبب هزيمتهم.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٥٣).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٥٤).

* ﴿أَمَنَةً﴾ أى: أمنًا، والأمن والأمنة بمعنى واحـد. وقيل: الأمن يكون مع زوال سبب الخوف، والأَمَنة تكون مع بقاء سبب الخوف، وسبب الخوف كان هنا قائمًا.

* ﴿نُعَاسًا﴾ بدل من «أَمَنة».

* ﴿يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾ أى: جماعة منكم وهم المسلمون.

* عن الزبير بن العوّام ـ رضى الله عنه ـ قال: رفعت رأسى يوم أُحُد فجعلتُ أنظر وما منهم أحد إلا وهـو مميد تحت حجـفته من النعاس، فذلـك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾(١).

* وعن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) أنّ أبا طلحة قال: غشينا ونحن فى مصـافنا يوم أحد، حدَّث أنه كـان ممن غـشيه النعـاس يومئذ قـال: فجعل سـيفى يسقط من يـدى وآخذه، ويسقط وآخـذه فذلك قـوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾.

والطائفة الأخرى: المنافقون ليس لهم همّ إلا أنفسهم، أجْبن قوم، وأرْعبه، وأخذله للحق يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية كذبهم، إنما هم أهل شك وريبة فى الله(٢).

* وعن ابن مسـعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: النعاس عند القـتال أمنة من الله، والنعاس فى الصلاة من الشيطان(٣).

* ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾:

* عن قـتـادة بـن دعـامـة السـدوسى (ت ١١٨هـ) فى قـولـه ـ تعـالى ـ: ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ قال: ظنّ أهل الشرك(٤).

* ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ هذا الاستفهـام معناه النفى، أى: يقولون ما لنا من الأمر أىّ شىء، أى من الخروج لقتال المشركين، وإنما خرجنا كرْهًا.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٥٥).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٥٦).

* ﴿ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ أى: قل لهم يا «محمد» ﷺ الأمور كلها مردّها إلى الله ـ تعالى ـ، لأنه هو الذى بيده مقاليد كل شىء، قال ـ تعالى ـ: ﴿ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ۝٥٣ ﴾ [الشورى: ٥٣].

* ﴿ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا ﴾:

* عن الربيع قال: كان مما أخفوه فى أنفسهم أن قالوا: لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا ههنا(١).

* ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ أى: إلى مصارعهم.

وصدق الله إذ قال: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨]

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قال: كتب الله على المؤمنين أن يقاتلوا فى سبيله، وليس كل مَنْ يُقاتل يُقتل، ولكن يُقتل من كتب الله عليه القَتلَ(٢).

* ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ ﴾ أى: ليمتحن الله ما خفى فى صدوركم، وهو ـ سبحانه وتعالى ـ عليم بذات الصدور.

* ﴿ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ أى: يظهر ويخرج ما خفى فى قلوبكم.

* ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ لأنه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ﴾ [رقم: ١٥٤]

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ تغشى ﴾ بتاء التأنيث على أن الفاعل ضمير يعود على «أمنة» وهى مؤنثة، فأنث الفعل تبعًا لتأنيث الفاعل.

وقرأ الباقون ﴿ يغشى ﴾ بياء التذكير، على أن الفاعل ضمير يعود على «نعاسًا» وهو مذكّر، فذكّر الفعل تبعًا للفاعل(٣).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٥٦).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٦٨)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٣٩).

* ﴿ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ [رقم: ١٥٤]

قرأ أبو عمرو، ويعقوب: ﴿ كله ﴾ برفع اللام، وذلك على أنها مبتدأ، ومتعلق «لله» خبر، والجملة من المبتدأ وخبره فى محل رفع خبر «إنَّ».

وقرأ الباقون «كله» بالنصب، وذلك على أنها تأكيد لكلمة «الأمْرَ» التى هى اسم «إنَّ» ومتعلق «لله» خبر «إنّ»(١).

* ﴿ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ [رقم: ١٥٤]

قرأ قالون، وابن كثير، وابن عامر، وشعبة، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ بيوتكم ﴾ بكسر الباء. وقرأ الباقون بضمها، وهما لهجتان(٢).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ أى: يوم أُحُد.

* عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قال: كان الذين ولوا الدبر يومئذ ـ أى يوم أُحُد ـ: عثمان بن عفان ـ وهو من المهاجرين ـ وسعد بن عثمان، وعقبة بن عثمان أخوان من الأنصار من بنى زريق(٣).

* ﴿ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾:

* عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) قال: حين تركوا المركز وعصوا أمر الرسول ﷺ حين قال للرُّماة يوم أُحُد: «لا تبرحوا مكانكم»(٤).

* ﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ أى: ما عاقبهم لأنه عفوّ غفور.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾: قال سعيد بن جبير: لم يجعل الله ـ تعالى ـ لمن انهزم يوم أحد بعد قتال «بَدْر» النار، كما جعل يوم «بَدْر»(٥).

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٦٩)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ١١٩).
(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٤٠).
(٣ ـ ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٥٧).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ ﴾ أى: سافروا للتجارة، أو لأىِّ سبب من الأسباب.

* ﴿ أَوْ كَانُوا غُزًّى ﴾ جمع «غاز» مثل «ركَع وراكع».

* ﴿ لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ﴾ أى: لا تكونوا مثلهم، وتقولوا مثل قولهم، لأن هذا مخالف لتعاليم الله ـ تعالى ـ. قال ـ تعالى ـ: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨].

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) والسّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قالا: هذا قول عبد الله بن أبىّ ابن سلول والمنافقين(١).

* ﴿ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ ﴾ أى: هذا القول.

* ﴿ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أى: ندامة فى قلوبهم. إذ الحسرة: الندامة على فائت.

* ﴿ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾: قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ [المنافقون: ١١].

▩ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [رقم: ١٥٦]

قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ يعملون ﴾ بياء الغيبة، وذلك ردّا على الذين كفروا فى قوله ـ تعالى ـ أوّل الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ والواو فى «يعملون» للكفار.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/١٥٨).

وقرأ الباقون ﴿ تعملون ﴾ بتاء الخطاب، وذلك ردًا على الخطاب الذى فى قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ والواو فى ﴿ تعملون ﴾ للمؤمنين(١).

﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ ﴾ الآية.

المعنى: أن الموت كائن لا بدّ منه، قال ـ تعالى ـ: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ (٢٧) ﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧] إذًا فالموت فى سبيل الله أو القتل خير مما يجمعه هؤلاء المشركون من حطام الدنيا، لأنه زائل لا محالة.

* ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أى: ذلك كائن لا محالة، إذ إلى الله المرجع والمصير. وهنيئًا لمن كان من الفائزين، قال ـ تعالى ـ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ مُتُّمْ ﴾ [رقم: ١٥٧ ـ ١٥٨]

قرأ نافع، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ مِتّم ﴾ بكسر الميم، ووجهه أنه من «مات يمات» نحو: «خاف يخاف» والأصل «موت» بفتح الفاء وكسر العين، فإذا أسند إلى التاء قيل: «مِتّ» بكسر الفاء، وذلك لأننا نقلنا حركة العين إلى الفاء بعد حذف حركة الفاء، ثم حذفنا الواو للساكنين فأصبحت «مِتّ». وقرأ الباقون بضم الميم، ووجهه أنه من «مات يموت» نحو: «قام يقوم» وهما لهجتان(٢).

* ﴿ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [رقم: ١٥٧]

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٧٢)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٦١)، والحجة فى القراءات السبع ص١١٥.

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٤٠).

قرأ حفص: ﴿ يجمعون ﴾ بياء الغيبة، لأنه راجع إلى الذين كفروا فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾.

وقرأ الباقون بتاء الخطاب، لمناسبة قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ ﴾[١].

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ أى: فبرحمة من الله، و «ما» صلة فيها معنى التأكيد، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [المائدة: ١٣].

* ﴿ لِنتَ لَهُمْ ﴾ أى: سَهُلتْ لهم أخلاقك، ولم تسرع إليهم بالغضب فيما كان منهم يوم أُحُد.

* ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا ﴾ أى: جافيًا سيىء الخُلق، قليل الاحتمال.

* ﴿ غَلِيظَ الْقَلْبِ ﴾: قال الكلبى محمد بن بشر بن السائب (ت ١٤٦هـ) ﴿ فَظًّا ﴾ أى فى القول، ﴿ غَلِيظَ الْقَلْبِ ﴾ أى: فى الفعل[٢].

* ﴿ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: لانصرفوا عنك. اهـ[٣].

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: معنى الآية: الله ـ سبحانه وتعالى ـ طهر نبيه «محمداً» ﷺ من الفظاظة، والغلظة، وجعله رحيمًا رءوفًا بالمؤمنين. اهـ[٤].

ويشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) ﴾ [التوبة: ١٢٨].

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٤١).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٦٥).

(٣ ـ ٤) تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٥٩).

* ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ أى: تجاوز عنهم ما أتوا يوم أُحُد.

* ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أى: اطلب من الله المغفرة لهم يغفر لهم. قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

* ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ أى: استخرج آراءهم واعلم ما عندهم.

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: أمر الله نبيه ﷺ أن يشاور أصحابه فى الأمور، وهو يأتيه وحى السماء لأنه أطيب لأنفسهم، وإن القوم إذا شاور بعضهم بعضًا وأرادوا بذلك وجه الله ـ تعالى ـ عزم لهم على رشده(١).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «أما إنّ الله ورسوله لغنيان عنهما، ولكن جعلها الله ـ أى المشورة ـ رحمة لأمّتى، فمن استشار منهم لم يُعْدم رُشْدا، ومن تركها لم يُعْدم غيّا»(٢).

* ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى قال: أمر الله نبيه ﷺ إذا عزم على أمر أن يمضى فيه، ويستقيم على أمر الله، ويتوكل على الله(٣).

﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠)﴾

معانى المفردات:

* ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾:

المعنى: إن يعنكم الله، ويمنعكم من عدوّكم فلن تغلبوا إذًا فعليه توكلوا دائمًا فى جميع أموركم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)﴾ [الطلاق: ٣].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٥٩).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٦٠).

* ﴿ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ ﴾:

* **المعنى:** إن يتخلّى الله عنكم، ويترك معونتكم، فلن ينصركم أحد من بعد خذلانه إياكم.

* ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ أى: لا على غيره.

* عن عمران بن حصين ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل سبعون ألفًا من أمّتى الجنة بغير حساب» قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «هم الذين لا يكثرون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون» فقال عُكّاشة بن محصن: يا رسول الله ادع الله لى أن يجعلنى منهم، قال: «أنت منهم» ثم قام رجل آخر فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال: «سبقك بها عُكّاشة» اهـ(١).

* وعن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو توكلتم على الله حقّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خِماصًا وتروح بِطَانًا» اهـ(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ ﴾ [رقم: ١٦٠]

أجمع القراء على جزم رائه، لأنه مسبوق بإنْ الشرطية الجازمة.

* ﴿ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ ﴾ [رقم: ١٦٠]

قرأ السوسىّ: ﴿ ينصركم ﴾ بإسكان الراء، واختلاس ضمتها، للتخفيف.

وقرأ الدورى عن أبى عمرو بثلاثة أوجه وهى: الإسكان، والاختلاس، والضمة الكاملة، وكلها لهجات.

وقرأ الباقون بالضمة الكاملة على الأصل(٣).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٦٦).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٤١).

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١)﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: نزلت بسبب قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من المغانم فقال بعض من كان مع النبى ﷺ: لعلّ أن يكون النبىّ ﷺ أخذها فنزلت الآية. [أخرجه أبو داود، والترمذى وقال حسن غريب](١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾: الغلول: هو الخيانة. وحينئذ يكون المعنى: ما كان ينبغى أن يُظنَّ بأىِّ نبىٍّ غلول، لأن عقوبة من يغل شديدة بينها الله فى قوله:

* ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: وقد وضّح ذلك وألقى الضوء عليه الحديث التالى:

* ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه، وعظم أمره ثم قال: «لا ألفينّ أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعير له رُغاء يقول: يا رسول الله أغثنى. فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك.

لا ألفينّ أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك.

لا ألفينّ أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثُغَاء يقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك.

لا ألفينّ أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك.

لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك.

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٣٠، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٥٦، وتفسير القرطبى (٤/ ١٦٤)، وتفسير البغوى (١/ ٣٦٦).

لا ألفينّ أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك» اهـ[(١)].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [رقم: ١٦١]

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿يَغُلَّ﴾ بفتح الياء وضم الغين، على البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر يعود على «نبيٍّ».

* **والمعنى:** لا ينبغى أن يقع من نبى غلول، لأن الأنبياء معصومون من كل ما لا يجوز شرعًا.

وقرأ الباقون: ﴿يُغَلَّ﴾ بضم الياء وفتح الغين، على البناء للمفعول، ونائب الفاعل ضمير يعود على «نبيٍّ» أى أن ينسب إليه غلول ألبتة[(٢)].

﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢)﴾

معانى المفردات:

* ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ الآية:

* **المعنى:** لا يستويان، لأن من اتبع رضوان الله فى جنات النعيم، ومن أغضب الله ـ تعالى ـ، وعمل بما لم يأمر به الله فى جهنم وبئس المصير.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩)﴾ [يونس: ٧ ـ ٩].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ [رقم: ١٦٢]

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ١٦٥).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٧٥)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ١٢٢).

قرأ شعبة: ﴿ رضوان ﴾ بضم الراء، والباقون بكسرها وهما لهجتان.

* ﴿ وَمَأْوَاهُ ﴾ [رقم: ١٦٢]

قرأ الأصبهانى، وأبو جعفر، وأبو عمرو بخُلْف عنه بإبدال الهمزة وصلا ووقفًا، وكذا حمزة عند الوقف.

* ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [رقم: ١٦٢]

قرأ ورش، وأبو جعفر، وأبو عمرو بخُلْف عنه بإبدال الهمزة وصلا ووقفًا، وكذا حمزة عند الوقف(١).

﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣) ﴾

المعنى:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): المعنى: من اتّبع رضوان الله، ومن باء بسخط من الله مختلفون فى المنازل عند الله: فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم. ولمن باء بسخط من الله العذاب الأليم. * ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾(٢).

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (١٦٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾: بيّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى هذه الآية عظيم منّته على المؤمنين ببعثه نبينا «محمدًا» ﷺ.

واختلف المفسرون فى تأويل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾:

١ ـ فقد أخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) قالت: هذه للعرب خاصّة(٣).

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٤٢).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٦٨).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور (٢/ ١٦١).

قال المفسّرون تعقيبًا على قول «عائشة» أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ: لأنه ليس حىٌّ من أحياء العرب إلا وله فيهم من نسب إلا بنى تغلب.

ودليل ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢)﴾ [الجمعة: ٢]

٢ ـ وقال بعض العلماء:

أراد الله به المؤمنين كلهم، ومعنى ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: أنه واحد منهم وبشر مثلهم، وإنما امتاز عليهم بالوحى(١).

ودليل هذا القول قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)﴾ [التوبة: ١٢٨]، وخَصَّ المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون به دون غيره، فالمنّة عليهم دون غيرهم أعظم.

ومما هو معلوم من الدين بالضرورة أن نبينا «محمدًا» ﷺ أرسله الله ـ تعالى ـ لكافة الناس بشيرًا ونذيرًا.

ودليل ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٨)﴾ [سبأ: ٢٨].

* ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ أى: القرآن الكريم.

* ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ﴾ أى: قبل بعثته ﷺ.

* ﴿لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾: الهمزة للاستفهام، والواو للعطف. * ﴿مُّصِيبَةٌ﴾ أى: غلبة بأُحُد. * ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ أى: يوم بدر.

(١) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ١٦٩)، وتفسير البغوى (١/ ٣٦٨).

وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أُحُد سبعين. والمسلمون قتلوا من المشركين يوم بَدْر سبعين، وأسروا منهم سبعين.

* ﴿ قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ﴾ أى: من أين لنا القتل والهزيمة ونحن المسلمون ورسول الله ﷺ فينا؟

* ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ أي: قل لهم يا «محمد»: الهزيمة من عند أنفسكم، أى: أنتم السبب فيها، لأن الرُّماة خالفوا تعاليم النبى ﷺ وتركوا أماكنهم، ونزلوا لجمع الغنائم.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾: ومنه النصر والهزيمة.

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ أى: يوم أُحُد من القتل، والجرح، والهزيمة.

* ﴿ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أى: بقضاء الله، وقدرته، وإرادته.

* ﴿ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى: ليميز المؤمنين الصادقين فى إيمانهم، من غيرهم: المنافقين المذكورين فى قوله ـ تعالى ـ: * ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾.

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ﴾: المقول لهم: عبد الله بن أبىّ ابن سلول المنافق وأصحابه، الذين انصرفوا عن نصرة النبى ﷺ يوم أُحُد، وكانوا ثلاثمائة رجل.

والقائل هو عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى، أبو جابر بن عبد الله: وذلك أنه مشى فى أثرهم وقال لهم: اتقوا الله ولا تتركوا نبيكم، وتعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا، فقالوا: لو نعلم قتالا لاتبعناكم.

فلما يئس منهم عبد الله قال لهم: اذهبوا يا أعداء الله فسيغني الله رسوله ﷺ عنكم.

ومضى عبد الله مع النبي ﷺ وقاتل حتى استشهد ـ رحمه الله تعالى ـ.

* قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) معنى ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾ أى: كثروا سوادنا وإن لم تقاتلوا معنا فيكون ذلك دفعًا وقمعًا للعدوّ(١).

* عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: رأيت يوم القادسيّة عبد الله ابن أمِّ مكتوم الأعمى وعليه درع يجرّ أطرافه، وبيده رايةٌ سوداء، فقيل له: أليس قد أنزل الله عذرك؟ قال: بلى، ولكنّى أكثّر سواد المسلمين بنفسى(٢).

* ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لأَتَّبَعْنَاكُمْ﴾: القائلون هم: عبد الله بن أبيّ ابن سلول المنافق، وأتباعه.

* ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ﴾: وذلك أنهم بينوا حالهم، وهتكوا أستارهم، وكشفوا عن نفاقهم لمن كان يظن أنهم مسلمون، فصاروا حينئذ أقرب إلى الكفر فى ظاهر الحال من الإيمان، وإن كانوا كافرين على التحقيق، ولكن هذه طباع المنافقين قال ـ تعالى ـ:

* ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أى: أظهروا الإيمان، وأضمروا الكفر.

* ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ لأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور. وقد فضحهم الله بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨)﴾ [البقرة: ٨].

﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٦٨)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ﴾ أى فى النسب لا فى الدين، والمقول لهم: شهداء أُحُد، أى: قالوا فى شأنهم.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ١٧٠)، وتفسير البغوى (١/ ٣٦٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ١٧٠ ـ ١٧١).

* ﴿ وَقَعَدُوا ﴾ أى: هؤلاء القائلون هذا القول قعدوا يوم أُحُد، وما خرجوا للقتال.

* ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا ﴾ أى: لو لم يخرجوا للقتال، وقعدوا فى بيوتهم.

* ﴿ مَا قُتِلُوا ﴾: وهم كاذبون فى قولهم هذا، فردّ الله عليهم كذبهم وافتراءهم، وقال: ﴿ قُلْ ﴾ لهم يا «محمد»: ﴿ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أى: إن كنتم صادقين فادفعوا الموت عن أنفسكم. وصدق الله إذْ قال: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ مَا قُتِلُوا ﴾ [رقم: ١٦٨]

قرأ هشام بخلفٍ عنه بتشديد التاء، لإرادة التكثير فى القتل، وقرأ الباقون بالتخفيف وهو الوجه الثانى لهشام(١).

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* قال القرطبى فى تفسيره: فى مصنّف أبى داود بإسناد صحيح عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأُحُد، جعل الله أرواحهم فى جَوْف طير خضر ترد أنهار الجنّة، تأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلّقة فى ظلّ العرش، فلمّا وجدوا طيب مأكلهم، ومشربهم، ومقيلهم، قالوا: مَنْ يبلّغ إخواننا عنّا أنّا أحياء فى الجنّة نُرزق، لئلا يزهدوا فى الجهاد، ولا يَنْكُلوا عند الحرب، فقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: أنا أبلغهم عنكم»، قال ـ أى ابن عباس ـ فأنزل الله الآية(٢).

* عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يموت له عند الله خير يحبّ أن يرجع إلى الدنيا، وأنّ له الدنيا وما فيها، إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فإنه يحبٌّ أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرّة أخرى» اهـ(٣).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٧٦)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٤٢)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٨١.

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ١٧٢).

(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٧٠).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ ﴾ [رقم: ١٦٩]

قرأ هشام بخلف عنه: ﴿ ولا يحسبنّ ﴾ بياء الغيبة، وفاعله ﴿ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وهم الشهداء و ﴿ أَمْوَاتًا ﴾ مفعول ثان، والمفعول الأول محذوف، والتقدير: ولا يحسبن الشهداء أنفسهم أمواتًا.

وقرأ الباقون: ﴿ ولا تحسبن ﴾ بتاء الخطاب، وهو الوجه الثانى لهشام. و﴿ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ مفعول أوّل، و ﴿ أَمْوَاتًا ﴾ مفعول ثان، والتقدير: ولا تحسبن يا مخاطب الشهداء أمواتًا. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر بفتح السين، والباقون بكسرها، وهما لهجتان.

* ﴿ قُتِلُوا ﴾ [رقم: ١٦٩]

قرأ ابن عامر: ﴿ قتّلوا ﴾ بتشديد التاء للتكثير. وقرأ الباقون بالتخفيف، على الأصل[١].

﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ أى: رزقه وثوابه.

* ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ ﴾ أى: ويفرحون.

* ﴿ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾:

المعنى: ويفرحون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، من إخوانهم الذين تركوهم أحياء فى الدنيا، وهم متمسكون بالإيمان، والجهاد، لعلمهم أنهم إذا استشهدوا ولحقوا بهم نالوا من الكرامة مثلهم، لذلك فهم يفرحون بهم.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨)، والنشر لابن الجزرى بتحقيقنا (٣/ ١٧)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٤٢).

* ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: هذا معطوف على ما قبله بدون حرف العطف فهو مقدّر.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [رقم: ١٧١]

قرأ الكسائى: ﴿وإنّ﴾ بكسر الهمزة، على الاستئناف. وقرأ الباقون بفتحها، عطفًا على ﴿بنعمة﴾ مع تقدير حرف العطف، والتقدير: يستبشرون بنعمة من الله وبأن الله لا يضيع أجر المؤمنين(١).

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢)﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزول هذه الآية عدد من الروايات، وقد اخترت الرواية التالية طلبًا لعدم الإطناب:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)، وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قالا: نزلت هذه الآية فى غزوة بدر الصغرى: وذلك أن أبا سفيان يوم أُحُد حين أراد أن ينصرف قال: يا «محمد» ـ عليه الصلاة والسلام ـ: بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل إن شئتَ، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك بيننا وبينك إن شاء الله». فلما كان العام المقبل، خرج أبو سفيان فى أهل مكة، حتى نزل (مِجَنَّة) من ناحية مرّ الظهران، ثم ألقى الله الرعب فى قلبه، فبدا له الرجوع، فلقى نعيم بن مسعود الأشجعى وقد قدم معتمرًا، فقال له أبو سفيان: يا نعيم إنى واعدت «محمدًا» ﷺ وأصحابه أن نلتقى بموسم بدْر الصغرى، وإنّ هذه عام جَدْب، ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر، ونشرب فيه اللّبن وقد بدا لى أن لا أخرجَ إليها، وأكره أن يخرجَ «محمد» ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جرأة، ولأن يكون الخُلْف من قبلهم أحبُّ إلىَّ من أن يكون من قبلى فالحق بالمدينة فثبطهم وأعلمهم أنِّى فى جَمْع كثير لا طاقة لهم بنا، ولك عندى عشرة من الإبل أضعها الك على يدى سهيل بن عمرو ويضمنها.

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٧٩).

قال: فجاء سهيل فقال له نعيم: يا أبا يزيد: أتضمن لى هذه القلائص من أبى سفيان وأنطلق إلى «محمد» ﷺ وأثبطه؟ قال: نَعَم، فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبى سفيان فقال: أين تريدون؟ فقالوا: واعدنا أبا سفيان أن نلتقى بموسم بَدْر الصغرى قال: بئس الرأى رأيكم أتوكم فى دياركم وقراكم فلم يفلت منكم إلا الشريد، أفتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم، والله لا يفلت منكم أَحَدٌ.

فكره أصحاب رسول الله ﷺ الخروج. فقال رسول الله ﷺ: «والذى نفس «محمد» بيده لأخرجن ولو وحدى».

فأمّا الجبان فإنه رجع، وأمّا الشجاع فإنه تأهب للقتال. وقال ـ أى النبى ﷺ ـ: «حسبنا الله ونعم الوكيل». فخرج رسول الله ﷺ فى أصحابه حتى وافى «بدراً الصغرى» فجعلوا يلقون المشركين ويسألونهم عن قريش، فيقولون قد جمعوا لكم يريدون أن يرعبوا المسلمين.

فيقول المسلمون: حسبنا الله ونعم الوكيل، حتى بلغوا «بدراً» وكانت موضع سوق لهم فى الجاهلية يجتمعون إليها فى كل عام ثمانية أيام.

فأقام رسول الله ﷺ ببدر ينتظر أبا سفيان وقد انصرف أبو سفيان من «مجنّة» إلى «مكة» فلم يلق رسولُ الله ﷺ وأصحابُه أحداً من المشركين. ووافقوا السوق وكانت معهم تجارات، ونفقات، فباعوا وأصابوا بالدرهم درهمين، فانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين. اهـ(١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ المراد: المؤمنون الذين خرجوا مع الرسول ﷺ إلى «بدر الصغرى» لملاقاة أبى سفيان حسبما تقدّم مفصّلا فى سبب نزول الآية.

* ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ أى: من بعد ما نالهم من الجرح فى غزوة أُحُد.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥).

* ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

المعنى: للذين أطاعوا رسول الله ﷺ وخرجوا معه لملاقاة أبى سفيان واتقوا الله ـ تعالى ـ وخافوا عقابه إذا هم لم يخرجوا مع الرسول ﷺ الأجر العظيم، والثواب الجزيل من الله ـ تعالى ـ.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿الْقَرْحُ﴾ [رقم: ١٧٢]

قرأ شعبة، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار بضم القاف، والباقون بفتحها، وهما لهجتان(١).

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)﴾

معانى المفردات:

* ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ المراد بـ ﴿النَّاسُ﴾: نُعيم بن مسعود الأشجعى، وهذا من العام الذى أريد به الخاص، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤].

إذ المراد بـ ﴿النَّاسُ﴾ نبينا «محمد» ﷺ، وقد قال بذلك كل من:

١ ـ مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ).

٢ ـ وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ).

٣ ـ ومقاتل بن حيّان البلخىّ (ت ١١٠هـ)(٢).

* ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾: المراد بـ ﴿النَّاسُ﴾ هنا: أبو سفيان ومن معه.

* ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾ أى: فخافوهم، واحذروهم، فإنه لا طاقة لكم بهم.

* ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ أى: زادهم قول نعيم بن مسعود الأشجعى إيمانًا، أى تصديقًا، ويقينًا.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٤٣ ـ ١٤٤).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ١٧٨)، وتفسير البغوى (١/ ٣٧٥).

* ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ أي: كافينا الله شرورهم، وهو نعم المولى ونعم النصير.

* عن أبي هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وقعتم فى الأمر العظيم فقولوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾»[١].

* وعن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها): أن النبى ﷺ كان إذا اشتدّ غمّه مسح بيده على رأسه، ولحيته، ثم تنفّس الصعداء وقال: «حسبى الله ونعم الوكيل»[٢].

* وعن شدّاد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ أمان كل خائف»[٣].

﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤)﴾

✵ **المعنى:** قال القرطبى فى تفسيره: قال علماؤنا: لما فوّضوا أمورهم إلى الله ـ تعالى ـ، واعتمدوا عليه بقلوبهم، أعطاهم من الجزاء أربعة معان: النعمة، والفضل، وصرف السوء، واتباع الرضا، فرضّاهم عنه، ورضى عنهم[٤].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ [رقم: ١٧٤]

قرأ شعبة: ﴿رضوان﴾ بضم الراء، والباقون بكسرها وهما لهجتان[٥].

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥)﴾

معانى المفردات:

* ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: الشيطان يخوف المؤمنين بأوليائه[٦].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٨١).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ١٨٠).

(٥) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٤٤).

(٦) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ١٨٠)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٨٢).

* وعن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) فى الآية قال: تفسيرها يخوّفكم بأوليائه[١].

* ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ﴾ أى: لا تخافوا الكفار المذكورين فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ وهم أبو سفيان وأصحابه.

* ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أى: خافونى فى ترك أمرى، إن كنتم مصدقين بوعدى، والخوف فى كلام العرب: الذعر.

﴿وَلا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَلا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾، قال الراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ) فى مادة (حزن): «الحُزْن» بضم الحاء، وسكون الزاى، والحَزَن بفتح الحاء والزاى: خشونة فى النفس لما يحصل فيها من الغمّ، ويضاده الفرح. اهـ[٢].

* وقال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى الآية قالا: هم كفار قريش[٣].

* وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): هم المنافقون[٤].

* ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ أى: لا ينقصون من مُلْك الله وسلطانه شيئًا، ويشهد لهذا المعنى الحديث التالى:

* أخرج مسلم فى صحيحه، والترمذى، وغيرهما عن أبى ذرّ (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ فيما يروى عن الله ـ تبارك وتعالى ـ أنه قال:

«يا عبادى إنِّى حرَّمتُ الظلم عن نفسى وجعلته بينكم محرَّمًا فلا تظالموا، يا عبادى كلكم ضالّ إلا مَنْ هديته فاستهدونى أهدكم، يا عبادى كلكم جائع إلا من

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٨٢).

(٢) انظر: المفردات فى غريب القرآن للراغب ص١١٥.

(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٧٦)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٨٣).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٨٢).

أطعمته فاستطعموني أُطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوتُه فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضرِّي فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في مُلكي شيئًا، يا عبادي لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من مُلكي شيئًا، يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيتُ كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يُنقص المخيط إذا أُدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه» اهـ[1].

* ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: الحظ: النصيب والجَدّ، يقال: فلان أحظ من فلان. وجمع الحظ «أحاظ».

* **والمعنى:** لا يجعل الله لهم نصيبًا في الجنة بل لهم عذاب عظيم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَلا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [رقم: ١٧٦]

قرأ نافع بضم الياء، وكسر الزاي، على أنه مضارع «أحزن» الرباعي.

وقرأ الباقون بفتح الياء، وضم الزاي، مضارع «حزن» الثلاثي[2].

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧)﴾

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤ هـ) قال: هؤلاء هم المنافقون[3].

ومعنى ﴿اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ﴾ أي: استبدلوا الكفر بالإيمان وأخذوه بدلا عنه، وهذا مما يدل على سوء تفكيرهم، وفساد عقولهم.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٤/ ١٨٢).

(٢) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ١٤٤)، والمغني في توجيه القراءات (١/ ٣٨٠)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٦٥).

(٣) انظر: الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٨٣).

* ﴿لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾: هذا تأكيد لما قبله. و ﴿شَيْئًا﴾ منصوب على المصدر، كأنه قال: لن يضروا الله أيَّ ضرر سواء كان قليلا أو كثيراً.

* ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: مؤلم، وهو تأكيد لما قبله.

﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨)﴾

معاني المفردات:

* ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾، الإملاء: الإمهال والتأخير. ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦)﴾ [مريم: ٤٦] ـ أي: زمنًا طويلا.

المعنى: لا يحسبن هؤلاء الذين يخوفون المسلمين مع أنّ الله قادر على إهلاكهم ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ﴾ إنما يطوّل أعمارهم ليزدادوا إثمـًا بعمل المعاصى، وحينئذ يشتدّ عذابهم، ولهم عذاب مهين، ومقيم، ويشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦)﴾ [البينة: ٦].

* عن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق عن أبيه ـ رضى الله عنهما ـ قال: سُئل رسولُ الله ﷺ أىّ الناس خير؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله»، قيل: فأىّ الناس شرّ؟ قال: «من طال عمره وساء عمله» اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [رقم: ١٧٨]

* ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [رقم: ١٨٠]

قرأ حمزة بتاء الخطاب فيهما، والمخاطب نبينا «محمد» ﷺ، أو كل من يصلح للخطاب، والذين كفروا مفعول أول. و﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ إلخ بدل منه سدّ مسدّ المفعولين، لأن المبدل منه على نية الطرح والرّمْى، و«ما» موصولة أو مصدرية، أى: لا تحسبن يا مخاطب أن الذى نمليه للكفار أو إملاءنا لهم خيراً.

---
(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٧٧).

وأمّا الثانى فيقدّر فيه مضاف أى: ولا تحسبنّ بُخْلَ الذين يبخلون خيراً، فبخلَ مفعول أول، و«خيراً» مفعول ثان.

وقرأ الباقون بياء الغيب فيهما، والفاعل «الذين» فيهما و﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ سدّت مسدّ المفعولين.

أى: ولا يحسبن الذين كفروا إملاءنا لهم خيراً. وفى الثانى يقدر المفعول الأول أى: ولا يحسبن الذين يبخلون بخلَهم خيراً لهم(١).

وقرأ بفتح السين فيهما ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر، وقرأ الباقون بكسرها، وهما لهجتان(٢).

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٩)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)، ومقاتل بن حيّان البلخى (ت ١١٠هـ) وغيرهم قالوا: الخطاب هنا للكفار، والمنافقين(٣).

✳ **والمعنى:** ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه من الكفر والنفاق، وعداوة النبى ﷺ.

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى الآية قال: يقول الله ـ تعالى ـ للكفار: لم يكن ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من الضلالة حتى يميز الخبيث من الطيب، فميز بينهم بالجهاد، والهجرة(٤).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٨٠ ـ ٣٨١)، والنشر لابن الجزرى بتحقيقنا (٣/ ١٩)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٤٤)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ١٢٦)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٦٧)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٨٢.

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٤٥).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ١٨٤).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٨٣ ـ ١٨٤).

* وعن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قال: ميّز بينهم يوم أُحُد: المنافق من المؤمن[١].

* ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾: الخطاب هنا للمؤمنين.

✵ **والمعنى:** ما كان الله ليعيّن لكم أيها المؤمنون، المنافقين حتى تعرفوهم، ولكن أظهر ذلك بالتكليف والمحنة، وقد ظهر ذلك جليّا يوم أُحُد، فإن المنافقين تخلفوا وأظهروا الشماتة.

* ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ أي: يختار من رسله من يشاء فيطلعه على بعض الغيوب. والدليل على هذا قوله ـ تعالى ـ: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

* ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ أي: عليكم التصديق بوحدانية الله ـ تعالى ـ، وبأنه أرسل رسلا مبشرين ومنذرين وكان في خاتمتهم نبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾: وهو جنة عرضها السموات والأرض أعدها الله ـ تعالى ـ لعباده المؤمنين الموحدين الصادقين.

ويشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ (٢٤) ﴾ [الحج: ٢٣ ـ ٢٤]

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [رقم: ١٧٩]

ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [الأنفال: ٣٧].

قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ يميز ﴾ في الموضعين بضم الياء، وفتح الميمْ، وكسر الياء مشدّدة، مضارع «ميّز يميّز» مضعف العين، مثل «كرَّم يكرِّم».

وقرأ الباقون بفتح الياء، وكسر الميم، وإسكان الياء، مضارع «ماز يميز» مثل: «كال يكيل» معتلّ العين، وهما لهجتان ترجعان إلى أصل الاشتقاق: فالقراءة الأولى من «التميز». والمعنى: يقال: ميزت بين الأشياء، بمعنى فرقت بينها. والقراءة الثانية من «الميْز».

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٨٤).

✻ **والمعنى:** يقال: ماز الشيء إذا فرقه، وفصل بينه وبين غيره[١].

قال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) في مادة «ميز»: الميْز، والتمييز: الفصل بين المتشابهات. يقال: مازه يميزه ميزاً، وميّزه تمييزاً[٢].

﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾:

✻ **المعنى:** ولا يحسبن الباخلون بأموالهم ولا ينفقونها في سبيل الله، ولا يؤدّون زكاتها بخلَهم خيراً لهم، بل هو شرٌّ لهم، لأنهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بأن يجعل اللهُ ماله الذي بخل به حيّة تطوّق عنقه يوم القيامة تنهشه من فوقه إلى قدميه.

ويشهد لصحة هذه المعاني الأحاديث التالية:

* الحديث الأول: أخرج البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالا فلم يؤدِّ زكاته مثل له شجاع أقرع له زبيبتان يطوّقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه ـ أي شدقيه ـ فيقول: أنا مالك، أنا كنزك ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾ الآية»[٣].

* الحديث الثاني: أخرج أحمد، وعبد بن حميد، الترمذي وصححه، وابن ماجه، والنسائي، وابن جرير، وابن خزيمة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: «ما من رجل لا يؤدِّي زكاة ماله إلا مُثّل له يوم القيامة شجاعًا أقرع يفرُّ منه وهو يتبعه فيقول: أنا كنزك حتى يطوِّقه في عنقه»، ثم قرأ علينا النبي ﷺ مصداقه من كتاب الله: ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾ الآية[٤].

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٣٨٢)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ١٩)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ١٦٩)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٨٣.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب ص٤٧٨.

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٨٤).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٨٤ ـ ١٨٥).

* الحديث الثالث: أخرج سعيد بن منصور، والبيهقى فى الشعب عن أبى الدرداء (ت ٣٢هـ - رضى الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بصاحب المال الذى أطاع الله فيه وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله: امض فقد أدّيت حقّ الله فىّ، ثم يجاء بصاحب المال الذى لم يطع الله فيه وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله: ويلك ألا أديت حقّ الله فىّ؟ فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور» اهـ[(١)].

* ويصدق هذه المعاني قول الله - تعالى -: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥) ﴾ [التوبة: ٣٤ - ٣٥]

* ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾: أى: هو الباقى الدائم بعد فناء خلقه، وزوال ممتلكاتهم ويصدّق هذا المعنى قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠) ﴾ [مريم: ٤٠]. وقوله - تعالى -: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

* ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ فيجازى المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، ولا يظلم ربك أحدًا. قال - تعالى -: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [رقم: ١٨٠]

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: ﴿ يعملون ﴾ بياء الغيبة، لمناسبة قوله - تعالى - أوّل الآية: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾ إلخ.

وقرأ الباقون بتاء الخطاب، لمناسبة قوله - تعالى - قبلُ: ﴿ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [رقم: ١٧٩][(٢)].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٨٥).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٨٢)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ١٢٨)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٦٩)، وحجة القراءات لابن زنجلة ص١٨٤، وإتحاف فضلاء البشر ص١٨٣.

﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزول هذه الآية عدد من الروايات اخترت منها الرواية التالية حرصًا على عدم الإطناب:

* أخرج ابن أبى حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: أتت اليهود «محمداً» ﷺ حين أنزل الله: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، فقالوا: يا محمد أفقير ربنا يسأل عباده القرض؟ فأنزل الله: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا... ﴾ الآية[(١)].

معانى المفردات:

* ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾:

المعنى: ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ قبيح قول اليهود، منهم: حُيَىْ بن أخطب، وفنحاص بن عازوراء لما قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء يقترض منّا.

وإنما قالوا هذا تمويهًا على ضعفائهم، لأنهم أرادوا تشكيك الضعفاء منهم ومن المؤمنين، وتكذيب النبى ﷺ.

* ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ﴾ أى: سنأمر الحفظة بإثبات قولهم حتى يقرأوه يوم القيامة فى كتبهم التى يُؤتونها، ليكون ذلك آكد فى إقامة الحجة عليهم.

ويصدّق هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) ﴾ [الكهف: ٤٩].

* ﴿ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ أى: ونكتب رضاهم بقتل الأنبياء بغير حق ـ المراد قتل أسلافهم ـ لكن لما رضوا بذلك صحت الإضافة إليهم.

---

(١) انظر: أسباب النزول للشيخ القاضى ص٥٨، وتفسير البغوى (١/ ٣٧٩)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ١٨٦).

* ﴿ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ أى: يقال لهم فى جهنم، ويشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧) ﴾ [فاطر: ٣٧].

ويقال لهم أيضًا:

﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (١٨٢) ﴾

أى: ذلك العذاب الذى أنتم فيه بسبب الأعمال السيئة غير المشروعة وبخاصة كفركم بالله وأنبيائه. وصدق الله إذ قال: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣) ﴾ [النحل: ٣٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ سَنَكْتُبُ ﴾، ﴿ وَقَتْلَهُمُ ﴾، ﴿ وَنَقُولُ ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [رقم: ١٨١].

قرأ حمزة: ﴿ سيُكتَب ﴾ بياء مضمومة، وفتح التاء، مبنيًا للمفعول، و«ما» اسم موصول، أو مصدرية نائب فاعل، والتقدير: سيُكتب الذى قالوه، أو سيكتب قولهم.

وقرأ ـ أى حمزة ـ ﴿ وقتلُهم ﴾ برفع اللام عطفًا على «ما». وقرأ أيضًا ﴿ ويقول ﴾ بياء الغيبة. وذلك لمناسبة قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ .. ﴾ إلخ. وهو معطوف على ﴿ سيكتب ﴾.

وقرأ الباقون ﴿ سنكتُب ﴾ بنون العظمة، وضم التاء مبنيًا للفاعل، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره ﴿ نحن ﴾ وهو يعود على الله ـ تعالى ـ، وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم، و«ما» مفعول به. و﴿ قتلَهم ﴾ بنصب اللام، عطفًا على «ما». و﴿ نقول ﴾ بنون العظمة، وهو معطوف على ﴿ سنكتب ﴾[1].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٢٠)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٦٩)، وحجة القراءات لابن زنجلة ص١٨٤.

﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* عن الكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ) قال: نزلت فى كعب بن الأشرف، ومالك بن الصَّيف، ووهب بن يهوذا، وزيد بن تابوه، وفنحاص بن عازوراء، وحُيَى بن أخطب أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: تزعم أن الله بعثك إلينا رسولاً، وأنزل عليك كتابًا، وأن الله قد عهد إلينا فى التوراة أن لا نؤمن لرسول يزعم أنه من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار، فإن جئتنا به صدقناك، فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية(١).

معانى المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ قَالُوا ﴾: ﴿ الَّذِينَ ﴾ فى موضع خفض بدلا من ﴿ الَّذِينَ ﴾ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا ﴾ [رقم: ١٨١].

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا ﴾ أى: أمرنا وأوصانا فى كتبه المنزلة على أنبيائه.

* ﴿ أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾ فأكذبهم الله ـ تعالى ـ وقال لنبيه «محمد» ﷺ قل لهم:

* ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ ﴾: من القربان.

* ﴿ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ ﴾ مثل: «زكريا ويحيى» ـ عليهما السلام ـ. والمراد بذلك أسلافهم، وخاطبهم بذلك لأنهم رضوا بفعل أسلافهم.

* ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾: فى هذا تكذيب لهم فى دعواهم الباطلة.

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (١٨٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ الخطاب هنا لنبينا «محمد» ﷺ، والهدف تسلية الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٣٨، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٥٩، وتفسير القرطبى (٤/ ١٨٨)، وتفسير البغوى (١/ ٣٨٠).

يقول لنبيه ﷺ: لا تحزن يا محمد على تكذيب هؤلاء الكفار والمنافقين لك، فالأنبياء السابقون كذبتهم أممهم مع أنهم جاءوهم بالبينات، أي: الدلالات الواضحات على صدق نبوتهم.

* ﴿ وَالزُّبُرِ ﴾ أي: الكتب المزبورة يعنى المكتوبة.

* ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ أي: الواضح المضيء، قال الله - تعالى - في وصف القرآن: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً (١٧٤) ﴾ [النساء: ١٧٤].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [رقم: ١٨٤]

قرأ ابن عامر: ﴿ وبالزبر ﴾ بزيادة باء موحدة بعد الواو، وقد جاء رسم المصحف الشامي موافقًا لهذه القراءة.

وقرأ هشام بخُلْف عنه: ﴿ وبالكتاب ﴾ بزيادة باء موحدة بعد الواو، وقد جاء رسم المصحف الشامي موافقًا لهذه القراءة.

وقرأ الباقون: ﴿ والزبر والكتاب المنير ﴾ بحذف الباء فيهما، وقد جاء رسم بقية المصاحف تبعًا لهذه القراءة(١).

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾: ﴿ ذائقة ﴾ من الذوق، وهذا لا محيص عنه للإنسان، ولا محيد عنه للحيوان.

قال أميّة بن الصَّلْت:

الموت باب وكل الناس داخله ... فليت شعري بعد الباب ما الدَّار

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٣٨٥)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٢٠)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٧٠)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ١٤٦).

* ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أى: توفون جزاء أعمالكم: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

* ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ ﴾ أى: أبعد عن النار.

* ﴿ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ أى: ظفر بما يرجو، ونجا مما يخاف.

* أخرج أحمد عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبَّ أن يُزحزح عن النار وأن يدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه»(١).

* ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ أى: تغرُّ الإنسان وتخدعه فيظن طول البقاء وهى فانية.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝٥ ﴾ [فاطر: ٥].

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝١٨٦ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لَتُبْلَوُنَّ ﴾ أى: لتختبرنّ.

* ﴿ فِي أَمْوَالِكُمْ ﴾: بالجوائح والعاهات والخسران.

* ﴿ وَأَنفُسِكُمْ ﴾: بالأمراض، والموت، وفقد الأحباب.

* ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ أى: اليهود والنصارى.

* ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ أى: مشركى العرب.

* ﴿ أَذًى كَثِيرًا ﴾ أى: باللسان، مثل: السبّ والشتم.

* ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا ﴾ على أذاهم.

* ﴿ وَتَتَّقُوا ﴾ أى: تخافوا الله ـ تعالى ـ ولا تلتفتوا لما يقولونه لكم.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٨٨).

* ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾

* عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قال: هذا من حق الأمور التى أمر الله بها(١).

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧)﴾

معنى الآية:

* عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى الآية قال: فى التوراة، والإنجيل: أن الإسلام دين الله الذى افترضه على عباده، وأن «محمدًا» رسول الله يجدونه مكتوبًا عندهم فى التوراة والإنجيل فنبذوه(٢).

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى الآية قال: هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم، فمن علم علمًا فليعلّمه الناس، وإياكم وكتمان العلم فإن كتمان العلم هلكة، ولا يتكلّفنّ رجل ما لا علم له به فيخرج من دين الله فيكون من المتكلفين(٣).

قال الله ـ تعالى ـ لنبيه «محمد» ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦)﴾ [ص: ٨٦].

* عن عطاء بن أبى رباح عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من سئل عن عِلْم عن عَلِمه وكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار» اهـ(٤).

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قال: لولا الميثاق الذى أخذه الله على أهل العلم ما حدَّثتكم بكثير مما تسألون عنه(٥).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿تُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [رقم: ١٨٧]

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وشعبة: ﴿ليبيننه للناس ولا يكتمونه﴾ بياء الغيبة فيهما، وذلك على إسناد الفعلين إلى ﴿الذين أوتوا الكتاب﴾.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٨٩).
(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى(٢/ ١٩٠).
(٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٨٣). (٥) انظر: تفسير الدر المنثور (٢/ ١٩١).

وقرأ الباقون بتاء الخطاب فيهما، على الحكاية أى قلنا لهم: ﴿لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾[١].

﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨)﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج البخارى، ومسلم، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه -: أن رجالاً من المنافقين كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغَزْو تخلّفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم رسول الله - عليه الصلاة والسلام - من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبّوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا﴾ الآية[٢].

معنى الآية:

* أخرج ابن جرير عن ابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت ١٧٠هـ) فى الآية قال: هؤلاء المنافقون يقولون للنبى ﷺ: لو خرجت - أى للجهاد - لخرجنا معك، فإذا خرج النبى ﷺ تخلفوا وكذبوا، ويفرحون بذلك، ويرونها أنها حيلة احتالوا بها[٣].

* ﴿فَلا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ أى: بمنجاة من العذاب، بل ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ [رقم: ١٨٨]

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٨٦).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٤٠، وأسباب النزول للقاضى ص٦٠، وتفسير القرطبى (٤/ ١٩٥)، وتفسير البغوى (١/ ٣٨٤)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٩١).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٩١).

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿لا يحسبن﴾، ﴿فلا يحسبنهم﴾ بياء الغيب فيهما، وفتح الباء في الأول، وضمها في الثاني، والفعل الأول مسند إلى الرسول ﷺ و﴿الذين﴾ مفعول أول، والمفعول الثاني ﴿بمفازة﴾ أي: لا يحسبن الرسول الفرحين ناجين. والفعل الثاني وهو ﴿فلا يحسبنهم﴾ مسند إلى ضمير ﴿الذين﴾ ومنْ ثَمَّ ضمت الباء لتدلّ على واو الضمير المحذوفة لسكون النون بعدها، ومفعوله الأول والثاني محذوف تقديرهما: كذلك أي: فلا يحسبن الفرحون أنفسهم ناجية، والفاء عاطفة.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف البزّار: ﴿لا تحسبن﴾، ﴿فلا تحسبنهم﴾ بتاء الخطاب وفتح الباء فيهما، والفعل فيهما مسند إلى المخاطب، والفعل الثاني تأكيد للأوّل.

✳ **والمعنى:** لا تحسبنّ يا مخاطب الفرحين ناجين لا تحسبنهم كذلك.

وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: ﴿لا يحسبن﴾، ﴿فلا تحسبنهم﴾ بياء الغيب في الأول، وتاء الخطاب في الثاني، وفتح الباء فيهما، على إسناد الفعل الأول إلى ﴿الذين﴾ والثاني إلى المخاطب.

وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر بفتح السين فيهما.

وقرأ الباقون بكسر السين فيهما، وهما لهجتان(١).

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٨٩)﴾

✳ **المعنى:**

* ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي: ومن فيهنّ يصرّفها كيف يشاء، وفق قدرته وحكمته.

* ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، ولا من فيهن.

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨)، والمستنير في تخريج القراءات (١/ ١٣٢).

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) ﴾

* عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) أنها قالت: لما نزلت هذه الآية على النبى ﷺ قام يصلّى، فأتاه بلال يُؤْذنه بالصلاة، فرآه يبكى، فقال: يا رسول الله أتبكى وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر، فقال: «يا بلال أفلا أكون عبداً شكوراً، ولقد أنزل الله علىّ الليلة آية: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» اهـ[1].

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) ﴾

* المعنى:

* ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: هذه حالاتك كلها يا ابن آدم، اذكر الله وأنت قائم، فإن لم تستطع فاذكره جالسًا، فإن لم تستطع فاذكره وأنت على جنبك، يُسْرٌ من الله وتخفيف. اهـ[2].

* ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾: وما أبدع الله فيهما ليدلهم ذلك على قدرة الله، ويعرفوا أن لها موجداً أوجدها من العدم على غير مثال سبق. ويقولون: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً ﴾ أى: عبثًا، بل خلقته لحكَم جليلة، وأمر عظيم * ﴿ سُبْحَانَكَ ﴾ أى: تنزيهًا لك عن كل عيب ونقص. * ﴿ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ احفظنا وجنبنا عذاب النار، فقد قلت وقولك الحق: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

* أخرج أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله» اهـ[3].

(١) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ١٩٧).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٩٤).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٩٥).

* وأخرج أبو الشيخ فى العظمة عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «تفكّر ساعة خير من عبادة ستين» اهـ - أى ستين سنة -(١).

* وأخرج الأصبهانى فى الترغيب عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ينادى مناد يوم القيامة أين أولو الألباب؟» قالوا: أىّ أولى الألباب تريد؟ قال: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ عقد لهم لواء، فاتبع القوم لواءهم وقال لهم: ادخلوها خالدين» اهـ(٢).

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) ﴾

المعنى:

* ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ﴾ هذا من أدعية أولى الألباب يقولون: يا ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته، أى أذللته وأهنته، فنجنا يا ربنا من النار ومن عذاب النار ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ أى: يمنعونهم من عذاب الله - تعالى -، لأن قضاءه - عز وجل - نافذ لا محالة.

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ﴾: هذا من أدعية أولى الألباب، أى: ويقولون: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا ... ﴾ إلخ المنادى هو نبينا «محمد» ﷺ، فآمنا به وصدقناه، وآمنا بالكتاب الذى أنزلته عليه، وبالدين الذى جاءنا به.

* ﴿ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴾ أى: المقربين. اللهم إنى أسألك بقلب مخلص أن تجعلنى من المقربين إنك سميع الدعاء، وما ذلك عليك بعزيز، تقول للشىء كن فيكون، اللهم آمين.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٩٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٩٤).

قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) ﴾ [الواقعة: ٨٨ ـ ٨٩].

﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) ﴾

* **المعنى:** هذا ختام أدعية أولى الألباب. اللهم اجعلنى من الذين يفوزون بثوابك، واجعلنى فى جنات النعيم، إنك أنت الله الرحمن الرحيم.

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج سعيد بن منصور، وعبد الرزاق، والترمذى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والحاكم وصححه عن «أم سلمة» أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ قالت: يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء فى الهجرة بشىء؟ فأنزل الله: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ الآية. قالت الأنصار: هى أوّل ظعينة قدمت علينا. اهـ[١].

معانى المفردات:

* ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ أى: أجابهم.

قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): ما زالوا يقولون ربّنا ربّنا. حتى استجاب لهم[٢].

* وعن جعفر الصادق بن محمد بن على (ت ١٤٨هـ) قال: من حزبه أمر فقال خمس مرات «ربَّنا» أنجاه الله مما يخاف، وأعطاه ما أراد، قيل: وكيف ذلك؟ قال: اقرأوا إن شئتم: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ١٩١ ـ ١٩٤][٣].

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٤٣، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٦٠، وتفسير القرطبى(٤/ ٢٠٣)، وتفسير البغوى (١/ ٣٨٦)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٩٧).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ٢٠٢).

* ﴿أَنِّي﴾ أى: بأنّى. * ﴿لا أُضِيعُ﴾ أى: لا أحبط.

* ﴿عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾:

* قال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) رجالكم شكل نسائكم فى الطاعة، ونساؤكم شكل رجالكم فى الطاعة، نظيرها قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١](١).

* ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ أى: هجروا أوطانهم وخرجوا مهاجرين إلى المدينة المنورة فرارًا بدينهم.

* ﴿وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ بسبب إيمانهم بنبينا «محمد» ﷺ، ووحدانية الله ـ تعالى ـ.

* ﴿وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ أى: آذاهم كفار مكة بسبب إيمانهم بوحدانية الله ـ تعالى ـ ونبذ عبادة الأوثان.

* ﴿وَقَاتَلُوا﴾ أى: قاتلوا كفار مكة، مثال ذلك: غزوة بدر الكبرى التى وقعت فى الثانية من الهجرة، وغزوة أُحُد، التى وقعت فى الثالثة من الهجرة.

* ﴿وَقُتِلُوا﴾ أى: استشهدوا دفاعًا عن دينهم وعقيدتهم.

* ﴿لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أى: لأسترنّها عليهم فى الآخرة، فلا أوبخهم بها، ولا أعاقبهم عليها. وهذا خبر من الله ـ تعالى ـ مؤكد باللام والنون لأهميّته، وخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ دائمًا متمحِّض للصدق. ومن الأدلّة على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً (١٢٢)﴾ [النساء: ١٢٢].

* ﴿وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ أى: حسن الجزاء.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ [رقم: ١٩٥]

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار بتقديم ﴿قتلوا﴾ على ﴿قاتلوا﴾ وذلك على التوزيع لأن منهم من قُتِل ومنهم قاتل.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ٢٠٣)، وتفسير البغوى (١/ ٣٨٧).

وقرأ الباقون بتقديم ﴿ قاتلوا ﴾ على ﴿ قتلوا ﴾ لأن القتال يكون عادة قبل القتل[١].

﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

قال بعض المفسرين: هذه الآية نزلت فى المشركين: وذلك أنهم كانوا فى رخاء ولين من العيش، يتنعمون، وكانوا يتّجرون، فقال بعض المؤمنين: إن أعداء الله فيما نرى من الخير، ونحن فى الجوع والجهد. فأنزل الله هذه الآية[٢].

المعنى:

* ﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ ﴾: الخطاب هنا لنبينا «محمد» ﷺ، والمراد أمّته أى: لا يغرّنك يا مخاطب ما عليه الكفار فى الدنيا: من سفرهم فى الأرض للتجارة، وأنواع المكاسب؛ لأن هذه الحياة الدنيا مصيرها إلى الفناء والزوال، قال ـ تعالى ـ:

﴿ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) ﴾

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لا يَغُرَّنَّكَ ﴾ [رقم: ١٩٦]

قرأ رويس بسكون النون مخففة، على أنها نون التوكيد الخفيفة.

وقرأ الباقون بفتح النون مشدّدة، على أنها نون التوكيد الثقيلة[٣].

﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ (١٩٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾:

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٨٨)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ١٣٤)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٤٨).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٤٣، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٦٠، وتفسير القرطبى (٤/ ٢٠٣)، وتفسير البغوى (١/ ٣٨٧).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٤٨)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٨٩).

* **المعنى:** هذا استدراك على ما يستفاد من الآيتين السابقتين إذْ معناهما تقلب الكفار فى البلاد متاع قليل فى الدنيا وسيزول، وسيكون مصيرهم يوم القيامة النار وبئس القرار.

أمّا المتقون فسيكون لهم يوم القيامة النعيم الدائم الذى لا ينقطع أبدًا، ولهم فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويشهد لهذه المعانى قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢) ﴾ [فصلت: ٣١ ـ ٣٢].

* ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾: ﴿ خَالِدِينَ ﴾ منصوب على الحال أى: أهل الجنة خالدون فيها أبدًا، و«النزل» هو ما يهيأ للضيف من أنواع التكريم، والنزيل: هو الضيف، قال الشاعر:

نزيل القوم أعظمهم حقوقًا وحقّ الله فى حقِّ النزيل

* ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ ﴾ أى: ما هو مدّخر عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ لعباده المتقين لا يقاس بأىّ حال من الأحوال بنعيم الدنيا الفانى، لأنه بجانب نعيم الآخرة لا يزن عند الله جناح بعوضة، ومما يدلّ على حقارة نعيم الدنيا زواله وفناؤه.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٩٨، الزمر: ٢٠]

قرأ أبو جعفر ﴿ لكنّ ﴾ فى الموضعين بنون مفتوحة مشدّدة، على أن ﴿ لكنَّ ﴾ عاملة عمل ﴿ إنّ ﴾ و﴿ الذين ﴾ اسمها.

وقرأ الباقون ﴿ لكنْ ﴾ فى الموضعين بنون ساكنة مخففة مع تحريكها وصلاً بالكسر تخلصًا من التقاء الساكنين، على أنها مخففة مهملة لا عمل لها، و﴿ الذين ﴾ مبتدأ[1].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٩١)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٣٢٤)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٤٩)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٨٤.

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩٩) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* قال جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى (ت ٧٨هـ - رضى الله عنهما)، وأنس بن مالك (ت ٩٣هـ - رضى الله عنه)، وابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قالوا: نزلت فى النجاشى ملك الحبشة، واسمه «أصحمة»: وذلك أنه لما مات نعاه «جبريل» - عليه السلام - للرسول ﷺ فى اليوم الذى مات فيه.

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم» فقالوا: ومن هو؟ فقال: «النجاشىّ». فخرج رسول الله ﷺ إلى البقيع، وصلّى عليه، وكبّر أربع تكبيرات، واستغفر له، وقال لأصحابه: «استغفروا له».

فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلّى على علج حبشىّ نصرانىّ، لم يره قط، وليس على دينه. فأنزل الله - تعالى - هذه الآية. اهـ[١].

معانى المفردات:

* ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾: وهو القرآن.
* ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ أى: التوراة والإنجيل.
* ﴿ خَاشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ أى: خاضعين، ومتواضعين لله - تعالى -.
* ﴿ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ كفعل غيرهم من اليهود والنصارى.
* ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ أى: ثواب إيمانهم وأعمالهم الصالحة.
* ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾.

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٤٤، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٦١، وتفسير البغوى (١/ ٣٨٨)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٠٠).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠) ﴾

✵ المعنى:

* أخرج أبو نعيم عن أبى الدرداء (ت ٣٢هـ - رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا ﴾ على الصلوات الخمس، ﴿ وَصَابِرُوا ﴾: على قتال عدوكم بالسيف، ﴿ وَرَابِطُوا ﴾: فى سبيل الله لعلكم تفلحون» اهـ(١).

* وأخرج البخارى، ومسلم، والترمذى، والبيهقى فى الشعب عن سهل بن سعد بن مالك (ت ٩١هـ): أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها» اهـ(٢).

* وأخرج ابن ماجه بسند صحيح عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ - رضى الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال: «من مات مرابطًا فى سبيل الله أجرى عليه أجر عمله الصالح الذى كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأَمِنَ من الفتّان، وبعثه الله يوم القيامة آمنًا من الفزع»(٣).

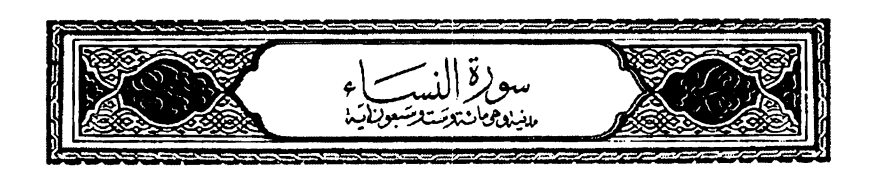
تم ولله الحمد تفسير سورة آل عمران

ويليها بإذن الله - تعالى -

[تفسير سورة النساء]

●●●

(١ : ٣) تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٠٢).



* أخرج ابن الضريس فى فضائله، والنحّاس فى ناسخه، وابن مردويه، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: نزلت سورة النساء بالمدينة[1].

تفسير سورة النساء

وبالله التوفيق: الآية رقم ١

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ قال: من آدم.

* ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ قال: خلق حوَّاء من قصيراء أضلاعه[2].

* ﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ أى: فرق ونشر من آدم وحواء عدداً كثيراً من الرجال والنساء.

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: وُلِدَ لآدم ـ عليه السلام ـ أربعون ولداً: عشرون غلامًا، وعشرون جارية[3].

* ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾:

* أخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨ هـ) قال: ذكر لنا أن النبى ﷺ كان يقول: «اتقوا الله، وصلوا الأرحام، فإنه أبقى لكم فى الدنيا، وخير لكم فى الآخرة» اهـ[4].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٠٥).
(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٠٦).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٠٧).

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ كان يقول: اتقوا الله الذى تساءلون به، واتقوا الأرحام وصلوها(١).

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾:

* عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) قال: رقيبًا على أعمالكم: يعلمها ويعرفها(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ تَسَاءَلُونَ ﴾ [رقم: ١]

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائى، وخلف البزار: ﴿ تساءلون ﴾ بتخفيف السين، وذلك على حذف إحدى التاءين لأن أصلها ﴿ تتساءلون ﴾.

وقرأ الباقون ﴿ تسَّاءلون ﴾ بتشديد السين، وذلك على إدغام التاء فى السين(٣).

* ﴿ وَالأَرْحَامَ ﴾ [رقم: ١]

قرأ حمزة: ﴿ والأرحامِ ﴾ بخفض الميم عطفًا على الضمير المجرور فى «به».

وقضية العطف على الضمير المخفوض بدون إعادة العاطف من القضايا النحوية التى اختلف فيها نحاة الكوفة، والبصرة قديمًا(٤).

وقرأ الباقون ﴿ والأرحامَ ﴾ بنصب الميم عطفًا على لفظ الجلالة: ﴿ اللَّهَ ﴾على معنى: واتقوا الأرحام أن تقطعوها(٥).

﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن أبى حاتم، عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قال: إن رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم طلب ما له فمنعه عنه، فخاصمه إلى النبى ﷺ فنزلت: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ﴾ الآية.. اهـ(٦).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٠٦). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٠٧).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٩٢)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٢٤).

(٤) انظر: تفاصيل ذلك فى المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٩٣).

(٥) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٩٢).

(٦) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٤٦، وأسباب النزول للقاضى ص٦٢، وتفسير القرطبى (٥/ ٨)، وتفسير البغوى (١/ ٣٩٠)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٠٧).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ﴾: هذا فعل أمر من الله ـ تعالى ـ إلى أولياء وأوصياء اليتيم، والأصل فى فعل الأمر أن يكون للوجوب، واليتامى جمع يتيم، واليتيم: هو من مات والده وهو دون البلوغ سواء كان ذكرًا أو أنثى.

* ﴿ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤)هـ قال: لا تأخذوا الحرام بالحلال أى: لا تعجل بالحرام قبل أن يأتيك الحلال الذى قدّره الله لك اهـ(١).

* وعن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧ هـ) قال: كان أحدهم يأخذ الشاة السّمينة من غنم اليتيم ويجعل مكانها الشاة المهزولة ويقول: شاة بشاة، ويأخذ الدرهم الجيّد ويطرح مكانه الزيف ويقول: درهم بدرهم اهـ(٢).

* ﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ﴾:

* عن مجاهد بن جبر قال: لا تأكلوا أموالهم مع أموالكم، أى: تخلطونها فتأكلونها جميعًا.. اهـ(٣).

* ﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كان إثمًا عظيمًا.. اهـ(٤).

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا (٣) ﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

* أخرج البخارى، ومسلم: أن عروة بن الزبير (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) سأل خالته «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) عن هذه الآية فقالت:

نزلت فى اليتيمة تكون فى حِجْر وليها، تشركه فى مالها، ويعجبه مالها وجمالها فيريد أن يتزوجها من غير أن يقسط فى صداقها فلا يعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٠٧).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٠٨).

أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا إليهنّ، ويبلغوا بهنّ أعلى سنتهن فى الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن.. اهـ[١].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ ﴾ الآية:

* عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) قال: كان الرجل يتزوج ما شاء، فقال الله ـ تعالى ـ: كما تخافون ألا تعدلوا فى اليتامى فخافوا فى النساء ألا تعدلوا فيهنّ، فقصرهم الله على أربع.. اهـ[٢].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى الآية قال: كما خفتم ألا تعدلوا فى اليتامى فخافوا ألا تعدلوا فى النساء إذا جمعتموهنّ عندكم.. اهـ[٣].

* ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ ﴾:

* عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم ﴾ أى: ما أحلّ الله لكم[٤].

* وأخرج الشافعى، وابن أبى شيبة، وأحمد، والترمذى، وابن ماجه، والنحاس فى ناسخه، والدارقطنى، والبيهقى عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) أنّ غيلان بن سلمة الثقفى أسلم وتحته عشر نسوة فقال له النبى ﷺ: «اختر منهنّ ـ وفى لفظ ـ أمسك أربعًا وفارق سائرهنّ» اهـ[٥].

* وأخرج ابن أبى شيبة، والنحاس فى ناسخه عن قيس بن الحارث: أسلمتُ وكان تحتى ثمانى نسوة، فأتيتُ رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «اختر منهنّ أربعًا وخلِّ سائرهنّ ففعلتُ» اهـ[٦].

* وأخرج ابن أبى شيبة، والبيهقى فى سننه عن الحكم قال: أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أن المملوك لا يجمع من النساء فوق اثنتين[٧].

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٤٧، وأسباب النزول للقاضى ص٦٢، وتفسير القرطبى (٥/ ٩)، وتفسير البغوى (١/ ٣٩١)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٠٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور (٢/ ٢٠٩). (٣ : ٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى(٢/ ٢١٠).

* ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى الآية قال: إن خفتَ ألا تعدل فى أربع، فثلاث، وإلا فاثنتين، وإلا فواحدة، فإن خفتَ ألا تعدل فى واحدة فما ملكت يمينك.. اهـ[١].

* وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ فكانوا فى حلال مما ملكت أيمانهم من الإماء كلهنّ، ثم أنزل الله بعد هذا تحريم نكاح المرأة وأمّها، ونكاح ما نكح الآباء والأبناء، وأن يجمع بين الأخت والأخت من الرضاعة، والأمّ من الرضاعة، والمرأة لها زوج حرّم الله ذلك: حرّ من حرّة، أوْ أمة[٢].

* ﴿ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا ﴾: عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قالا: أن لا تميلوا[٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ [رقم: ٣]

قرأ أبو جعفر ﴿ فواحدةُ ﴾ برفع التاء، على أنها خبر لمبتدأ محذوف، أى فالمقنع واحدة، أو فاعل لفعل محذوف، والتقدير: فيكفى واحدة.

وقرأ الباقون: ﴿ فواحدةً ﴾ بالنصب، على أنها مفعول لفعل محذوف والتقدير: فانكحوا واحدةً.. اهـ[٤].

﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا (٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾: الأظهر، والأرجح أن فعل الأمر هنا موجّه للأزواج، أمرهم الله ـ تعالى ـ أن يؤتوا المرأة التى يريد الواحد منهم زواجها صداقها، وقلت: هذا الأرجح لأن الخطاب فى الآيات التى من قبلُ كان مع الناكحين.

(١) انظر: تفسير الدر المنثورللسيوطى (٢/ ٢١٠).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢١١).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٩٦)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٢٥).

* عن مقاتل بن حيّان البلحى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ صَدُقَاتِهِنَّ ﴾ قال: مهورهنّ.. اهـ[١].

* ﴿ نِحْلَةً ﴾ أى: عن طيب نفس من الأزواج من غير تنازع. والصداق من الزوج للمرأة: فريضة واجبة، وقد قال بذلك كل من:

١ ـ «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها).

٢ ـ قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)[٢].

٣ ـ ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ)[٣].

٤ ـ ابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ)[٤].

• **فائدة مهمة:**

اتفق العلماء على أنه لا حدّ لأقلّ الصداق، ومن الأدلّة على ذلك الأحاديث التالية:

أولا: أخرج أحمد، عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن رجلا أعطى امرأة صداقًا ملء يديه طعامًا كانت له حلالا» اهـ[٥].

ثانيًا: أخرج ابن أبى شيبة عن ابن أبى لبيبة عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ: «من استحلّ بدرهم فقد استحلّ»[٦].

ثالثًا: أخرج ابن أبى شيبة عن عامر بن ربيعة: أن رجلا تزوّج على نعلين فأجاز النبى ﷺ نكاحه[٧].

* ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا ﴾: ﴿ نَفْسًا ﴾ تمييز محوّل عن الفاعل، والتقدير: فإن طابت أنفسهنّ لكم عن شىء فوهبنه لكم من الصداق.

* ﴿ فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾: الهنىء: الطيب المساغ الذى لا ينغصّه شىء، والمرىء: المحمود العاقبة.

عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى الآية قال: إذا كان من غير إضرار، ولا خديعة فهو هنىء مرىء كما قال الله ـ تعالى ـ[٨].

(١ ـ ٢) انظر: الدر المنثور فى التفسير المأثور (٢/ ٢١٢). (٣ ـ ٤) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٨).
(٥ : ٨) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢١٢).

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾: اختلف المفسرون فى المراد بهؤلاء السفهاء:

١ - قيل: هم النساء، قال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): النساء من أسفه السفهاء(١).

وحينئذ يكون المعنى كما قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) نهى الله الرجال أن يؤتوا النساء أموالهم وهنّ سفهاء: سواء كن أزواجًا، أو بنات، أو أمّهات(٢).

* وقد استثنى النبى ﷺ من النساء التى أطاعت قيمها، واعتبرها غير سفيهة.

والدليل على ذلك الحديث التالى:

* أخرج ابن أبى حاتم عن أبى أمامة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ النساء السفهاء، إلا التى أطاعت قيّمها» اهـ(٣).

٢ - وقال ابن عباس - رضى الله عنهما -: هم بنوك، والنساء، ثم قال: لا تعمد إلى مالك وما خوّلك الله معيشة فتعطيه امرأتك، أو بنيك، ثم تضطر إلى ما فى أيديهم، ولكن أمسك مالك وأصلحه، وكن أنت الذى تنفق عليهم فى كسوتهم، ورزقهم، ومؤنتهم(٤).

٣ - وعن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ)، وسعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) قالا: هو مال اليتيم يكون عندك، لا تؤتيه إيّاه وأنفق عليه حتى يبلغ(٥).

* ﴿ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾: أصل ﴿ قِيَامًا ﴾ «قوامًا» فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها.

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (١٠٤هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠) قالا: معنى ﴿ قِيَامًا ﴾ أى: قيام عيشك(٦).

(١ - ٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٩٣).
(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢١٣).
(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢١٤).

* وقال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): به يقـام الحجّ، والجهاد، وأعمال البرّ، وبه فكاك الرقاب من النار[١].

* ﴿ وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا ﴾ أى: أطعموهم.

* وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أى: أنفقوا عليهم[٢].

* ﴿ وَاكْسُوهُمْ ﴾: وهذا فيمن يلزم الرجل نفقته وكسوته من زوجه وبنيه الصغار.

ولعلّ الحكمـة من قوله ـ تعـالى ـ: ﴿ فِيهَا ﴾ ولم يقل: «منهـا»، لأنه أراد أنهم جعلوا لهم فيها رزقًا.

* واعلم أخى المـسلم أن الرزق من الله ـ تـعالى ـ: العـطيّة مـن غيـر حـدّ. ومن العبد: أجر مؤقت محدود.

* ﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ أى: عدوهم عدة جميلة.

* وقـال عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ) أى: قـولوا لهم: إذا ربحتُ أعطيـتكم. وإن غنمتُ فلكم حظ[٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ [النساء: ٥]

ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٩٧].

قرأ ابن عامر: ﴿ قيما ﴾ فى الموضعين بغير ألف بعد الياء، على أنها مصدر «قام» بمعنى القيام. وقرأ نافع موضع النساء ﴿ قياما ﴾ بإثبات الألف بعد الياء على أنه مصدر «قام يقيم قياما». وقرأ الباقون ﴿ قياما ﴾ بإثبات الألف بعد الياء فى السورتين[٤].

---

(١) انظر: تفسير البغوى(١/ ٣٩٣).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور (٢/ ٢١٤).

(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٩٣).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٩٦)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٢٥)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٥٠)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٧٧).

﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ ﴾ أى: اختبروهم فى عقولهم، وأديانهم، وحفظهم أموالهم.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: اختبروا اليتامى عند الحُلُم(١).

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾ أى: مبلغ الرجال والنساء، والمراد: الحُلُم، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ ﴾ [النور: ٥٩].

* ﴿ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾:

* عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قالا: صلاحًا فى دينهم، وحفظًا لأموالهم(٢).

* ﴿ فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾: هذا أمر من الله ـ تعالى ـ للأوصياء بدفع المال إلى اليتامى بعد البلوغ وإيناس الرشد، والأمر هنا للوجوب.

* ﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا ﴾: النهى هنا للأوصياء على أموال اليتامى بأن لا يأكلوا أموال اليتامى إسرافًا أى بغير حق.

* ﴿ وَبِدَارًا ﴾: معطوف على ﴿ إِسْرَافًا ﴾ أى: حالة كونهم مبادرين إلى أكلها مخافة ﴿ أَن يَكْبَرُوا ﴾ أى: يبلغوا سنّ الرشد فيأخذوا أموالهم.

* ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾ أى: ليمتنع عن أكل مال اليتيم، والعفة: الامتناع مما لا يحلّ.

* وعن ابن عباس (٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: ليستعفف بغناه من ماله حتى يستغنى عن مال اليتيم فلا يصيب منه شيئًا(٣).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢١٤).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢١٥).

* ﴿ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾:

أى: من كان محتاجًا إلى مال اليتيم وهو يحفظه ويتعهده فليأكل منه بالمعروف، أى على قدر الضرورة بدون إسراف، ولا تقتير، ومما يدلّ على ذلك الحديث التالى:

* فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه ـ رضى الله عنه ـ: أنّ رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال: إنّى فقير وليس لى شىء ولى يتيم، فقال: «كل من مال يتيمك غير مسرف، ولا مبذّر، ولا متأثّل[(١)]» اهـ[(٢)].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: ولىّ اليتيم إن كان غنيًا فليستعفف، وإن كان فقيرًا أخذ من فضل اللبَن وأخذ بالقوت لا يجاوزه، وما يستر عورته من الثياب، فإن أيسر قضاه، وإن أعسر فهو فى حلّ[(٣)].

* ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ﴾:

* عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) قال: يقول الله ـ تعالى ـ للأوصياء: إذا دفعتم إلى اليتامى أموالهم إذا بلغوا الحُلُم فأشهدوا عليهم بالدفع إلى أموالهم[(٤)].

* قال القرطبى فى تفسيره:

١ ـ هذا الاستشهاد مستحبّ عند طائفة من العلماء، فإن القول قول الوصىّ، لأنه أمين.

٢ ـ وقالت طائفة: هو فرض، وهو ظاهر الآية[(٥)].

* وقال البغوى فى تفسيره: قال: هذا أمر إرشاد، وليس بواجب، أمر اللهُ الولىَّ بالإشهاد على دفع المال إلى اليتيم بعدما يبلغ لتزول عنه التهمة، وتنقطع الخصومة[(٦)].

* ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيباً ﴾ أى: محاسبًا ومجازيًا وشاهدًا.

* وعن سعيد بن جبير قال: لا شاهد أفضل من الله ـ تعالى ـ فيما بينكم وبينهم[(٧)].

---

(١) معنى ولا متأثّل: أى مجموع.

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٩٦).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور (٢/ ٢١٦).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢١٧).

(٥) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ٣٠).

(٦) انظر: تفسير البغوى (١/ ٣٩٦).

(٧) انظر: تفسير الدر المنثور (٢/ ٢١٧).

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

اختلف العلماء فى سبب النزول، وقد اخترت السبب التالى طلبًا لعدم الإطناب:

* أخبر أبو الشيخ عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كان أهل الجاهلية لا يورّثون البنات، ولا الذكور الصغار حتّى يدركوا.

فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت وترك ابنتين، وابنًا صغيرًا، فجاء ابنا عمّه وهما عصبته، فأخذا ميراثه كله، فقالت امرأته لهما: تزوجا بهما ـ أى بالابنتين ـ وكان بهما دمامة، فأبيا، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله توفّى أوس وترك ابنًا صغيرًا، وابنتين، فجاء ابنا عمّه: خالد، وعرفطة فأخذا ميراثه، فقلت لهما: تزوجا ابنتيه فأبيا، فقال رسول الله ﷺ: «وما أدرى ما أقول؟» فنزلت: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ ﴾ الآية.

فأرسل ـ أى رسول الله ﷺ ـ إلى خالد، وعرفطة فقال: لا تحركا من الميراث شيئًا، فإنه قد أنزل علىّ فيه شىء أخبرت فيه أنّ للذكر والأنثى نصيبًا، ثم نزل بعد ذلك: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾ [النساء: ١٢٧] ـ إلى قوله: ﴿ عَلِيمًا ﴾ ثم نزل: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ ﴾ [النساء: ١١] إلى قوله: ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [رقم: ١٢] فدعا بالميراث فأعطى المرأة الثمن، وقسّم ما بقى للذكر مثل حظ الأنثيين.. اهـ[1].

معانى المفردات:

* ﴿ لِلرِّجَالِ ﴾ أى: للذكور من أولاد الميت، وأقربائه.

﴿ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ ﴾ أى: سواء كان المال الموروث قليلا أو كثيرًا.

* ﴿ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٤٨، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٦٤، وتفسير القرطبى (٥/ ٣١)، وتفسير البغوى (١/ ٣٩٦)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢١٧).

مَّفْرُوضًا ﴾ أى: جعل الله ذلك نصيبًا ثابتًا للرجال والنساء فى الميراث.

إلا أنّ نصيب كل فرد لم يبين فى هذه الآية حتى نزلت آية المواريث: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ ﴾ إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [النساء: ١٢].

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا (٨) ﴾

•• الناسخ والمنسوخ:

* قال أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) فى كتابه الناسخ والمنسوخ فى القرآن الكريم: للعلماء فيها ثلاثة أقوال:

١ ـ فمنهم من قال إنها منسوخة.

٢ ـ ومنهم من قال هى محكمة واجبة.

٣ ـ ومنهم من قال هى محكمة على الندب والترغيب والحض"(١).

فممن روى عنه أنها منسوخة كل من:

١ ـ ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما):

* فقد أخرج النحاس فى ناسخه من طريق مجاهد عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: نسختها ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ ﴾ الآية [النساء: ١١] اهـ(٢).

٢ ـ وسعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ):

* فقد أخرج عبد الرزاق، وأبو داود فى ناسخه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والنحاس، والبيهقى عن سعيد بن المسيّب قال: هى منسوخة كان ما ترك الرجل من مال أعطى منه اليتيم والفقير والمسكين، وذوو القربى إذا حضروا القسمة، ثم نسخ بعد ذلك نسختها آية المواريث، فألحق الله بكل ذى حقّ حقّه، وصارت الوصية من ماله يوصى بها لذوى قرابته حيث شاء.. اهـ(٣).

(١ ـ ٢) انظر: الناسخ والمنسوخ لأبى جعفر النحاس ص٩١ ـ ٩٢.

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢١٩). (٤) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس ص٩٢.

٣ ـ وأبو مالك لم أقف على تاريخ وفاته:

* فقد أخرج ابن أبي شيبة عن أبي مالك: قال: نسختها آية الميراث اهـ[٤].

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٩) ﴾

* المعنى:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في سننه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في الآية قال: هذا في الرجل يحضر الرجلَ عند موته فيسمعه يوصي وصيّة يضرّ بورثته، فأمر الله الذي يسمعه أن يتقي الله ويوقفه، ويسدّده للصواب، ولينظر لورثته كما يحبّ أن يصنع بورثته إذا خشي عليهم الضيعة[١].

* وأخرج سعيد بن منصور، وآدم، والبيهقي عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) في الآية قال: كان الرجل إذا حُضِرَ يقال له: أوص لفلان وأوص لفلان، وافعل كذا، وافعل كذا، حتى يضرّ ذلك بورثته، فقال الله: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ ﴾ الآية.

* **المعنى:** لينظروا لورثة هذا كما ينظر هذا لورثة نفسه، فليتقوا الله، وليأمروه بالعدل والحق[٢].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠) ﴾.

* يوضح معنى هذه الآية أفضل توضيح الأحاديث التالية:

أولا: أخرج ابن أبي شيبة في مسنده، وأبو يعلى، وابن حبّان في صحيحه، وابن أبي حاتم عن برزة: أن رسول الله ﷺ قال: «يبعث يوم القيامة قومًا من قبورهم تأجّج أفواههم نارًا، فقيل: يا رسول الله مَنْ هم؟ قال: «ألم تر أن الله يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾» اهـ[٣].

ثانيًا: وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: حدثنا النبي ﷺ عن ليلة أسري به قال: «نظرت فإذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الإبل، وقد وكّل بهم من يأخذ بمشافرهم، ثم يجعل في أفواههم صخرًا من نار،

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٢٢٠).
(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٢٢١).

فتقذف فى فِى أحدهم حتى تخرج من أسفلهم ولهم خوار وصراخ فقلتُ: يا جبريل مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ﴾ الآية»(٤).

ثالثًا: وأخرج البيهقى فى الشعب عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع حق على الله ألا يدخلهم الجنّة، ولا يذيقهم نعيمًا: مدمن خمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حقّ، والعاقّ لوالديه» اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [رقم: ١٠]

قرأ ابن عامر، وشعبة: ﴿ وسيُصلون ﴾ بضم الياء، على أنه مضارع مبنى للمجهول من «أصلى» الثلاثى المزيد بالهمزة، والواو نائب فاعل، وهى المفعول الأول، و﴿ سعيرًا ﴾ مفعول ثان.

وقرأ الباقون: ﴿ وسيَصلون ﴾ بفتح الياء، على أنه مضارع مبنى للفاعل من «صلا» الثلاثى، والواو فاعل و﴿ سعيرًا ﴾ مفعول به(٢).

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾:

المعنى: يعهد الله إليكم، ويفرض عليكم فى أمر أولادكم إذا متم: للذكر مثل حظّ الأنثيين.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٢١).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٩٧)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٢٥)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٥١).

* ﴿فَإِن كُنَّ﴾ أي: المتروكات من الأولاد.

* ﴿نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾:

✻ **المعنى:** إن كن المتروكات من الأولاد: اثنتين فصاعدًا فلهنّ ثلثا ما ترك الميت يوزع بينهن بالتساوى. أمّا ﴿فَوْقَ﴾ فهى صلة كقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال: ١٢] ـ أى: اضربوا الأعناق.

* ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾:

أى: إن كانت المتروكة بنتًا واحدة فلها نصف التركة.

* ﴿وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾:

✻ **المعنى:** أن لأبوى الميت: أى الأب والأم، يكون لكل واحد منهما سدس الميراث عند وجود الولد، أو ولد الابن: ذكرًا كان أو أنثى.

* ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾: وحينئذ يكون الباقى للأب تعصيبًا.

* ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ أى: للميت إخوة: اثنان، أو أكثر ذكورًا وإناثًا.

* ﴿فَلأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ والباقى يكون للأب إن كان معها أب، والإخوة لا ميراث لهم مع الأب، ولكنهم يحجبون الأمّ من الثلث إلى السدس. وهذا يُسمَّى حجب نقصان، لا حجب حرمان.

* ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾:

* أخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذى، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والحاكم، والبيهقى فى سننه عن على بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) قال: إنكم تقرءون هذه الآية: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ وإن رسول الله ﷺ قضى بالدَّين قبل الوصيّة[١].

وحينئذ يكون توزيع التركة بالترتيب وفقًا لما يلى:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٢٣).

أولا: قضاء الدَّين. ثانيًا: تنفيذ الوصية. ثالثًا: توزيع الميراث.

* ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ أى: لا تعلمون أيّهم أنفع لكم فى الدين والدنيا:

١ ـ فمنكم من يظن أن الأب أنفع له من الابن، فيكون الابن أنفع له من الأب.

٢ ـ ومنكم من يظن أن الابن أنفع له من الأب، فيكون الأب أنفع له من الابن.

* ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ أى: ما ذكره الله من تقسيم الميراث فريضة من الله ـ تعالى ـ لا يجوز لأى شخص مخالفتها.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾: يضع كل شىء بعلم وحكمة ومنه الميراث.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ [رقم: ١١]

* ﴿فَلأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ [رقم: ١١]

قرأ حمزة، والكسائى: ﴿ فلأمه ﴾ فى الموضعين بكسر الهمزة حالة وصل ما قبلها بها، وذلك لمناسبة الكسرة التى قبل الهمزة وإذا ابتدآ بالهمزة فإنهما يبدآن بهمزة مضمومة على الأصل. وقرأ الباقون بضم الهمزة فيهما وصلا وبدأ، والكسر والضم لهجتان فصيحتان(١).

* ﴿ يوصى ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ [رقم: ١١] ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ﴾ [رقم: ١٢]

قرأ ابن كثير، وابن عامر، وشعبة: ﴿يوصَى﴾ فى الموضعين بفتح الصاد، وألف بعدها لفظًا وخطًا، وذلك على البناء للمفعول، و «بها» نائب فاعل.

وقرأ حفص الموضع الأول بكسر الصاد وياء بعدها، وذلك على البناء للفاعل، والفاعل ضمير والمراد به الميت، و«بها» متعلق بـ «يوصى» أى: يوصى بها الميت.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٩٨)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٢٥ ـ ٢٦).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٥٢)

أمّا الموضع الثانى فإنه قرأه بفتح الصاد وألف بعدها مثل: ابن كثير، وابن عامر، وشعبة.
وقرأ الباقون الموضعين بكسر الصاد وياء بعدها(٢).

* ﴿ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ﴾ [رقم: ١١]

قرأ نافع، وأبو جعفر ﴿ واحدة ﴾ برفع التاء، على أن كان تامّة تكتفى بمرفوعها.
وقرأ الباقون ﴿ واحدةً ﴾ بنصب التاء، على أن كان ناقصة، و﴿ واحدةً ﴾ خبرها، واسم كان مضمر، والتقدير: وإن كانت الوارثة واحدة(١).

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾:

* أخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) قال: يقول الله ـ تعالى ـ: للرجل نصف ما تركت امرأته إذا ماتت، إن لم يكن لها ولد من زوجها الذى ماتت عنه، أو من غيره.

فإن كان لها ولد ذكر أو أنثى فللزوج الربع مما تركت من المال من بعد وصيّة يوصى بها النساء أو ديْن عليهنّ ـ والدَّيْن مقدم على الوصية ـ(٢).

* ﴿ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٩٨)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٢٥)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٥١).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٢٤).

* أخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير بن هشام قال: للمرأة الربع مما ترك زوجها من الميراث إن لم يكن لزوجها الذى مات عنها ولد منها ولا من غيرها. فإن كان للرجل ولد ذكر أو أنثى فلها الثمن مما ترك الزوج من المال ـ من بعد وصية توصون بها أو دين والدّيْن مقدم على الوصيّة ـ(٣).

* ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ﴾: والكلالة: الميت الذى لا ولد له ولا والد.

* والمراد بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ ﴾ أى: من أمٍّ.

* ﴿ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: هؤلاء الإخوة من الأمِّ فهم شركاء فى الثلث، قال: ذكرهم وأنثاهم فيه سواء(١).

* وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن شهاب أبى بكر الزهرى (ت ١٢٤هـ) قال: قضى عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه): أن ميراث الإخوة من الأمِّ بينهم الذكر فيه مثل الأنثى(٢).

* ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ﴾ أى: غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث فى الوصية.

* ﴿ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾.

• فائدة مهمة:

اعلم أخى المسلم أنه لا ميراث إلا بعد أداء الدين والوصيّة. والورثة جملتهم سبعة عشر:

عشرة من الرجال وهم: الابن وابن الابن وإن سفل، والأب والجدّ وإن علا، والعمّ وابن العمّ وإن تباعد، والأخ وابن الأخ وإن تراخى، والزوج، والمولى المعتق.

وسبعة من النساء وهنّ: البنت وبنت الابن وإن سفلت، والأمّ والجدّة وإن علت،

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٢٤).

والأخت، والزوجة، والمعتِقة.

* وقد نظم بعض العلماء الوارثين من الرجال والنساء فقال:

والوارثـون إن أردت جمعهم ∴ مـع الإنـاث الوارثات مَعَهم
عشـرة مـن جملة الذكـران ∴ وسبْع أشخاص مـن النسْوان
وهم وقد حصرتهم فى النظم ∴ الابْن وابـن الابـن وابن العمِّ
والأب منهم وهو فى الترتيب ∴ والجدّ مـن قبل الأخ القريـب
وابن الأخ الأدنى أجَلْ والعمّ ∴ والـزوج والسـيِّد ثـمّ الأمّ
وابنـة الابْـن بعدهـا والبنت ∴ وزوجـة وجـدّة وأخـتُ
والمرأة المولاة أعنى المعتِقهْ ∴ خذهـا إليك عـدَّةً محقّقـهْ

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾: عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ التى حدّ لخلقه وفرائضه بينهم فى الميراث والقسمة، فانتهوا إليها ولا تعدّوها إلى غيرها(١).

* ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾:

* عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ قال: فيقسّم الميراث كما أمره الله.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ قال: يخالف أمر الله فى قسمة المواريث.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٢٨).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٢٩).

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ قال: من يكفر بقسمة المواريث وهم المنافقون كانوا لا يعدّون أن للنساء والصبيان الصغار من الميراث نصيبًا(٢).

* أخرج البيهقى فى البعث عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قطع ميراثًا فرضه الله ورسوله قطع الله به ميراثه من الجنة» اهـ(٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ ﴾ [رقم: ١٣]

* ﴿ يُدْخِلْهُ نَارًا ﴾ [رقم: ١٤]

قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر ﴿ ندخله ﴾ فى الموضعين بنون العظمة، والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن.

وقرأ الباقون ﴿ يدخله ﴾ بالياء فيهما، والفاعل ضمير تقديره هو(١).

﴿ وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً (١٥) ﴾

•• الناسخ والمنسوخ:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، والنحّاس فى ناسخه، والبيهقى فى سننه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى الآية قال: كانت المرأة إذا زنت حُبست فى البيت حتى تموت، ثم أنزل الله بعد ذلك: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور: ٢] فإن كانا محصنين رجما، فهذا السبيل الذى جعله الله لهما(٢) اهـ.

* وأخرج عبد الرزاق، والشافعى ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وابن حبّان عن عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحى كرب لذلك، وتربّد وجهه.

وفى لفظ لابن جرير: يأخذه كهيئة الغشى لما يجد من ثقل ذلك، فأنزل الله عليه

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤٠٠).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٢٩). (٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٣٠).

ذات يوم، فلما سرّى عنه قال: «خذوا عنّى قد جعل الله لهنّ سبيلا الثيّب جلد مائة ورجم بالحجارة، والبكر جلد مائة ثم نفى سنة» اهـ(٣).

* معنى الآية:

* أخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ ﴾ الآية: قال: يعنى الزنا.

* ﴿ مِن نِّسَائِكُمْ ﴾ يعنى المرأة الثيب من المسلمين.

* ﴿ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ﴾ يعنى: من المسلمين الأحرار.

* ﴿ فَإِن شَهِدُوا ﴾ يعنى: بالزنا. * ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ ﴾ يعنى احبسوهنّ.

* ﴿ فِي الْبُيُوتِ ﴾ يعنى: السجون.

ثم يقول: وكان هذا فى أول الإسلام: كانت المرأة إذا شَهِدَ عليها أربعة من المسلمين عدول بالزّنا حُبِست فى السجن، فإن كان لها زوج أخَذ المهر منها، ولكنه ينفق عليها من غير طلاق، وليس عليها حدٌّ، ولا يجامعها، ولكن يحبسها فى السجن.

* ﴿ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ ﴾ يعنى: حتى تموت المرأة وهى على تلك الحال.

* ﴿ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ يعنى: مخرجًا من الحبس، والمخرج الحدّ.. اهـ(١).

* وأقول: قد جعل الله لهن سبيلا، وقد بينه الحديث السابق المروى عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «خذوا عنّى قد جعل الله لهنّ سبيلا: الثيب جلد مائة ورجم بالحجارة. والبكر جلد مائة ثم نفى سنة»(٢).

﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (١٦) ﴾

•• الناسخ والمنسوخ:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ ﴾ الآية، قال: كان الرجل إذا زنى أوذى بالتعيير، وضرب بالنعال، فأنزل الله بعد هذه الآية: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٣٠). (٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٣١).

فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢] وإن كانا محصنين رجما فى سنة رسول الله ﷺ(١).

* معنى الآية:

* أخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ﴾ الآية قال: ﴿وَاللَّذَانِ﴾ يعنى البكرين اللذين لم يحصنا.

* ﴿يَأْتِيَانِهَا﴾ يعنى الفاحشة وهى الزنا. * ﴿مِنكُمْ﴾ يعنى: من المسلمين.

* ﴿فَآذُوهُمَا﴾ يعنى باللسان، بالتعبير، والكلام القبيح لهما بما عملا، وليس. عليهما حبس لأنهما بكران، ولكن يُعيَّران ليتوبا ويندما.

* ﴿فَإِن تَابَا﴾ يعنى: من الفاحشة. * ﴿وَأَصْلَحَا﴾ يعنى: العمل.

* ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ يعنى لا تُسمعوهما الأذى بعد التوبة.

* ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ فكان هذا يُفعل بالبكر والثيب فى أول الإسلام، ثم نزل حدّ الزنى فصار الحبس والأذى منسوخًا، نسخته الآية التى فى سورة النور: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ [رقم: ٢](١).

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧)﴾

* معانى المفردات:

* ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (١١٨هـ) وأبى العالية الرياحىّ (ت ١٩٠هـ) قالا: إنّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عَبْد فهو جهالة. وفى رواية قتادة: عمدًا كان أو غيره.. اهـ(٢).

* وعن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قال: كل من عصى ربّه فهو جاهل

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٣١).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٣١ ـ ٢٣٢).
(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٣٣).

حتى ينزع عن معصيته(٣).

* ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾:

* أخرج أحمد، والترمذيّ وحسّنه، وابن ماجه، والحاكم وصحّحه والبيهقى فى الشعب عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) عن النبى ﷺ قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» اهـ(٤).

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨)﴾

معنى الآية:

* أخرج أحمد، والبخارى فى التاريخ، والحاكم، وابن مردويه عن أبى ذرّ الغفاريّ (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه): أنّ رسول الله ﷺ قال: «إن الله يقبل توبة عبده، أو يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب» قيل: وما وقوع الحجاب؟ قال: «تخرج النَّفْسُ وهى مشركة» اهـ(١).

* وأخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى الشعب عن عبد الله بن عمرو ابن العاص (ت ٦٥هـ ـ رضى الله عنهما) قال: من تاب قبل موته بفواق ـ أى بفواق ناقة ـ تيب عليه، قيل: ألم يقل الله: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ الآية، فقال: إنما أحدثك ما سمعتُ من رسول الله ﷺ(٢).

* وأخرج ابن المنذر عن ابن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قال: ما من ذنب مما يعمل بين السماء والأرض يتوب منه العبد قبل أن يموت إلا تاب الله عليه اهـ(٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)﴾

سبب نزول هذه الآية:

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٣٤). (٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٣٣).

(٤) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٥٠، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٦٤، وتفسير القرطبى (٥/ ٦٢)، وتفسير البغوى (١/ ٤٠٨)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٣٤).

اختلف العلماء فى سبب النزول، واخترت السبب التالى حرصًا على عدم الإطناب:

* أخرج البخارى، وأبو داود، والنسائى، والبيهقى فى سننه وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ الآية، قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوّجها، وإن شاءوا زوّجوها، وإن شاءوا لم يزوّجوها، فهم أحقّ بها من أهلها، فنزلت هذه الآية فى ذلك.. اهـ(٤).

❀ معانى المفردات:

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾:

* عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: كان الرجل إذا مات وترك جارية ألقى عليها حميمه: ثوبه فمنعها من الناس: فإن كانت جميلة تزوجها، وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها.. اهـ(١).

* ﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾:

* عن أبى مالك قال: لا تضرّ بامرأتك لتفتدى منك(٢).

* وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: هذا فى الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر فيضرّ بها لتفتدى(٣).

* وأخرج ابن جرير عن ابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت ١٧٠هـ) قال: كان العضل فى قريشٍ بمكة: ينكح الرجل المرأة الشريفة فلعلها لا توافقه فيفارقها على ألا تتزوّج إلا بإذنه، فيأتى بالشهود فيكتب ذلك عليها ويشهد فإذا خطبها خاطب فإن أعطته وأرضته أذن لها وإلا عضلها ـ أى منعها من الزواج ـ(٤).

* ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٣٤).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٣٥).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٣٤).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٣٥).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).
(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٣٦).

اختلف العلماء فى الفاحشة على قولين:

الأول: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)، قالا: الفاحشة: البغض والنشوز، فإذا فعلت ذلك فقد حلّ للزوج منها الفدية.. اهـ(٥).

والثانى: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، ومحمد بن سيرين الأنصارى (ت ١١٠هـ) قالا: الفاحشة: الزنا، فإذا فعلت حلّ لزوجها أن يكون هو يسألها الخُلع.. اهـ(٦).

* ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾:

* أخرج ابن جرير عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله، وإن لكم عليهنّ أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف» اهـ(١).

* ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: الخير الكثير: الولد ويجعل الله فيه خيراً كثيراً(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ كَرْهًا ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ﴾ [النساء: ١٩].

ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [التوبة: ٥٣]، ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ [الأحقاف: ١٥]

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ كُرْها ﴾ فى المواضع الثلاث بضم الكاف.

وقرأ ابن ذكوان، وعاصم، ويعقوب، وهشام بخُلْف عنه بضم الكاف فى موضع الأحقاف، وبفتحها فى موضعى: النساء، والتوبة.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٣٦).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤٠٣)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٣٧)، وإتحاف فضلاء البشر ص٨٨.

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤٠٤)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٥٤).

وقرأ الباقون بفتح الكاف فى المواضع الثلاث[٣].

* ﴿مُبَيِّنَةٍ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [النساء: ١٩]، ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الأحزاب: ٣٠]، ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الطلاق: ١]

قرأ ابن كثير، وشعبة: ﴿مبينة﴾ فى هذه المواضع الثلاثة بفتح الياء المشدّدة، على أنها اسم مفعول، أى يبينها من يدّعيها.

وقرأ الباقون بكسر الياء مشدّدة، اسم فاعل، بمعنى ظاهرة[٤].

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٢٠)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: إن كرهت امرأتك وأعجبكَ غيرها فطلقتَ هذه وتزوجتَ تلك، فأعط هذه مهرها وإن كان قنطاراً.. اهـ[١].

* ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا﴾: عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قال: البهتان: الإثم.. اهـ[٢].

* ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قال: الإثم المبين: البين.. اهـ[٣].

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (٢١)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾: على طريق الاستعظام.

* ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: المراد به المجامعة. وقد قال بذلك مجاهد ابن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)[٤].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٣٧).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٣٨).
(٥ ـ ٦) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٠٩).

* ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾: اختلف العلماء فى الميثاق الغليظ على قولين:

أولا: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، والضحاك بن مزاحم (١٠٥ هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)، ومحمد بن سيرين الأنصارى (ت ١١٠هـ) قالوا: هو قول الولىّ عند العقد: زوّجتكها على ما أخذ الله النساء على الرجال من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان(٥).

ثانيًا: وقال الشعبى عامر بن شراحيل (ت ١٠٥هـ) وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قالا: هو ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «اتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ـ تعالى ـ»(٦).

﴿ وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً (٢٢) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج الفريابى، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى سننه عن عدىّ بن ثابت الأنصارى قال: توفى أبو قيس بن الأسلت وكان من صالحى الأنصار، فخطب ابنُه قيس امرأَتَه، فقالت: إنما أعُدّك ولدًا، وأنت من صالحى قومك، ولكنِّى آتى رسول الله ﷺ فأستأمره، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: إنّ أبا قيس توفِّى، فقال لها: «خيرًا» قالت: وإن ابنه قيْسًا خطبنى وهو من صالحى قومه، وإنما كنت أعدهُّ ولدًا فما ترى؟ قال: «ارجعى إلى بيتك» فنزلت هذه الآية: ﴿ وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ الآية.. اهـ(١).

معانى المفردات:

* ﴿ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾: عن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) قال: إلا ما كان فى الجاهلية.. اهـ(٢).

* ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً ﴾: الفاحشة أقبح المعاصى.

* ﴿ وَمَقْتًا ﴾: عن عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ) قال: يمقت الله عليه(٣).

ـ إذ المقت: أشدّ البغض.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٣٩).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٤٠).

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ أى: نكاح أمهاتكم. والأمهات جمع «أم» ويدخل فى التحريم الجدّات وإن علون، سواء كنّ من قبل الأمّ، أو من قبل الأب.

* ﴿ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ أى: وحرم عليكم نكاح بناتكم، وهنّ جمع «بنت» ويدخل فيهنّ بنات الأولاد وإن سفلن.

* ﴿ وَأَخَوَاتُكُمْ ﴾: جمع «أخت» سواء كانت من قبل الأب والأمّ معًا، أو من قبل أحدهما.

* ﴿ وَعَمَّاتُكُمْ ﴾ جمع «عمّة» وهى أخت الأب، سواء كانت من قبل الأب والأمّ معًا، أو من قبل أحدهما ويدخل فيهن جميع أخوات الأجداد وإن علوا.

* ﴿ وَخَالاتُكُمْ ﴾ جمع «خالة» وهى أخت الأمّ، سواء كانت من قبل الأب والأمّ معًا، أو من قبل أحدهما ويدخل فيهن جميع أخوات الجدات وإن علون.

* ﴿ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ ﴾ ويدخل فيهنّ: بنات أولاد الأخ والأخت وإن سَفُلْن.

* وجملة ما ذكر من المحرمات:

[١] ـ أنه يحرم على الرجل نكاح أصوله.

[٢] ـ أنه يحرم على الرجل نكاح فصوله.

٣ ـ أنه يحرم على الرجل نكاح فصول أول أصوله.

٤ ـ أنه يحرم على الرجل نكاح أول فصل من كل أصل بعده.

* والأصول: هنّ: الأمهات والجدات وإن علون.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٤١).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤١٠).

* والفصول: هنّ: البنات، وبنات الأولاد وإن سفلن.

* وفصول أول أصوله هنّ: الأخوات، وبنات الإخوة والأخوات.

* وأول فصل من كل أصل بعده هنّ: العمات والخالات وإن علون.

* ﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ ﴾: هؤلاء المحرمات بالرضاعة، وهناك قاعدة كلية فى ذلك وهى: يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب.

والدليل على ذلك الحديث التالى:

* أخرج عبد الرزاق، وابن أبى شيبة، والبخارى، ومسلم، عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) أن رسول الله ﷺ قال: «الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة» اهـ[١].

وفى رواية: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة»[٢].

• **فائدة مهمة:**

اعلم أخى المسلم أن حرمة الرضاع إنما تثبت بشرطين:

* الشرط الأول: أن يكون الرضاع قبل أن يستكمل المولود حولين، والدليل على ذلك الكتاب، والسنة:

* فمن الكتاب قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

* ومن السنة الحديثان التاليان:

١ ـ فعن «أم سلمة» أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ: «لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء» اهـ[١] ـ وإنما يكون هذا فى حال الصغر ـ.

٢ ـ وعن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: «لا رضاع إلا ما أنشر العظم، وأنبت اللحم» اهـ[٢]. ـ وهذا إنما يكون فى حال الصغر أيضًا ـ.

* والشرط الثانى: أن يكون لا بدّ من خمس رضعات متفرقات.

* وقد قال بذلك كل من:

١ ـ «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها).

(١ : ٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤١١).

٢ ـ وعبد الله بن الزبير (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) وهذا هو مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعى (ت ٢٠٤هـ ـ رحمه الله) وهو مذهبى ولله الحمد.

* وقال البغوىّ فى تفسيره:

وذهب أكثر أهل العلم إلى أن قليل الرضاع وكثيره محرم، وهو قول ابن عباس، وابن عمر، وبه قال سعيد بن المسيب وإليه ذهب سفيان الثورى، ومالك، والأوزاعى، وعبد الله بن المبارك، وأصحاب الرأى.. اهـ(٣).

* ﴿ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ﴾: هذه المحرمات بالمصاهرة، وجملتها: أن كل من عقد النكاح على امرأة، تحرم على الناكح أمهات المنكوحة من النسب أو من الرضاعة، وجداتها وإن علون من النسب أو من الرضاعة، سواء دخل الرجل بالابنة أو لم يدخل.

والدليل على ذلك الحديث التالى:

* فقد أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقى فى سننه من طريقين عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، عن النبى ﷺ قال: «إذا نكح الرجل المرأة فلا يحلّ له أن يتزوّج أمها، دخل بالابنة، أو لم يدخل، وإذا تزوج الأمّ فلم يدخل بها ثم طلقها فإن شاء تزوّج الابنة» اهـ(١).

* ﴿ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾:

الربائب: جمع «ربيبة» وهى بنت الزوجة، وسميت ربيبة، لأن الأصل أن تربّى فى بيت زوج أمها، وقوله: * ﴿ فِي حُجُورِكُم ﴾ أى: فى تربيتكم، يقال: فلان في حُجْر فلان إذا كان فى تربيته.

* ﴿ مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾:

* **المعنى:** يحرم نكاح بنت الزوجة بشرط الدخول بأمها، ويحرم أيضًا بنت بنت الزوجة وإن سفلن المدخول بأمهنّ أمّا إذا لم يكن قد تمّ الدخول بالأم فإن العقد وحده لا يحرّم نكاح البنت لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ أى: لا يحرم نكاح البنت التى لم يتم الدخول بأمها.

* ﴿ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ ﴾:

أى: يحرم على الأب أن يتزوج، حلائل أبنائه، وأبناء أبنائه وإن سفلوا، سواء من

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٤٢).

* ﴿ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾.

✳ **المعنى:** ما مضى من الجمع بين الأختين فالله ـ سبحانه وتعالى ـ عفا عنه، لأنه لا حكم إلا بتشريع.

● فائدة مهمة:

اعلم أخى المسلم أنه لا يجوز للرجل أن يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها، ومن الأدلّة على ذلك الحديثان التاليان:

* فعن أبى هريرة (ت ٥٩ هـ ـ رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها» اهـ(١). [أخرجه الشيخان].

* وأخرج ابن أبى شيبة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه: أن النبى ﷺ قال يوم فتح مكة: «لا تنكح المرأة على عمتها، ولا على خالتها» اهـ(٢).

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج الطيالسى، وعبد الرزاق، وابن أبى شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والطحاوى، وابن حبّان، والبيهقى فى سننه عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ بعث يوم حنين جيشًا إلى أوطاس فلقوا عدوًا فقاتلوهم، فظهروا عليهم وأصابوا لهم سبايا، فكان ناس من أصحاب رسول الله ﷺ تحرَّجوا من غشيانهنّ من أجل أزواجهنّ من المشركين، فأنزل الله فى ذلك: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ أى: إلا ما أفاء الله عليكم فاستحللتم بذلك فروجهنّ.. اهـ(٣).

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤١٢). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٤٥).

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٥٢، وأسباب النزول للقاضى ص٨٠، وتفسير القرطبى (٥/ ٨٠)، وتفسير البغوى (١/ ٤١٣)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٤٦).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾:

* **المعنى:** النساء ذوات الأزواج لا يحلّ للغير نكاحهن قبل مفارقة الأزواج لهنّ، وانقضاء عدّتهنّ.

﴿ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾: من السبايا اللواتى سُبين ولهنّ أزواج فى دار الحرب فيحلّ لمالكهنّ وطؤهنّ بعد الاستبراء، لأن سَبْيها كطلاقها.

* أخرج الحاكم وصححه، والبيهقى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ قال: كل ذات زوج إتيانها زنا إلا ما سبيت[1].

* وعن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: كل ذات زوج عليك حرام إلا ما اشتريت بمالك وكان يقول: بَيْع الأمة طلاقها[2].

* وأخرج ابن جرير عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: طلاق الأمَة ستّ: بيعها طلاقها، وعتقها طلاقها، وهبتها طلاقها، وبراءتها طلاقها، وطلاق زوجها طلاقها[3].

* وأقول: المذكور هنا خمس فقط وليس ستًا كما جاء فى الخبر المروى عن ابن عباس.

* ﴿ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾: ﴿ كِتَابَ ﴾ نصب على المصدر، أى: حُرِّمت هذه النساء كتابًا من الله عليكم.

* ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ ﴾ أى: ما سوى ذلكم الذى ذكرت من المحرمات من أول قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلاَ تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ [رقم: ٢٢]، إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾، ويدخل فى المحرمات بالكتاب المحرمات بالسنّة.

* ﴿ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم ﴾ أى: تطلبوا النكاح المشروع بأموالكم أى: بالصداق، أو بالشراء للإماء.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٤٦). (٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٤٧).

* ﴿مُحْصِنِينَ﴾ نصب على الحال، أى حالة كونكم متعففين عن الزنا، بالزواج المشروع.

* ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ أى: غير زانين، إذ السّفاح: الزنا. مأخوذ من سَفْح الماء وصبّه، وهو المنىّ.

* ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أقول: الصواب الذى عليه رسول الله ﷺ والإجماع إلا من لا يعتدّ بقوله، أن معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ﴾ أى: ما تلذّذتم بالجماع من النساء بالنكاح الشرعى الصحيح.

* ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أى: صداقهن ومهورهن.

* ﴿فَرِيضَةً﴾ من الله ـ تعالى ـ.

ويؤيد هذه الآية فى الحكم قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤].

* أمّا من يقول: هو نكاح المتعة، وهو أن تنكح المرأة إلى مدّة فإذا انقضت تلك المدّة بانت منه بلا طلاق، ويستبرئ رحمها، وليس بينهما ميراث.

أقول: كان ذلك مباحًا لسبب من الأسباب بينته الأحاديث الصحيحة الواردة فى ذلك.

ثم حرّم رسول الله ﷺ نكاح المتعة تحريمًا قاطعًا إلى يوم القيامة، وهذه بعض الأحاديث والأخبار الواردة فى ذلك:

أولا : أخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، ومسلم عن سلمة بن الأكوع قال: رخّص لنا رسول الله ﷺ فى متعة النساء عام أوطاس ثلاثة أيام، ثم نها عنها بعدها(١).

ثانيًا: أخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، ومسلم عن سبرة قال: رأيت رسول الله ﷺ قائمًا بين الركن والباب وهو يقول: «يا أيها الناس إنّى كنت قد أذنتُ لكم فى الاستمتاع، ألاَ وإنّ الله حرمه إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهنّ شىء فليخلِّ سبيلها، ولا تأخذوا مما آتيتموهنّ شيئًا» اهـ(٢).

ثالثًا: أخرج مالك، وعبد الرزاق، وابن أبى شيبة، والبخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه عن علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه): أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل لحوم الحمر الإنسيّة(٣).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٥١).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٥٢).

رابعًا: أخرج البيهقى عن عمر (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه) أنه خطب فقال: ما بال رجال ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله ﷺ عنها، لا أوتى بأحد نكحها إلا رجمته(١).

* ﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: التراضى أن يوفى لها صداقها، ثم يخيّرها.. اهـ(٢).

ومثل هذه الآية فى الحكم قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا (٤)﴾ [النساء: ٤].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَأَحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ [رقم: ٢٤]

قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وأبو جعفر، وخلف البزار: ﴿وأُحِلَّ﴾ بضم الهمزة، وكسر الحاء، على البناء للمفعول و«ما» اسم موصول نائب فاعل.

وقرأ الباقون: ﴿وأَحَلَّ﴾ بفتح الهمزة، والحاء، على البناء للفاعل، والفاعل ضمير والمراد به الله ـ تعالى ـ، و«ما» اسم موصول مفعول به(٣).

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٥)﴾

معانى المفردات:

* ﴿مَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً﴾ أى: فضلا وسعة.

* ﴿أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم﴾ إلخ.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٥٢). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٥٣).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤٠٤)، والنشر فى القراءات العشر بتوجيهنا وتحقيقنا (٣/ ٢٧)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٨٥)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٥٥).

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قال: من لم يجد منكم غنى أن ينكح المحصنات أى: الحرائر فلينكح الأمة المؤمنة(١).

* وعن ابن مسعود (ت ٣٢ هـ ـ رضى الله عنه) قال: إنما أحلّ الله نكاح الإماء إن لم يستطع طولا وخشى العنت على نفسه(٢).

* وعن مجاهد بن جبر قال: لا يصلح نكاح إماء أهل الكتاب، إن الله يقول: ﴿ مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾(٣).

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: إنما أحلّ الله واحدة لمن خشى العنت على نفسه ولا يجد طَوْلا(٤).

واعلم أخى المسلم أنه لا يجوز للمسلم الحرّ أن ينكح الأمة المؤمنة إلا بشرطين:

أحدهما: أن لا يجد مهر الحرّة.

والثانى: أن يكون خائفًا على نفسه من الزنا، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ﴾.

وهو قول كل من:

١ ـ جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى (ت ٧٨هـ).

٢ ـ وطاوس بن كيسان أبى عبد الرحمن اليمنى (ت ١٠٦هـ).

٣ ـ وعمرو بن دينار.

٤ ـ والإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ).

٥ ـ والإمام محمد بن إدريس الشافعى (ت ٢٠٤هـ) وغيرهم(٥).

* ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ أى: كلكم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الإماء عند عدم وجود صداق الحرّة وخوف الوقوع فى الزنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾ [الحجرات: ١٣].

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٥٤).

(٥) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤١٥).

* ﴿ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ﴾:

* عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قال: بإذن مواليهنّ.

وقال فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ أى: مهورهنّ[(١)].

* ﴿ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: المسافحات: المعلنات بالزنا، والمتخذات أخدان: ذات الخليل الواحد.

ثم قال: كان أهل الجاهلية يحرمون ما ظهر من الزنا، ويستحلون ما خفى، ويقولون: أمّا ما ظهر منه فهو لؤم، وأمّا ما خفى فلا بأس بذلك، فأنزل الله: ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام: ١٥١][(٢)].

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠ هـ) أنه قال: المسافحة: هى أن كل من دعاها تبعته، وذات الخدن: التى تختص بواحد لا تزنى إلا معه، والعرب كانت تحرّم الأوّل، وتجوّز الثانى[(٣)].

* ﴿ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): أنه كان يقول فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِذَا أُحْصِنَّ ﴾: أى: إذا تزوجن[(٤)].

* وعن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ قال: خمسون جلدة، ولا نفى ولا رجم[(٥)].

* فإن قيل: ما حكم الأمة إذا زنت ولم تحصن؟ أقول: الجواب على ذلك فى الحديث التالى:

* أخرج عبد الرزاق، والبخارى، ومسلم عن زيد بن خالد الجهنى: أن النبى ﷺ سئل عن الأَمَة إذا زنت ولم تحصن؟ قال: «اجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها، ثم بيعوها ولو بضفير» اهـ[(٦)].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٥٤).
(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤١٦).
(٤ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٥٥).

* ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ﴾: عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: العنت الزنا.. اهـ(١).

* ﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

* عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤)، وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ)، والسدى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قالوا: وأن تصبروا، ولا تنكحوا الأمة فيكون أولادكم مملوكين فهو خير لكم(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿الْمُحْصَنَاتِ، مُحْصَنَاتٍ﴾ [رقم: ٢٥]

قرأهما الكسائى بكسر الصاد، على أنهن اسم فاعل، لأنهنّ أحصن أنفسهن بالعفاف، وفروجهن عن الوقوع فى الزنا. وقرأهما الباقون بفتح الصاد، على أنهنّ اسم مفعول، والإحصان مسند لغيرهن من الأزواج.

* ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾ [رقم: ٢٥]

قرأ شعبة، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿أَحْصَنَّ﴾ بفتح الهمزة، والصاد، على البناء للفاعل، والفاعل ضمير يعود على الإماء.

وقرأ الباقون بضم الهمزة، وكسر الصاد، على البناء للمفعول، ونائب الفاعل ضمير يعود على الإماء أيضًا(٣).

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا (٢٨)﴾

معانى المفردات:

* ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٥٥). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٥٦).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤٠٥)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٥٦).

✳ **المعنى:** يريد الله ليبين لكم، ويوضح لكم شرائع دينكم، ومصالح أموركم، وبخاصة ما يقربكم منه ـ عزّ وجلّ.

* ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ أى: يرشدكم إلى شرائع الأمم التى قبلكم، فى تحريم نكاح الأمهات، والبنات، والأخوات، فإنها كانت محرمّة على من قبلكم.

وقد قال بذلك مقاتل بن حيّان البلخىّ (ت ١١٠هـ)(١).

* ﴿ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ أى: يتجاوز عنكم ويغفر لكم ما أصبتم قبل أن يبين لكم نكاح المحرمات.

* ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾: بمصالح عباده بما فى ذلك أمور دينهم ودنياهم.

* ﴿ حَكِيمٌ ﴾ أى: يضع جميع الأمور بحكمة.

* ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ إذا وقع منكم أىّ خطأ.

* ﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ﴾: وذلك بإتيانكم ما حرّم الله ـ تعالى ـ وبخاصة الزنا.

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قال: المراد بالذين يتبعون الشهوات فى الآية: اليهود والنصارى.. اهـ(٢).

* ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) أنه قال: فى نكاح الأمة، وفى كل شىء فيه يسر(٣).

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

* ﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً ﴾: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ﴾ [الروم: ٥٤]

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٥٦).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤١٧)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٥٧).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٥٧).

ومن عفو الله ـ تعالى ـ ورحمته بالمؤمنين أنه يخفف أحكامه على عباده المسلمين لأنه يعلم أنهم ضعفاء، قال ـ تعالى ـ: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ أي: بغير حق مثل: الربا، والقمار، والغصب، والسرقة، والخيانة ونحو ذلك.

* وعن السّدّي إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قال: أكلهم أموالهم بينهم بالباطل: الزنا، والقمار، والبخس، والظلم.. اهـ(١).

* ﴿ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ أي: إلا أن تكون الأموال تجارة عن تراض منكم، أي: من البائع والمشتري، فهذا جائز شرعًا، ولا حرمة ولا كراهة فيه.

* أخرج الأصبهاني عن معاذ بن جبل (ت ١٧هـ ـ رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أطيب الكسب كسب التجار، الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يمدحوا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا، وإذا كان لهم لم يعسروا» اهـ(٢).

* وأخرج الحاكم، والبيهقي في سننه عن أبي بردة قال: سئل رسول الله ﷺ: أيّ الكسب أطيب وأفضل؟ قال: «عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور» اهـ(٣).

* وأخرج الحاكم وصححه عن رفاعة بن رافع: أن رسول الله ﷺ قال: «إن التجار يبعثون يوم القيامة فجّاراً إلا من اتقى الله، وبرّ، وصدق»(٤).

* ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)، وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ)، وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٥هـ) قالوا: نهاهم الله ـ تعالى ـ عن قتل بعضهم بعضًا(٥).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٢٥٧). (٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٢٥٨).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٢٥٩).

* عن أبى زرعة بن عمر بن جرير، عن جدّه قال: قال لى رسول الله ﷺ فى حجة الوداع: «استنصب الناسَ» ثم قال: «لا ترجعنَّ بعدى كفّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض» اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [رقم: ٢٩]

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿تجارةً﴾ بنصب التاء، على أن «كان» ناقصة واسمها ضمير يعود على الأموال، و«تجارةً» خبرها.

والتقدير: إلا أن تكون الأموال أموال تجارة.

وقرأ الباقون: ﴿تجارةٌ﴾ برفع التاء، على أن «كان» تامّة تكتفى بمرفوعها، والتقدير: إلا أن تحدث تجارة، أو تقع تجارة(٢).

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ . . .﴾ الآية:

اختلف المفسرون فيما يعود عليه اسم الإشارة «ذلك»:

* أولا: قال ابن جرير: قلت لعطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ): أرأيت قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ فى كل ذلك أم فى قوله: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾؟ قال: بل فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾(٣).

* ثانيًا: قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ يعنى: الأموال، والدماء جميعًا(٤).

* ﴿عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾: العدوان: مجاوزة الحدّ، والظلم: وضع الشىء فى غير موضعه.

* وقال سعيد بن جبير: معنى ذلك: أى: متعمدًا اعتداء بغير حق(٥).

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤١٨).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤٠٦)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٢٨).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٦٠).

(٤ ـ ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٦٠).

* ﴿ فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾ أى: ندخله يوم القيامة النار عقوبة له، ولا يظلم ربك أحدًا.

* ﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ أى: هيِّنًا.

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا (٣١) ﴾

* المعنى:

* ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾: الكبائر: جمع كبيرة.

* أخرج البزّار، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه): أن رسول الله ﷺ قال: «الكبائر سبع: أولها الإشراك بالله، ثم قتل النفس بغير حقها، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم إلى أن يكبر، والفرار من الزحف، ورمى المحصنات، والانقلاب على الأعراب بعد الهجرة» اهـ(١).

* ومن يقرأ القرآن الكريم، والسنة المطهرة، ويَدْرس أحكام الدين الإسلامى الحنيف يجد أن الكبائر فى عرف الشرع كثيرة، يرشد إلى ذلك الخبر التالى:

* فعن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ): أن رجلا سأل ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فقال له: كَمْ الكبائر سبع هى؟ قال: إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار.. اهـ(٢).

* وقد وضع كل من: ابن عباس، والضحاك بن مزاحم قاعدة تعرف بها الكبيرة:

* فقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب.. اهـ(٣).

* وقال الضحاك بن مزاحم: الكبائر كل موجبة أوجب الله لأهلها النار، وكل عمل يُقام به الحدّ فهو من الكبائر.. اهـ(٤).

* ﴿ نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريمًا ﴾: هذا من فضل الله ـ تعالى ـ ورحمته بعباده، فقد أخبر أن كل من اجتنب الكبائر فإنه ـ عزّ وجلّ ـ سيكفر عنه كل ما عداها، ويدخله مدخلا كريمًا، وهو جنة عرضها السموات والأرض.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٦٢).

(٢ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٦١).

* ويشهد لهذه المعانى التى ذكرها الله ـ تعالى ـ فى الآية الكريمة، الحديثان التاليان:

* أولا: أخرج النسائى، وابن ماجه، وابن جرير، وابن خزيمة، وابن حبّان، والحاكم، وصححه، والبيهقى فى سننه عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنهما ـ: أن النبى ﷺ جلس على المنبر ثم قال: «والذى نفسى بيده ما من عبد يصلّى الصلوات الخمس، ويصوم رمضان، ويؤدّى الزكاة، ويجتنب الكبائر السبع، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يوم القيامة، حتى إنها لتصفق، ثم تلا: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾»(١).

* ثانيًا: أخرج أحمد، والنسائى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن حبّان، والحاكم وصححه عن أبى أيوب ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عبد الله لا يشرك به شيئًا، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وصام رمضان، واجتنب الكبائر فله الجنة» اهـ(٢).

* ويسعدنى أخى المسلم أن أزفّ إليك الحديث التالى:

* فقد أخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «ألا إنّ شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى، ثم تلا: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا . . .﴾»(٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾ [رقم: ٣١]

ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ﴾ [الحج: ٥٩].

قرأ نافع، وأبو جعفر: ﴿مَدْخلا﴾ فى السورتين بفتح الميم، على أنه مصدر، أو اسم مكان من «دخل» الثلاثى.

وقرأ الباقون بضم الميم فى الموضعين، على أنه مصدر، أو اسم مكان من «أدخل» الرباعى(٤).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٦٠).
(٢) انظر:تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٦٢).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٦٠).
(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٢٨)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٨٦).

● **تنبيه:** اتفق القراء العشرة على ضم الميم من ﴿ مدخل ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ [الإسراء: ٨٠] لأن قبله ﴿ أدخلنى ﴾ وهو فعل رباعى، فيكون ﴿ مُدْخل ﴾ مفعولا فيه.

﴿ وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٣٢) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أولا: أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، والترمذى، والحاكم، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، من طريق مجاهد، عن «أم سلمة» أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت: يا رسول الله يغزو الرجال، ولا نغزو، ولا نقاتل فنُستشهد، وإنّ لنا نصف الميراث، فأنزل الله: ﴿ وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ وأنزل الله فيها: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٥] اهـ(١).

ثانيًا: أخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: كان أهل الجاهلية لا يورّثون المرأة شيئًا، ولا الصبىّ شيئًا، وإنما يجعلون الميراث لن ينفع، ويدفع، ويحترف، فلما لحق للمرأة نصيبها، وللصبى نصيبه، وجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وقالت النساء: لو كان جعل أنصباءنا فى الميراث كأنصباء الرجال، وقال الرجال: إنا لنرجو أن نفضّل على النساء بحسنات فى الآخرة كما فضّلنا عليهنّ فى الميراث، فأنزل الله: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ أى: المرأة تُجزى بحسناتها عشر أمثالها كما يجزى الرجل.. اهـ(٢).

معانى المفردات:

* ﴿ وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾:

التمنّى: نوع من الإرادة يتعلق بالمستقبل.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: لا يتمنّ الرجل فيقول: ليت لى مال فلان وأهله، فنهى الله ـ سبحانه ـ عن ذلك، ولكن ليسأل الله من فضله(٣).

(١ ـ ٢) انظر: أسباب النزول للواحدى ص ١٥٤ ـ ١٥٥، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٦٦، وتفسير القرطبى (٥/ ٢٠٦)، وتفسير البغوى (١/ ٤٢٠)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٦٧).

* ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: معنى ذلك الثواب والعقاب، فللمرأة الجزاء على الحسنة بعشر أمثالها، كما للرجال(١).

والدليل على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (١٦٠) ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

* ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾:

* أخرج الترمذى عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يُسأل» اهـ(٢).

* وأخرج ابن ماجه عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يسأل الله ـ تعالى ـ يغضب عليه» اهـ(٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾ [رقم: ٣٢]

قرأ ابن كثير، والكسائى، وخلف البزّار بنقل حركة الهمزة إلى السين مع حذف الهمزة فى الحالين. وكذا حمزة حالة الوقف، والباقون بعدم النقل(٤).

﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٣٣) ﴾

الناسخ والمنسوخ:

* أولا: أخرج أبو داود، وابن جرير، وابن مردويه، عن عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ قال: كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث أحدهما الآخر، فنسخ ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٧٥، والأحزاب: ٦](٥).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٦٧). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٦٨).
(٣) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٠٨). (٤) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٥٦ ـ ١٥٧).
(٥) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٠٩)، وتفسير البغوى (١/ ٤٢١)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٦٨).

* ثانيًا: أخرج عبد بن حميد، وعبد الرزاق، وابن جرير عن قتادة بن دعامة السدّوسىّ (ت ١١٨هـ) فى الآية قال: كان الرجل يعاقد الرجل فى الجاهلية فيقول: دمى دمك، وهدمى هدمك، وترثنى وأرثك، وتطلب بى وأطلب بك، فجعل له السدس من جميع المال فى الإسلام، ثم يقسِّم أهل الميراث ميراثهم، فنسخ ذلك بعد بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٧٥، الأحزاب: ٦]. فقذف ما كان من عهد يتوارث به، وصارت المواريث لذوى الأرحام.. اهـ[١].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ﴾ أى: ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا موالى، أى: عصبة.

* ﴿ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ ﴾ أى: العصبة يعطون مما تركه الوالدان والأقربون من الميراث، كما بينته آيات المواريث، والسنة المطهرة.

* ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾:

* أخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ: أن رسول الله ﷺ قال بعد الفتح: «فوا بحلف الجاهلية فإنه لا يزيده الإسلام إلا شدّة، ولا تحدثوا حلفًا فى الإسلام»[٢].

* وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد عن الزهرى محمد بن مسلم بن عبد الله (ت ١٢٤هـ) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حِلف فى الإسلام، وتمسَّكوا بحلف الجاهليّة» اهـ[٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [رقم: ٣٣]

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائى، وخلف البزار: ﴿ عقدت ﴾ بغير ألف بعد العين، وذلك على إسناد الفعل إلى «الأيمان»، والأيمان: جمع يمين التى هى اليد، والمفعول محذوف، والتقدير: والذين عقد أيمانكم عهودهم فآتوهم نصيبهم.

وقرأ الباقون: ﴿ عاقدت ﴾ بإثبات ألف بعد العين، على إسناد الفعل إلى «الأيمان» أيضًا، وهو من المفاعلة، كان الحليف يضع يمينه فى يمين صاحبه ويقول: دمى دمك،

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٦٩).
(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٧٠).

وترثني وأرثك، وكـان يرث السـدس من مـال حليفـه، ثم نسخ ذلك بقـوله ـ تعـالى ـ: ﴿ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٧٥، والأحزاب: ٦٠](١).

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخـرج عبـد بـن حُـمَيْـد، وابن جريـر مـن طريـق قـتادة عن الحسن البـصري (ت ١١٠هـ): أن رجلا لطم امرأته، فأتت النبي ﷺ فـأراد أن يقصها منه، فنزلت: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ فدعاه فتلاها عليه، وقال: «أردت أمرًا، وأراد الله غيره»(٢).

* وقال مقاتل بن حيّان البلخيّ (ت ١١٠هـ): نزلت هذه الآية فى سعد بن الربيع وكان من النقباء، وامرأته: حبيـبة بنت زيد بن أبى زهير وهما من الأنصار، وذلك أنها نشزت عليه فلطمها، فانطلق أبوها معها إلى النبى ﷺ فـقال: أفرشْتُه كريمتى فلطمها، فقال النبى ﷺ: «لتقتصّ من زوجها»، وانصـرفت مع أبيها لتقتصّ منه، فقال النبى ﷺ: «ارجـعوا، هذا «جـبريل» ـ عـليه السـلام ـ أتانى وأنزل الله ـ تعـالى ـ هذه الآية، فقـال رسول الله ﷺ: «أردنا أمرًا وأراد الله أمرًا، والذى أراد الله خير» ورفع القصاص(٣).

معانى المفردات:

* ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾: القـوَّام: هو القـائم بالمـصالح والتـدبيـر، والتأديب، والمراد هنا: الرجال يقومون بالنفقة على زوجاتهم، والدفاع عنهنّ.

* وعن السّدّى إسمـاعيل بن عبد الرحمن المفـسّر (ت ١٢٧هـ) قال: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ أى: يأخذوا على أيديهنّ، ويؤدبونهنّ(٤).

---

(١) انظر: المـغنى فى توجيه القـراءات (١/ ٤٠٧)، والكشف عن وجـوه القـراءات (١/ ٣٨٨)، والمهـذب فى القراءات العشر (١/ ١٥٧).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٧٠).

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٥٥.

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٧١).

* ﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾:

✵ **المعنى:** فضل الله الرجال على النساء بعدّة أمور منها:

١ ـ زيادة العقل، وذلك أن شهادة الرجل بشهادة امرأتين.

٢ ـ الدين، وذلك أن الرجل يصلى الجمعة، ويجاهد فى سبيل الله، والمرأة لا جمعة عليها، ولا جهاد عليها. ومن ذلك أن المرأة لا صلاة عليها أيام الحيض والنفاس، ولم يكلفها الشرع بالقضاء تيسيراً عليها.

٣ ـ ومنها: أن الطلاق بيد الرجل دون المرأة.

٤ ـ ومنها: أن الشرع أباح للرجل أن يجمع بين أربع نسوة، ولم يجز ذلك للمرأة لِحِكَمٍ جليلة يطول شرحها.

* ﴿ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ أى: جعل الله القوامة للرجال على النساء بسبب أن الرجل هو الذى يعطى المهر للمرأة، وهو الذى كلفه الشرع بالنفقة على زوجته من كل ما تحتاجه.

* ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ يوضح معنى ذلك الأحاديث التالية:

* أولا: أخرج البزّار عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، دخلت الجنة» اهـ(١).

* ثانيًا: أخرج البزّار عن على بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال: «يا معشر النساء اتقين الله والتمسْن مرضاة أزواجكنّ، فإن المرأة لو تعلم ما حقّ زوجها لم تزل قائمة ما حضر غداؤه وعشاؤه» اهـ(٢).

* ثالثًا: أخرج ابن أبى شيبة، والبزّار عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): أن امرأة من خثعم أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله أخبرنى ما حقّ الزوج على الزوجة، فإنى امرأة أيِّم، فإن استطعتُ وإلا جلستُ أيِّما؟ قال: «فإن حقّ

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٧٣).

الزوج على زوجته: إن سألها نفسها وهى على ظهر بعير أن لا تمنعه نفسها، ومن حق الزوج على زوجته أن لا تصوم تطوعًا إلا بإذنه، فإن فعلت جاعت وعطشت ولا يقبل منها، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء، وملائكة الرحمة، وملائكة العذاب حتى ترجع» اهـ(١).

* ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾:

النشوز: العصيان، وأصل النشوز: التكبّر والارتفاع، ومنه النشْز للمكان المرتفع. وحينئذ يكون المعنى: واللاتى تخافون عصيانهنّ، وتعاليهنّ عمّا أوجب الله عليهنّ من طاعة الأزواج.

* ﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾: هذا هو المنهج الذى رسمه الله ـ تعالى ـ لعلاج المرأة الناشز على زوجها، مرتبًا حسبما جاء فى الآية الكريمة:

* أولا: وعظها، أى: تخويفها من عقاب الله ـ تعالى ـ إذا هى ظلت ناشزًا، وطريقة الوعظ تكون بالترغيب والترهيب، وهى تختلف فى الأسلوب من رجل إلى رجل.

* ثانيًا: إذا لم يُجْد الوعظ فى إصلاح المرأة الناشز، يسلك زوجها الطريقة الثانية لتقويمها وهى: هجرها فى المضجع: أى لا يجامعها.

* فقد أخرج ابن جرير عن حجّاج قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تهجروا النساء إلا فى المضاجع» اهـ(٢).

* ثالثًا: هذا هو الأسلوب الثالث والأخير فى علاج المرأة الناشز إذا لم يفد الأسلوب الأول والثانى، وهو: «ضربها» بشرط أن يكون الضرب بعيدًا عن الوجه، وأن يكون ضربًا غير مبرح بحيث لا يكسر عظمًا، ولا يشين جارحة، لأن الهدف منه هو التأديب لا الانتقام، والدليل على هذا الحديث التالى:

فقد أخرج ابن جرير عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥ هـ) قال: قال رسول الله ﷺ: «اضربوهنّ إذا عصينكم فى المعروف ضربًا غير مبرح» اهـ(٣).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٧٣).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٧٨).

* ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾:

المعنى: إن أطعنكم وتركن النشوز فلا تجنوا عليهنّ بقول أو فعل، وهذا من الله - تعالى - نهى عن ظلمهنّ.

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والحاكم، والبيهقى فى سننه عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ - رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «خير النساء التى إذا نظرت إليها سرّتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك فى مالك ونفسها، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ إلى قوله: ﴿ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾»(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [رقم: ٣٤]

قرأ أبو جعفر: ﴿ اللهَ ﴾ بفتح الهاء، و«ما» موصولة أى: بالذى هو حقّ الله، أو أوامر الله، أو دين الله.

وقرأ الباقون: ﴿ اللهُ ﴾ بالرفع، و«ما» مصدرية، أى: بحفظ الله إياهن(٢).

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٥) ﴾

معنى الآية:

* ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ... ﴾ الآية:

الخطاب هنا لأولياء أمور الزوجين، والضمير فى ﴿ بَيْنِهِمَا ﴾ للزوجين، وحينئذ يكون المعنى: وإن خفتم يا أولياء أمور الزوجين خلافًا بين الزوجين، أى: إذا ظهر بين الزوجين شقاق، ولم يقم الزوج بالصفح عن امرأته، ولم تقم المرأة بتأدية حقوق زوجها حينئذ يشرع أن يبعث أهل الرجل حكمًا من أهله، ويبعث أهل المرأة حكمًا من أهلها، ويشترط فى الحكمين أن يكونا عدلين ويحكمان بتعاليم الإسلام، وتكون رغبة

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٧٨).

(٢) المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤٠٨)، والنشر فى القراءات العشر لابن الجزرى (٣/ ٢٩).

الحكمين الصلحَ والتوفيق بين الزوجين، فإنهما إن أرادا الصلح والإصلاح بين الزوجين يوفقهما الله ـ تعالى ـ لتحقيق المهمة التى يقومان بها، إن الله كان عليمًا خبيرًا.

* عن عمرو بن مرّة قال: سألت سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) عن الحكمين اللذين فى القرآن فقال: يبعث حكمًا من أهله، وحكمًا من أهلها، يكلمان أحدهما ويعظانه، فإن رجع، وإلا كلّمَا الآخر ووعظاه، فإن رجع وإلا حكما، فما حكما بشيء فهو جائز.. اهـ(١).

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾:

✻ **المعنى:** هذا أمر من الله ـ تعالى ـ لجميع عباده فى كل زمان ومكان بأن يخصوه بالعبادة وحده، ولا يشركوا معه أىَّ أحد مهما كان: سواء كان من إنس، أو جنّ، أو مَلَك، أو حَجَر.. إلخ.

وهذا حقّ لله ـ تعالى ـ على جميع عباده الذين أوجدهم من العدم، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

* ويشهد لهذه المعانى الحديث التالى:

* فعن معاذ بن جبل (ت ١٧هـ ـ رضى الله عنه) قال: كنت رديف النبى ﷺ فقال: «هل تدرى يا معاذ ما حقّ الله على الناس؟»، قال قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حقّه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، أتدرى يا معاذ ما حق الناس على الله إذا فعلوا ذلك؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن حقّ الناس على الله أن لا يعذّبهم» قال قلت: يا رسول الله أفلا أبشّر الناس؟ قال: «دعهم يعملون» اهـ(٢).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٨٠).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٢٤).

* ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أى: أحسنوا إلى الوالدين وذلك ببرهما، والعطف عليهما، والقيام بخدمتهما، وحسن معاشرتهما، ولين الجانب لهما.

* فى الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن مسعود (٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: سألت رسول الله ﷺ: أىّ العمل أحبّ إلى الله ـ تعالى ـ؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قلتُ: ثم أىّ؟ قال: «برّ الوالدين»، قلتُ: ثم أىّ؟ قال: «الجهاد فى سبيل الله» اهـ(١).

* ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ أى: أحسنوا إلى قرباتكم، سواء كانت القرابة من جهة الأب، أو الأمّ.

* عن أم كلثوم بنت عقبة ـ رضى الله عنها ـ: أن النبى ﷺ قال: «أفضل الصدقة: الصدقة على ذى الرحم الكاشح(٢)» اهـ(٣).

* ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾: جمع يتيم، واليتيم: من مات والده وهو دون اليتيم.

ومن يقرأ السنة المطهرة يجد الكثير من الأحاديث الصحيحة التى بينت فضل الإحسان إلى اليتيم أقتبس منها ما يلى:

* أخرج الحكيم الترمذى عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحسن إلى يتيم، أو يتيمة كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين، وقرن بين أصبعيه» اهـ(٤).

* ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ أى: أحسنوا إلى المساكين، جمع مسكين.

* عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «تصدّقوا فإن الصدقة فكاككم من النار» اهـ(٥).

* ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ أى: القريب منك فى النسب أو المصاهرة.

* ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ أى: البعيد عنك، أى: الذى ليس بينك وبينه قرابة.

---

(١) انظر: الفضائل للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن ص٤٤.
(٢) الكاشح: بالشين المعجمة هو الذى يضمر عداوته فى خصره.
(٣) انظر: الفضائل للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن ص٢٠٠.
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٨٢).
(٥) رواه البيهقى، انظر: الفضائل للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن ص١٩٥.

* ومن يقرأ السنة المطهرة يجد الكثير من الأحاديث الصحيحة التى تحث على الإحسان إلى الجار سواء كان قريبًا أو بعيدًا، وتبين فضل ذلك، وهذا قبس منها:

* أولا: أخرج أحمد، والبخارى، ومسلم عن أبى شريح الخزاعى أن النبى ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره» اهـ(١).

* ثانيًا: أخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، والبخارى، ومسلم عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتّى ظننت أنه سيورّثه» اهـ(٢).

* ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ أى: أحسنوا إلى الصاحب بالجنب: وقد اختلف العلماء فى الصاحب الجنب مَنْ هو:

١ - فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قالوا: ﴿الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾: الرفيق فى السفر(٣).

٢ - وقال علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه)، وعبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قالا: ﴿الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾: المرأة أى الزوجة(٤).

٣ - وقال زيد بن أسلم (ت ١٣٠هـ): ﴿الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾: هو جليسك فى الحضر، ورفيقك فى السفر، وامرأتك التى تضاجعك(٥).

* ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أى: أحسنوا إلى ﴿ابْنِ السَّبِيلِ﴾.

وقد اختلف العلماء فى ﴿ابْنِ السَّبِيلِ﴾ مَنْ هو:

١ - فقال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): هو المسافر، إذ السبيل: الطريق، فنسب المسافر إليه لمروره عليه، ولزومه إياه، ومن الإحسان إليه: إعطاؤه، وهدايته، ورشده(٦).

٢ - وقال البغوى فى تفسيره: الأكثرون على أن ﴿ابْنِ السَّبِيلِ﴾: هو الضيف(٧).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور (٢/ ٢٨٢).
(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٢٥).
(٤ ـ ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٨٤).
(٦) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٢٤).
(٧) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٢٥).

* ومن يقرأ السنة المطهرة يجد الكثير من الأحاديث الصحيحة التى تبين فضل الإحسان إلى الضيف، وتبين فضل ذلك وهذا قبس منها:

أولا: عن أبى شريح الخزاعى: أن النبى ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» اهـ(١).

ثانيًا: عن أبى شريح الكلبى: أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، وما كان بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحلّ أن يثوى ـ أى يقيم ـ عنده حتى يحرجه»(٢).

* ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أى: أحسنوا إلى المماليك.

* والسنة المطهرة جاءت حافلة بالأحاديث الواردة فى فضل الإحسان إلى المماليك، أقتبس منها ما يلى:

أولا: أخرج عبد الرزاق، وأحمد، والبخارى، ومسلم عن أبى ذرّ (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم» اهـ(٣).

ثانيًا: أخرج البخارى فى الأدب عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كان رسول الله ﷺ يوصى بالمملوكين خيرًا ويقول: «أطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم من لبوسكم، ولا تعذّبوا خلق الله» اهـ(٤).

* ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾: المختال: ذو الخيلاء أى المتكبر، والفخور: الذى يفخر على الناس ويعدّد مناقبه تكبّرا.

* ولعلّ الحكمة فى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خصّ هاتين الصفتين هنا بالذكر، لأنهما تحملان صاحبيهما على الأنفة من القريب الفقير، والجار الفقير، وغيرهما ممن ذكر فى الآية فيتعطّل أمر الله ـ تعالى ـ بالإحسان إليهم.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٢٥). (٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٨٥).

* والسنة المطهرة جاءت بالترهيب من هاتين الصفتين الذميمتين وهذا قبس منها:

* فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يتبختر فى بُرْدين وقد أعجبته نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة» اهـ(١).

﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (٣٧) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزول هذه الآية عدد من الأقوال، وقد اخترت القول التالى حرصًا على عدم الإطناب:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كان كردم بن يزيد حليف كعب بن الأشرف، وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبى نافع، وبحرى بن عمرو، وحيى بن أخطب، ورفاعة ابن زيد بن التابوت يأتون رجالا من الأنصار يتنصحون لهم فيقولون لهم: لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر فى ذهابها، ولا تسارعوا فى النفقة فإنكم لا تدرون ما يكون، فأنزل الله فيهم: ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ [رقم: ٣٩](٢).

معانى المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: هم أعداء الله أهل الكتاب، يبخلون بحق الله عليهم، وكتموا الإسلام ونعت محمد ﷺ وهم يجدونه مكتوبًا عندهم فى التوراة والإنجيل(٣).

* ﴿ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾:

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٢٦).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٢٦)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٨٩).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٨٩).

* قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قال: هؤلاء اليهود يكتمون ما آتاهم الله من الكتاب إذا سئلوا عن شيء[١].

* ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾: هذا توعّد من الله ـ تعالى ـ للكافرين بأنه يوم القيامة أعدّ لهم العذاب المهين، قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) ﴾ [النساء: ٥٦].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ [النساء: ٣٧، والحديد: ٢٣]

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف البزّار: ﴿ بالبَخَل ﴾ في الموضعين بفتح الباء، والخاء. وقرأ الباقون: ﴿ بالبُخْل ﴾ بضم الباء، وسكون الخاء. وهما لهجتان في مصدر «بخل» مثل: العُرْب والعَرَب[٢].

﴿ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾:

* قال القرطبي في تفسيره: قال الجمهور: نزلت في المنافقين، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ رِئَاءَ النَّاسِ ﴾ والرئاء من النفاق.. اهـ[٣].

* ويشهد لهذا قوله ـ تعالى ـ في شأن المنافقين: ﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣) وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٤) ﴾ [التوبة: ٥٣ ـ ٥٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٢٨٩).

(٢) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٤٠٩)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٣٠)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٨٩)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ١٥٨)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٩٠.

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٥/ ١٢٦).

* ﴿ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾:

❋ المعنى: ومن يكن الشيطان قرينًا وصاحبًا له يأتمر بأمره وينفذ ما يزيّنه له، فبئس هذا القرين، ويوم القيامة سيتخلّى الشيطان عن جميع أتباعه ويتبرأ منهم، ولا ينفعهم بل لا يغنى عن نفسه من عذاب الله شيئًا، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (٣٩) ﴾

❋ المعنى: «ما» اسم استفهام مبتدأ، و«ذا» خبر، وهى بمعنى الذى، والتقدير: ما الذى عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر... إلخ، أى: لا شىء عليهم، بل لهم الأجر الكبير، والثواب الجزيل.

* ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ لأنه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء، وسيجازى كل واحد حسب عمله وإخلاصه، ولا يظلم ربك أحدًا.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾: عن السّدى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧ هـ) قال: وزن ذرّة(١).

والذرّ: أجزاء الهباء فى الكون، وكل جزء منها ذرّة.

* أخرج الطيالسىّ، وأحمد، ومسلم، وابن جرير عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه): أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها: الرزق فى الدنيا، ويجزى بها فى الآخرة. وأمّا الكافر فيطعم بها فى الدنيا، فإذا كان يوم القيامة لم تكن لهم حسنة»(٢).

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣) ﴾ [الفرقان: ٢٣].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٩٠).

* ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾:

* أخرج ابن جرير عن أبى عثمان النهْدى قال: لقيت أبا هريرة فقلت له: بلغنى أنك تقول إن الحسنة لتضاعف ألف ألف حسنة، قال: وما أعجبك من ذلك؟ فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ليضاعف الحسنة ألفى ألف حسنة» اهـ[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ﴾ [رقم: ٤٠]

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر،: ﴿ حسنةٌ ﴾ برفع التاء، على أن «كان» تامّة تكتفى بمرفوعها، والتقدير: وإن حدث أو وقع حسنة.

وقرأ الباقون: ﴿ حسنةً ﴾ بالنصب خبر «كان» الناقصة[٢].

* ﴿ يُضَاعِفْهَا ﴾ [رقم: ٤٠]

قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر،ويعقوب: ﴿ يضعِّفها ﴾ بحذف الألف مع التشديد مضارع «ضعّف» مضعف العين. وقرأ الباقون: ﴿ يضاعفها ﴾ بإثبات الألف مع التخفيف مضارع «ضاعف»[٣].

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١) ﴾

المعنى:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾: قال: رسولها يشهد عليها أن قد أبلغهم ما أرسله الله به إليهم. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ قال: كان النبى ﷺ إذا أتى عليها فاضت عيناه.. اهـ[٤].

* وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) فى الآية قال: قال رسول الله ﷺ: «شهيداً عليهم ما دمتُ فيهم فإذا توفيتنى كنتَ أنتَ الرقيب عليهم» اهـ[٥].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٩١).
(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤٠٩)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٣٠).
(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٥٨).
(٤ ـ ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٩٢).

* وعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: قال لى رسول الله ﷺ: «اقرأ علىّ» قلتُ: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: «نعم أحب أن أسمعه من غيرى» فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ الآية، فقال: «حسبك الآن» فإذا عيناه تذرفان(١).

﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (٤٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أى: يوم القيامة.

* ﴿ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الأَرْضُ ﴾:

اختلف العلماء فى تأويل هذه الآية:

أولا: قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) قالا: معنى ذلك: لو تخرقت الأرض فساخوا فيها وعادوا إليها كما خرجوا عنها ثم تسوّى بهم أى: عليهم(٢).

ثانيًا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ذلك: أن تسوّى الأرض والجبال عليهم، أى: صاروا هم والأرض شيئًا واحدًا(٣).

* ﴿ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ، والكلبى محمد بن السائب (ت ١٤٦هـ): ولا يكتمون حديثًا لأن جوارحهم ستشهد عليهم(٤).

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) ﴾ [النور: ٢٤].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الأَرْضُ ﴾ [رقم: ٤٢]

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٩١). (٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٣٠).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٩٢).
(٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٣٠)، وتفسير الدر المنثور (٢/ ٢٩٣).

قرأ ابن كثير، وأبو عـمرو، وعاصم، ويعقوب: ﴿ تُسَوى ﴾ بضم التاء، وتخفيف السين، فـالضم فى التـاء على بناء الفعل للمجـهـول، و﴿ الأرضُ ﴾ نائب فـاعل، وتخفيف السين على حذف إحدى التاءين تخفيفًا، لأن الأصل «تتسوّى».

وقرأ نـافع، وابن عامـر، وأبو جعـفر: ﴿ تَسَّوَّى ﴾ بفتـح التاء، وتشديد الـسين، فالفـتح فى التاء على بناء الفـعل للفاعل، و﴿ الأرضُ ﴾ فاعل، وتشـديد السين على إدغام التاء فى السين.

وقرأ البـاقون وهم: حـمزة، والكسائى، وخـلف البزّار: ﴿ تَسَوَّى ﴾ بفتح التاء، وتخفيف السين، على البناء للفاعل، وحذف إحدى التاءين تخفيفًا[1].

* ﴿ بِهِمُ الأَرْضُ ﴾ [رقم: ٤٢]

قرأ أبو عمرو، ويعقوب بكسر الهاء والميم وصلا.

وقرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار بضم الهاء والميم وصلا.

وقرأ الباقون بكسر الهاء وضم الميم وصلا.

أمّا عند الوقف فجميع القراء يكسرون الهاء، ويسكنون الميم[2].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (٤٣) ﴾

• تنبيه مهم:

تقـدّم الحـديث عن التـدرّج فى تحـريم الخـمـر أثناء تفـسـيـر قـوله ـ تعـالى ـ: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ [البقرة: ٢١٩] فليرجع لذلك من أراد.

سبب نزول هذه الآية:

ذكر العلماء فى ذلك عـددًا من الروايات وقد اخترت الرواية التاليـة حرصًا على عدم الإطناب:

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤١٠)، والنشر فى القـراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٣٠)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٩٠).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٥٩).

* أخرج عبد بن حُمَيد، وأبو داود، والترمذى وحسَّنه، والنسائى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والنحاس، والحاكم وصححه عن علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعامًا، فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منّا، وحضرت الصلاة، فقدّمونى فقرأتُ: «قل يا أيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون * ونحن نعبد ما تعبدون» فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[(١)].

❀ معانى المفردات:

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قالا: نهوا أن يصلّوا وهم سكارى، ثم نسخها تحريم الخمر[(٢)].

● وأقول الناسخ: قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠ ـ ٩١].

* ﴿وَلا جُنُبًا﴾: منصوب على الحال، أى: لا تقربوا الصلاة حالة كونكم جنبًا.

ولفظ جنب يستعمل للمذكر والمؤنث، والمفرد والجمع بلفظ واحد: يقال: رجل جنُب، وامرأة جنب، ورجال جنب، ونساء جنب. وأصل الجنب: البُعْد، وسمّى جنبًا لأنه يتجنب موضع الصلاة، حتى يغتسل.

* ﴿إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾: اختلف العلماء فى تأويل ذلك:

* أولا: قال علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه)، وابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، وسعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ)، ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قالوا معنى ذلك: إلا أن تكونوا مسافرين، ولم تجدوا الماء فتيمّموا، مُنِعَ الجنبُ من الصلاة حتى يغتسل إلا أن يكون فى سفر، ولا يجد ماء فيصلّى بالتّيمم[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٩٤).
(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٣١).

* ثانيًا: قال عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه)، وسعيد بن المسيّب (ت ٩٤هـ)، والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)، وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، والنخَعىّ إبراهيم بن يزيد بن قيس الكوفى (ت ٩٥هـ)، والزهرىّ محمد بن مسلم بن عبد الله (ت ١٢٤هـ) قالوا: المراد من الصلاة: موضع الصلاة، وحينئذ يكون المعنى: لا تقربوا المسجد وأنتم جنب إلا مجتازين فيه للخروج منه، مثل: أن ينام فى المسجد فيجنب، والماء فى المسجد، أو يكون طريقه عليه فيمرّ به، ولا يقيم: وذلك أن قومًا من الأنصار كانت أبوابهم فى المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم، ولا ممرّ لهم إلا فى المسجد، فَرُخِّص لهم فى العبور(١).

* وقد أباح كل من: الإمام مالك (ت ١٧٩هـ)، والإمام الشافعى (ت ٢٠٤هـ) المرور للجنب فى المسجد، دون المكث فيه(٢).

* أمّا المكث فى المسجد للجنب، فلا يجوز عند أكثر أهل العلم والدليل على ذلك الحديث التالى:

* فعن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) أن رسول الله ﷺ قال: «وجِّهوا هذه البيوت عن المسجد فإنِّى لا أُحِلُّ المسجد لحائض ولا جنب» اهـ. [أخرجه أبو داود، وقال: حديث حسن](٣).

* ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾:

* ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ ﴾: جمع مريض، والمراد به مرض يضرّه استعمال الماء مثل: الجدرىّ ـ والعياذ بالله تعالى ـ، أو كان على موضع الطهارة جراحة يخاف من استعمال الماء فيها أو زيادة المرض، فإنه يصلّى بالتيمّم وإن كان الماء موجودًا.

* ومن الأدلة على ذلك ما يلى:

* أخرج ابن أبى شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ ﴾ قال: هو الرجل المجدور، أو به الجراح، أو القرح، يجنب فيخاف إن اغتسل أن يموت فيتمّم.. اهـ(٤).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٣١). (٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٣١ ـ ٤٣٢).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٩٦).

* وأخرج ابن أبى شيبة عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ)، ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٥هـ) قالا: المريض تصيبه الجنابة فيخاف على نفسه، هو بمنزلة المسافر الذى لا يجد الماء يتيمم(١).

* وإن كان بعض أعضاء طهارة المريض صحيحًا، والبعض جريحًا غسل الصحيح منها، وتيمم للجريح.

* والدليل على ذلك الحديث التالى:

* فعن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: خرجنا فى سفر فأصاب رجلا منّا حجرٌ فشجَّه فى رأسه، فاحتلم، فسأل أصحابه: هَلْ تجدون لى رخصة فى التيمم؟ قالوا: ما نجد لك رخصة وأنتَ تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبى ﷺ أُخْبِر بذلك فقال: «قتلوه قتلهم الله، ألاَ سألوا إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العِىِّ السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر، أو يعصب ـ شكّ الراوى ـ على جرحه خِرقة ثم يمسح عليها، ويغسل سائر جسده» اهـ(٢).

* ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾:

المعنى: أنه إذا كان الإنسان ذكرًا كان أو أنثى فى سفر: طويلا كان أو قصيرًا، وعدم الماء فإنه يصلّى بالتيمم.

* والدليل على ذلك الحديث التالى:

* عن أبى ذرّ الغفارى (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال النبى ﷺ: «إنّ الصعيد الطيب وضوء المسلم إن لم يجد الماء عشْر سنين، فإذا وجد الماء فليمسّه بشرته فإن ذلك خير» اهـ(٣).

* ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ أى: إذا أحدث، والغائط: أصله ما انخفض من الأرض، والجمع: أغواط، وكانت عادة العرب إتيان الغائط للحدث فكنّى عن الحدث بالغائط.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٩٦).
(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٣٢).
(٣) رواه البخارى، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وأحمد، انظر: تفسير البغوى(١/ ٤٣٢).

* ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾: اختلف العلماء فى معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ على قولين:

* الأول: قال ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه)، وابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما)، والنخعى إبراهيم بن يزيد بن قيس الكوفى (ت ٩٥هـ) قالوا: المراد: التقاء البشرتين سواء كان بجماع، أو غيره.

* والثانى: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قالوا: المراد: الجماع، وكنّى باللّمْس عن الجماع، لأن الجماع لا يحصل إلا باللمس.. اهـ(١).

* ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾: لأى سبب من الأسباب.

* ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ أى: اقصدوا ترابًا طيبًا طاهرًا.

* عن سفيان بن عيينة بن أبى عمران (ت ١٩٨هـ) قال: تحروا، وتعمدوا صعيداً طيبًا(٢).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: الصعيد: هو التراب(٣).

* وأخرج ابن أبى شيبة، ومسلم عن حذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «جعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم يجد الماء» اهـ(٤).

* ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾:

• تنبيه مهم:

اعلم أخى المسلم أن مسح الوجه واليدين واجب فى التيمم. إلا أن العلماء اختلفوا فى كيفية ذلك على قولين:

* أولا: ذهب جمهور العلماء إلى أنه يُمسح الوجه واليدان مع المرفقين بضربتين: يضرب كفيه على التراب فيمسح بهما جميع وجهه. ثم يضرب ضربة ثانية فيمسح يديه إلى المرفقين، والدليل على هذا القول الحديثان التاليان:

* الحديث الأول: أخرج الطبرانى، والحاكم، عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) عن النبى ﷺ قال: «التيمم ضربتان: ضربة للوجه، وضربة لليدين إلى المرفقين» اهـ(٥).

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٣٣).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٩٨).
(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٣٥).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٩٩).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٩٨).

* والحديث الثانى: أخرج الحاكم عن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال: تيممنا مع رسول الله ﷺ: فضربنا بأيدينا على الصعيد الطيب، ثم نفضنا أيدينا فمسحنا بها وجوهنا، ثم ضربنا ضربة أخرى، ثم نفضنا أيدينا فمسحنا بأيدينا من المرافق إلى الأكفّ على منابت الشعر من ظاهر وباطن.. اهـ[١].

* وممن قال بهذا القول كل من:

١ ـ ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما).

٢ ـ والحسن البصرى (ت ١١٠هـ).

٣ ـ والثورى سفيان بن سعيد بن مسروق (ت ١٦١هـ).

٤ ـ والإمام أبى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى (ت: ١٥٠هـ).

٥ ـ والإمام محمد بن إدريس الشافعى (ت ٢٠٤هـ).

* ثانيًا: روى عن الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ): أن المسنون للتيمم ضربة واحدة، فإن تيمم بضربتين جاز، والدليل على ذلك الحديث الذى رواه عمار بن ياسر ـ رضى الله عنه ـ: أن النبى ﷺ قال: «التيمم ضربة للوجه واليدين»[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ﴾ [النساء: ٤٣، والمائدة: ٦]

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿لمستم﴾ فى السورتين بحذف الألف.

قال ابن مسعود، وابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ: المراد باللمس هنا: الإفضاء باليد إلى الجسد، وببعض جسده إلى جسدها. وقرأ الباقون: ﴿لامستم﴾ بإثبات ألف بعد السين، وذلك على المفاعلة التى لا تكون إلا من اثنين، إذًا فيكون معناه: الجماع[٣].

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٩٨).

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، انظر: نيل الأوطار للشوكانى (١/ ٣٠٨)، والعبادات للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (١/ ١٢٧).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤١١)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٣٠)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٩١).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤٦)﴾

سبب نزول هذه الآيات:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) قال: كان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء اليهود، إذا كلّم رسول الله ﷺ لوّى لسانه وقال: أرعِنا سمعك يا «محمد» ـ عليه الصلاة والسلام ـ حتى نفهمه، ثم طعن في الإسلام وعابه، فأنزل الله فيه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(١).

معاني المفردات:

* ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾: وهو رفاعة بن زيد بن التابوت اليهودي.

* ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ أي: يستبدلون الكفر بالإيمان. ونظير ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦)﴾ [البقرة: ١٦].

* ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ أي: تضلّوا طريق الحق فتكونوا مثلهم، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

* ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ أي: منكم لأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، إذًا فلا تستنصحوهم لأنهم أعداؤكم.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٥/ ١٥٧)، وتفسير البغوي (١/ ٤٣٧)، والدر المنثور للسيوطي (٢/ ٣٠٠)، وأسباب النزول للشيخ القاضي ص٦٩.

* ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾:

* قال الزجّاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): اكتفوا بالله وليّا، واكتفوا بالله نصيراً(١).

وحينئذ يكون المعنى: اكتفوا بالله وليّا فهو يكفيكم أعداءكم، واكتفوا به نصيراً فهو ينصركم عليهم، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

* ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: يحرفون حدود الله فى التوراة.. اهـ(٢).

* وعن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قال: يبدّلون التوراة.. اهـ(٣).

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) ﴾ [البقرة: ٧٥].

* ﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قال: يقولون: سمعنا ما تقول يا «محمد» ولا نطيعك(٤).

* ﴿ وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: يقولون: اسمع لا سمعت(٥). أى: يقولون: اسمع منا، ثم يدعون على الرسول ﷺ ويقولون: لا سمعت، قبّحهم الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وَرَاعِنَا ﴾ أى: يقولون له ـ عليه الصلاة والسلام ـ: راعنا، يريدون بذلك نسبته إلى الرعونة، وهى صفة ذمّ، ولذلك نهى الله ـ تعالى ـ المسلمين أن يخاطبوه بها، ويقولوها له، فقال ـ عزّ من قائل ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) ﴾ [البقرة: ١٠٤].

* ﴿ لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴾ أى: يلوون ألسنتهم عن الحق أى: يميلونها إلى ما فى قلوبهم وهو ذمّ للهادى البشير ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

* عن السدّىّ إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قال: الكلام شبه الاستهزاء(٦). أقول: بل هو استهزاء.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٣٨).

(٢ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٠٠).

* ﴿ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ﴾ أى: قدحًا فى دين النبى ﷺ.

* ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾ أى: لو أن اليهود قالوا: سمعنا وأطعنا، بدلا من قولهم: سمعنا وعصينا. وقالوا: اسمع وانظر إلينا، بدلا من قولهم: راعنا، لكان ذلك خيرًا لهم وأقوم: أى أعدل إلى الصواب.

* ﴿ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ أى: طردهم الله ـ تعالى ـ من رحمته بسبب كفرهم وعنادهم، والمؤمنون منهم قليلون أمثال عبد الله بن سلام وأصحابه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً (٤٧) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كلّم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبار يهود، منهم: عبد الله بن صوريا، وكعب بن أسد فقال لهم: «يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أن الذى جئتكم به الحق» فقالوا: ما نعرف ذلك يا محمد، فأنزل الله فيهم هذه الآية(١).

معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾: الخطاب هنا لليهود، والمراد بالكتاب: التوراة.

* ﴿ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾ أى: آمنوا بالقرآن المنزّل على النبى «محمد» ﷺ والذى جاء مصدقًا للكتاب المنزل على نبيكم «موسى» ـ عليه السلام ـ وهو التوراة.

* ﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا ﴾، الطمس: استئصال أثر الشىء، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) ﴾ [المرسلات: ٨].

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: طمْسُها: أى تعمى(٢).

---

(١) تفسير القرطبى (٥/ ١٥٨)، وتفسير البغوى (١/ ٤٣٨)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٠٠)، وأسباب النزول للقاضى ص٧٥.

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٠١).

* وفى رواية قال: نجعلها كخفّ البعير(١).

* ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾:

* عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: نجعل وجوههم من قِبَل أقفيتهم فيمشون القهقرى.. اهـ(٢).

* ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾:

* عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قالا: نمسخهم قردة وخنازير.. اهـ(٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾:

* أخرج أبو يعلى، وابن أبى حاتم، عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يموت لا يشرك بالله شيئًا إلا حلّت له المغفرة، إن شاء غفر له، وإن شاء عذّبه، إن الله استثنى فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾» اهـ(٤).

* وأخرج أحمد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن مردويه عن أبى ذرّ الغفارىّ (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: أتيتُ رسول الله ﷺ فقال: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق» ثلاثا، ثم قال فى الرابعة: «على رغم أنف أبى ذرّ» اهـ(٥).

* وأخرج أحمد عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة»(٦).

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٣٨).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٠١).
(٣) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٥٩).
(٤ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٠٣).

* وأخرج الفريابى، والترمذىّ وحسّنه عن علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) قال: أحبّ آية إلىّ فى القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾(١).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٤٩)﴾

سبب نزول هذه الآية:

* قال كل من:

١ ـ ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما).

٢ ـ وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ).

٣ ـ والحسن البصرى (ت ١١٠هـ).

٤ ـ والسدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ).

٥ ـ والكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ).

قالوا: نزلت فى اليهود كانوا يقدّمون صبيانهم يصلّون بهم، ويقرّبون قربانهم، ويزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب، وكَذَبوا.

ثم أنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾(٢).

معانى المفردات:

* ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾:

* عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قال: هم اليهود والنصارى، قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨]، ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقرة: ١١١](٣).

* ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ أى: يطهّر ويبرِّئ من الذنوب. إذ التزكية: التطهير، والتبرئة من الذنوب.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٠٢).

(٢) انظر: تفسير البغوى(١/ ٤٤٠)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٠٤).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٠٤).

* ﴿ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾: اختلف العلماء فى الفتيل على قولين:

١ ـ عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، والسدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قالا: الفتيل: هو ما يخرج بين أصبعيك أو كفيك من الوسخ إذا فتلتهما، فهو فعيل بمعنى مفعول.

٢ ـ وعن ابن عباس أيضًا قال: الفتيل: الذى يكون فى شق النواة[1].

* أمّا (النقير) المذكور فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء: ١٢٤] فهو: النقرة التى تكون فى النواة التى تنبت منها النخلة[2].

* وأمّا (القطمير) المذكور فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [فاطر: ١٣]. فهو: القشر الذى يكون على النواة[3].

وهذا كله كناية عن تحقير الشىء وتصغيره.

﴿ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾: الخطاب موجه لنبينا «محمد» ﷺ. أى: انظر يا«محمد» إلى هؤلاء اليهود كيف يفترون على الله الكذب، وذلك بقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقولهم: لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة إلى آخر مفترياتهم التى سجّلها عليهم القرآن الكريم. والافتراء: معناه الاختلاق، ومنه قولهم: افترى فلانٌ على فلان، أى: رماه بما ليس فيه.

* ﴿ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ أى: كفى بكذبهم هذا إثمًا مبينًا. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر: ٦٠].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية، وقد اخترت السبب التالى طلبًا لعدم الإطناب:

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٦٠).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٠٥).

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كان الذين حزّبوا الأحزاب من قريش، وغطفان، وبنى قريظة: حيى بن أخطب، وسلام بن أبى الحقيق، وأبو رافع، والربيع بن أبى الحقيق، وعمارة، وهودة بن قيس، ووحْوح بن عارم: فأما هودة بن قيس، ووحوح بن عارم فمن بنى وائل، وكان سائرهم من بنى النضير، فلمّا قدموا على قريش قالوا: هؤلاء أحبار يهود، وأهل العلم بالكتاب الأول، فاسألوهم أدينكم خير أم دين محمد؟ فسألوهم فقالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه وممن اتّبعه، فأنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله: ﴿مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [رقم: ٥٤].. اهـ[١].

❀ معانى المفردات:

* ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾، المراد بهم اليهود المذكورون فى سبب النزول وغيرهم من اليهود تبع لهم، والمخاطب نبينا «محمد» ﷺ وكل من يصلح للخطاب.

* ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾: اختلف المفسرون فى المراد من الجبت والطاغوت على أقوال كثيرة وهذه أهمها:

أولا: قال عكرمة مولى ابن عابس (ت ١٠٥هـ): هما صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله[٢].

ثانيًا: قال أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ): هما كل معبود يُعبد من دون الله ـ تعالى ـ[٣].

ثالثًا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) الجبت: الأصنام، والطاغوت: الذى يكون بين يَدَىْ الأصنام، يعبِّرون عنها الكذب ليضلوا الناس[٤].

* ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قال: اليهود تقول ذلك، يقولون: قريش أهدى من «محمد» ﷺ وأصحابه.. اهـ[٥].

---

(١) انظر: الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٠٧).
(٢ ـ ٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٤١).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٠٧).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٠٨).

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً (٥٢) ﴾

* **المعنى:** اسم الإشارة عائد إلى اليهود الذين قال الله عنهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ... ﴾ إلخ [رقم: ٥١].

أي: أولئك الذين طردهم الله من رحمته، ومن طردهم الله من رحمته فلن تجد لهم نصيراً ينصرهم من دون الله.

﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً (٥٣) ﴾

* **المعنى:**

* ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكارى، والميم صلة، أى: ليس لهم من الملك شىء. ولو كان لهم من الملك شىء.

* ﴿ فَإِذاً لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً ﴾ وذلك لبخلهم، و«النقير»: النقطة التى تكون فى ظهر النواة ومنها تنبت النخلة.

وقد قال بذلك ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)[١].

* وعن مجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ) قال: ليس لهم نصيب، ولو كان لهم نصيب لم يؤتوا الناس نقيراً.. اهـ[٢].

ويشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً (١٠٠) ﴾ [الإسراء: ١٠٠].

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً (٥٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾: الهمزة فى «أم» للاستفهام الإنكارى، والميم صلة. و﴿ يَحْسُدُونَ ﴾ فعل وفاعل، والحسد: هو تمنّى زوال نعمة الغير، وهو غير جائز شرعًا، والدليل على ذلك الحديثان التاليان:

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٠٨).

الأول: أخرج أبو داود، والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه): أنّ النبى ﷺ قال: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» اهـ(١).

والثانى: أخرج البيهقى فى الشعب عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمع فى جوف عبْد الإيمان والحسد» اهـ(٢).

وفاعل ﴿يَحْسُدُونَ﴾ الواو، والمراد بهم: اليهود، قال بذلك مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)(٣).

* وقد اختلف المفسرون فى المراد من ﴿النَّاسَ﴾ وهذه أهمّ الأقوال الواردة فى ذلك:

* أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)، وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) وغيرهم، قالوا: المراد بالناس فى هذا الموضع خاصة: نبينا «محمد» ﷺ.. اهـ(٤).

* وأقول: هذا أرجح الأقوال، وقد حسدوه ﷺ إذْ لم يكن منهم، ولذلك كفروا به، مع أنهم يعرفونه بصفاته كما يعرفون أبناءهم.

* ثانيًا: قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): المراد بالناس: العرب حسدهم اليهود على النبوّة وما أكرمهم الله ـ تعالى ـ بنبينا «محمد» ﷺ(٥).

* ﴿عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ المراد بالفضل: النبوّة، وقد قال بذلك ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ)(٦).

* ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾: المراد بآل إبراهيم ـ عليه السلام ـ: «سليمان، وداود» ـ عليهما السلام ـ.

وقد قال بذلك السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ)(٧).

* ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾: المراد بالكتاب: ما أنزله الله إليهما، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣)﴾ [النساء: ١٦٣]، والمراد بالحكمة: النبوّة، وقد قال بذلك السدّى(٨).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٠٩). (٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٠٨).
(٤ ـ ٥) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٤٢)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٠٩).
(٦ ـ ٨) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٠٩).

* ﴿ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾، يرشد إلى ذلك ويوضحه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) ﴾ [النمل: ١٥ ـ ١٧].

* وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) ﴾ [سبأ: ١٠ ـ ١٣].

﴿ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (٥٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ ﴾: الضمير فى ﴿ فَمِنْهُم ﴾ المراد به بعض اليهود أمثال: عبد الله بن سلام وأصحابه. والضمير فى ﴿ بِهِ ﴾ عائد على ﴿ النَّاسَ ﴾ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ ﴾ والمراد به نبينا «محمد» ﷺ. وحينئذ يكون المعنى: من اليهود من آمن بالهادى البشير ﷺ، وهنيئًا لهم بإيمانهم.

* ﴿ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ﴾ أى: من اليهود من كفر به وأعرض عنه، بل أخذ ينفّر الناس من الإيمان به ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد توعّدهم الله ـ تعالى ـ بقوله: ﴿ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾، وصدق الله إذ قال عقب هذه الآية:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا ﴾ أى: ندخلهم نارًا نشويهم فيها.

* ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، وابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قالا: إذا احترقت جلودهم بدّلهم الله جلوداً غيرها بيضاء أمثال القراطيس.. اهـ(١).

* وأخرج ابن أبى شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى الآية قال: بلغنى أنه يحرق أحدهم فى اليوم سبعين ألف مرّة ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ ﴾ وأكلت لحومهم قيل لهم: عودوا فعادوا.. اهـ(٢).

* وأخرج ابن المنذر عن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى الآية قال: تأخذ النار فتأكل جلودهم حتى تكشطها عن اللحم، حتى تفض النار إلى العظام، ويُبدَّلون جلوداً غيرها، يذيقهم الله شديد العذاب، فذلك دائم لهم أبداً بتكذيبهم رسول الله ﷺ وكفرهم بآيات الله(٣).

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً (٥٧) ﴾

* أخرج ابن أبى حاتم عن الربيع بن أنس فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً ﴾ قال: هو ظلّ العرش الذى لا يزول(٤).

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قال: وُصف بأنه ظليل، لأنه لا يدخله ما يدخل ظلّ الدنيا من الحرّ والسموم ونحو ذلك.. اهـ(٥).

* وقال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) المراد: ظلال الأشجار، وظلال قصورها.. اهـ(٦).

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* قال العلماء: هذه الآية نزلت فى عثمان بن طلحة الحجبى من بنى عبد الدار وكان سادن الكعبة، فلما دخل النبى ﷺ مكة يوم الفتح أغلق عثمان بن طلحة باب

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٤٢)، والدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣١٠).
(٢ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣١١). (٥ ـ ٦) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٦٥).

البيت وصعد السطح، فطلب رسول الله ﷺ المفتاح، فقيل: إنه مع عثمان فطلبه منه رسول الله ﷺ فأبى وقال: لو علمتُ أنه رسول الله لم أمنع المفتاح فلَوَى على ـ رضى الله عنه ـ يده فأخذ منه المفتاح، وفتح الباب، فدخل رسول الله ﷺ البيت وصلّى فيه ركعتين، فلمّا خرج سأله العبّاس أن يعطيه المفتاح ويجمع له بين السِّقاية، والسِّدانة، فأنزل الله هذه الآية فأمر رسول الله ﷺ أن يردّ المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه، ففعل ذلك علىّ ـ رضى الله عنه ـ فقال له عثمان: أكرهت وآذيت ثم جئتَ ترفق، فقال علىّ: لقد أنزل الله ـ تعالى ـ فى شأنك قرآنًا، وقرأ عليه الآية، فقال عثمان: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن «محمدًا» رسول الله. وكان المفتاح معه، فلمّا مات دفعه إلى أخيه شيبة، فالمفتاح والسدانة فى أولادهم إلى يوم القيامة.. اهـ(١).

* وقد أخرج الطبرانى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوها يا بنى طلحة خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم» يعنى: حجابة الكعبة(٢).

❀ معانى المفردات:

* ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾:

* قال ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) وغيره: ذلك خطاب للنبىّ ﷺ خاصّة فى أمر مفتاح الكعبة.. اهـ(٣).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾، قال: هى مسجلة للبرّ والفاجر.. اهـ(٤).

* وأقول: إذا كانت الآية نزلت فى سبب خاص، إلا أنها تشمل جميع الأمانات فإنه يجب على كل مؤتمن أن يردّ الأمانة إلى أهلها أيّا كان نوعها، أو قيمتها. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٣)﴾ [الأحزاب: ٧٢ ـ ٧٣].

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٦١، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٧١، وتفسير القرطبى (٥/ ١٦٦)، وتفسير البغوى (١/ ٤٤٣)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣١٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣١٢).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٦٦).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣١٢).

* ويشهد لما ذكرته أن الآية عامّة تشمل جميع الأمانات الأحاديث التالية:

* أولا: أخرج أبو داود، والترمذى، والحاكم، والبيهقى فى شعب الإيمان من طريق أبى صالح عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه): أن النبى ﷺ قال: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك» اهـ(١).

* ثانيًا: أخرج مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث من كنّ فيه فهو منافق، وإن صام وصلّى وزعم أنه مسلم: من إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» اهـ(٢).

* ثالثًا: أخرج البيهقى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أوّل ما يرفع من هذه الأمّة الحياء، والأمانة، فسلوهما الله ـ عزّ وجل ـ» اهـ(٣).

* ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ أى: بالقسط.

* قال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): البينة على المدّعى، واليمين على من أنكر.. اهـ(٤).

* وقال القرطبى فى تفسيره: هذا خطاب للولاة والأمراء، والحكام، ويدخل فى ذلك بالمعنى جميع الخلق.. اهـ(٥).

* ومما يدلّ على فضل العدل فى الحكم بين الناس الحديثان التاليان:

* الأول: عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ ـ رضى الله عنهما) يرفعه إلى النبى ﷺ قال: «المقسطون عند الله على منابرَ من نور على يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، هم الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما وُلّوا» اهـ(٦).

* والثانى: عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحبّ الناس إلى الله يوم القيامة، وأقربهم منه مجلسًا: إمام عادل، وإنّ أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدّهم عذابًا: إمام جائر» اهـ(٧).

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ أى: نعم الشىء الذى يعظكم به الله ـ تعالى ـ وهو بكل شىء سميع بصير، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣١٣).
(٤ ـ ٥) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٦٧).
(٦ ـ ٧) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٤٤).

عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦١) ﴾ [يونس: ٦١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ﴾ [رقم: ٥٨]

قرأ أبو عمرو بإسكان الراء، واختلاس ضمتها. وللدورى وجه ثالث وهو إتمام الحركة كباقى القراء. وقرأ ورش، وأبو جعفر، وأبو عمرو بخلف عنه بإبدال الهمزة وصلا ووقفًا، وكذا حمزة عند الوقف(١).

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا ﴾ [رقم: ٥٨]

قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ نَعِمَّا ﴾ بفتح النون، وكسر العين، على الأصل.

وقرأ ورش، وابن كثير، وحفص، ويعقوب: ﴿ نِعِمَّا ﴾ بكسر النون اتباعًا لكسرة العين، وهى لهجة هذيل.

وقرأ أبو جعفر: ﴿ نِعْمَّا ﴾ بكسر النون، وإسكان العين. واختلف عن قالون، وأبى عمرو، وشبعة فروى عن كل منهم وجهان:

الأول: كسر النون مع اختلاس كسرة العين.

والثانى: كسر النون مع إسكان العين كقراءة أبى جعفر. واتفق القراء على تشديد الميم(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾:

* عن عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ) قال: طاعة الرسول ﷺ: اتباع الكتاب والسنة(٣).

(١ ـ ٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٦٢). (٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣١٤).

* ﴿وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾: اختلف العلماء فى المراد بأولى الأمر، وهذه أرجح الأقوال من وجهة نظرى:

* أولا: قال أبو هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه): أولوا الأمر: هم الأمراء، والولاة[١].

* ومن يقرأ السنة المطهرة يجد الكثير من الأحاديث التى تحثّ على طاعة الأمراء، والولاة، أقتبس منها ما يلى:

* أخرج ابن أبى شيبة، والبخارى، ومسلم، وابن جرير، وابن أبى حاتم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعنى فقد أطاع الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى، ومن عصانى فقد عصى الله، ومن عصى أميرى فقد عصانى» اهـ[٢].

* وأخرج البخارى عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم حبشىّ كأنّ رأسه زبيبة» اهـ[٣].

* وأخرج أحمد، والترمذى، والحاكم وصححه، والبيهقى فى الشعب عن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب فى حجة الوداع فقال: «اعبدوا ربكم، وصلّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدّوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم» اهـ[٤].

* الثانى: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، وجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى (ت ٧٨هـ)، ومجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ)، وأبو العالية الرياحىّ (ت ١٩٠هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) قالوا: أولوا الأمر: هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم، ويأمرونهم بالمعروف، وينهونهم عن المنكر، فأوجب الله طاعتهم، واستدلّوا على ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣][٥].

* ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أى: إن اختلفتم فى شىء من أمر دينكم والتنازع: اختلاف الآراء، وأصله من «النزع» وهو الجذب فكأنّ المتنازعين يتجاذبان الحجج.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٤٤).　　(٢ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣١٥).
(٥) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٤٤)، وتفسير الدر المنثور (٢/ ٣١٥).

* وعن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ قال: فإن تنازع العلماء(١).

* ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾:

* **المعنى:** إذا اختلفتم أيها العلماء فى حكم أىّ شىء فردّوه إلى كتاب الله ـ تعالى ـ، وإلى الرسول ﷺ ما دام حيّا بينكم، أمّا بعد وفاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ فالردّ إلى سنته، والردّ إلى الكتاب والسنة واجب بلا خلاف بين العلماء، إذْ فعل الأمر هنا للوجوب.

* وقد قال بذلك كل من:

١ ـ مجاهد بن جبر المكى المفسّر.

٢ ـ وميمون بن مهران(٢).

* ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾: ﴿ذَلِكَ﴾ أى: الردّ إلى الله والرسول ﷺ خير، وأحسن مآلا وعاقبة.

* وقد قال بذلك كل من:

١ ـ قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ).

٢ ـ السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ)(٣).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا (٦٠)﴾.

سبب نزول هذه الآية:

اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية، وقد اخترت السبب التالى حرصًا على عدم الإطناب:

* أخرج ابن أبى حاتم، والطبرانى بسند صحيح عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كان أبو برزة الأسلمىّ كاهنًا يقضى بين اليهود فيما يتنافرون فيه، فتنافر إليه ناس من المسلمين، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ إلى قوله: ﴿إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ اهـ(٤).

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣١٨).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٧٠)، وتفسير البغوى (١/ ٤٤٦)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣١٩)، وأسباب النزول للواحدى ص١٦٥، وأسباب النزول للقاضى ص٧٢.

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ الآية:

قيل: هو أبو برزة الأسلمى المذكور فى سبب النزول.

* وعن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) قال: هو كعب بن الأشرف[1].

* أخرج ابن أبى حاتم عن وهب بن منبّه قال: سألت جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) عن الطواغيت التى كانوا يتحاكمون إليها؟ قال: إن فى جُهَيْنة واحداً، وفى أسْلم واحداً، وفى هلال واحداً، وفى كل حىٍّ واحداً، وهم كهّان تنزل عليهم الشياطين.. اهـ[2].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١) ﴾

✷ **المعنى:** إذا قال المسلمون للمنافقين تعالوا إلى ما أنزل الله وهو القرآن، وإلى الرسول «محمد» ﷺ فآمنوا بهما أعرضوا إعراضًا شديداً، ورفضوا الإيمان بالله وبرسوله.

﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) ﴾

✷ **المعنى:** أى: كيف يصنع هؤلاء المنافقون إذا أصابتهم عقوبة بسبب ما اكتسبته أيديهم ثم جاءوك يحلفون كذبًا بالله ويقولون إن إردنا إلا إحسانًا فى القول؟ أى: كيف يصنع هؤلاء المنافقون مع أن معتقدهم: أنهم إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يعرضون عن ذلك إعراضًا شديداً؟

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾:

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٢٠).

اسم الإشارة: ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ عائد على المنافقين المتقدم ذكرهم فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾.

* قال الزجاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ) معناه: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ علم أنهم منافقون(١).

* ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾: هذا موجّه إلى نبينا «محمد» ﷺ. والمعنى: أعرض يا«محمد» عن عقوبتهم.، وقيل: عن قبول اعتذارهم، الذى تقدمت الإشارة إليه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾.

* ﴿ وَعِظْهُمْ ﴾ أى: خوفهم عقوبة الله ـ تعالى ـ إن لم يؤمنوا.

* ﴿ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ أى: مؤثرًا لعلهم يتوبون ويؤمنون، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (٦٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أى: بأمر الله ـ تعالى ـ، لأن طاعة الرسول واجبة بأمر الله، والأدلّة على ذلك كثيرة منها:

١ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [النساء: ٥٩].

٢ ـ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) ﴾ [الأنفال: ٢٠].

٣ ـ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦]

٤ ـ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣) ﴾ [المجادلة: ١٣].

* ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ أى: بنفاقهم وتحاكمهم إلى الطاغوت.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٧١).

* ﴿ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾:

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١١٠) ﴾ [النساء: ١١٠].

﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

اختلف العلماء فى سبب نزولها، وقد اخترت السبب التالى طلبًا لعدم الإطناب:

* أخرج الحميدى فى مسنده، وسعيد بن منصور، وعبد بن حُمَيْد، وابن جرير، وابن المنذر، والطبرانىّ فى الكبير عن «أم سلمة» أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ قالت: خاصم الزبير بن العوّام ـ رضى الله عنه ـ رجلا إلى رسول الله ﷺ فقضى للزبير فقال الرجلُ: إنما قضى له لأنه ابن عمّته، فأنزل الله: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ الآية[1].

معانى المفردات:

* ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾:

* ﴿ شَجَرَ ﴾ أى: اختلف، واختلط من أمورهم. ومنه الشجر لاختلاف أغصانه.

* ﴿ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾ أى: ضيقًا وشكًا.

* ﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ أى: ينقادوا لأمرك فى القضاء، لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يُوحى.

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم عن السُّدِّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧ هـ) قال: افتخر ثابت بن قيس بن شمّاس ورجل من اليهود، فقال اليهودى:

---

(١) انظر: تفسير الدرّ المنثور للسيوطى (٢/ ٣٢٢).

والله لقد كتب الله علينا: أن اقتلوا أنفسكم، فقتلنا أنفسنا، فقال ثابت: والله لو كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم، لقتلنا أنفسنا، فأنزل الله فى هذا: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾(١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا ﴾ أى:فرضنا وأوجبنا.

* ﴿ عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ كما أمرنا بنى إسرائيل. والدليل على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [البقرة: ٥٤].

* ﴿ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم ﴾: كما أمرنا بنى إسرائيل بالخروج من مصر.

ومن الأدلة على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الشعراء: ٥٢ ـ ٦٦].

* واعلم أخى المسلم أن «لو» حرف يدلّ على امتناع الشىء لامتناع غيره، وحينئذ يكون المعنى: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخبر أنه لم يكتب ذلك على أمة سيدنا «محمد» ﷺ رفقًا بهم لأنه من صفاته أنه رءوف رحيم، وفى ذلك تحقيق لقوله ـ تعالى ـ: رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(١) انظر: أسباب النزول للشيخ القاضى ص٧٤، وتفسير القرطبى(٥/ ١٧٤)، وتفسير البغوى (١/ ٤٤٩)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٢٢).

* ﴿ مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾:

✻ **المعنى:** لو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم، ما فعل ذلك إلا قليل منهم.

* عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، ومقاتل بن حيّان البلخىّ (ت ١١٠هـ): لما نزلت هذه الآية قال عمر بن الخطاب، وعمّار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنهم ـ وناس من أصحاب النبىّ ﷺ وهم قليل: والله لو أمرنا لفعلنا، والحمد لله الذى عافانا، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: «إن من أمّتى لرجالا الإيمان فى قلوبهم أثبت من الجبال الرواسى» اهـ(١).

* ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ ﴾: من طاعة الله ـ تعالى ـ، وطاعة الرسول ﷺ وبما جاء به من القرآن، والرضى بحكمه ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

* ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ أى: فى الدنيا والآخرة.

* ﴿ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ أى: على الحق، وهو الإيمان الصادق.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم ﴾ [رقم: ٦٦]

قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، والكسائى، وأبو جعفر، وخلف البزّار بضم النون، والواو وصلا. وقرأ عاصم، وحمزة بكسرهما وصلا. وقرأ أبو عمرو، ويعقوب بكسر النون، وضم الواو وصلا(٢).

* ﴿ مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ [رقم: ٦٦]

قرأ ابن عامر: ﴿ إلا قليلا ﴾ بالنصب على الاستثناء. وقرأ الباقون ﴿ إلا قليل ﴾ بالرفع، على أنه بدل من الواو فى «فعلوه»(٣).

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٤٩).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٦٣).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤١٢)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٣٠)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٩٢)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٦٣).

﴿ وَإِذًا لَآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٦٨) ﴾

* **المعنى:** لو أنهم فعلوا ما يعظون به لكان ذلك خيرًا لهم في الدنيا والآخرة، وأشدّ تثبيتًا على الحق، وإذًا لآتاهم الله - تعالى - من عنده أجرًا عظيمًا، ولهداهم صراطًا مستقيمًا، صراط الذين أنعم الله عليهم.

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* ذكر عدد من المفسرين أنها نزلت في ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ، قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم قد تغير لونه، يُعْرَفُ الحزن في وجهه، فقال رسول الله ﷺ: «ما غير لونك»؟ فقال: يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أنّي إن لم أرك استوحشْتُ وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرتُ الآخرة فأخاف أن لا أراك لأنك تُرْفعُ مع النبيين، وإنّي إن دخلتُ الجنة كنتُ في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدًا، فنزلت هذه الآية.. اهـ(١).

معاني المفردات:

* ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ أي: فيما أمر به الله - تعالى - على لسان رسوله ﷺ.
قال الله - تعالى -: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

* ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ ﴾:

* قال القرطبي في تفسيره: هم معهم في دار واحدة، ونعيم واحد، يستمتعون برؤيتهم، والحضور معهم، لا أنهم يساوونهم في الدرجة، فإنهم يتفاوتون لكنهم يتزاورون للاتّباع في الدنيا والاقتداء، وكل من فيها قد رُزق الرضا بحاله، وقد ذهب عنه اعتقاد أنه مفضول.. اهـ(٢).

* وقال البغويّ في تفسيره: لا تفوتهم رؤية الأنبياء ومجالستهم، لأنهم يرفعون إلى درجة الأنبياء.. اهـ(٣).

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص١٦٨، وأسباب النزول للقاضي ص٧٤، وتفسير القرطبي (٥/ ١٧٥)، وتفسير البغوي (١/ ٤٥٠)، وتفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٣٢٤).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٥/ ١٧٦).

(٣) انظر: تفسير البغوي (١/ ٤٥٠).

* ﴿ وَالصِّدِّيقِينَ ﴾: الصدِّيق: هو الذى يحقق بفعله ما يقـوله بلسانه، وهى صيغة مبالغة من الصدق.

وقد اختلف المفسرون فى المراد من الصدِّيقين:

١ ـ فقال البغوى فى تفسيره: هم أفاضل أصحاب النبىّ ﷺ(١).

٢ ـ وقال القرطبى فى تفسيره: هم فضلاء أتبـاع الأنبياء الذين يسبقونهم إلى التصديق كأبى بكر الصدِّيق ـ رضى الله عنه ـ(٢).

* ﴿ وَالشُّهَدَاءِ ﴾: جمع شهيد، وهم الذين استشهدوا فى سبيل الله ـ عزّ وجلّ ـ.

* ﴿ وَالصَّالِحِينَ ﴾: قال القرطبى فى تفسيره: هم صالحوا أمّة «محمد» ﷺ(٣).

* ﴿ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ أى: رفقاء فى الجنة.

اللهم إنّى أسـألك بوجهك الكريـم أن تجعلنى مـعهم بعـفوك وكـرمك يا أرحم الراحمين، وما ذلك عليك بعزيز.

﴿ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾

✵ **المعنى:** ذلك أى: هذه المنزلـة لمن يطع الله ورسـوله، الفـضل من الله، وهذا دليل على أنهم لم ينالوا هذه الدرجـة بأعمالهم، وإنما نالوها بفـضل الله ـ عزّ وجلّ ـ، اللهم اجعلنى منهم بفضلك يا أكرم الأكرمين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾: هذا خطاب من الله ـ تعالـى ـ للمؤمنين من أمّـة نبينا «مـحمـد» ﷺ، وأمْرٌ لهم بأخـذ الحذر مـن الكفار، بحـيث يكونون على استعداد دائم لملاقاتهم.

* عن مقاتل بن حيّان البلخى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ قال: خذوا عدتكم من السلاح(٤).

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٥٠).　　(٢ ـ ٣) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٧٦).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٢٦).

* ﴿ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ ﴾: الواحد ثبة وهى العصابة من الناس.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: المراد: سرايا متفرقون.. اهـ[١].

* ﴿ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾ أى: كلكم.

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: إذا نفر النبى ﷺ فليس لأحد أن يتخلّف عنه[٢].

﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾:

* عن مقاتل بن حيّان البلخىّ (ت ١١٠هـ) قال: هو فيما بلغنا عبد الله بن أُبىّ ابن سلول رأس المنافقين[٣].

* ﴿ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾:

* عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) قال: المنافق يبطئ المسلمين عن الجهاد فى سبيل الله[٤].

* ﴿ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ ﴾: بقتل العدوّ، أو هزيمة.

* ﴿ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴾: وهذا على سبيل الفرح والشماتة من المسلمين.

﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ أى: فتح ونصر وغنيمة.

* ﴿ لَيَقُولَنَّ ﴾ أى: المنافق. * ﴿ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ أى: معرفة.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٢٦). (٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٢٧).

* ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ﴾ فى تلك الغزوة.

* ﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أى: آخذ نصيبًا وافرًا من الغنيمة.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿كَأَن لَّمْ تَكُن﴾ [رقم: ٧٣]

قرأ ابن كثير، وحفص، ورويس: ﴿تكن﴾ بالتاء الفوقية، وذلك لمناسبة لفظ ﴿مودّة﴾.

وقرأ الباقون ﴿يكن﴾ بالياء التحتية على التذكير، وذلك لأن تأنيث ﴿مودّة﴾ مجازىّ يجوز فى فعله التذكير والتأنيث(١).

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤)﴾

معانى المفردات:

* ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾:

* عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) قال: ليقاتل المشركين فى طاعة الله ـ تعالى ـ المؤمنون الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة.. اهـ(٢).

* وعن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾ قال: أى: يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة(٣).

* ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ﴾:

* قال سعيد بن جبير: أى: يقتله العدوّ.

* ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ قال: أى يغلب هو العدوَّ من المشركين.

* ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال: أى: جزاء وافرًا فى الجنة، ثم أردف قائلا: فجعل ـ أى الله تعالى ـ القاتل والمقتول من المسلمين فى جهاد المشركين شريكين فى الأجر.. اهـ(٤).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤١٢).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٢٧).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٢٨).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ﴾ [رقم: ٧٤]

قرأ أبو عمر، والكسائى، وهشام، وخلاد بخُلْف عنهما بإدغام الباء فى الفاء، والباقون بالإظهار، وهو الوجه الثانى لهشام، وخلاد(١).

﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا (٧٥)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: هذا حضٌ على الجهاد فى سبيل الله وقد يتضمّن تخليص المستضعفين من أيدى الكفرة المشركين الذين يسيمونهم سوء العذاب، ويفتنونهم عن الدين.

* ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: المستضعفون: أناس مسلمون كانوا بمكة لا يستطيعون أن يخرجوا منها(٢).

* وفى رواية أخرجها البخارى قال: كنت أنا وأمِّى من المستضعفين.. اهـ(٣).

* ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾:

* أخرج ابن أبى حاتم عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها)، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: قالا: أى: «عائشة»، وابن عباس: المراد بالقرية الظالم أهلها: مكّة المكرمة.. اهـ(٤).

* وقال القرطبى فى تفسيره: القرية الظالم أهلها: مكّة بإجماع من المتأوّلين.. اهـ(٥).

* ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ أى: من يستنقذنا من أيدى هؤلاء الكفار الظلمة الجبابرة.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٦٦).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٢٨).

(٥) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٨٠).

* ﴿ وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً ﴾ أى: من ينصرنا عليهم.

* قال البغوى فى تفسيره: لما فتح رسول الله ﷺ مكّة ولّى عليهم عتّاب بن أُسَيْد وجعله الله لهم نصيراً ينصف المؤمنين المظلومين من الظالمين.. اهـ(١).

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أى: فى طاعة الله.

* ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: المراد بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾ أى: فى سبيل الشيطان(٢).

* قال الكسائى على بن حمزة القارئ والنحوى (ت ١٨٠هـ)، وأبو عبيدة معمر ابن المثنى اللغوى (ت ٢١٠هـ) قالا: الطاغوت يُذكر ويؤنث(٣).

* وقال أبو عبيد القاسم بن سلام القارئ واللغوى (ت ٢٢٤ هـ): إنما ذكّر وأنث ـ أى الطاغوت ـ لأنهم يسمون الكاهن والكاهنة طاغوتًا.. اهـ(٤).

* ﴿ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ﴾ أى: حزبه وجنوده الكفار.

* ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾:

* عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ من طريق مجاهد بن جبر قال: إذا رأيتم الشيطان فلا تخافوه واحملوا عليه ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ اهـ(٥).

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٥٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٢٨).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٨١).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٢٨).

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٧٧) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج النسائى، وابن جرير، وابن أبى حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقى فى سننه من طرق عن عكرمة عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: إن عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبى ﷺ فقالوا: يا نبىَّ الله كنَّا فى عزٍّ ونحن مشركون، فلمّا أسلمنا صِرْنا أذلّة، فقال: «إنى أُمرتُ بالعفو فلا تقاتلوا القوم» فلما حوّله الله إلى المدينة أمره الله بالقتال. وأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية[١].

معانى المفردات:

* ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾:

تقدم بيان المراد منهم فى سبب النزول وهم: عبد الرحمن بن عوف وبعض المؤمنين.

* ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ أى: فرض الله عليهم قتال الكفار.

* ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾:

* ﴿إِذَا﴾ هى المفاجئة، أى: هذا الفريق من المؤمنين وهم فى مكّة كانوا يتمنون قتال الكفار، فلما هاجروا إلى المدينة وفرض الله عليهم الجهاد، فاجأوا النبى ﷺ بجبنهم وخوفهم من القتال، وإذا هم يخشون الناس أى يخافون لقاء الكفار والمنافقين كخوفهم من الله ـ تعالى ـ، بل أشدّ من خوفهم من الله ـ تعالى ـ، وكان موقفهم كما أخبر الله عنهم بقوله:

* ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾:

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٧٠، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٧٤، وتفسير القرطبى (٥/ ١٨١)، وتفسير البغوى (١/ ٤٥٣) وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٢٨).

❋ **المعنى:** تمنّى هؤلاء من الله ـ تعالى ـ أن لو كان تركهم ولم يفرض عليهم القتال حتى يموتوا فى بيوتهم عند انقضاء آجالهم، فأنزل الله ـ تعالى ردًا على تمنيهم ذلك فقال: * ﴿ قُلْ ﴾ لهم، أى: يا «محمد»، عليه الصلاة والسلام:

* ﴿ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ بالنسبة لنعيم الجنة الدائم الباقى.

* ﴿ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ أى: نعيم الدار الآخر أفضل بكثير من نعيم الدنيا للمتقين، إذْ لا مقارنة بينهما.

* ﴿ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ أى: شيئًا يسيرًا، إذ الفتيل هو الذى يكون فى بطن النواة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء: ٤٠].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ [رقم: ٧٧]

قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائى، وأبو جعفر، وخلف البزّار، ورَوْح بخُلْف عنه: ﴿ ولا يظلمون ﴾ بياء الغيبة، لمناسبة صدر الآية وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ... ﴾ إلخ. وقرأ الباقون: ﴿ ولا تظلمون ﴾ بتاء الخطاب، وهو الوجه الثانى لروح، وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وهو ضرب من ضروب البلاغة العربية.

أو لمناسبة قوله ـ تعالى ـ قبل: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ أى: قل لهم يا «محمد»: ﴿ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾(١).

❖ **تنبيه مهم:**

﴿ ولا يظلمون ﴾ من قوله ـ تعالى ـ قبل: ﴿ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٤٩) ﴾ [النساء: ٤٩].

اتفق القراء العشرة على قراءته بياء الغيبة، لمناسبة قوله ـ تعالى ـ قبل: ﴿ مَن يَشَاءُ ﴾ ولأن القراءة العبرة فيها التلقى والتوفيق.

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤١٣)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٣٢)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٩٣)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٦٤).

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ ﴾: ﴿ أَيْنَمَا ﴾ ظرف مكان، وحينئذ يكون المعنى: فى أىّ مكان تكونون فيه ينزل بكم الموت إذا ما انتهت آجالكم، لأن لكل أجل كتاب، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ [المنافقون: ١١].

* ﴿ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾:

اختلف العلماء فى المراد بهذه البروج المشيدة على قولين:

أولا: قال الأكثرون: المراد بالبروج المشيدة: الحصون المبنية، لأنها غاية البشر فى التحصّن والمنعة.

وقد قال بذلك كل من:

١ ـ عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ).

٢ ـ وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ).

٣ ـ وابن جريج عبد الله بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ).

٤ ـ وابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)(١).

* قال القرطبى فى تفسيره: وهذا هو الأصح(٢).

* ثانيًا: قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): البروج القصور(٣).

* ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ ﴾ المراد بهاء الضمير فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ ﴾: اليهود، والمنافقون(٤).

والمراد بالـ ﴿ حَسَنَةٌ ﴾: الخصْب، والرخص فى الأسعار.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٨٢)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٢٩).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٨٢).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٨٣)، وتفسير البغوى (١/ ٤٥٤).

* ﴿ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾.

* ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ المراد بها: الجدْب وغلاء الأسعار * ﴿ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ ﴾ أى: بشؤمك الذى لحقنا.

* قال البغوى فى تفسيره: قال اليهود والمنافقون لما قدم رسول الله ﷺ المدينة: ما زلنا نعرف النقص فى ثمارنا، ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه(١).

* فأنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ ردًا على قولهم هذا المبنى على الكذب:

* ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ أى: قل لهم يا «محمد»: كل من الجدْب، والخصب، ورخص الأسعار، وغلاؤها، من عند الله ـ تعالى ـ، لأنه هو الذى بيده ملكوت كل شىء.

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى الآية: الحسنة والسيئة من عند الله: أمّا الحسنة فأنعم بها عليك، وأما السيئة فابتلاك الله بها(٢).

* قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١) ﴾ [محمد: ٣١].

* ﴿ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾: «كاد» من أفعال المقاربة وحينئذ يكون المعنى: هؤلاء اليهود والمنافقون لا يقاربون يفقهون حديثا وهذا أبلغ فى عدم الفهم من: لا يفقهون حديثًا، والله أعلم.

﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾: الخطاب فى الآية: للرسول ﷺ وحينئذ يكون المعنى: ما أصابك يا «محمد» من حسنة وهى الظفر والنصر والغنيمة يوم بدر، فمن الله، والدليل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٥٤).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٣١).

* وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

* ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾:

✵ **المعنى:** وما أصابك من سيئة وهى القتل والهزيمة يوم أحد فبسبب مخالفة أصحابك وهم الرماة أمْرَكَ وتركهم مواقعهم التى أمرتهم بالثبات فيها وعدم تركها.

* والدليل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ [آل عمران: ١٦٥ ـ ١٦٧].

* ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ يا «محمد». * ﴿لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً﴾: على رسالتك وعلى صدقك فى كل ما أرسلتَ به.

﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾:

* فى صحيح مسلم عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ أنه قال: «من أطاعنى فقد أطاع الله، ومن يعصينى فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى، ومن يعص الأمير فقد عصانى» اهـ[١].

* ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ أى: أعرض عن طاعتك يا «محمد» ﷺ.

* ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ أى: يا «محمد». * ﴿عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ أى: حافظًا، ورقيبًا على أعمالهم، لأنه ما عليك إلا البلاغ. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)﴾ [القصص: ٥٦].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٨٦).

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً (٨١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ﴾:

* أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قال: هؤلاء المنافقون الذين يحضرون مجلس النبىّ ﷺ فأمرهم الله أن يقولوا أمرنا طاعة أمرنا طاعة(١). فإذا خرجوا من عند الرسول ﷺ غيّرت طائفة منهم ما يقول النبىّ ﷺ.

* ﴿ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ﴾ أى: ما يغيرون.

* ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾:

✳ **المعنى:** أعرِض يا «محمد» ﷺ عن هؤلاء المنافقين ولا تعاقبهم، وتوكل فى جميع أمورك على الله وكفى بالله وكيلا، أى: دُمْ على ما أنت عليه، ونظير ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ١]. أى: دُمْ على ما أنت عليه من تقوى الله ـ تعالى ـ.

﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾:

✳ **المعنى:** أفلا يتفكرون فى القرآن وفيما جاء به من أحكام وأخبار، ومغيبات، ليستدلّوا بذلك على أنه من عند الله ـ تعالى ـ، والتدبر: هو النظر، قال ـ تعالى ـ: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) ﴾ [محمد: ٢٤].

* وعن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) قال: معنى يتدبرون القرآن، المراد: النظر فى القرآن.. اهـ(٢).

* ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ أى: تفاوتًا وتناقضًا.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٣٢).

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) قالوا: لا يدخل فى هذا اختلاف ألفاظ القراءات، وألفاظ الأمثال، والدلالات، ومقادير السور والآيات. إنما المراد: اختلاف التناقض والتفاوت.. اهـ(١).

* أخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: إن القرآن لا يكذّب بعضه بعضًا، ولا ينقض بعضه بعضًا، ما جهل الناس من أمره فإنما هو من تقصير عقولهم، وجهالتهم، وقرأ: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ اهـ(٢).

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٣) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج عبد بن حُمَيْد، ومسلم، وابن أبى حاتم من طريق ابن عباس - رضى الله عنهما - عن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ - رضى الله عنه) قال: لما اعتزل النبى ﷺ نساءه، دخلتُ المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصا ويقولون: طلّق رسول الله ﷺ نساءه، فقمتُ على باب المسجد، فناديتُ بأعلى صوتى: لم يطلق نساءه، ونزلت هذه الآية فى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ... ﴾ إلخ(٣).

معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ ﴾ أى: المنافقون. * ﴿ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ ﴾: وهو الفتح والغنيمة.

* ﴿ أَوِ الْخَوْفِ ﴾ وهو: القتل والهزيمة. * ﴿ أَذَاعُوا بِهِ ﴾ أى: أفشوه وسعوا به.

* وقد قال بذلك ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما)(٤).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٨٧).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٣٣).

(٣) انظر: أسباب النزول للشيخ القاضى ص٧٥، وتفسير البغوى (١/ ٤٥٦)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٣٣).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٣٣).

* ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾:

* اختلف العلماء فى المراد من أولى الأمر على قولين:

١ ـ فعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قالوا: أولو الأمر: هم أهل العلم والفقه[١].

* ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ أى: يستخرجونه، والمعنى: لعلموا ما ينبغى أن يفشى منه، وما ينبغى أن يكتم. والاستنباط فى اللغة: الاستخراج.

٢ ـ وقال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ)، وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) قالا: أولو الأمر: هم الولاة.. اهـ[٢].

* ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ ﴾:

* عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ، وقتادة بن دعامة السدوسى، وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم قالوا: تم الكلام عند قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ ﴾ أى: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان كلكم[٣].

* ﴿ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ قالوا: هو استثناء من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ أى: إلا قليلا.

﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً (٨٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾:

* أخرج ابن مردويه عن البراء بن عازب بن الحارث (ت ٦٢هـ) قال: لما نزلت على النبى ﷺ: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال لأصحابه: «قد أمرنى ربِّى بالقتال فقاتلوا» اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٨٨)، وتفسير الدر المنثور (٢/ ٣٣٣).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٨٨).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٣٤).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٣٥).

* و «الفاء» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَقَاتِلْ﴾ متعلقة بقوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤)﴾ [رقم: ٧٤].

وحينئذ يكون المعنى: من أجل هذا الثواب الجزيل فقاتل.

* ويجوز أن تكون الفاء متعلقة بقوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ﴾ [رقم: ٧٥].

وحينئذ يكون المعنى: لا تدع يا «محمد» ﷺ جهاد العدوّ والاستنصار عليهم للمستضعفين من المؤمنين ولو وحدك، لأن الله وعدك النصر.

* قال الزجّاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): أمر الله ـ تعالى ـ رسوله ﷺ بالجهاد وإن قاتل وحده لأنه قد ضمن له النَّصْر.. اهـ(١).

* ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: حضهم على الجهاد والقتال، ورغبهم فى الثواب.

يقال: حرّضت فلانًا على كذا: إذا أمرته به.

* ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

• **فائدة مهمة:** اعلم أخى المسلم أن «عسى» من الله ـ تعالى ـ واجب، وليس للتَّرجى كما قال علماء اللغة.

* ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ أي: أشدّ صولة، وأعظم سلطانًا وأقدر بأسًا على من يريده.

. * ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾: * عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قالا: معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾ أي: عقوبة(٢).

﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا (٨٥)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾:

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٨٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٨٩)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٣٥).

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: الشفاعة الحسنة: هى الإصلاح بين الناس. والشفاعة السيئة: هى المشى بالنميمة بين الناس(١).

وأصل الشفاعة أنها مشتقة من الشفع وهو الزوج فى العدد، ومنه الشفيع لأنه يصير مع صاحب الحاجة شَفْعًا، والشَّفْع: ضم واحد إلى واحد.

* قال القرطبى فى تفسيره: اختلف المتأوّلون فى هذه الآية:

أولا: قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) وغيرهم: هى شفاعات الناس بينهم فى حوائجهم، فمن يشفع لينفع فله نصيب، ومن يشفع ليضرّ فله كِفْل.

ثانيًا: قيل: الشفاعة الحسنة هى فى البرّ والطاعة، والسيئة فى المعاصى، فمن شفع شفاعة حسنة استوجب الأجر، ومن سعى بالنميمة والغيبة أثم(٢).

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قال: من يشفع شفاعة حسنة كان له أجرها وإن لم يُشَفَّعْ لأن الله يقول: ﴿من يَشْفَع﴾ ولم يَقُل: «يُشَفَّعْ»(٣).

* وفى رواية عنه قال: من يشفع شفاعة حسنة كتب له أجرها ما جرت منفعتها.. اهـ(٤).

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: الكِفْلُ: هو الإثم.. اهـ(٥).

* وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) قال: الكفْل والنصيب واحد، وقرأ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ ﴾ [الحديد: ٢٨] اهـ(٦).

* ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾: قال كل من:

١ ـ عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ).

٢ ـ وسعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ).

٣ ـ والسدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قالوا: معنى ﴿مُّقِيتًا﴾ أى: قادراً مقتدراً.. اهـ(٧).

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٥٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٩٠).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٣٥).

(٦ ـ ٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٣٦).

﴿ وإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (٨٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾: التحيّـة: على وزن «تفعلة» والأصل: «تحيـية» مثل: «تسـمية وترضـية» فأدغمت اليـاء فى الياء للتخـفيف. والتحيّـة: السلام، وأصل الـتحيّـة: الدعاء بالحـياة. والمـراد بالتحيّـة هنا: الإسلام، فـإذا سلم عليك مسلم وقال: السلام عليكم، فقل: وعليكم السلام ورحمة الله، أو ردّ عليه كما سلّم عليك. وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله، فقل: وعلـيكم السلام ورحمة الله وبركاته، أو ردّ عليه كما سلّم عليك. وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردّ عليه كما سلّم عليك.

* أخرج البخارى فى الأدب المفرد عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) أن رجـلا مرّ على رسـول الله ﷺ وهو فى مـجلس فقـال: السلام عـليكم، فقـال: «عشـر حسنات»، فمـرّ رجل آخر فقال: السلام علـيكم ورحمة الله، فقال: «عـشرون حسنة»، فمرّ رجل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال: «ثلاثون حسنة» اهـ[(١)].

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ أى: محاسبًا ومجازيًا.

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾:

* ﴿ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أى: لا شك فيه.

* فإن قيل: ما الحكمة من التسمية بيوم القيامة؟ أقول: هناك قولان:

الأول: سميّت القيامة قيامة لأن الناس يقومون فيه أى فى اليوم لرب العالمين للحشر، والحساب، والجزاء.

والدليل على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ أَلا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) ﴾ [المطففين: ٤ ـ ٦].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٣٦).

والثاني: سميت القيامة قيامة لأن الناس يقومون من قبورهم إليها. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) ﴾

[المعارج: ٤٣]

* ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ أي: لا أحد أصدق من الله ـ تعالى ـ.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ ﴾ [رقم: ٨٧]

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف البزّار، ورويس بخُلْف عنه بإشمام الصاد صوت الزاي، وهي لهجة قيس. وقرأ الباقون بالصاد الخالصة، وهي لهجة قريش[(١)].

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (٨٨) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل عن زيد بن ثابت (ت ٤٥هـ ـ رضي الله عنه): أن رسول الله ﷺ خرج إلى أُحُد فرجع ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم ـ أي في الذين رجعوا ـ فريقين: فرقة تقول نقتلهم، وفرقة تقول: لا، فأنزل الله: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾ الآية.. اهـ[(٢)].

معاني المفردات:

* ﴿ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ﴾ اختلف العلماء في معنى ﴿ أَرْكَسَهُم ﴾:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) معنى أركسهم: ردهم ـ إلى الكفر ـ[(٣)].

٢ ـ وقال قتادة بن دعامة السدوسي: أهلكهم بما عملوا[(٤)].

٣ ـ وقال السدّي إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): أضلهم[(٥)].

---

(١) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ١٦٥).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٥/ ١٩٧)، وتفسير البغوي (١/ ٤٥٩)، وتفسير الدر المنثور (٢/ ٣٤٠)، وأسباب النزول للواحدي ص١٧١).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٣٤٢).

* ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾ أى: طريقًا إلى الجنّة.

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٨٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَدُّوا ﴾ أى: تمنّى أولئك المنافقون الذين سبقت الإشارة إليهم فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾.

* ﴿ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ أى: تمنى المنافقون كفركم، وتمنوا أيضًا أن تكونوا مثلهم فى الكفر والنفاق. ونظير هذه الآية قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) ﴾ [ن، والقلم: ٩].

* ﴿ فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾:

✵ **المعنى:** نهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن اتخاذ أحد من هؤلاء المنافقين وليًا ولا نصيرًا حتى يسلموا ويهاجروا فى سبيل الله، والنهى هنا للوجوب.

ونظير هذه الآية فى الحكم قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾ [الأنفال: ٧٢].

* قال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قوله ـ تعالى ـ: ﴿ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾ هى هجرة أخرى، أى: غير الهجرة الأولى ثم أردف قائلا: والهجرة على ثلاثة أوجه:

الأول: هجرة المسلمين فى أول الإسلام ـ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ـ.

والثانى: هجرة المؤمنين: وهى الخروج فى سبيل الله مع رسول الله ﷺ صابرين محتسبين، وهى المرادة هنا فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾.

والثالث: هجرة المؤمنين ما نهى الله عنه، وهى المشار إليها بقوله ﷺ فى الحديث الذى رواه كل من البخارى، وأبى داود، والنسائى، وابن ماجه، والإمام أحمد: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه» اهـ[1].

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٦٠).

* ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أى: أعرضوا عن التوحيد والهجرة.

* ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ أى: أسرى.

* ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ أى: فى أىِّ مكان وزمان.

* قال كل من القرطبى فى تفسيره، والبغوى فى تفسيره: هذا عام فى الأماكن من حلٍّ وحرم(١).

* ﴿وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾ هذا تأكيد لقوله ـ تعالى ـ أول الآية: ﴿فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾.

﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً (٩٠)﴾

•• الناسخ والمنسوخ:

* أخرج أبو داود فى ناسخه، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والنحّاس، والبيهقى فى سننه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ...﴾ الآية. قال: نسختها براءة: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥)﴾ [براءة: ٥](٢).

وممن روى عنه النسخ أيضًا غير ابن عباس:

١ ـ مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ). ٢ ـ عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ).

٣ ـ الحسن البصرى (ت ١١٠هـ). ٤ ـ قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ).

٥ ـ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ)(٣).

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٦٠)، وتفسير القرطبى (٥/ ١٩٨).

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ لأبى جعفر النحاس ص١٠٤، وتفسير القرطبى (٥/ ١٩٩)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٤٢).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ١٩٩)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٤٣).

❀ معانى المفردات:

* ﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾: هذا استثناء من القتل المفهوم من قوله ـ تعالى ـ قبل: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [رقم: ٨٩].

* ﴿يَصِلُونَ﴾ أى: يتصلون بهم، وينتسبون إليهم ويدخلون فيهم بالحلْف والجوار.

✳ المعنى: لا تقتلوا قومًا بينهم وبين من بينكم وبينهم عهدٌ فإنهم على عهدهم.

وقد تقدم نسخ هذا الحكم بآية براءة رقم: ٥.

* ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ أى: ضاقت صدورهم.

* وقد قال بذلك السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ).

* ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ﴾ أى: اعتزلوا قتالكم.

* ﴿فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ أى: الصلح.

* ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ أى: طريقًا لقتالهم.

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [رقم: ٩٠]

قرأ يعقوب: ﴿حصرتًا﴾ بنصب التاء منوّنة، على الحال. وقرأ الباقون: ﴿حصرتْ﴾ بسكون التاء، فعل ماض، والجملة فى محلّ نصب على أنها حال(١).

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَائِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا (٩١)﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

اختلف المفسرون فيمن نزلت فيهم هذه الآية:

١ ـ فقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): نزلت فى قوم من تهامة طلبوا الأمان من النبى ﷺ ليأمنوا عنده، وعند قومهم.. اهـ(٢).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤١٤)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٣٣)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٦٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ٢٠٠)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٤٣).

٢ ـ وقال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ): نزلت فى نُعَيم بن مسعود الأشجعى: كان يأمن المسلمين والمشركين بنقل الحديث بين النبى ﷺ والمشركين.. اهـ(١).

٣ ـ وقال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): نزلت فى ناس من أهل مكة كانوا يأتون النبىّ ﷺ فيسلمون رياء، ثم يرجعون إلى قريش فيرتكسون فى الأوثان يبتغون بذلك أن يأمنوا ههنا وههنا.. اهـ(٢).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ﴾ أى: كلما دعوا إلى الكفر، والشرك بالله ـ تعالى ـ رجعوا، وعادوا إليه.

* ﴿ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ ﴾ أى: فإن لم يكفوا عن نفاقهم.

* ﴿ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ ﴾ أى: يقبضوا أيديهم عن قتالكم.

* ﴿ فَخُذُوهُمْ ﴾: أسرى. * ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ أى: حيث وجدتموهم.

* ﴿ وَأُوْلَائِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ أى: حجّة بينة ظاهرة بالقتل، والقتال.

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٩٢) ﴾

❀ سبب نزول هذه الآية:

اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية، وقد اخترت السبب التالى طلبًا لعدم الإطناب:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قال: نزلت هذه الآية فى عيّاش بن أبى ربيعة المخزومى كان قد أسلم وهاجر إلى النبى ﷺ. وكان عيَّاش أخا أبى جهل، والحارث بن هشام لأمهما. وكان

(١ ـ ٢) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ٢٠٠)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٤٣).

ـ أى عيّاش ـ أحبّ ولدها إليها. فلما لحق بالنبى ﷺ شقّ ذلك عليها، فحلفت أن لا يظلها سقف بيت حتى تراه. فأقبل أبو جهل، والحارث بن هشام حتى قدما المدينة، فأخْبرا عيَّاشًا بما لقيت أمّه، وسألاه أن يرجع معهما فتنظر إليه ولا يمنعاه أن يرجع، وأعطياه موثقًا أن يخلّيا سبيله بعد أن تراه أمه.

فانطلق معهما حتى إذا خرجا من المدينة عمد إليه فشدّاه وثاقًا وجلداه نحو مائة جلدة، وأعانهما على ذلك رجل من بنى كنانة، فحلف عيّاش ليقتلنّ الكنانىّ إن قدر عليه، فقدما به مكة فلم يزل محبوسًا حتى فتح رسول الله ﷺ مكة، فخرج عيّاش فلقى الكنانى وقد أسلم، وعيّاش لا يعلم بإسلام الكنانى فضربه عيّاش حتى قتله، فنزلت الآية(١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا ﴾:

* قال القرطبى فى تفسيره: هذه آية من أمهات الأحكام:

✳ **والمعنى:** ما ينبغى لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا خطأ. فقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا كَانَ ﴾ ليس على النفى، وإنما هو على التحريم والنهى، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. ولو كانت على النفى لما وجد مؤمن يقتل مؤمنًا خطأ لأنّ ما نفاه الله لا يجوز وجوده، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ [النمل: ٦٠].

✳ **المعنى:** لا يقدر العباد أن ينبتوا شجرها أبدًا.. اهـ(٢).

* ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ قال: يعنى بالمؤمنة مَنْ قد عَقل الإيمان وصلّى وصام.. اهـ(٣).

* وأخرج عبد بن حميد، وأبو داود، والبيهقى فى سننه عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه): أن رجلا أتى النبى ﷺ بجارية سوداء، فقال: يا رسول الله إنّ علىّ

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٦٢)، وتفسير الدر المنثور (٢/ ٣٤٤)، وأسباب النزول للواحدى ص١٧٣.

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ٢٠١). (٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٤٥).

عتق رقبة مؤمنة، فقال لها: «أين الله؟» فأشارت إلى السماء بأصبعها، فقال لها: «مَنْ أنا؟» فأشارت إلى رسول الله ﷺ وإلى السماء، أيْ أنت رسول الله، فقال: «أعتقها فإنها مؤمنة» اهـ[١].

* ﴿ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ﴾:

* أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ﴾، قال: مسلّمة إلى أهل القتيل.. اهـ[٢].

* فإن قيل: نريد بيان مقدار الدِّية؟ أقول: يوضّح ذلك الحديثان التاليان:

* الحديث الأول: أخرج أبو داود عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما): أن رسول الله ﷺ قضى فى الدية على أهل الإبل مائة من الإبل، وعلى أهل البقر مائتى بقرة، وعلى أهل الشاة ألفى شاة، وعلى أهل الحلل مائتى حلّة، وعلى أهل القمح شيئًا لم يحفظه محمد بن إسحاق.. اهـ[٣].

* الحديث الثانى: أخرج أحمد، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وابن المنذر عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: قضى رسول الله ﷺ فى دية الخطأ عشرين بنت مخاض، وعشرين بنى مخاض ذكورًا، وعشرين بنت لبون، وعشرين جذعة، وعشرين حقّة.. اهـ[٤].

● **تنبيه:** الخبر التالى مهم جدًّا لتعلقه بدية قتل الخطأ:

* أخرج أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: كانت قيمة الدية على عهد رسول الله ﷺ ثمانمائة دينار، أو ثمانية آلاف درهم، ودية أهل الكتاب يومئذ النصف من دية المسلمين. وكان ذلك كذلك حتى استُخْلف عمر ـ رضى الله عنه ـ فقام خطيبًا فقال: إن الإبل قد غَلَت، ففرضها عمر على أهلَ الذهب ألف دينار، وعلى أهل الوَرِق اثنى عشر ألفًا، وعلى أهل البقر مائتى بقرة، وعلى أهل الشاة ألفى شاة، وعلى أهلَ الحُلَل مائتى حُلّة.

وترك دية أهل الذمة لم يرفعها فيما رفع من الدية.. اهـ[٥].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٤٥).
(٢ : ٤) تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٤٦).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٤٨).

* ﴿ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا ﴾:

* أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا ﴾ قال: إلا أن يصدّق أهل القتيل، فيعفوا ويتجاوزوا عن الدية.. اهـ(١).

* ﴿ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر من طريق علىّ عن ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ قال: إن كان فى أهل الحرب وهو مؤمن فقتله خطأ، فعلى قاتله: أن يكفر بتحرير رقبة مؤمنة، أو صيام شهرين متتابعين ولا دية عليه.. اهـ(٢).

* ﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر من طريق علىّ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ قال: إذا كان كافراً فى ذمّتكم فَقُتِلَ، فعلى قاتله الدِّية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة.. اهـ(٣).

• تنبيه مهم:

* أخرج ابن أبى شيبة، والبخارى، وابن ماجه، والحاكم وصححه عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥ هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قتل قتيلا من أهل الذمّة لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا» اهـ(٤).

* ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ﴾:

* عن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ قال: الصيام لمن لم يجد رقبة، وأمّا الدية فواجبة لم يبطلها شىء.. اهـ(٥).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٤٦).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٤٧).

(٤ ـ ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٤٨).

● **الخبر التالى مهم جداً:**

* أخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): أنه سئل عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ قال: لا يُفطر فيهما ولا يقطع صيامهما، فإن فعل من غير مرض، ولا عذر، استقبل صيامهما جميعًا.فإن عرض له مرض، أو عذر، صام ما بقي منهما ـ أى من الشهرين ـ فإن مات ولم يصم أُطْعِمَ عنه ستون مسكينًا لكل مسكين مُدّ.. اهـ[١].

* ﴿ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ﴾: عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) قال: هذا تجاوز من الله لهذه الأمّة حين جعل فى قتل الخطأ: كفارة ودية.. اهـ[٢].

* ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ﴾ أى: بمن قتل خطأ، أو غير خطأ.

* ﴿ حَكِيمًا ﴾ أى: الله ـ تعالى ـ حكيم فيما حكم به بل فى كل شيء.

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) قال: نزلت هذه الآية فى مقيس بن ضبابة الكنانىّ: وذلك أنه أسلم وأخوه هشام بن ضبابة وكانا بالمدينة، فوجد مقيس أخاه هشامًا ذات يوم قتيلا فى الأنصار فى بنى النجار، فانطلق إلى النبى ﷺ فأخبره بذلك، فأرسل رسول الله ﷺ رجلا من قريش من بنى فهْر، ومعه مقيس بن ضبابة إلى بنى النجار ـ ومنازلهم يومئذ بقباء ـ أن ادفعوا إلى مقيس قاتل أخيه إن علمتم ذلك، وإلا فادفعوا إليه الدية.

فدفعوا إلى مقيس مائة من الإبل دية أخيه. فلما انصرف مقيس، والفهرى راجعين من قباء إلى المدينة وبينهما ساعة عمد مقيس إلى الفهرى رسول رسول الله ﷺ فقتله، وارتدّ عن الإسلام وركب جَملا منها وساق معه البقيّة ولحق بمكة. فنزلت فيه هذه الآية: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ اهـ[٣].

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٤٨). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٤٩).
(٣) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٧٤، وأسباب النزول للقاضى ص٧٦، وتفسير البغوى (١/ ٤٦٤)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٤٩).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ ﴾ أى: طرده عن رحمته.

* ﴿ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): أن قاتل المؤمن عمدًا لا توبة له.

فقيل له: أليس قد قال الله فى سورة الفرقان: ﴿ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) ﴾ [رقم: ٦٨ ـ ٧٠].

فقال ـ أى ابن عباس رضى الله عنهما ـ: كانت هذه فى الجاهليّة، وذلك أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا، وزنوا، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إن الذى تدعو إليه لحَسَنٌ، ويخبرنا أنّ لمَا عملنا كفارة، فنزلت: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ ﴾ فهذه لأولئك.

وأمّا التى فى سورة النساء: فالرجل إذا عرف الإسلام وشرائعه ثم قتل مسلمًا متعمِّدًا فجزاؤه جهنم.. اهـ(١).

● **مهمة:** أخرج عبد بن حميد، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والنسائى، وابن جرير، والطبرانى من طريق سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) قال: اختلف أهل الكوفة فى قتل المؤمن، فرحلتُ فيها إلى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فسألته عنها؟ فقال: نزلت هذه الآية: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا... ﴾ إلخ هى آخر ما نزل، وما نسخها شىء.. اهـ(٢).

* ومن الأدلّة على عِظَم القتل العمد، وأن الله لا يغفر لقاتل العمد الحديثان التاليان:

* أولا: أخرج أحمد، والنسائى، وابن المنذر عن معاوية بن أبى سفيان (ت ٦٠هـ ـ رضى الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يموت كافرًا، أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمِّدًا» اهـ(٣).

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٦٥).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٥٠).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٥٢).

* ثانيًا: أخرج ابن المنذر عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا من مات مشركًا، أو من قتل مؤمنًا متعمدًا» اهـ[1].

• تحذير شرعى مهم:

اعلم أخى المسلم أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ كما حرّم قتل المؤمن عمدًا وجعله الشارع من أكبر الكبائر. كذلك حَرّمَ التعاونَ على قتل المؤمن عمدًا ولو بشطر كلمة. ومن الأدلّة على ذلك الحديثان التاليان:

* الأول: أخرج ابن المنذر عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعان فى قتل مسلم بشطر كلمة، يلقى الله يوم يلقاه مكتوب على جبهته: آيس من رحمة الله» اهـ[2].

* والثانى: أخرج ابن عدىّ، والبيهقى فى البعث عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعان على دم امرئ مسلم بشطر كلمة، كُتِب بين عينيه يوم القيامة آيس من رحمة الله» اهـ[3].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزول هذه الآية عدد من الأسباب، وقد اخترت السبب التالى حرصًا على عدم الإطناب:

* أخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، والترمذىّ وحسَّنه، وعبد بن حميد وصححه، وابن جرير، وابنِ المنذر، والحاكم وصححه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: مرَّ رجل من بنى سليم بنفر من أصحاب النبى ﷺ وهو يسوق غنمًا له، فسلّم عليهم، فقالوا: ما سلّم علينا إلا ليتعوّذ منّا، فعمدوا فقتلوه، وأتوا بغنمه النبى ﷺ، فنزلت الآية.. اهـ[4].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٥٢).

(٤) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٧٥، وأسباب النزول للقاضى ص٧٦، وتفسير القرطبى (٥/ ٢١٦)، وتفسير البغوى (١/ ٤٦٦)، والدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٥٦).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾:

* الضرب: السير فى الأرض، تقول العرب: ضربت فى الأرض: إذا سرت لتجارة، أو غزو، أو غيره، مقترنة بفى.

* ﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾: من التبيّن أى: التأمّل.

* ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: حرّم الله على المؤمنين أن يقولوا لمن يشهد أن لا إله إلا الله لستَ مؤمنًا، كما حرّم عليهم الميتة، فهو آمن على ماله، ودمه، فلا تردّوا عليه قوله.. اهـ(١).

* وأخرج ابن أبى شيبة، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والنسائى عن أسامة بن زيد ـ رضى الله عنه ـ قال: بعثنا رسول الله ﷺ فى سريّة، فصبَّحْنا الحرقات من جهينة، فأدركتُ رجلا فقال: لا إله إلا الله، فطعنته، فوقع فى نفسى من ذلك، فذكرته للنبى ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «قال لا إله إلا الله وقتلتَه؟» قلت: يا رسول الله إنما قالها فرقًا من السلاح، قال: «ألا شققت عن قلبه حتى تعلم قالها أم لا»، فما زال يكررها حتى تمنيتُ أنى أسلمتُ يومئذ.. اهـ(٢).

* ﴿ تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ أى: تطلبون الغُنم والغنيمة.

* ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ ﴾: عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) قال: كنتم تستخفون بإيمانكم كما استخفى هذا الراعى بإيمانه، وفى رواية: كنتم تكتمون إيمانكم عن المشركين.. اهـ(٣).

* ﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾: بإظهار الإسلام.

* وقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): كنتم ضلالا من قبل فمنّ الله عليكم بالهداية(٤).

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٥٩).

(٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٦٧).

* ﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾: من التبين، أى: لا تقتلوا مؤمنًا.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾:

* قال البغوى فى تفسيره: إذا رأى الغزاة فى بلد، أو قرية شعار الإسلام فعليهم أن يكفّوا عنهم، فإن النبى ﷺ كان إذا غزا قومًا فإن سمع أذانًا كفّ عنهم، وإن لم يسمع أغار عليهم. ثم استطرد قائلا: عن ابن عصام عن أبيه: أن النبى ﷺ كان إذا بعث سريّة قال: «إذا رأيتم مسجدًا أو سمعتم أذانًا فلا تقتلوا أحدًا» اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [النساء: ٩٤، والحجرات: ٦]

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ فتثبتوا ﴾ فى السورتين بثاء مثلثة، على أنها مضارع من «التثبت». وقرأ الباقون: ﴿ فتبينوا ﴾ بباء موحدة، مضارع من «التبين»(٢).

* ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ ﴾ [رقم: ٩٤]

قرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، وأبو جعفر، وخلف البزار: ﴿ السَّلَم ﴾ بفتح اللام من غير ألف بعدها، على معنى الاستسلام والانقياد، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ ﴾ [النحل: ٨٧].

وقرأ الباقون ﴿ السلام ﴾ بفتح اللام وألف بعدها، على معنى التحية، فتحية الإسلام هى: «السلام عليكم».

* ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً ﴾ [رقم: ٩٤]

قرأ أبو جعفر بخلف عنه ﴿ مؤمَنا ﴾ بفتح الميم الثانية، اسم مفعول، أى: لن نؤمّنك على نفسك. وقرأ الباقون بكسر الميم الثانية، وهو الوجه الثانى لأبى جعفر، اسم فاعل، والتقدير: إنما فعلت ذلك أى قلت: السلام عليكم متعوّذًا وليس عن إيمان صحيح(٣).

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٦٧).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤١٤ ـ ٤١٥)، والنشر فى القراءات العشر (٣/ ٣٣)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٩٤)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٦٧).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤١٦)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٣٣)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٩٥)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٦٧).

﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزولها عدد من الأسباب، واخترت السبب التالى حرصًا على عدم الإطناب:

* أخرج ابن جرير، والطبرانى فى الكبير بسند رجاله ثقات عن زيد بن أرقم (ت ٦٦هـ ـ رضى الله عنه) قال: لما نزلت: ﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ جاء ابن أمِّ مكتوم فقال: يا رسول الله أمَا لى رخصة؟ فقال: «لا» قال: اللهم إنِّى ضرير فرخِّص لى، فأنزل الله: ﴿ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ ﴾ فأمر رسول الله ﷺ بكتابتها.. اهـ(١).

معانى المفردات:

* ﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ذلك: لا يستوى القاعدون عن «بَدْر» والخارجون إليها(٢).

* وأخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قال: لا يستوى فى الفضل القاعد عن العدوّ والمجاهد(٣).

* ﴿ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ ﴾:

* قال القرطبى فى تفسيره: قال العلماء: أهل الضرر هم أهل الأعذار، إذْ قد أضرّت بهم حتى منعتهم الجهاد(٤).

* ﴿ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾:

* قال البغوى فى تفسيره: لَيْس المؤمنون القاعدون عن الجهاد من غير عذر، والمؤمنون المجاهدون سواء، غير أولى الضرر، فإنهم ـ أى القاعدون عن الجهاد بعذر ـ يساوون المجاهدين، لأن العذر أقعدهم ثم استطرد مستدلا على ذلك بقوله:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٦٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ٢١٩).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٦٣).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ٢٢٠).

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى حدثنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى حدثنا حاجب بن أحمد الطوسى حدثنا عبد الرحيم بن منيب حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا حميد الطويل عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه): أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة قال: «إن فى المدينة لأقوامًا ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد إلا كانوا معكم فيه» قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: «نعم بالمدينة حبسهم العذر» اهـ(١).

* ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾:

* عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) قال: على أهل الضرر.. اهـ(٢).

* قال البغوى فى تفسيره: فضّل الله المجاهدين على أهل الضرر درجة، لأن المجاهد باشر الجهاد مع النية، وأولى الضرر كانت لهم نيّة ولكنهم لم يباشروا، فنزلوا عنهم درجة(٣).

* ﴿وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: أى الجنة، والله يؤتى كل ذى فضل فضله(٤).

* ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾:

* عن ابن جريج قال: على القاعدين من المؤمنين غير أولى الضرر.. اهـ(٥).

﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٩٦)﴾

* عن ابن محيريز، وأبى مجلز فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِّنْهُ﴾ قالا: الدرجات سبعون درجة، ما بين الدرجتين عَدْو الجواد المضمر سبعون سنة.. اهـ(٦).

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٦٣).

(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٦٨).

(٤ ـ ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٦٤).

* وأخرج البخارى، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ - رضى الله عنه) قال: إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوق عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة.. اهـ[١].

* وأخرج مسلم، وأبو داود، والنسائى، والحاكم عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: «من رضى بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولا، وجبت له الجنة». فعجب لها أبو سعيد فقال: أَعِدْها علىّ يا رسول الله، فأعادها عليه، ثم قال: «وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة فى الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» قال: وما هى يا سول الله؟ قال: «الجهاد فى سبيل الله» اهـ[٢].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزولها عدد من الأقوال، وقد اخترت السبب التالى حرصًا على عدم الإطناب:

* أخرج عبد بن حُمَيْد، وابن أبى حاتم، وابن جرير عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قال: نزلت فى قيس بن الفاكهة بن المغيرة، والحارث بن زمعة بن الأسود، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وأبى العاص بن منية بن الحجاج، وعلى بن أميّة بن خلف قال: لما خرج المشركون من قريش وأتباعهم لمنْع أبى سفيان بن حرب وعير قريش، من رسول الله ﷺ وأصحابه، وأن يطلبوا ما نِيلَ منهم يوم نخلة. خرجوا معهم بشبّانٍ كارهين، كانوا قد أسلموا، واجتمعوا ببدر على غير موعد، فقُتِلوا ببدر كفاراً، ورجعوا عن الإسلام، وهم هؤلاء الذين سميناهم.. اهـ[٣].

(١ - ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٦٤)

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٦٥ - ٣٦٦)، وتفسير البغوى (١/ ٤٦٩).

❀ معانى المفردات:

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾:

أى: حالة كونهم ظالمى أنفسهم بالشرك بالله - تعالى -، والمراد بهم كل من ذكر فى سبب نزول الآية، وغيرهم ممن ذكر اسمه فى أسباب النزول الأخرى التى ذكرها العلماء.

* ﴿قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ﴾:

✳ **المعنى:** قالت لهم الملائكة حالة موتهم: فى أىّ الفريقين كنتم؟ أفى المسلمين؟ أم فى المشركين؟ وهذا سؤال توبيخى، فأجابوا بما أخبر الله عنهم:

* ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾ والمراد: أرض مكة.

فردّت عليهم الملائكة بما يلى:

* ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾:

✳ **المعنى:** لِمَ لَمْ تخرجوا من مكة من بين أهل الكفر، إلى المدينة وتلحقوا بالرسول ﷺ؟ ولتحقّق كذبهم فى قولهم هذا توعّدهم الله - تعالى - بالعذاب فقال:

* ﴿فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ﴾، أى: مصيرهم.

* ﴿جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ أى: بئس المصير مصيرهم إلى جهنم.

﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُوراً (٩٩)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ﴾ الآيتان: هذا استثناء من حكم المذكورين فى الآية السابقة: والمراد بالمستضعفين: الذين لا يستطيعون الهجرة مثل: الشيخ الكبير، والمرأة العجوز، والغلمان، والجوارى، والعبيد... إلخ.

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) قال: كنت أنا وأمِّى ممن عذر الله.. اهـ(١).

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٦٧).

* ومن المستضعفين الذين وردت أسماؤهم فى الأحاديث الثلاثة الآتية:

* الحديث الأول: أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه): أن رسول الله ﷺ كان يدعو فى دبر كل صلاة: «اللهم خلِّص الوليد، وسلمة بن هشام، وعيّاش بن أبى ربيعة، وضعفة المسلمين من أيدى المشركين، الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا» اهـ(١).

* الحديث الثانى: أخرج البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: بينا النبى ﷺ يصلى العشاء إذ قال: «سمع الله لمن حمده»، ثم قال قبل أن يسجد: «اللهم نجِّ عياش بن أبى ربيعة، اللهم نجِّ سلمة بن هشام، اللهم نجِّ الوليد بن الوليد، اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسنى يوسف» اهـ(٢).

* الحديث الثالث: أخرج ابن أبى شيبة عن محمد بن يحيى ـ رضى الله عنه ـ قال: مكث النبى ﷺ أربعين صباحًا يقنت فى صلاة الصبح بعد الركوع، وكان يقول فى قنوته: «اللهم نجّ الوليد بن الوليد، وعياش بن أبى ربيعة، والعاص بن هشام والمستضعفين من المؤمنين بمكة الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا» اهـ(٣).

﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٠) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد عدد من الأقوال فى سبب نزول هذه الآية، وقد اخترت السبب التالى حرصًا على عدم الإطناب:

* أخرج أبو يعلى، وابن أبى حاتم، والطبرانى بسند رجاله ثقات عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجرًا، فقال لأهله: احملونى فأخرجونى من أرض المشركين إلى رسول الله ﷺ فمات فى الطريق قبل أن يصل إلى النبى ﷺ فنزل الوحى: ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ... ﴾ الآية(٤).

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٦٧). (٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٦٨).

❋ **المعنى:** سبب النزول يلقى الضوء على المعنى الذى يستفاد من هذه الآية الكريمة. وأضيف إلى ذلك الحديث التالى:

* أخرج أبو يعلى، والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ - رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج حاجًا فمات كُتب له أجر الحاجِّ إلى يوم القيامة، ومن خرج معتمرًا فمات كُتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة، ومن خرج غازيًا فى سبيل الله - فمات - كُتب له أجر الغازى إلى يوم القيامة» اهـ(١).

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا (١٠١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ أى: سافرتم سفرًا مباحًا شرعًا.

* ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ أى: حرج وإثم.

* ﴿ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ ﴾ أى: من أربع ركعات إلى ركعتين، وذلك فى صلاة: الظهر، والعصر، والعشاء.

* ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أى: يقتلكم الكفار وأنتم فى الصلاة.

* ﴿ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾.

• أخبار مهمة وجليلة متصلة بقصر الصلاة فى السفر:

* أولا: أخرج ابن أبى شيبة، وعبْد بن حميد، وأحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائي، وابن ماجه، وابن الجارود وابن خزيمة، والطحاوى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم والنحاس فى ناسخه، وابن حبَّان عن يَعْلى بن أميّة قال: سألت عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ - رضى الله عنه) قلتُ: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وقد أمن الناس؟ فقال لى عمر: عجبتُ مما عجبتَ منه، فسألتُ رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: «صدقة تصدّق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته» اهـ(٢).

(١ - ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٧١).

* ثانيًا: أخرج عبد بن حُمَيْد، والنسائىﷺ وابن ماجه، وابن حبّان، والبيهقى فى سننه عن أميَّة بن عبد الله بن خالد بن أسد أنه سأل ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: أرأيت قصر الصلاة فى السفر، إنا لا نجدها فى كتاب الله، إنما نجد ذكر صلاة الخوف؟ فقال ابن عمر: يا ابن أخى إن الله أرسل «محمدًا» ﷺ ولا نعلم شيئًا، فإنا نفعل كما كان رسول الله ﷺ يفعل، وقصر الصلاة فى السفر سنة سنها رسول الله ﷺ.. اهـ(١).

* ثالثًا: أخرج ابن أبى شيبة، والترمذى وصححه والنسائى، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: صلينا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة ونحن آمنون لا نخاف شيئًا ركعتين.. اهـ(٢).

* رابعًا: أخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى عن حارثة بن وهب الخزاعىّ ـ رضى الله عنه ـ قال: صليت مع النبى ﷺ الظهر، والعصر، بمنى، أكثر ما كان الناس وآمنة ركعتين(٣).

* خامسًا: أخرج البيهقى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «يا أهل مكة لا تقصروا الصلاة فى أدنى من أربع بُرَد من مكة إلى عسفان» اهـ(٤).

* سادسًا: أخرج الشافعى، والبيهقى عن عطاء بن أبى رباح أنّ عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: كانا يصليان ركعتين، ويفطران فى أربع بُرَد فما فوق ذلك.. اهـ(٥).

﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٠٢) ﴾

المعنى: الأخبار التالية توضح كيفية صلاة الخوف:

* أولا: أخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن أبى شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، وأبو داود، والنسائى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والدارقطنى،

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٧١ ـ ٣٧٢).
(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٧٢).
(٤ ـ ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٧٤).

والطبرانى، والحاكم وصححه، والبيهقى عن أبى عيّاش الزرقى ـ رضى الله عنه ـ قال. كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة، فصلّى بنا النبى ﷺ الظهر. فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غِرّتهم، ثم قالوا يأتى عليهم الآن صلاة هى أحبّ إليهم من أبنائهم وأنفسهم.

فنزل «جبريل» ـ عليه السلام ـ بهذه الآيات بين الظهر والعصر: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ ﴾ فحضرت، فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح وصففنا خلفه صفين، ثم ركع فركعنا جميعًا، ثم سجد بالصفّ الذى يليه، والآخرون قيام يحرسونهم.

فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا فى مكانهم. ثم تقدم هؤلاء إلى مصافِّ هؤلاء، وهؤلاء إلى مصافِّ هؤلاء. ثم ركع ـ أى النبى ﷺ ـ فركعوا جميعًا، ثم رفع فرفعوا جميعًا، ثم سجد الصفّ الذى يليه، والآخرون قيام يحرسونهم، فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا، ثم سلّم عليهم ثم انصرف.

قال ـ أى أبو عياش الزرقى ـ: فصلاها رسول الله ﷺ مرتين: مرّة بعسفان، ومرّة بأرض بنى سليم.. اهـ(١).

* ثانيًا: أخرج الترمذى وصححه، وابن جرير عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ نزل بين ضجنان، وعسفان فقال المشركون: إن لهؤلاء صلاة هى أحبّ إليهم من آبائهم وأبنائهم وهى العصر، فأجمعوا أمركم فميلوا عليهم ميلة واحدة، وإن «جبريل» ـ عليه السلام ـ أتى النبى ﷺ فأمره أن يقسِّم أصحابه شطرين، فيصلّى بهم، وتقوم طائفة أخرى وراءهم، وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم، ثم يأتى الآخرون ويصلّون معه ركعة واحدة، ثم يأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم، فيكون لهم ركعة ركعة، ولرسول الله ﷺ ركعتان.. اهـ(٢).

* ثالثًا: أخرج ابن أبى شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، والدارقطنى عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الخوف فقاموا صفّين: صفّ خلف رسول الله ﷺ، وصفّ مستقبل العدوّ فصلّى بهم رسول الله ﷺ

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٧٤).

(٢) انظر: تفسير الدرّ المنثور للسيوطى (٢/ ٣٧٥).

ركعة. وجاء الآخرون فقاموا مقامهم، واستقبل هؤلاء العدوّ فصلّى بهم رسول الله ﷺ ركعة ثم سلّم. فقام هؤلاء إلى مقام هؤلاء فصلوا لأنفسهم ركعة ثم سلّموا(١).

❀ **معانى المفردات:**

* ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ ﴾:

* أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، والطبرانى عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: هذا فى صلاة الخوف: يقوم الإمام ويقوم معه طائفة منهم وطائفة يأخذون أسلحتهم ويقفون بإزاء العدوّ، فيصلّى الإمام بمن معه ركعة ثم يجلس على هيئته، فيقوم القوم فيصلون لأنفسهم الركعة الثانية، والإمام جالس، ثم ينصرفون فيقفون موقفهم، ثم يقبل الآخرون فيصلى بهم الإمام الركعة الثانية، ثم يسلم فيقوم القوم فيصلون لأنفسهم الركعة الثانية، هكذا صلّى رسول الله ﷺ يوم بطن نخلة(٢).

* ﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾:

✳ **المعنى:** تمنى الكفار لو غفلتم عن أسلحتكم وأمتعتكم فيحملون عليكم حملة واحدة ليقتلوكم.

* ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ﴾:

✳ **المعنى:** رخص الله ـ تعالى ـ للمسلمين فى وضع أسلحتهم وأمتعتهم فى حالتين وهما: ١ ـ حالة المطر. ٢ ـ حالة المرض.

ولعلّ الحكمة فى هذا التيسير أن هاتين الحالتين حمل السلاح والأمتعة فيهما مشقة على المسلمين.

ومما هو معلوم أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يريد اليسر بعباده ولا يريد بهم العسر والمشقة.

* ﴿ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾: هذا أمر من الله ـ تعالى ـ للمسلمين بأن يكونوا دائمًا على حذر من الكفار والمشركين كى لا يأخذوهم على غرّة.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٧٧).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٧٦).

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾: هذا خبر من الله ـ تعالى ـ مؤكّد بإنّ، وخبر الله متمحض دائمًا للصدق ومضمون هذا الخبر أن الله ـ عزّ وجلّ ـ أعدّ للكافرين يوم القيامة عذابًا مهينًا، وهو جهنم وبئس القرار، جزاء كفرهم، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا (١٠٣) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ ﴾:

* عن مقاتل بن حيّان البلخيّ (ت ١١٠هـ) قال: أى صلاة الخوف.. اهـ[١].

* ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: معنى ذلك: بالليل والنهار، فى البرِّ والبحر، فى السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسرِّ والعلانية، وعلى كل حال.. اهـ[٢].

* ﴿ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)، وابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) قالوا: ﴿ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ ﴾، أى: أمنتم فى أمصاركم، فأقيموا الصلاة، أى أتموها[٣]. ـ أى لا تقصروا الرباعية ـ.

* ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾:

اختلف العلماء فى معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ على قولين:

* الأول: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قالوا: معنى ﴿ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ أى: مفروضًا، وواجبًا[٤].

* والثانى: قال ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه): إن للصلاة وقتًا كوقت الحجِّ.. اهـ[٥].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٧٩).

(٣ ـ ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٨٠).

• **وأقول:** الأفضل الجمع بين هذين القولين، لأنه لا تعارض، ولا تضادّ بينهما: فالصلاة مفروضة وواجبة على كل مسلم ومسلمة بشروط. وهى: البلوغ والعقل وهى الركن الثانى من أركان الإسلام، وهى أيضًا موقّتة بأوقات معينة، وأصبحت معلومة للمسلمين فى كل مكان. والذى وقّتها وبيّنها نبينا «محمد» ﷺ بواسطة أمين الوحى «جبريل» ـ عليه السلام ـ، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «صلّوا كما رأيتمونى أصلّى».

وقد ود فى ذلك عدد من الأحاديث أقتبس منها الحديثين التاليين:

* **الحديث الأول:** أخرج عبد الرزاق، وأحمد، وابن أبى شيبة، وأبو داود، والترمذى وحسّنه، وابن خزيمة، والحاكم، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «أمَّنى «جبريل» عند البيت ـ أى البيت الحرام ـ مرتين، فصلّى بى الظهر حين زالت الشمس وكانت قدر الشراك، وصلّى بى العصر حين كان ظلّ كل شىء مثله، وصلّى بى المغرب حين أفطر الصائم، وصلّى بى العشاء حين غاب الشفق، وصلّى بى الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم. وصلّى بى من الغد الظهر حين كان ظلّ كل شىء مثله، وصلّى بى العصر حين كان ظلّ كل شىء مثليه، وصلّى بى المغرب حين أفطر الصائم، وصلّى بى العشاء ثلث الليل، وصلّى بى الفجر فأسفر، ثم التفتَ إلىّ فقال: يا «محمد» هذا الوقت وقتُ النبيين قبلك، الوقتُ ما بين هذين الوقتين» اهـ(١).

* **الحديث الثانى:** أخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، والترمذى عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للصلاة أوّلا وآخرًا، وإن أوّل وقت الظهر حين تزول الشمس، وإن آخر وقتها حين يدخل وقت العصر، وإن أول وقت العصر حين يدخل وقت العصر، وإن آخر وقتها حين تصفارُّ الشمس، وإن أول وقت المغرب حين تغرب الشمس، وإن آخر وقتها حين يغيب الشفق، وإن أوّل وقت العشاء الآخرة حين يغيب الشفق، وإن آخر وقتها حين ينتصف الليل، وإن أول وقت الفجر حين يطلع الفجر، وإن آخر وقتها حين تطلع الشمس» اهـ(٢).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٨١).

﴿ وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٠٤) ﴾

✻ المعنى:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) فى الآية قال: لا تضعفوا فى طَلب القوم، إن تكونوا تتوجّعون من الجراحات، فإنهم يتوجّعون كما تتوجّعون، وترجون من الله، أى: من الحياة، والرزق والشهادة، والظفر فى الدنيا ما لا يرجون.. اهـ(١).

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بكل شىء ومنها نياتكم ونياتهم من القتال.

* ﴿ حَكِيمًا ﴾ أى: يضع الأمور كلها بحكمة.

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٦) ﴾

۞ سبب نزول هذه الآيات:

اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآيات وما بعدها حتى ١١٦ لارتباط بعضها ببعض فى المعنى. وقد اخترت السبب التالى حرصًا على عدم الإطناب:

* قال الواحدى (ت ٤٦٨هـ) فى كتابه «أسباب نزول القرآن»: أنزلت هذه الآيات كلها من رقم ١٠٥ : ١١٦ فى قصة واحدة:

وذلك أن رجلا من الأنصار يقال له: طُعْمة بن أُبَيْرق أحد بنى ظفر بن الحارث، سرق درعًا من جار له يقال له: قتادة بن النعمان وكانت الدرع فى جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق فى الجراب حتى انتهى إلى الدار وفيها أثر الدقيق.

ثم خبّأها عند رجل من اليهود يقال له: زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طُعْمَة فلم توجد عنده، وحلف لهم والله ما أخذها وما له بها من علم.

فقال أصحاب الدرع: بلى والله قد أدْلَج علينا فأخذها، وطلبنا أثره حتى دخل داره، واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودى فأخذوه فقال: دفعها إلىّ طُعْمة

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٨١).

ابن أُبَيْرق وشـهد له أناس من اليهود على ذلك، فـقالت بنو ظفر ـ وهم قوم طُـعْمة ـ: انطلقـوا بنا إلى رسـول الله ﷺ فكلِّمـوه فى ذلك واسـألوه أن يجـادل عن صاحـبـهم، وقالوا: إن لم نفـعل هلك صاحـبنا وافتضح، وبرئ الـيهودى، فـهمَّ رسول الله ﷺ أن يفعـل وأن يعاقب الـيهودى، فأنزل الله ـ تـعالى ـ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ الآيات كلها.. اهـ[١].

❀ معانى المفردات:

* ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ المراد بالكتاب القرآن.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿بِالْحَقِّ﴾ أى: بالصدق الذى لا ريب فـيه ومن أصدق من الله حديثًا؟ أى: لا أحد أصدق من الله.

* قال القرطبى فى تفسيـره: هذه الآية تشريف للنبى ﷺ وتكريـم وتعظيم وتقويمٌ أيضًا على الجادّة فى الحكم.. اهـ[٢].

* ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾:

* أخـرج عـبـد بن حميـد عن قتادة بن دعامة السـدوسى (ت ١١٨هـ) قال: بما بيّن لك.. اهـ[٣].

* ﴿وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾، ﴿خَصِيمًا﴾ اسم فاعل، مثل قولك: جالسته فأنا جليسـه وحينئذ يكون المعنى: ولا تـكن للخائنين: وهو طُعْمة بن أُبَيـرق مجادلا، لأن الخصيم بمعنى المجادل.

وقـيل: نهى الله ـ عـزّ وجلّ ـ رسـوله ﷺ عن الـدفاع عـن أهل التـهم بمـا يقـوله خصمهم من الحجة.

* ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

قـال ابن عطيّـة عبـد الحق بن غـالب بن عـبـد الرءوف (ت ٥٤٦هـ): المـعنى: واستغفر الله للمذنبين من أمتك، والمـتخاصمين بالباطل ومحلّك من الناس أن تسمع من المدّعِيَيْن وتقضى بنحو ما تسمع وتستغفر للمذنب.. اهـ[٤].

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٨٣.
(٢) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ٢٤٠).
(٣) انظر: الدر المنثور (٢/ ٣٨٧).
(٤) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ٢٤٢).

﴿ ولا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾: أى: لا تحاجج عن الذين يظلمون أنفسهم بالخيانة والسرقة.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾: ﴿ خَوَّانًا ﴾ صيغة مبالغة من الخيانة، أى: خائنًا بسرقة الدرع كما تقدم فى سبب النزول.

* ﴿ أَثِيمًا ﴾ أى: فى اتهامه اليهودى بالسرقة وهو منها برىء.

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ ﴾، أى: يستترون من الناس، يريد بنى ظفر بن الحارث.

* ﴿ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ ﴾ أى: لا يستترون ولا يستحيون من الله، الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

* ﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾:

التبييت: تدبير الفعل ليلا، وذلك أن قوم طُعْمة قالوا فيما بينهم: نرفع الأمر إلى النبى ﷺ فإنه يسمع قوله ويمينه لأنه مسلم ولا يسمع من اليهودى، فإنه كافر، فلم يرضى الله ذلك منهم. لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿ كَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾: لأنه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً (١٠٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾:

* ﴿ جَادَلْتُمْ ﴾ أى: خاصمتم إذ الجدال: شدة المخاصمة. والمراد بالضمير فى ﴿ عَنْهُمْ ﴾ «طُعمة».

* ﴿فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: هذا الاستفهام للإنكار والتوبيخ، أى: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنكر عليهم هذا الصنيع الذى هو كذب وباطل. ووبّخهم بقوله: ﴿مَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أى: لا يستطيع أحد فعل هذا، لأن الله ـ تعالى ـ: عليم بكل أفاك أثيم.

* ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾: هذا معطوف على ما قبله. أى: لا يوجد من هو كفيل لهم يوم القيامة بحيث يدافع عنهم ويتولّى أمورهم يوم القيامة.

﴿ ومن يعملْ سُوءًا أو يظْلمْ نفسهُ ثُمَّ يستغْفرِ اللَّهَ يجد اللَّهَ غفُورًا رَّحيمًا (١١٠) ﴾

* يلقى الضوء على معنى هذه الآية الحديث التالى:

* أخرج ابن أبى حاتم، وابن السنِّى فى عمل اليوم والليلة، وابن مردويه، عن علىّ بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت «أبا بكر» ـ رضى الله عنه ـ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد أذنب فقام فتوضأ فأحسن وضوءه، ثم قام فصلى واستغفر من ذنبه إلا كان حقًا على الله أن يغفر له لأن الله يقول: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾» اهـ(١).

﴿ ومن يكْسِبْ إِثْمًا فإِنَّما يكْسِبُهُ علَىٰ نفْسِهِ وكان اللَّهُ عليمًا حكيمًا (١١١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ أى: ذنبًا. * ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ لأنّ عاقبته عائدة عليه. * ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿ ومن يكْسِبْ خطِيئةً أوْ إِثْمًا ثُمَّ يرْمِ به بريئًا فقدِ احْتملَ بُهْتانًا وإِثْمًا مُّبِينًا (١١٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾: اختلف العلماء فى ذلك على قولين:

* الأول: قيل: هما بمعنى واحد ـ أى الخطيئة والإثم ـ وكرّر لاختلاف اللفظ للتأكيد.

* والثانى: قال محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ): إنما فرق بين الخطيئة والإثم لأن الخطيئة تكون عن عَمْد وعن غير عمد، والإثم لا يكون إلا عن عمد.. اهـ(٢).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٨٨).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ٢٤٤).

* ﴿ ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا ﴾ أى: بالخطيئة، أو الإثم.

* ﴿ بَرِيئًا ﴾: مفعول به، والمراد: نسبة السرقة إلى اليهودىّ.

* ﴿ فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾، «البهتان» هو: الكذب، والإثم المبين هو: الذنب البين الواضح.

* روى مسلم عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: أفرأيتَ إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته» اهـ(١).

﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ ﴾: فى تأويل ذلك قولان:

* الأول: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ وحينئذ يكون المعنى: ولولا فضل الله عليك ورحمته بأن نبّهك إلى الحق عن طريق الوحى.

* والثانى: ولولا فضل الله عليك ورحمته بالنبوّة والعصمة من الوقوع فى أىِّ خطأ(٢).

* ﴿ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ أى: يخطئوك فى الحكم ويلبسوا عليك الأمر حتى تدافع عن طُعمة، فتفضل الله عليك ونبهك إلى ذلك، وأعلمك الحقَّ من الباطل.

* ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ ﴾ لأن وباله راجع إليهم.

* ﴿ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ﴾ لأن الله ـ سبحانه ـ عصم نبيه ﷺ من ارتكاب الأخطاء، ومن أذى الناس. قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ٢٤٤).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ٢٤٥).

* ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾، المراد بالكتاب: القرآن، والمراد من الحكمة: القضاء بالوحى.

* ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾: من الشرائع، والأحكام: المتضمنَّة فى القرآن، والسنة المطهرة.

* ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ وفى مقدمة كل ذلك: النبوة، والقرآن، والوحى، والعصمة، وكونه خاتم النبيين، وكونه صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة، إلى غير ذلك مما لا يحصى من فضائل الله ـ تعالى ـ.

﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ ﴾، النجوى: السرّ بين الاثنين أو أكثر، تقول: ناجيتُ فلانًا مناجاة وهم ينتجون ويتناجَوْن.

* ﴿ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ ﴾ أى: لا خير فى كثير من نجواهم إلا فيمن أمر بصدقة.

* ﴿ أَوْ مَعْرُوفٍ ﴾ وهو لفظ يعمّ أعمال البرِّ كلها.

* ﴿ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾: وهذا عام يشمل كل شىء وقع فيه الاختلاف بين المسلمين: سواء كان فى الدماء، أو الأموال، أو الأعراض.

* عن صفيّة بنت شيبة، عن «أم حبيبة» أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «كلام ابن آدم كله عليه لا له، إلا أمرًا بمعروف، أو نهيًا عن منكر، أو ذكرًا لله ـ تعالى ـ» اهـ(١).

* وأخرج مسلم، والبيهقى عن ابن شريح الخزاعى قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» اهـ(٢).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٨٨).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٨٩).

* ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾: اسم الإشارة ﴿ ذَلِكَ ﴾ عائد إلى ما ذكر أول الآية وهو الأمر بالصدقة، والمعروف، والإصلاح بين الناس. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ مفعول لأجله.

وحينئذ يكون المعنى: ومن يفعل ما ذكر من أجل رضا الله ـ تعالى ـ فسوف يؤتيه الله أجرًا عظيمًا.

* أخرج البيهقى عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ عمل ابن آدم شيء أفضل من الصدقة، وصلاح ذات البين، وحسن الخلق» اهـ[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ ﴾ [رقم: ١١٤]

قرأ أبو عمرو، وحمزة، وخلف البزّار، ﴿ يؤتيه ﴾ بالياء التحتية على الغيبة، ليتناسب مع لفظ الغيبة الذى قبله وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴾ إلخ.

وقرأ الباقون ﴿ نؤتيه ﴾ بنون العظمة، على الالتفات من الغيبة إلى التكلم، والالتفات ضرب من ضروب البلاغة[٢].

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦) ﴾

سبب نزول هذين الآيتين:

ارجعْ إلى ما ذكرتُه فى سبب نزول الآية رقم ١٠٥ ـ ١١٦، فقد قلت كل هذه الآيات نزلت فى قصة واحدة: فى طُعْمة بن أُبَيْرق: وذلك أنه لما ظهرت عليه السرقة خاف على نفسه من قطع اليد والفضيحة، فهرب إلى مكة، وارتدّ عن الدين، فنزلت فيه هذه الآية: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ﴾ إلخ.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٩٢).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤١٧)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٣٥) والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٩٧).

ثم إنه ـ أى طعمة ـ خرج مع تجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم وهرب، فطلبوه وأخذوه، ورموه بالحجارة حتى قتلوه، فأنزل الله فيه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ الآية(١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ ﴾: المشاقة: المخالفة والمعاداة.

* ﴿ الْهُدَى ﴾: التوحيد، والرشد، والبيان.

* ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى: غير طريق المؤمنين وطريق المؤمنين هو اتباع الشرع الذى جاء به نبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ ﴾:

* قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)، ومقاتل بن حيّان البلخىّ (ت ١١٠هـ) قالا: معنى ذلك أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يكله إلى الأصنام التى لا تنفع ولا تضرّ(٢).

* ﴿ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾:

* أخرج ابن أبى حاتم عن مالك، عن عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ ـ رضى الله عنه) كان يقول فى هذه الآية: سنّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوّة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر فيما خالفها، من اقتدى بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، ولاه الله ما تولّى، وصلاه جهنم وساءت مصيرًا.. اهـ(٣).

* وأخرج الترمذى، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجمع الله هذه الأمّة على الضلال أبدًا، ويد الله على الجماعة، فمن شذّ شذّ فى النار»(٤).

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ الآية. ومعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾: أى: ضلّ عن طريق التوحيد الذى جاء به جميع الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وبناء عليه فقد حُرِم الخير كله، وجزاؤه جهنم خالدًا مخلّدًا فيها أبدًا.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٨٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ٢٤٧).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٩٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ﴾ [رقم: ١١٥]

قرأ أبو عمرو، وشعبة، وحمزة بإسكان الهاء فى ﴿ نوله ونصله ﴾ وصلا ووقفًا.

وقرأ قالون، ويعقوب باختلاس الكسرة فيهما. وقرأ أبو جعفر بالإسكان والاختلاس. وقرأ ابن ذكوان بالاختلاس، وبالكسرة الكاملة مع الإشباع. وقرأ هشام بالإسكان، والاختلاص، والإشباع. وقرأ الباقون: بالإشباع.

وجه الإسكان، والاختلاس التخفيف، وهما لهجتان فصيحتان ووجه الإشباع أنه على الأصل(١).

﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا ﴾: الضمير فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مِن دُونِهِ ﴾ يعود على لفظ الجلالة ﴿ اللَّهَ ﴾ المتقدم ذكره فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾.

* أخرج ابن جرير عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا ﴾ قال: يسمّونهم إناثًا: اللات والعزّى، ومنات.. اهـ(٢).

* ويشهد لصحة هذا قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٣].

و ﴿ إِن ﴾ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِن يَدْعُونَ ﴾ نافية بمعنى «ما» و «إناثًا» أصنامًا، وهى: اللات والعزّى ومناة.

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٧٠).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٩٤).

قال القرطبى فى تفسيره: كان لكل حيٍّ صنم يعبدونه، ويقولون: أنثى بنى فلان، قاله الحسن، وابن عباس.. اهـ(١).

* ﴿ وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾:

* أخرج ابن أبى حاتم عن سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ) قال: ليس من صنم إلا فيه شيطان.. اهـ(٢).

* وأخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل بن حيّان (ت ١١٠هـ) قال: يعنى إبليس(٣).

* وقال القرطبى فى تفسير فى تأويل الآية: المراد إبليس، لأنهم إذا أطاعوه فيما سوّل لهم فقد عبدوه، ثم استطرد قائلا: ونظيره فى المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]، أى: أطاعوهم فيما أمروهم به، لا أنهم عبدوهم.. اهـ(٤).

* ومعنى ﴿ مَّرِيدًا ﴾ خارجًا عن طاعة الله ـ تعالى ـ. قال الأزهرى: المريد: الخارج عن الطاعة(٥).

* ﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ ﴾ فعل وفاعل، والضمير فى ﴿ لَعَنَهُ ﴾ يعود على قوله ـ تعالى ـ: ﴿ شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾ أى: أبعده الله ـ تعالى ـ وطرده من رحمته.

• تنبيه مهم:

الوقف على قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ ﴾ تام، أى: لا يجوز وصله بما بعده، لأن ما بعده كلام جديد مستأنف لا صلة له بما قبله من حيث اللفظ والمعنى.

* ﴿ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾: فاعل ﴿ وَقَالَ ﴾ ضمير مستتر جوازًا تقديره «هو» يعود على الشيطان المتقدم ذكره فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾. والمخاطب هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ٢٤٨).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٩٤).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ٢٤٨).

(٥) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ٢٤٩).

* أخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل بـن حيّان (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحد إلى الجنة.. اهـ[١].

* قال الله ـ تعالى ـ حكاية عن غـواية إبليس لبنـى الإنسـان: ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) ﴾ [الأعراف: ١٦ ـ ١٨]. * والآيات فى ذلك متعدّدة.

﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (١١٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ ﴾: هذا من كـلام الشيطان، وهو مـعطوف على مـا قبله، ومـعنى ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ ﴾ أى: لأصرفنهم عن طريق الهدى، إلى طريق الضلال.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٢٧]

* ﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ أى: لأسولّنّ لهم، من التمنِّى.

* قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (٢٥) ﴾ [محمد: ٢٥].

* ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ ﴾:

البتـك: القطع، أى: أحملنهم على قطع آذان الـبحيـرة، والسائبـة، كانوا يبـتكون آذانها لطواغيتهم. وقد قال بذلك كل من:

١ ـ الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ).

٢ ـ وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ).

٣ ـ والسدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ)[٢].

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٩٤).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٩٥).

* ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾: اختلف العلماء فى تأويل ذلك على ثلاثة أقوال:

* أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، وأنس بن مالك (ت ٩١هـ ـ رضى الله عنه) قالا: المراد بذلك: الإخصاء.. اهـ[١].

* وقد نهى عن الإخصاء كلّ من:

١ ـ عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وكان يقول: هى النماء.

٢ ـ ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ، وكان يقول: نهى رسول الله ﷺ عن خصاء الخيل والبهائم، وكان يقول: فيه نماء الخلق[٢].

* وممَّن كره الإخصاء:

١ ـ عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ.

٢ ـ عكرمة مولى ابن عباس.

٣ ـ أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ[٣].

* وقال القرطبى فى تفسيره: أمّا إخصاء البهائم فرخّص فيه جماعة من أهل العلم إذْ قصدت فيه المنفعة، إمّا لسمن أو غيره.

والجمهور من العلماء وجماعتهم على أنه لا بأس أن يُضَحَّى بالخصىّ، واستحسنه بعضهم إذا كان أسمن من غيره. ورخص مالك فى خصاء ذكور الغنم.

وإنما جاز ذلك لأنه لا يُقصَد به تعليق الحيوان بالدِّين لصنم يُعبد، ولا لربٍّ يُوَحَّد، وإنما يُقصد به تطييب اللحم فيما يؤكل، وتقوية الذَّكر إذا انقطع أمله عن الأنثى.. اهـ[٤].

* ثانيًا: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى رواية ثانية، وسعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ)، ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)، والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) قالوا: المراد بذلك: تغيير دين الله.. اهـ[٥].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٩٥).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ٢٥٠).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٩٦).

* ثالثًا: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): المراد بذلك: الوشم.. اهـ[١].

* ومن الأحاديث الصحيحة الواردة فى تحريم الوشم الحديثان التاليان:

* الحديث الأول: أخرج أحمد عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ - رضى الله عنها) قالت: كان رسول الله ﷺ يلعن القاشرة والمقشورة، والواشمة والمستوشمة، والواصلة والمتصلة.. اهـ[٢].

* الحديث الثانى: أخرج ابن جرير عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ - رضى الله عنه) قال: لعن الله الواشمات، والمستوشمات، والمتنمِّصات، والمتفلّجات للحسن، والمغيرات خلق الله.. اهـ[٣].

* ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾.

﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (١٢٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَعِدُهُمْ ﴾: المعنى: فاعل ﴿ يَعِدُهُمْ ﴾ ضمير يعود على الشيطان والمعنى: يعد الشيطان أتباعه أباطيله مثل: الجاه، وحبّ الرياسة، وأن لا بعث، ولا جزاء، ولا عقاب، ويوهمهم الفقر حتى لا ينفقوا فى سبيل الله.

وصدق الله إذْ قال: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

* ﴿ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾:

* قال ابن عرفة: الغرور: ما رأيتَ له ظاهرًا تحبُّه، وفيه باطن مكروه، أو مجهول.. اهـ[٤].

﴿ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (١٢١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أُوْلَئِكَ ﴾ أى: أتباع الشيطان.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٩٦).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ٢٥٤).

* ﴿ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ أى: مصيرهم إلى جهنم وبئس القرار.

* ﴿ وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً ﴾ أى: مفرًا ومعدلا عنها.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً (١٢٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ أى: من تحت قصورها ومساكنها وفى ذلك زيادة للنعيم الذى يمتنّ الله به عليهم.

* ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾: فلا موت، ولا فناء.

* ﴿ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾، أى: لا أحد أصدق من الله ـ تعالى ـ.

اللهم اجعلنى ضمن هؤلاء المؤمنين، وما ذلك عليك بعزيز، اللهم استجب يا أرحم الراحمين، فقد قلتَ وقولك الحق: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾ [رقم: ١٢٢]

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزار، ورويس بخُلْف عنه ﴿ أصدق ﴾ بإشمام الصاد صوت الزاى، وهى لهجة قيس. وقرأ الباقون بالصاد الخالصة، وهو الوجه الثانى لرويس وهى لهجة قريش(١).

﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (١٢٣) ﴾

❁ سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزولها عدد من الأقوال، وقد اخترت القول التالى حرصًا على عدم الإطناب:

* أخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قال: قالت العرب: لا نبعث ولا نحاسب. وقالت اليهود والنصارى: ﴿ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ [البقرة: ١١١].

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٧٠).

وقالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] فأنزل الله: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية[١].

❀ معانى المفردات:

* ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾:

* قال مسروق بن الأجدع بن مالك (ت ٦٣هـ)، والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قالوا: أراد ليس بأمانيكم أيها المسلمون، ولا أمانىّ أهل الكتاب، يعنى: اليهود والنصارى، وذلك أنهم افتخروا.

فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، فنحن أولى بالله منكم.

وقال المسلمون: نبينا خاتم الأنبياء، وكتابنا يقضى على الكتب، وقد آمنا بكتابكم، ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن أولى - أى بالله منكم -.

فأنزل الله: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، أى: ليس الأمر بالأمانى، وإنما الأمر بالعمل الصالح[٢].

* ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما)، وسعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) قالا: الآية عامّة فى حق كل عامل.. اهـ[٣].

* ومن يقرأ السنة المطهرة يجد أنه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وقالوا: يا رسول الله وأينا لم يعمل سوءًا غيرك فكيف الجزاء؟ وقد ورد ردًا على هذا التساؤل عدد من الأحاديث أقتبس منها ما يلى:

* أولا: أخرج سعيد بن منصور، وابن أبى شيبة، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه والبيهقى فى سننه عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ - رضى الله عنه) قال: لما نزلت ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ شق ذلك على المسلمين وبلغت منهم ما شاء الله فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: «سدِّدوا وقاربوا، فإن فى كل ما أصاب المسلم كفّارة، حتى الشوكة يُشَاكها، والنكبة ينكبها» اهـ[٤].

---

(١) انظر: الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٩٨).

(٢ - ٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٨٢).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٠١).

* ثانيًا: أخرج أحمد، وعبد بن حميد، والحكيم الترمذى، وابن جرير، وأبو يعلى، وابن المنذر، وابن حبَّان، وابن السنِّى فى عمل اليوم والليلة، والحاكم وصححه، والبيهقى فى شعب الإيمان عن «أبى بكر الصديق» (ت ١٣هـ ـ رضى الله عنه) أنه قال: يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ فكل سوء جزينا به؟

فقال النبى ﷺ: «غفر الله لك يا أبا بكر، ألستَ تنصَب، ألستَ تمرض، ألستَ تحزن، ألستَ تصيبك اللأواء؟» قال: بلى، قال: «فهو ما تجزون به» اهـ[١].

* وفى رواية: فقال رسول الله ﷺ: «أمّا أنت وأصحابك يا أبا بكر المؤمنون فتجزون بذلك فى الدنيا حتى تلقوا الله ليس لكم ذنوب، وأمّا الآخرون فيُجْمع لهم ذلك حتى يُجْزوا به يوم القيامة» اهـ[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ [رقم: ١٢٣]

قرأ أبو جعفر ﴿ بأمانيكم ولا أمانى ﴾ بياء ساكنة خفيفة فيهما.

وقرأ الباقون بياء مشدّدة فيهما أيضًا، وهما لهجتان[٣].

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج عبد بن حُمَيد، وابن جرير عن مسروق بن الأجدع (ت ٦٣هـ) قال: لما نزلت: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ الآية، قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء، فنزلت هذه الآية: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ... ﴾ إلخ[٤].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٠٠).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٧١).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٠٦).

✳ المعنى:

* يلقى الضوء على تأويل هذه الآية الأخبار التالية:

* أولا: أخرج ابن جرير، وابن المنذر عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسِّر (ت ١٢٧هـ) فى الآية قال: «أبَى - أى الله تعالى - أن يقبل الإيمان إلا بالعمل الصالح.. اهـ[١].

* ثانيًا: أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر وابن أبى حاتم عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) فى الآية قال: قد يعمل اليهودى، والنصرانى، والمشرك الخير فلا ينفعهم إلا فى الدنيا.. اهـ[٢].

* ثالثًا: أخرج عبد بن حميد عن الكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ) فى الآية قال: «القطمير»: القشرة التى تكون على النواة، و«الفتيل»: الذى يكون فى بطنها، و«النقير»: النقطة البيضاء التى فى وسط النواة.. اهـ[٣].

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴾ [رقم: ١٢٤]

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وشعبة، وأبو جعفر، وروح: ﴿ يُدخَلون ﴾ بضم الياء، وفتح الخاء، على البناء للمفعول.

وقرأ الباقون بفتح الياء، وضم الخاء، على البناء للفاعل[٤].

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً (١٢٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾، أى: لا أحَدَ أحْكَمُ دينًا ممن أخلص عمله لله، وفوَّض أمره إليه، وتوجّه إليه بالعبادة، وخضع له.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٠٦).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤١٨)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٧١)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ١٧١)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٩٧).

* ﴿ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾: ومعنى: ﴿ حَنِيفًا ﴾: أى مائلا عن الأديان كلها إلى الدين القيِّم وهو الإسلام.

قال الله ـ تعالى ـ فى شأن نبيه «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) ﴾ [البقرة: ١٣١ ـ ١٣٢].

* ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ أى: صفيًا، إذ الخلّة: صفاء المودَّة.

* وقال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب الكوفى (ت ٢٩١هـ): إنما سمى الخليل خليلا لأن محبته تتخلل القلب فلا تدع فيه خللا إلا ملأته.. اهـ(١).

* أخرج الترمذى، وابن مردويه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: جلس ناس من أصحاب النبى ﷺ ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم، وإذا بعضهم يقول: إن الله اتخذ من خلقه خليلا فإبراهيم خليله. وقال آخر: ماذا بأعجب من أنْ كلّم الله موسى تكليمًا. وقال آخر: فعيسى روح الله وكلمته. وقال آخر: آدم اصطفاه الله.

فخرج عليهم فسلّم فقال: «قد سمعتُ كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى كليمه، وعيسى روحه وكلمته، وآدم اصطفاه الله ربّه كذلك. ألاَ وإنى حبيب الله ولا فخر، وأنا أوّل شافع وأوّل مشفَّع ولا فخر، وأنا أوّل من يحرك حلق الجنة فيفتحها الله فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأوَّلين والآخرين يوم القيامة ولا فخر» اهـ(٢).

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا (١٢٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ أى: مُلْكا لا ينازعه فى ذلك أحد، وهو مالك يوم الدين.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ٢٥٦).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٠٧).

* ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾ أى: أحاط علمه بكل شىء لا يعزب عنه مثقال ذرّة فى الأرض ولا فى السماء.

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (١٢٧) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزول هذه الآية عدد من الروايات، وقد اخترت الرواية التالية حرصًا على عدم الإطناب:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قال: كان لا يرث إلا الرجل الذى قد بلغ أن يقوم فى المال ويعمل فيه، ولا يرث الصغير ولا المرأة شيئًا، فلما نزلت المواريث فى سورة النساء شق ذلك على الناس، وقالوا: أيرث الصغير الذى لا يقوم فى المال، والمرأة التى هى كذلك، فيرثان كما يرث الرجل؟ فرجوا أن يأتى فى ذلك حدث من السماء. فانتظروا فلما رأوا أنه لا يأتى حدث قالوا: لئن تمَّ هذا إنه لواجب ما عنه بدٌّ.

ثم قالوا: سلوا فسألوا النبى ﷺ فأنزل الله: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ ﴾ أىْ فى أول السورة وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ الآية.

قال سعيد بن جبير وكان الولىّ إذا كانت المرأة ذات جمال ومال رغب فيها ونكحها واستأثر بها. وإذا لم تكن ذات جمال ومال أنكحها ولم ينكحها.. اهـ[1].

معانى المفردات:

* ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾ أى: فى شأن النساء، وأحكامهن فى الميراث، وغير ذلك، والخطاب لنبينا «محمد» ﷺ، فأنزل الله عليه الجواب:

* ﴿ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ أى: قل لهم يا «محمد» الله ـ سبحانه وتعالى ـ يبين لكم حكم ما سألتم عنه.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٠٨).

* ﴿ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾: هذا معطوف على ما قبله، أى: ويفتيكم فيما يتلى عليكم فى القرآن فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما فرضه الله لهن فى الميراث، وقد بينه الله ـ عز وجل ـ فى قوله: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [النساء: ٢].

* ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾: فى تأويل ذلك قولان:

* الأول: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) معنى ذلك: وترغبون عن نكاحهن.

* والثانى: قال ابن سيرين محمد بن سيرين الأنصارى (ت ١١٠هـ) وغيره، قالوا معنى ذلك: وترغبون فى نكاحهن(١). لمالهنّ وجمالهنّ بأقل من صداقهنّ.

* ﴿ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ ﴾ أى: ويفتيكم الله ـ تعالى ـ فى المستضعفين من الولدان الصغار، إذْ يجب عليكم أن تعطوهم حقوقهم فى الميراث كما بينه الله ـ تعالى ـ فى آية المواريث رقم: ١١ من سورة النساء.

* ﴿ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ﴾ أى: ويفتيكم الله ـ تعالى ـ فى أن تقوموا لليتامى بالعدل، فتعطونهنّ ميراثهن ومهورهن هذا فى النساء، وفى الذكور تعطوهم ميراثهم.

* ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾: فيجازيكم عليه الحسنة بعشر أمثالها بل إلى سبعمائة ضعف، بل إلى أضعاف كثيرة.

﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢٨) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزولها عدد من الأقوال، وقد اخترت القول التالى حرصًا على عدم الإطناب:

* أخرج ابن سعد، وأبو داود، والحاكم وصححه، والبيهقى عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) قالت: كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض فى مكثه عندنا، وكان يطوف علينا يوميًا من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى مَنْ هو يومها فيبيت عندها.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤١٠).

ولقد قالت «سودة بنت زمعة» أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ حين أسنَّت، وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ: يا رسول الله يومى هو لعائشة، فقبل ذلك رسول الله ﷺ، قالت «عائشة»: فأنزل الله فى ذلك: ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ . . . ﴾ الآية(١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾:

﴿ خَافَتْ ﴾ بمعنى: توقعت. * و﴿ بَعْلِهَا ﴾: زوجها.

* قال أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو جعفر النحّاس (ت ٣٣٨هـ): الفرق بين النشوز، والإعراض: أن النشوز التباعد، والإعراض ألا يكلمها ولا يأنس بها(٢).

* ﴿ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾:

الضمير فى ﴿ عَلَيْهِمَا ﴾ يعود على المرأة وزوجها، و﴿ يُصْلِحَا ﴾ فعل مضارع من «أصلح» والضمير فى ﴿ بَيْنَهُمَا ﴾ للزوجين أيضًا، و﴿ صُلْحًا ﴾ مصدر مؤكد لعامله.

وحينئذ يكون المعنى: أىّ امرأة خافتْ من زوجها نشوزًا أو إعراضًا، فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحًا، أى: فى القسم والنفقة، وهو أن يقول الزوج لامرأته: إنك قد تقدّمت فى السنّ أى كبُرت، وإنى أريد أن أتزوج من امرأة شابّة، أوثرها عليك فى الإقامة معها والمبيت عندها، فإن وافقتِ على ذلك أقيمى وأنا متكفِّل بالإنفاق عليك، وإن لم توافقى طلقتك وخليتُ سبيلكَ.

* ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ أى: إقامتها مع زوجها بعد تخييرها خير من طلاقها وتسريحها.

* ﴿ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ ﴾، المراد: شحّ كل من الزوجين بنصيبه من الآخر، والشحُّ: أقبح البخل. وحقيقته: الحرص على منع الخير.

* ﴿ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾: هذا خطاب للأزواج، وحينئذ يكون المعنى: إن تحسنوا أيها الأزواج إلى زوجاتكم وتتقوا فى عشرتكم عدم الجور لزوجاتكم مع عدم رغبتكم فى صحبتهن فهو خير لكم وأفضل عند الله ـ تعالى ـ،

(١) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ٢٥٩)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤١٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ٢٥٩).

لأن إحسانك أيها الزوج إلى هذه المرأة التى أسنَّت وقد لا يكون لها عائل فيه أجر عظيم، وتذكّر أيها الزوج دائمًا قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧) ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا ﴾ [رقم: ١٢٨]

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائى، وخلف البزَّار: ﴿ يُصْلِحَا ﴾ بضم الياء، وإسكان الصاد، وكسر اللام من غير ألف بعدها، مضارع «أصلح» الثلاثى المزيد بالهمزة.

وقرأ الباقون: ﴿ يَصَّالَحَا ﴾ بفتح الياء، والصاد المشدّدة، وألف بعدها، وفتح اللام، وأصلها «يتصالحا» فأدغمت التاء فى الصاد بعد قلبها صادًا. وذلك أن الفعل لما كان من اثنين جاء على باب المفاعلة التى تكون دائمًا بين اثنين(١).

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٢٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ أى: لن تقدروا أيها الأزواج أن تسوُّوا بين زوجاتكم فى الحبّ وميل القلب، ولو حرصتم على العدل وعدم الظلم.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى معنى ذلك قال: أى فى الحبّ والجماع.. اهـ(٢).

* ﴿ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾:

* عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى معنى ذلك قال: لا هى ذات زوج، ولا هى أيِّمٌ.. اهـ(٣).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤٢٠)، والنشر فى القراءات العشر بتوجيهنا (٣/ ٣٦)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٩٨)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٧١).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤١٢).

* ﴿ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا ﴾ أى: إن تحسنوا بالإقامة مع الزوجة، وتتقوا ظلمها، وعدم الجور.

* ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ فيجزيكم بأعمالكم.

﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (١٣٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا ﴾ أى: الزوجان بالطلاق. وقد قال بذلك مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)(١).

* ﴿ يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ ﴾: التنوين فى ﴿ كُلاًّ ﴾ عوض عن المضاف إليه، أى كلا من الزوجين، وحينئذ يكون المعنى: إن يتفرقا الزوجان بالطلاق، يغن الله كلا منهما من سعته: فلعلّ المرأة يرزقها الله بزوج آخر، والزوج يرزقه الله بامرأة أخرى.

* ﴿ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾، أى: واسع الفضل والرحمة، حكيمًا فيما أمر به ونهى من هذه الأحكام، بل هو حكيم فى كل شىء يضع الأمور كلها بحكمة، ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون، لا أحد.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (١٣١) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٣٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ أى: ملكًا، وعبيدًا.

* ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾:

المراد بالكتاب: الكتب المنزلة من عند الله ـ تعالى ـ على أنبيائه ورسله مثل: التوراة، والزبور، والإنجيل، وصحف إبراهيم... إلخ.

* ﴿ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾: هذا معطوف على ما قبله.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤١٣).

وحينئذ يكون المعنى: يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ولقد وصيتُ جميع الأمم المتقدمة عليكم منذ «آدم» ـ عليه السلام ـ، ووصيتكم بتقوى الله ـ تعالى ـ أي: وحّدوه ولا تشركوا معه أيّ شيء مهما كان، وأطيعوه، أي: اعملوا بجميع ما أمركم به، واتركوا كل ما نهاكم عنه على ألسنة أنبيائه ورسله.

* ﴿ وَإِن تَكْفُرُوا ﴾ أي: تتركوا العمل بأوامر الله ـ تعالى ـ، وتشركوا معه غيره في العبادة، أو تتركوا عبادته بالكلية، وتعبدوا غيره، إن فعلتم ذلك.

* ﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيداً ﴾ أي: غنى عن جميع خلقه غير محتاج إلى طاعتهم.

وقد أكد الله ذلك بقوله: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾.

* ولعلّ من الحكم التى تستفاد من هذا التأكيد: هو لفت أنظار عباده ليتفكروا فى ملكوته وملكه، لعلهم يهتدون.

والآيات الدالّة على التفكر فى مخلوقات الله كثيرة منها قوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) ﴾ [البقرة: ١٦٤].

﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيراً (١٣٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ﴾:

✳ المعنى:

يقول الله ـ تعالى ـ: إن يشأ يهلككم أيها الكفار، والمشركون، ويأت بغيركم فيكونون أطوع منكم.

* ويشهد لهذه الآية فى المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨) ﴾ [محمد: ٣٨].

* ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴾:

اسم الإشارة: «ذلك» عائد إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ﴾.

* واعلم أخى المسلم أن القدرة صفة أزليّة لله ـ تعالى ـ. وحينئذ لا تتناهى مقدوراته ـ عزّ وجلّ ـ، كما لا تتناهى معلوماته.

﴿ من كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (١٣٤) ﴾

المعنى: يوضّح معنى هذه الآية قوله ـ تعالى ـ:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ (٢٠) ﴾ [الشورى: ٢٠].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن جرير عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قال: اختصم إلى النبى ﷺ رجلان: غنىٌّ وفقير، فكان حلْفُ النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع الفقير، وكان يرى أن الفقير لا يظلم الغنىَّ، فأبى الله إلا أن يقوم بالقسط فى الغنِى والفقر.. اهـ[1].

معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾:

قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَوَّامِينَ ﴾ صيغة مبالغة للقيام بالعدل فى الشهادة.

* ﴿ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ أى: كونوا قوّامين بالعدل حالة كون الشهادة لله ـ تعالى ـ أى: لوجهه وابتغاء مرضاته، لا لأىِّ شىء آخر.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤١٤).

* ﴿ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِين ﴾:

✵ **المعنى:** أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ كل مؤمن أن يعدل أى يقول الحق فى شهادته، ولو كانت على نفسه، لأن النفس أمارة بالسوء، ثم ثنّى بالوالدين لأنهما أقرب الناس إليه، ثم ثلّث بالأقربين إذْ هم مظنة التعصّب.

* ﴿ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾:

✵ **المعنى:** إن يكن المشهود له، أو عليه، غنيّا، فلا يُخافُ منه، ولا يُرَاعى لغناه، وإن يكن فقيراً فلا يراعى لفقره إشفاقًا عليه، ولا يُزدرى لفقره فيُظلم.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى الآية قال: أمر الله المؤمنين أن يقولوا بالحق ولو على أنفسهم، أو آبائهم، أو أبنائهم ولا يحابوا غنيّا لغناه، ولا يرحموا مسكينًا لمسكنته.. اهـ(١).

* ﴿ فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ﴾:

✵ **المعنى:** نهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن اتباع الهوى وبخاصة فى الشهادة لأن اتباع الهوى يحمل الإنسان على الشهادة بغير حق، وهذا لا يتفق وتعاليم الإسلام.

* ونظير هذه الآية فى المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦) ﴾ [ص: ٢٦].

* ﴿ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قال: ﴿ وَإِن تَلْوُوا ﴾، أى: تحرّفوا وتبدّلوا الشهادة، ﴿ أَوْ تُعْرِضُوا ﴾ أى: تتركوا الشهادة وتكتموها(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَإِن تَلْوُوا ﴾ [رقم: ١٣٥]

قرأ ابن عامر، وحمزة: ﴿ تلُوا ﴾ بضم اللام وواو ساكنة بعدها، على أنه فعل مضارع من «وَلَي يَلِي ولاية». وولاية الشيء: هى الإقبال عليه.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤١٣).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤١٤).

وقرأ الباقون: ﴿تلْوُوا﴾ بإسكان اللام، وبعدها واوان: الأولى مضمومة، والثانية ساكنة، على أنه مضارع من: «لوى يلوى» يقال: لويت فلانًا حقه إذا مطلته وأصله «تلويوا» ثم نقلت ضمة الياء إلى الواو التى قبلها، ثم حذفت الياء التى هى لام الكلمة لالتقاء الساكنين، فأصبحت «تلووا» على وزن «تفعوا» بحذف لام الكلمة(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا (١٣٦)﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج الثعلبىّ عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: إن عبد الله بن سلام، وأسدًا، وأُسَيْدا ابْنَىْ كعب، وثعلبة بن قيس، وسلامًا ابن أخت عبد الله بن سلام، وسلمة ابن أخيه، ويامين بن يامين، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا نؤمن بك، وبكتابك، وبموسى، والتوراة، وعزير، ونكفر بما سواه من الكتب والرسل. فقال رسول الله ﷺ: «بل آمنوا بالله ورسله، ومحمد، وكتابه القرآن، وبكل كتاب كان قبله». فقالوا لا نفعل، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ الآية. قال ـ ابن عباس ـ فآمنوا كلهم.. اهـ(٢).

* وأقول: يشهد لهذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)﴾ [البقرة: ٢٨٥].

معنى هذه الآية:

يلقى الضوء على معنى هذه الآية الخبر التالى:

* أخرج ابن المنذر عن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى معنى الآية قال: المراد بذلك أهل الكتاب، كان الله أخذ ميثاقهم فى التوراة، والإنجيل، وأقروا على أنفسهم بأن يؤمنوا بنبينا «محمد» ﷺ.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤١٣).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٨٩)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤١٤).

فلما بعث الله رسوله، دعاهم إلى أن يؤمنوا به ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبالقرآن، وذكرهم ـ أي الله تعالى ـ الذى أخذ عليهم الميثاق فمنهم من صدّق النبى واتبعه، ومنهم من كفر.. اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [رقم: ١٣٦]

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿نزل، وأنزل﴾ بضم النون والهمزة، وكسر الزاى فيهما. على بنائهما للمفعول، ونائب الفاعل ضمير يعود على ﴿الْكِتَابِ﴾.

وقرأ الباقون بفتح النون والهمزة والزاى، على بنائهما للفاعل، والفاعل ضمير يعود على ﴿الله﴾ المتقدم فى قوله: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ﴾(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (١٣٧)﴾

معانى المفردات:

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسىّ (ت ١١٨ هـ) قال: هؤلاء اليهود آمنوا بالتوراة ثم كفروا، ثم ذكر النصارى فقال: ﴿ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ أى: آمنوا بالإنجيل ثم كفروا به.

* ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد ﷺ.. اهـ(٣).

* وعن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤ هـ) قال: هم المنافقون(٤).

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩)﴾

معانى المفردات:

* ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

البشارة: كل خبر يتغير به بشرة الوجه غالبًا، والأصل فى البشارة أن تكون فى الأخبار السارة.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤١٤).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤٢١)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٧٣).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤١٥).

والمراد بها هنا فى الآية التهكم، لأنها ليست فى أمر سارٍّ.

والخطاب موجه لنبينا «محمد» ﷺ من الله ـ تعالى ـ.

وحينئذ يكون المعنى: أخبر يا «محمد» المنافقين بأن الله أعدّ لهم عذابًا أليمًا يوم القيامة بسبب نفاقهم. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥)﴾ [النساء: ١٤٥].

* ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: هذه بعض أوصاف المنافقين.

وحينئذ يكون المعنى: من صفات المنافقين أنهم يتخذون الكافرين من اليهود والنصارى، أنصارًا لهم وبطانة من دون المؤمنين، وهذا لا يتفق وتعاليم الإسلام لأن الله نهى عن ذلك فقال ـ عزّ من قائل ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)﴾ [المائدة: ٥١].

والآيات القرآنية فى ذلك كثيرة ومتعددة.

* ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكارى، والواو فى ﴿يَبْتَغُونَ﴾ للمنافقين، والضمير فى ﴿عِندَهُمُ﴾ يعود على ﴿الكافرين﴾ و ﴿الْعِزَّةَ﴾ مفعول به.

وحينئذ يكون المعنى: المنافقون يوالون الكفار، لأنهم يطلبون عندهم العزّة والمنعة، وهذه دعوى كاذبة إذ العزّة والمنعة عند الله ـ تعالى ـ كما قال الله فى ختام هذه الآية: * ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

* ومن أراد العزّة فعليه بتنفيذ ما دلّ عليه الخبر التالى:

* أخرج الحاكم فى التاريخ والدَّيلمىّ، وابن عساكر عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقول كل يوم: أنا ربكم العزيز، فمن أراد عزَّ الدارين فليطع العزيز» اهـ[1].

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤١٥).

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) ﴾

✵ المعنى:

* الخبران التاليان يلقيان الضوء على معنى الآية:

* أولا: أخرج ابن المنذر عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧ هـ) قال: كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا فى رسول الله ﷺ وفى القرآن فشتموه واستهزءوا به، فأمر الله أن لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره(١).

* ثانيًا: أخرج ابن المنذر عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥ هـ): إن الله جامع المنافقين من أهل المدينة، والمشركين من أهل مكة الذين خاضوا واستهزأوا بالقرآن فى جهنم جميعًا(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ [رقم: ١٤٠]

قرأ عاصم، ويعقوب: ﴿ نزل ﴾ بفتح النون والزاى المشدّدة على البناء للفاعل والفاعل ضمير يعود على الله ـ تعالى ـ، وأَنْ وما بعدها فى محلّ نصب بـ ﴿ نَزَّلَ ﴾.

وقرأ الباقون: ﴿ نُزِّلَ ﴾ بضم النون، وكسر الزاى، على البناء للمفعول و ﴿ أَنْ ﴾ وما بعدها فى محلّ رفع نائب فاعل.

والتقدير: وقد نزل عليكم المنعُ من مجالسة المنافقين، والكافرين عند سماع الكفر بآيات الله والاستهزاء بها(٣).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤١٦).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤٢٢)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٣٧) والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٠٠)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٧٣).

﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً (١٤١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ ﴾:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قال: هم المنافقون يتربصون بالمؤمنين[(١)].

* ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر قال: إن أصاب المسلمون من عدوِّهم غنيمة وظفر عليهم، قال المنافقون للمسلمين: قد كنّا معكم فأعطونا من الغنيمة مثل ما تأخذون[(٢)].

* ﴿ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر قال: وإن كان للكافرين نصيب يصيبونه من المسلمين قال المنافقون للكفار: ألم نبين لكم أنا على ما أنتم عليه قد نثبطهم عنكم[(٣)].

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ ﴾ قال: نغلب عليكم[(٤)].

* وأقول: الاستحواذ: هو الاستيلاء والغلبة، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ [المجادلة: ١٩]. أى: استولى عليهم الشيطان، وغلب عليهم.

وحينئذ يكون المعنى: قال المنافقون للكفار حينما تكون لهم الغلبة على المؤمنين: ألم نغلب عليكم حتى هابكم المسلمون وخذّلناهم عنكم.

* ﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أى: بين المؤمنين والمنافقين.

* ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾:

* جاء فى تأويل ذلك ثلاثة أقوال:

* الأول: عن على بن أبى طالب، وابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قالا: ذلك يوم القيامة[(٥)].

(١ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤١٦).

* والثانى: عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قال: أى حجّة[١].

* والثالث: قال القرطبى فى تفسيره: أى حجة عقلية ولا شرعية يستظهرون بها إلا أبطلها ـ أى الله ـ ودحضت[٢].

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾:

* عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ)، ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، والسدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قالوا فى تأويل ذلك: يلقى الله على كل مؤمن، ومنافق نورًا يمشون به يوم القيامة، حتى إذا انتهوا إلى الصراط طفئ نور المنافقين، ومضى المؤمنون بنورهم، فتلك خديعة الله إياهم.. اهـ[٣].

* وأقول: يشهد لصحة هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) ﴾ [الحديد: ١٢ ـ ١٣].

* ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ ﴾:

هذه بعض صفات المنافقين، أى من صفاتهم أنهم يصلون مراءاة وهم متكاسلون ومتثاقلون، والحال أنهم لا يرجون ثوابًا، ولا يعتقدون على تركها عقابًا.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤١٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٥/ ٢٧٠).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤١٧).

* ﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ ﴾ أى: يفعلون ذلك مراءاة للناس لا اتباعًا لأمر الله ـ تعالى ـ.

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨ هـ) فى تأويل ذلك قال: والله لولا الناس ما صلى منافق ولا يُصَلى إلا رياء وسمعة.. اهـ(١).

* ﴿ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾:

* أخرج مسلم، وأبو داود، والبيهقى فى سننه عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى شيطان قام فنقر أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلا.. اهـ(٢).

﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (١٤٣) ﴾

✵ المعنى:

* هذا من صفات المنافقين، ويوضح معنى ذلك الأخبار التالية:

* أولا: أخرج أحمد، والبيهقى عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مثل المنافق يوم القيامة كالشاة بين الغنمين، إن أتت هؤلاء نطحتها، وإن أتت هؤلاء نطحتها» اهـ(٣).

* ثانيًا: أخرج ابن جرير، وابن المنذر عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨ هـ) فى الآية قال: ليسوا ـ أى المنافقون ـ بمؤمنين مخلصين، ولا مشركين مصرحين بالشرك.

ثم استطرد قائلا: وذكر لنا: أن نبىَّ الله ﷺ كان يضرب مثلا للمؤمن، والكافر، والمنافق: كمثل رهط ثلاثة دفعوا إلى نهر، فوقع المؤمن فقطع، ثم وقع المنافق حتى كاد يصل إلى المؤمن، ناداه الكافر: أن هلمّ إلىّ فإنى أخشى عليك، وناداه المؤمن أن هلمّ إلىّ فإن عندى وعندى، يحضّ ويُحْصى له ما عنده. فما زال المنافق يتردّد بينهما حتى أتى عليه الماء فغرق. وإن المنافق لم يزل فى شكّ وشبهة حتى أتى عليه الموت وهو كذلك.. اهـ(٤).

* ثالثًا: عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤ هـ) قال: هم المنافقون لا إلى أصحاب «محمد» ﷺ، ولا إلى هؤلاء اليهود(٥).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤١٧).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤١٨).

﴿ يا أيُّها الَّذين آمنُوا لا تتَّخذُوا الْكافرين أوْلياء من دُون الْمُؤْمنين أتُريدُون أن تجْعلُوا للَّه عليْكُمْ سُلْطانًا مُّبينًا (١٤٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخذُوا الْكَافرِينَ أَوْلِيَاء من دُون الْمُؤْمنينَ ﴾:

المعنى: نهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ المؤمنين عن موالاة الكفار، دون المؤمنين.

* ومن يقرأ القرآن الكريم يجد الكثير من الآيات التى تحرِّم موالاة اليهود والنصارى، أقتبس منها ما يلى:

* أولا: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) ﴾ [المائدة: ٥١]

* ثانيًا: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران: ١١٨].

* ثالثًا: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

* ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾:

المعنى: بموالتكم أيها المؤمنون الكافرين تجعلون لله ـ تعالى ـ عليكم حجة واضحة فى عذابكم وبخاصة فى الدار الآخرة.

إذًا فيا أيها المؤمنون فى كل مكان اتركوا موالاة الكفار امتثالا لأوامر الله ـ تعالى ـ، واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا.

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) ﴾

المعنى:

* يلقى الضوء على معنى هذه الآية الخبران التاليان:

* أولا: أخرج الفريابى، وابن أبى شيبة، وابن أبى الدنيا، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم فى صفة النار عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله

ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الْمُنافقين فِي الدَّرْكِ الأَسفلِ مِن النَّارِ﴾ قال: فى توابيت من حديد مقفلة عليهم لا يهتدون لمكان فتحها.. اهـ(١).

* ثانيًا: أخرج عبد بن حُميْد، وابن أبى حاتم عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) فى الآية قال: الدرك الأسفل: بيوت من حديد لها أبواب تطبق عليها، فيوقد من تحتهم ومن فوقهم.. اهـ(٢).

•• نصيحة مخلصة:

أوصيك أخى المسلم بالتمسك فى كل شىء بالإخلاص لله ـ تعالى ـ، وأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ومن يقرأ السنة المطهرة يجد الكثير من الأحاديث الصحيحة التى تبين فضل الإخلاص وتحث عليه.

وقد اقتبست لك أخى المسلم من ذلك الحديثين التاليين:

* الحديث الأول: أخرج أحمد، والبيهقى عن أبى ذر الغفارىّ (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه): أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبه سليمًا، ولسانه صادقًا، ونفسه مطمئنة، وخليقته مستقيمة، وأذنه مستمعة، وعينه ناظرة، فأمَّا الأذن فَقُمْع، والعين مقرة لما يوُعى القلب، وقد أفلح من جعل قلبه واعيًا» اهـ(٣).

* الحديث الثانى: أخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول عن زيد بن أرقم (ت ٦٦هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنّة» قيل: يا رسول الله وما إخلاصها؟ قال: «أن تحجزه عن المحارم» اهـ(٤).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [رقم: ١٤٥]

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿الدرْك﴾ بإسكان الراء.

وقرأ الباقون بفتح الراء، وهما لهجتان فصيحتان(٥).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤١٩). (٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٢٠).

(٥) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤٢٢)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٠١) والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٧٤).

﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾:

✷ **المعنى:** هذا استثناء من المنافقين المذكورين فى الآية السابقة.

وحينئذ يكون المعنى: ينجّى الله ـ تعالى ـ من العذاب الذى أعدّه للمنافقين التائبين، ثم بين الله شروط التوبة وهى ثلاثة:

الشرط الأول: أن يصلحوا فى أقوالهم، وأفعالهم.

الشرط الثانى: أن يعتصموا بالله ـ تعالى ـ، ويتوكلوا عليه، ويجعلوه ملجأ وملاذًا لهم فى كل شىء.

الشرط الثالث: الإخلاص لله ـ تعالى ـ فى كل شىء.

* قال الله ـ تعالى ـ لنبيه «محمد» ﷺ: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (١١) ﴾ [الزمر: ١١].

* ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾:

✷ **المعنى:** إذا تاب المنافقون ونفذوا الشروط الثلاثة، حينئذ يكونون من المؤمنين.

* ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾: وهو جنة عرضها السموات والأرض أعدها الله ـ تعالى ـ لجميع عباده المؤمنين.

اللهم اجعلنى منهم يا أرحم الراحمين.

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (١٤٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ﴾: هذا استفهام تقريرى للمنافقين.

أى: أقروا أيها المنافقون بأن تعذيبه للعصاة المذنبين لا يزيد فى ملكه، كما أن إعطائه الثواب الجزيل لعباده المؤمنين الشاكرين لا ينقص من ملكه أىّ شىء، فالله هو الغنى الحميد.

* ﴿ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾:

ومعنى ذلك: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يتقبل من عباده المؤمنين العمل القليل، ويعطى عليه الثواب الجزيل.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة: ٢٤٥]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ﴾ [البقرة: ٢٦١].

﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (١٤٨) ﴾

✵ المعنى: يلقى الضوء على معنى هذه الآية الأخبار التالية:

* أولا: عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى الآية قال: لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلومًا، فإنه رخص له أن يدعو على من ظلمه، وإن يصبر فهو خير له(١).

* ثانيًا: أخرج الترمذى عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا على من ظلمه فقد انتصر» اهـ(٢).

* ثالثًا: عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) فى الآية قال: إن الله لا يحب الجهر بالسوء من القول من أحد من الخلق، ولكن يقول ـ أى الله تعالى ـ: من ظُلِم فانتصر بمثل ما ظُلِم فليس عليه جناح.. اهـ(٣).

﴿ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (١٤٩) ﴾

✵ المعنى:

* ندب الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى هذه الآية الكريمة إلى فعل بعض الخصال الحميدة وتتمثل فيما يلى:

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٢٠). (٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٢١).

* أولا: فعل الخير: وهو ما أجازه الشرع وحسّنه سواء كان جهراً، أو سرّاً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧١].

* ثانيًا: العفو والصفح عن عثرات المسلمين.

ومن يقرأ السنة المطهرة يجد الكثير من الأحاديث الصحيحة التى تبين فضل العفو عن عثرات المسلمين، وتحث على ذلك، وهذا قبس منها:

* الحديث الأول: روى مسلم، والترمذى عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزّاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله ـ عزّ وجل ـ» اهـ(١).

* الحديث الثانى: روى البزار، والطبرانى عن عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات؟» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «تحلم على من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطى من حرمك، وتصل من قطعك» اهـ(٢).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) ﴾

✱ **المعنى:** يلقى الضوء على معنى هذه الآية الخبر التالى:

* أخرج ابن جرير عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)، والسدّى إسماعيل ابن عبد الرحمن المفسّر (١٢٧هـ) فى الآية قالا: أولئك أعداء الله: اليهود والنصارى: آمنت اليهود بالتوراة وموسى، وكفروا بالإنجيل وعيسى. وآمنت النصارى بالإنجيل وعيسى، وكفروا بالقرآن وبنبينا «محمد» ﷺ. فاتخذوا اليهودية، والنصرانية، وتركوا الإسلام، وهو دين الله الذى بعث به رسله.. اهـ(٣).

(١ ـ ٢) انظر: الفضائل للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن ص٢٣٣.

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٢١).

﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٥١) ﴾

✻ المعنى:

اسم الإشارة ﴿ أُوْلَئِكَ ﴾ عائد إلى اليهود والنصارى الذين كفروا بنبينا «محمد» ﷺ هم الكافرون حقّا، وأعدّ الله لهم يوم القيامة عذابًا مهينًا.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٥٢) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾:

✻ **المعنى:** هذه صفات المؤمنين وهي تشتمل على ما يلي:

* أولا: الإيمان بالله ـ تعالى ـ وبجميع صفاته التي وصف بها نفسه، وأنه لا ندَّ له، ولا شريك له، وأنه ليس كمثله شيء، وأنه لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

* ثانيًا: الإيمان بجميع أنبيائه ورسله مع عدم التفرقة بين رسول ورسول من أول نبي الله «آدم» ـ عليه السلام ـ حتى نبينا «محمد» ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

هؤلاء الموصوفون بما ذكر أخبر الله عنهم بقوله:

* ﴿ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾، أي: كاملة يوم القيامة، الحسنة بعشر أمثالها، بل يضاعفها إلى سبعمائة ضعف، بل إلى أضعاف كثيرة.

* ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ١١٦].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ [رقم: ١٥٢]

قرأ حفص: ﴿ يؤتيهم ﴾ بالياء التحتية لمناسبة السياق والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على الله ـ تعالى ـ.

وقرأ الباقون: ﴿ نؤتيهم ﴾ بنون العظمة، وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم، والالتفات ضرب من ضروب البلاغة، والفاعل ضمير مستتر تقديره «نحن» يعود على الله ـ تعالى ـ(١).

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا (١٥٣) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظيّ قال: جاء ناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن «موسى» جاءنا بالألواح من عند الله فائتنا بالألواح من عند الله حتى نصدقك، فأنزل الله: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ إلى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾(٢).

معانى المفردات:

* ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾:

المعنى: الخطاب فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَسْأَلُكَ ﴾ موجه إلى نبينا «محمد» ﷺ، والمراد بأهل الكتاب: اليهود، وذلك أن كعب بن الأشرف، وفنحاص بن عازوراء وهما من اليهود، قالا لرسول الله ﷺ: إن كنتَ نبيّا فأتنا بكتاب جملة من السماء كما أتى به «موسى» ـ عليه السلام ـ.

وكان هذا السؤال منهم سؤال تحكّم، لا سؤال انقياد.

وممَّا لا ريب فيه أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لا ينزل الآيات تبعًا لاقتراح العباد، وبخاصة المعاندين.

فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ أى: عيانًا، فعاقبهم الله ـ تعالى ـ بقوله: * ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ كما قال

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤٢٣).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٢١).

ـ تعالى ـ في آية أخرى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥) ﴾ [البقرة: ٥٥].

* ﴿ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ ﴾ أي: إلهًا.

* ﴿ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ أي: الحجج الواضحة على وحدانية الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ﴾ أي: أولئك الذين كفروا من بنى إسرائيل وعبدوا العجل عفا الله عنهم لأنه غفور رحيم.

* ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ أي: حجة واضحة على صدق نبوته، وهى الآيات التسع، التى أخبر الله عنها بقوله: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (١٠١) ﴾ [الإسراء: ١٠١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ ﴾ [رقم: ١٥٣]

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: ﴿ تنزل ﴾ بإسكان النون وتخفيف الزاى، مضارع «أنزل».

وقرأ الباقون بفتح النون، وتشديد الزاى، مضارع «نزّل»(١).

* ﴿ فَقَالُوا أَرِنَا ﴾ [رقم: ١٥٣]

قرأ ابن كثير، ويعقوب بإسكان الراء للتخفيف.

وقرأ أبو عمرو بالإسكان، والاختلاس للتخفيف أيضًا.

وقرأ الباقون بالكسرة الخالصة على الأصل(٢).

﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (١٥٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ ﴾ أي: جعله الله فوقهم كأنه ظلّة بسبب نقضهم الميثاق الذى أخذه الله عليهم.

(١ ـ ٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٧٥).

* قال ـ تعالى ـ فى آية أخرى: ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا ﴾ [البقرة: ٩٣].

* ﴿ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: كنا نتحدث أنه باب من أبواب بيت المقدس(١).

* ﴿ وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى قال: أمر الله القوم أن لا يأكلوا الحيتان يوم السبت ولا يعرضوا لها، وأحلّت لهم ما خلا ذلك.. اهـ(٢).

* قال ـ تعالى ـ فى سورة الأعراف: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١) فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون (١٦٢) واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون (١٦٣) ﴾ [الأعراف: ١٦١ ـ ١٦٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وقلنا لهم لا تعدوا في السبت ﴾ [رقم: ١٥٤]

قرأ ورش: ﴿ لا تعدّوا ﴾ بفتح العين، وتشديد الدال، وذلك لأن أصلها «تعتدوا» مضارع «اعتدى يعتدى اعتداء» فنقلت حركة التاء إلى العين، ثم أدغمت التاء فى الدال، لوجود التجانس بينهما لأنهما متفقان فى المخرج إذ يخرجان من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، كما أنهما متفقتان فى الصفات الآتية:

الشدّة، والاستفال والانفتاح، والإصمات.

وقرأ أبو جعفر، وقالون فى أحد وجهيه: ﴿ تعْدُّوا ﴾ بإسكان العين، وتشديد الدال، وذلك لأن أصلها «تعتدوا» فأدغمت التاء فى الدال للتجانس الذى بينهما.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٢٢).

والوجه الثاني لقالون هو اختلاس فتحة العين مع تشديد الدال.

وقرأ الباقون: ﴿ تعْدُوا ﴾ بإسكان العين، وضمّ الدال مخففة، على أنه مضارع «عدا يعدو وعدوانا»(١).

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) ﴾

❀ معاني المفردات:

* عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨ هـ) في قوله - تعالى -: * ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ ﴾ قال: فبنقضهم ميثاقهم. وفي قوله - تعالى -: * ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ قال: لا تفقه. وفي قوله - تعالى -: * ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ قال: لما ترك القوم أمر الله، وقتلوا رسله، وكفروا بآياته، ونقضوا الميثاق الذي أُخذ عليهم، طبع الله على قلوبهم، ولعنهم حين فعلوا ذلك.. اهـ(٢).

* ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾:

* قال البغوي في تفسيره: أراد بالقليل: عبد الله بن سَلَام وأصحابه.. اهـ(٣).

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) ﴾

* عن ابن عباس (ت ٦٨ هـ - رضي الله عنهما) في معنى ذلك قال: رموها بالزنا(٤).

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) ﴾

✵ المعنى:

* يلقى الضوء على معنى هاتين الآيتين الخبر التالي:

* أخرج عبد بن حميد، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس (ت ٦٨ هـ - رضي الله عنهما) قال: لما أراد الله أن يرفع «عيسى» إلى السماء خرج إلى أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلا من الحواريين، فخرج عليهم فقال: إن منكم من

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٤٢٣)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٣٨)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٠١)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ١٧٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٤٢٢).

(٣) انظر: تفسير البغوي (١/ ٤٩٦). (٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٤٢٢).

يكفر بى اثنى عشرة مـرّة بعد أن آمن بى، ثم قال: أيكم يلقى عليه شبـهى فيُقتل مكانى ويكون معى فى درجتى، فـقام شابٌ من أحدثهم سنّا فقـال له: اجلس، ثم أعاد عليهم فقام الشـابٌ فقال له: اجلس، ثم أعاد عليـهم فقام الشابٌ فقـال: أنا، فقال: أنت ذاك، فألقى عـليه شبـه عيـسى، ورفُعَ عيـسى من روزنة فى البيت إلى السـماء، قـال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشّبه فقتلوه ثم صلبوه، وافترقوا ثلاث فرق:

١ ـ فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء، فهؤلاء اليعقوبيّة.

٢ ـ وقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء هم النسطوريّة.

٣ ـ وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله، وهؤلاء هم المسلمون.. اهـ(١).

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩) ﴾

✱ المعنى:

* يلقى الضوء على معنى هذه الآية الحديثان التاليان:

* أولا: أخـرج ابن أبى شـيبـة، وأحمـد، وأبو داود، وابن جرير، وابن حبّان عن أبى هريرة (ت ٥٩هــ ـ رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قـال: «الأنبـيـاء إخـوة لعـلات، أمـهاتهم شتَّى ودينهم واحـد، وإنى أولى الناس بعيـسى ابن مـريم، لأنه لم يكن بينى وبينه نبىّ، وإنه خليفتى على أمتى، وإنه نازل، فإذا رأيتـموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمـرة والبيـاض، عليه ثوبان مـمصّران، كـأن رأسه يقطر وإن لم يصـبه بلل، فـيدقّ الصليب ـ أى يكسّـره ـ ويقـتل الخنزير، ويضع الجـزية، ويدعو الناس إلى الإسـلام، ويهلك الله فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله فى زمانه المسيح الدجّال، ثم تقع الأمنة على الأرض حـتى ترتع الأسود مع الإبل، والنّمـار مع البقـر، والذئاب مع الغنم، وتلعب الصبيان بالحيّات لا تضـرّهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يُتوفّى، ويُصلِّى عليه المسلمون ويدفنونه» اهـ(٢).

* ثانيًا: أخـرج ابن أبى شيبة، وعبد بن حـميد، والبخارى، ومسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل عليكم

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٢٣). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٢٨).

«ابن مريم» حكمًا عدلا، فيكسِّر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيرًا من الدنيا وما فيها».

ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ اهـ[1].

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا ﴾: وهو ما تقدّم ذكره فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ ﴾ من رقم ١٥٥ إلى رقم ١٥٧.

* ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾:

وهى المذكورة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦) ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

* ﴿ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ هذا معطوف على ما قبله.

✳ **المعنى:** وبسبب صدّهم الناس عن دين الله صدًّا كثيرًا حرَّمنا عليهم بعض الطيبات.

﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ ﴾: هذا معطوف على ما قبله.

✳ **المعنى:** حرمنا على اليهود بعض الطيبات لأسباب متعدّدة منها: أخذهم الربا وتعاملهم به علمًا بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ حرّم عليهم التعامل بالربا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

* ﴿ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾: هذا أيضًا معطوف على ما قبله:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/٤٢٨).

وحينئذ يكون المعنى: من الأسباب التى من أجلها حرّم الله على بنى إسرائيل بعض الطيبات: أكلهم أموال الناس بالباطل مثل: الغصب، والرشا، والغش فى البيع والشراء.

* ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾: هذا وعيد شديد من الله ـ تعالى ـ أعده للكافرين من اليهود وهو العذاب الأليم يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) ﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢].

﴿ لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ ﴾: هذا استثناء مما قبله، أى: ليس كل أهل الكتاب من اليهود على صفة واحدة، وعقيدة واحدة وهى الكفر، لأن اليهود منهم الراسخون فى العلم مثل: عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، وغيرهما، فهؤلاء دخلوا فى الإسلام وآمنوا بنبوة سيدنا «محمد» ﷺ.

* وقد قال بهذا ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) إذْ قال: هذه الآية نزلت فى عبد الله بن سلام، وأُسيد بن سعية، وثعلبة بن سعية حين فارقوا اليهود وأسلموا.. اهـ.

* ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ أى: بالقرآن الكريم.

* ﴿ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ أى: بجميع الكتب المنزلة على الأنبياء الذين جاءوا من قبلك.

* ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾: أقول لنا فى نصب ﴿ وَالْمُقِيمِينَ ﴾ وجهان:

الأول: أنه منصوب على المدح، والتقدير: أمدح المقيمين الصلاة.

والثانى: أنه منصوب بفعل مقدر، والتقدير: أعْنِى أو أخُصّ المقيمين الصلاة.

* ﴿ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾: معطوفان على ما قبله وهو ﴿ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾.

* ﴿ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾:

* ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ اسم الإشارة هذا مشار به إلى الموصوفين من قبل وهو مبتدأ، والخبر ﴿ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

* من هذا الأجر العظيم ما جاء في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣) ﴾ [الحج: ٢٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [رقم: ١٦٢]

قرأ حمزة، وخلف البزّار: ﴿ سيؤتيهم ﴾ بالياء التحتية، لموافقة السياق، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على الله ـ تعالى ـ.

وقرأ الباقون: ﴿ سنؤتيهم ﴾ بنون العظمة، على الالتفات من الغيبة إلى التكلم، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره «نحن» يعود على الله ـ تعالى ـ أيضًا(١).

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) قال: قال سُكَيْن، وعديّ بن زيد: يا «محمد» ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد «موسى» فأنزل الله في ذلك: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ الآية.. اهـ(٢).

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٤٢٤)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٣٨)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٠١)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ١٧٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٦/ ١٢)، وتفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٤٣٥).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ المخاطب نبينا «محمد» ﷺ وهذا متصل بقوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ [رقم: ١٥٣].

* والوَحْى: إعلام فى خفاء، يقال: أوحى إليه يوحى إيحاء.

* ﴿ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ ﴾:

* قال القرطبى فى تفسيره: قدّم «نوحًا» ـ عليه السلام ـ لأنه أول نبىّ شرعت على لسانه الشرائع(١).

* وقال البغوىّ فى تفسيره: بدأ الله ـ تعالى ـ بذكر نبى الله «نوح» ـ عليه السلام ـ لأنه كان أبا البشر مثل نبىّ الله «آدم» عليه السلام، قال الله ـ تعالى ـ ـ أى فى شأن نوح ـ: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الصافات: ٧٧].

ولأنه أوّل نبىّ من أنبياء الشريعة، وأوّل نذير على الشرك، وأوّل من عُذِّبت أمته لردِّهم دعوته، وأُهلك أهلُ الأرض جميعًا بدعائه ـ إلا من آمن به ـ وكان أطول الأنبياء عمرًا وجعلت معجزته فى نفسه، لأنه عمّر ألف سنة فلم تسقط له سنٌّ، ولم تشب له شعرة، ولم تنتقص له قوّة، ولم يصبر نبىّ على أذى قومه ما صبر هو لطول عمره.. اهـ(٢).

* ﴿ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾: الضمير عائد إلى «نوح» ـ عليه السلام ـ وهذا يتناول جميع الأنبياء.

* ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾: هذا وما بعده من عطف الخاصّ على العامّ ونظير ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [البقرة: ٩٨].

* ﴿ وَالْأَسْبَاطِ ﴾: هم أولاد نبىّ الله يعقوب ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾:

* قال القرطبى فى تفسيره: فى هذه الآية تنبيه على قدر نبينا «محمد» ﷺ وشرفه، حيث قدّمه فى الذكر على أنبيائه.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ١٢).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٩٩).

ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ⑦ ﴾ [الأحزاب: ٧].. اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ [النساء: ١٦٣، الإسراء: ٥٥].

* ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]

قرأ حمزة، وخلف البزار: ﴿ زبوراً ﴾ فى الموضعين، «الزبور» بضم الزاى.

وقرأ الباقون بفتح الزاى، والضمّ والفتح لهجتان فى اسم الكتاب المنزل على نبى الله داود ـ عليه السلام ـ(٢).

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ⑯④ ﴾

المعنى: يلقى الضوء على معنى هذه الآية الخبران التاليان:

* أولا: أخرج ابن أبى حاتم عن أبى أمامة الباهلى ـ رضى الله عنه ـ قال: قلتُ: يا نبىَّ الله كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وعشرون ألفًا، الرسل من ذلك: ثلاثمائة وخمسة عشر جمًا غفيرًا» اهـ(٣).

* ثانيًا: أخرج ابن المنذر، والطبرانى، والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كل الأنبياء من بنى إسرائيل إلا عشرة: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وإبراهيم، وإسحاق، وإسماعيل، ويعقوب، وشعيب، ومحمد ﷺ.

ولم يكن نبىٌّ له اسمان إلا «عيسى، ويعقوب»، فيعقوب إسرائيل، وعيسى المسيح.. اهـ(٤).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى(٦/ ١٢).
(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٤٢٥)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٢٩)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٠٢)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٧٧).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٣٦).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٣٨).

﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) ﴾

✵ **المعنى:** يلقى الضوء على معنى هذه الآية الحديث التالى:

* أخرج أحمد، والبخارى، والترمذى، والنسائى، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولا أحد أحبّ إليه المدح من الله، من أجل ذلك مدح نفسه. ولا أحد أحبّ إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين» اهـ(١).

﴿ لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (١٦٦) ﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: دخل جماعة من اليهود على رسول الله ﷺ فقال لهم: «إنِّى والله أعلم أنكم تعلمون أنى رسول الله» فقالوا: ما نعلم ذلك، فأنزل الله: ﴿ لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ﴾ الآية.. اهـ(٢).

۞ معانى المفردات:

* ﴿ لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾:

✵ **المعنى:** إذا أنكر اليهود نبوّتك يا «محمد» وأنكروا القرآن المنزَّل عليك، فلا تحزن، ولا تتألم، فقد شهد لك مَلِكُ الملوك، وربّ العالمين، وهو الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذى أنزل عليك القرآن.

والآيات فى ذلك متعدّدة، منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣) ﴾ [النساء: ١١٣].

* ﴿ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾: لعلّ الحكمة من ذكر شهادة الملائكة بعد شهادة الله ـ تعالى ـ ليقابل بها ـ أى بشهادة الملائكة ـ نفى شهادة اليهود.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٣٨).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٥٠١)، وتفسير الدر المنثور (٢/ ٤٣٩).

* ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ أى: كفى اللهُ شاهدًا. أى: ليس بعد شهادة الله ـ عزّ وجل ـ شهادة.

﴿ إنَّ الَّذين كفَرُوا وصدُّوا عن سبيلِ اللَّه قَد ضلُّوا ضلالاً بعيدًا (١٦٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إنَّ الَّذين كفَرُوا ﴾: المراد بهم اليهود.

* ﴿ وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أى: عن اتباع نبينا «محمد» ﷺ، وذلك بكتمان صفته الموجودة فى التوراة وقولهم: إن النبوّة فى ولد هارون، وداود.

* ﴿ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيدًا ﴾: لكفرهم ومنعهم الناس من الإسلام.

﴿ إنَّ الَّذين كفرُوا وظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُم ولا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إلاَّ طَرِيق جهَنَّم خَالِدِين فِيها أَبدًا وكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا ﴾: المراد اليهود الذين كفروا بالله ـ تعالى ـ وقولهم: عزير ابن الله، وظلموا نبينا «محمدًا» ﷺ وذلك بكتمانهم نعته وصفته، هؤلاء:

* ﴿ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ أى: لن يغفر لمن يموت منهم على الكفر.

* ﴿ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾.

﴿ يا أَيُّها النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُم فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُم وإن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِي السموَاتِ والأَرْضِ وكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ المراد جميع بنى آدم ذكورًا وإناثًا فى أى مكان فى الأرض ممن تبلغهم الدعوة الإسلامية.

وهذه الآية من الأدلّة على عموم رسالة نبينا وحبيبنا سيدنا «محمد» ﷺ.

* ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ المراد بالرسول نبينا «محمد» ـ عليه الصلاة والسلام ـ، قد جاء بالدين الحق المبنى على وحدانية الله ـ تعالى ـ، ومعه دليل نبوّته وهو القرآن.

* ﴿فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ التقدير: فآمنوا يكن الإيمان خيرًا لكم، أي: من الكفر، لقوله ـ تعالى ـ بعد ذلك:

* ﴿وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: بالمؤمنين والكافرين، وسيجازى كل واحد بعمله يوم القيامة ولا يظلم ربنا أحدًا.

* ﴿حَكِيمًا﴾: يضع الأمور كلها بحكمة.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٧١)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: المراد بهم النصارى.

* ﴿لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾:

✵ **المعنى:** نهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن الغلو فى الدين.

والغلوّ: هو التجاوز فى الحدّ، يقال غلا الرجل فى الأمر غلوًا.

قال البغوى فى تفسيره: نزلت فى النصارى وهم أصناف أربعة:

١ ـ اليعقوبية. ٢ ـ والملكانية. ٣ ـ والنسطوريّة. ٤ ـ والمرقسيّة.

* فقالت اليعقوبية، وكذا الملكانية: عيسى هو الله.

وقالت النسطوريّة: عيسى هو ابن الله.

وقالت المرقسيّة: عيسى ثالث ثلاثة.. اهـ(١).

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٥٠٢).

* ﴿ ولا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إلاَّ الْحَقَّ ﴾:

المعنى: لا تبتدعوا، ولا تقولوا إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ شريكًا، أو ابنًا، لأنه ـ عزّ وجلّ ـ غنيّ عن الشريك وعن الولد.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) ﴾ [المؤمنون: ٩١ ـ ٩٢].

* ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾:

* ﴿ الْمَسِيحُ ﴾ مبتدأ، و﴿ عِيسَى ﴾ بدل منه، وخبر المبتدأ ﴿ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ و﴿ كَلِمَتُهُ ﴾ معطوفة على ﴿ رَسُولُ اللَّهِ ﴾.

* ﴿ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ فاعل ﴿ أَلْقَاهَا ﴾ ضمير يعود على الله ـ تعالى ـ، وقوله: ﴿ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ متعلق بـ ﴿ أَلْقَاهَا ﴾.

وحينئذ يكون المعنى: قال الله ـ عزّ وجلّ ـ لعيسى كن فكان، أى: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلق «عيسى» بكلمة «كُنْ».

* ولا غرابة فى ذلك إذْ خلق الله «عيسى» من أمٍّ وبدون أب، فقد خلق الله «آدم» بدون أمٍّ ولا أب لأنه على كل شىء قدير، قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) ﴾ [آل عمران: ٥٩].

قال المفسرون: وهذا من تشبيه الغريب بالأغرب.

* ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾:

* قال أبىّ بن كعب الأنصارى (ت ٣٠هـ ـ رضى الله عنه) خلق الله أرواح بنى آدم لما أخذ عليهم الميثاق، ثم ردّها إلى صلب «آدم» وأمسك عنده روح «عيسى» ـ عليه السلام ـ، فلما أراد خلقه أرسل تلك الروح إلى «مريم» فكان منها «عيسى» ـ عليه السلام ـ، فلهذا قال: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ اهـ[1].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ١٧).

* وقال البغوى فى تفسيره: هو روح كسائر الأرواح إلا أن الله ـ تعالى ـ أضافه إلى نفسه تشريفًا.. اهـ(١).

* أخرج البيهقى فى الدلائل عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشىِّ ونحن ثمانون رجلا، ومعنا جعفر بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ وبعثت قريش: عمارة، وعمرو بن العاص ومعهما هدية إلى النجاشىِّ.

فلما دخلا عليه سجدا له، وبعثا إليه بالهديّة، وقالا: إن ناسًا من قومنا رغبوا عن ديننا وقد نزلوا أرضك، فبعث إليهم حتى دخلوا عليه فلم يسجدوا له. فقالوا: ما لم تسجدوا للملك؟ فقال جعفر: إن الله بعث إلينا نبيه فأمرنا أن لا نسجد إلا لله.

فقال عمرو بن العاص: إنهم يخالفونك فى «عيسى وأمّه». قال: فيما تقولون فى «عيسى وأمّه»؟ قالوا: نقول كما قال الله: هو روح الله، وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول التى لم يمسها بشر.

فتناول النجاشىُّ عودًا فقال: يا معشر القسِّيسين والرهبان ما تزيدون على ما يقول هؤلاء ما يزن هذه، مرحَبًا بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه نبىٌّ، ولوددت أنّى عنده فأحمل نعلَيْه، فانزلوا حيث شئتم من أرض.. اهـ(٢).

* أخرج مسلم عن عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن «محمدًا» عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، والجنة حقّ، والنار حق، أدخلهُ الله من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء على ما كان من العمل» اهـ(٣).

* ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾:

* **المعنى:** آمنوا بوحدانية الله ـ تعالى ـ، وآمنوا بجميع رسله ومنهم «عيسى ابن مريم» ـ عليهم جميعًا الصلاة والسلام ـ.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٥٠٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٣٩).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٤٠).

* ﴿ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ ﴾: المعنى: لا تكفروا وتقولوا الآلهة ثلاثة، كما قالت النصارى.

* عن الزجاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ) قال: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): يريد بالتثليث: الله ـ تعالى ـ، وصاحبته، وابنه.. اهـ(١).

* وقال أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ): أى: لا تقولوا هم ثلاثة.. اهـ(٢).

* وقال أبو على الفارسىّ (ت ٣٧٧هـ): التقدير: ولا تقولوا هو ثالث ثلاثة، فحذف المبتدأ والمضاف ثم استطرد قائلا: والنصارى مع فرقهم مجمعون على التثليث.. اهـ(٣).

* ﴿ انتَهُوا ﴾: هذا أمر من الله ـ تعالى ـ بالانتهاء والإقلاع بالكلية عمّا يقوله النصارى الكفار من دعوى التثليث، إنما الله إله واحد ليس كمثله شىء وهو حىٌّ لا يموت، وعيسى ابن مريم، وأمه، وجميع المخلوقات سيموتون، قال ـ تعالى ـ: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ (٢٧) ﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧].

* ﴿ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾: ﴿ خَيْرًا ﴾ مفعول لفعل محذوف، والتقدير: ائتوا ما هو خير لكم وهو وحدانية الله ـ تعالى ـ، لأنه إذا نهاهم عن الشرك والتثليث فقد أمرهم بإتيان ما هو خير لهم وهو التوحيد، ولا يصحّ أن يكون «خيراً» مفعولا لـ «انتهوا» لأنّ الفعل: «انتهى» لا ينصب المفعول بنفسه، إنما يتعدّى إليه بواسطة الحرف: «عن» يقال: انتهى فلان عن فعل الشر والقبيح.

* ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾: ﴿ إِنَّمَا ﴾ أداة حصر، وما بعدها مبتدأ وخبر.

* ﴿ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾: هذا تنزيه لله ـ سبحانه وتعالى ـ عن أن يكون له ولد، قال ـ تعالى ـ: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ [الإخلاص: ٣ ـ ٤].

* ﴿ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾: فهو الغنىّ الحميد عن جميع المخلوقات.

(١ : ٣) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ١٧).

* وأختم تفسير هذه الآية بالحديث التالى:

* أخرج البخارى عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» اهـ(١).

* ومعنى قوله ﷺ: «لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم»، أى: لا تعظمونى، وتبالغوا فى الثناء علىّ وتقولوا: إننى إله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، إنما أنا عبد الله ورسوله.

ولكن للأسف هناك من يُخْرِج هذا الحديث عن معناه، ويستدلّ به فى غير مراد النبىّ ﷺ، هداهم الله ـ تعالى ـ.

﴿ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (١٧٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ ﴾ قال: لن يستكبر(٢).

* ﴿ الْمَسِيحُ ﴾ فاعل يستنكف.

* وذلك أن وفد نجران قالوا: يا «محمد» ﷺ إنك تعيب صاحبنا فتقول: إنه عبد الله ورسوله، فقال النبى ﷺ: «إنه ليس بعار لعيسى ـ عليه السلام ـ أن يكون عبداً لله» فنزل ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴾ الآية(٣).

* و﴿ الْمَلائِكَةُ ﴾ معطوف على ﴿ الْمَسِيحُ ﴾ وحينئذ يكون المعنى: ولن يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيداً لله ـ تعالى ـ.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٤٠).
(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٥٠٣).

قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) ﴾ [مريم: ٩٣ ـ ٩٤].

* ﴿ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾: فيجازى كلا بما يستحق، ولا يظلم ربك أحدًا وقد بين الله ذلك فى الآية التالية فقال:

* ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾: فيثيبهم على الحسنة بعشر أمثالها، بل يزيدهم إلى سبعمائة ضعف، بل يزيدهم أكثر من ذلك إلى أضعاف كثيرة.

* ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾، وما ظلمهم الله ولكن هم الذين ظلموا أنفسهم: وذلك بتكبرهم، وكفرهم بالله ـ تعالى ـ وبأنبيائه الذين أرسلهم إليهم.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾:

البرهان: هو نبينا «محمد» ﷺ، وقد قال بذلك: الثورى سفيان بن سعيد بن مسروق (ت ١٦١ هـ) وقال: إنما سمّاه الله برهانًا لأن معه البرهان وهو المعجزة[١].

* ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨ هـ) قال: هذا القرآن[٢].

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠ هـ) قال: سمّاه الله نورًا، لأن به تتبين الأحكام، ويهتدى به من الضلال، فهو نور مبين، أىْ واضح بيّن[٣].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ١٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٤١).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٤٠).

﴿ فأمَّا الَّذين آمنُوا باللَّه واعتصمُوا به فسيُدخلُهُمْ في رحْمة مِّنْهُ وفضْلٍ ويهْديهمْ إليْه صراطًا مُّسْتقيما (١٧٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فأمَّا الَّذين آمنُوا باللَّه واعْتصمُوا به ﴾:

اختلف العلماء فى تأويل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ واعتصموا به ﴾ على قولين:

* الأول: عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) قال: المراد بذلك: القرآن الكريم(١).

وحينئذ يكون المعنى: إذا اعتصموا بالقرآن فقد عملوا بالأحكام التى جاء بها، وفى مقدمتها وحدانية الله ـ تعالى ـ، والنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

* والثانى: قال القرطبى فى تفسيره: ﴿ واعْتصمُوا به ﴾ أى: بالله ـ تعالى ـ(٢).

* ﴿ فسيُدْخلُهُمْ في رحْمة مِّنْهُ وفضْلٍ ويهْديهمْ إليْه صراطًا مُّسْتقيماً ﴾:

قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فسيُدْخلُهُمْ في رحْمة مِّنْهُ وفضْلٍ ﴾ خبرٌ عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فأمَّا الَّذين آمنُوا باللَّه واعْتصمُوا به ﴾ وهنيئًا لمن أدخلهم الله فى رحمته.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ ويهْديهمْ إليْه صراطًا مُّسْتقيماً ﴾ معطوف على ما قبله، وهنيئًا لمن هداهم اللهُ الصراط المستقيم، فإنهم سيفوزون بجنة عرضها السموات والأرض أعدها الله لعباده المتقين.

﴿ يسْتفْتُونك قُلِ اللَّهُ يُفْتيكُمْ في الْكلالة إن امْرُؤٌ هلك ليْس لهُ ولدٌ ولهُ أُخْتٌ فلها نصْفُ ما ترك وهُو يرثُها إن لَّمْ يكُن لَّها ولدٌ فإن كانتا اثْنتيْن فلهُما الثُّلُثان ممَّا ترك وإن كانُوا إخْوةً رِّجالاً ونساءً فللذَّكر مثْلُ حظِّ الأُنثييْن يُبيِّنُ اللَّهُ لكُمْ أن تضلُّوا واللَّهُ بكُلِّ شيْءٍ عليمٌ (١٧٦) ﴾

❁ سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن سعد، وأحمد، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقى عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنه) قال: دخل علىَّ رسول الله ﷺ وأنا مريض

(١) انظر: تفسير الدر المنثور (٢/ ٤٤١).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٠).

لا أعقل، فتوضأ ثم صبَّ عليَّ فعقلت، فقلت: إنه لا يرثنى إلا كلالة فكيف الميراث؟ فنزلت آية الفرائض.. اهـ[(١)].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ أى: يستخبرونك ويسألونك يا رسول الله.

* ﴿ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ ﴾: الكلالة من لا ولد له ولا والد.

* ﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ أى: ولا والد إذ المراد الكلالة.

* ﴿ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ﴾.

* ﴿ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ﴾:

✵ **المعنى:** إذا ماتت الأخت فجميع ميراثها للأخ، إن لم يكن لها ولد، فإن كان لها ولد ذكر فلا شىء للأخ، وجميع الميراث للولد الذكر.

وإن كان الولد أنثى فللأخ ما بقى بعد فرض البنات الإناث.

﴿ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ ﴾ أو أكثر من اثنتين.

﴿ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ﴾ أى: من مات وهو كلالة وله أختان أو أكثر من اثنتين فلهن الثلثان مما ترك.

* ﴿ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾.

✵ **المعنى:** إذا كان الميت كلالة، وله إخوة رجال ونساء، فللذكر مثل حظ الأنثيين من تركة الميت.

* ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾:

✵ المعنى:

يبين الله لكم أحكام ميراث الكلالة، وغيرها لئلا تضلوا، والله بكل شىء عليم.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٠)، وتفسير البغوى (١/ ٥٠٤)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٤١).

* وأختم تفسير هذه الآية الكريمة بالخبر التالى:

* أخرج مسلم، ومالك، وابن جرير، والبيهقى عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: ما سألتُ النبى ﷺ عن شىء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بأصبعه فى صدرى وقال: «تكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة النساء»(١). والله أعلم.

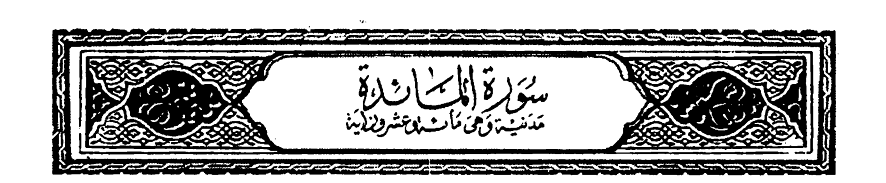
تم ولله الحمد والشكر تفسير سورة النساء

ويليها بإذن الله ـ تعالى ـ

[تفسير سورة المائدة]

●●●

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٤١).



* سورة المائدة من السور المدنية إلا قوله ـ تعالى ـ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [رقم: ٣] فإنها نزلت بعرفات فى حجة الوداع.

وهذا على القول بأن المكىّ هو ما نزل بمكة أو إحدى ضواحيها، سواء كان قبل الهجرة، أو بعدها.

* أمّا من قال: المدنىّ ما نزل بعد الهجرة فإنها تكون مدنية بلا استثناء، ويؤيد هذا الخبر التالى:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: المائدة مدنية(١).

•• فوائد مهمة لها صلة وثيقة بهذه السورة:

*أولا: أخرج أحمد، والترمذى وحسّنه، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقى فى سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ ـ رضى الله عنهما) قال: آخر سورة نزلت سورة المائدة، والفتح. اهـ(٢).

* ثانيًا: أخرج أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) قال: أنزلت سورة المائدة ـ فى حجة الوداع بين مكة والمدينة ـ وهو راكب على راحلته فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها. اهـ(٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾:

(١ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٤٦).

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: المراد بالعقود: العهود، ما أحلّ الله وما حرّم وما فرض وما حدّ فى القرآن كله، لا تغدروا ولا تنكثوا. اهـ[١].

* وعن زيد بن أسلم (ت ١٣٠هـ)، وعبد الله بن عبيدة قالا: العقود خمس:

١ ـ عقدة الإيمان. ٢ ـ وعقدة النكاح. ٣ ـ وعقدة البيع.

٤ ـ وعقدة العهد. ٥ ـ وعقدة الحلف[٢].

* وعن مقاتل بن حيَّان البلخى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾: قال: أوفوا بالعهود: يعنى العهد الذى كان عهد إليهم فى القرآن[٣]، فما أمرهم من طاعته أن يعملوا بها، ونهيه الذى نهاهم عنه، وبالعهد الذى بينهم وبين المشركين، وفيما يكون من العهود بين الناس[٤].

* ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾:

عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قالا: هى الإبل والبقر والغنم، وأراد ـ أى الله تعالى ـ تحليل ما حرّم أهل الجاهليّة على أنفسهم من الأنعام. اهـ[٥].

* وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، عن أيوب قال: سُئِلَ مجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ) عن «القِرْد» أيؤكل لحمه؟ فقال: ليس من بهيمة الأنعام. اهـ[٦].

* وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن الربيع بن أنس فى الآية قال: الأنعام كلها حلّ إلا ما كان منها وحشيًا فإنه صيد، فلا يحلّ إذا كان محرما. اهـ[٧].

* ﴿إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: ﴿الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣] إلى آخر الآية فهذا ما حرّم الله من بهيمة الأنعام. اهـ[٨].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٤٧). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٤٨).

(٣) وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢].

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور (٢/ ٤٤٨). (٥) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٦).

(٦ ـ ٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٤٩). (٨) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٤٨).

* ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قال: غير أن يحلَّ الصيد أحدٌ وهو مُحْرِم. اهـ(١).

* و ﴿غَيْرَ﴾ منصوب على الحال، أي: لا محلِّي الصيد.

وحينئذ يكون معنى الآية: أحلّ الله لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم فيما سيأتى فى الآية رقم ٣، وإلا ما كان منها وحشيًا فإنه صيد لا يحل لكم فى حال الإحرام.

* ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى تأويل ذلك قال: إن الله يحكم ما أراد فى خلقه، وبيَّن ما أراد فى عباده، وفرض فرائضه، وحدَّ حدوده، وأمر بطاعته، ونهى عن معصيته. اهـ(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢)﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزول هذه الآية عدد من الأقوال وقد اخترت السبب التالى حرصًا على عدم الإطناب:

* أخرج ابن جرير عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قال: أقبل الحُطَم ـ واسمه شريح بن ضُبَيْعة الكندى ـ حتى أتى النبى ﷺ فدعاه فقال: إلامَ تدعو؟ فأخبره، وقد كان النبى ﷺ قال لأصحابه: «يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان» فلما أخبره النبىّ ﷺ قال: أنظرنى لعلّى أسلم ولى من أشاوره، فخرج من عنده. فقال رسول الله ﷺ: «لقد دخل بوجه كافر، وخرج بعقب غادر».

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٤٩).

فمرّ ـ أى الحُطَم ـ بسرح من سرح المدينة فساقه، ثم أقبل من عام قابل حاجًا قد قلّد وأهدى. فأراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه فنزلت هذه الآية حتى بلغ ﴿ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ﴾ فقال ناس من أصحابه: يا رسول الله خلِّ بيننا وبينه فإنه صاحبنا، قال: «إنّه قلّد» قالوا: إنما هو شيء كنا نصنعه فى الجاهلية، فأبى عليهم فنزلت الآية. اهـ(١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾:

اختلف أهل التأويل فى المراد من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾ على قولين:

* الأول: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قالا: هى: مناسك الحجّ، كان المشركون يحجون ويهدون فأراد المسلمون أن يُغيرُوا عليهم فنهاهم الله عن ذلك. اهـ(٢).

* والثانى: قال أبو عبيدة معمر بن المثنّى (ت ٢١٠هـ): ﴿ شعائر الله ﴾: هى الهَدَايا المُشْعَرَة، وهى العلامة وإشعارها: إعلامها بما يُعْرف أنها هَدْى. اهـ(٣).

* قال البغوىّ فى تفسيره: هى سنّة فى الهدايا إذا كانت من الإبل، واستدلّ على ذلك بالحديث التالى:

* فعن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) أنها قالت: فتَلْتُ قلائد بُدُن النبى ﷺ بيَدى ثم قلّدها وأشعرها وأهداها، فما حَرُم عليه شيء كان أُحِلّ له. اهـ(٤).

* ﴿ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: لا تستحلوا قتالا فيه. اهـ(٥).

* ﴿ وَلا الْهَدْيَ ﴾: وهو كل ما يهدى إلى بيت الله الحرام من بعير، أو بقرة، أو شاة.

* ﴿ وَلا الْقَلائِدَ ﴾: فى ذلك قولان:

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٩١، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٨٦، وتفسير البغوى (٢/ ٦)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٥٠).

(٢ ـ ٤) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٧).

(٥) انظر: تفسير الدرّ المنثور للسيوطى (٢/ ٤٤٩).

* الأول: قال عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ): أراد أصحاب القلائد، وذلك أنهم كانوا فى الجاهلية إذا أرادوا الخروج من الحرم قلَّدوا أنفسهم، وإبلهم بشىء من لحَاءِ شجر الحرم كى لا يُتعرض لهم، فنهى الشرع عن استحلال شىء منها. اهـ[1].

* والثانى: الهدايا المقلّدة، أى: ذوات القلائد[2].

* ﴿ ولا آمّين الْبيْت الْحرام ﴾ أى: قاصدين بيت الله الحرام فلا تتعرضوا لهم بأىّ سوء، أو مكروه، أو أذى.

* ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ﴾، أى: يطلبون الرزق بالتجارة من أجل أن يصلحوا معايشهم فى الدنيا، وقد قال بهذا الربيع بن أنس[3].

* ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾:

✵ **المعنى:** إذا حللتم من إحرامكم فاصطادوا، وهذا الأمر للإباحة وليس للوجوب.

•• فائدة مهمة وجليلة:

* عن مجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ)، وعطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ) قالا: خمس آيات فى كتاب الله رخصة، وليست بعزيمة:

* الآية الأولى: قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ [المائدة: ٢] إن شاء اصطاد وإن شاء لم يصطد.

* الآية الثانية: قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٤]: فمن شاء صام، ومن شاء أفطر.

* الآية الثالثة: قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ﴾ [الحج: ٢٨]، فمن شاء أكل، ومن شاء لم يأكل.

* الآية الرابعة: قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور: ٣٣] فمن شاء كاتب، ومن شاء لم يفعل.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٧).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٥١).

* الآية الخامسة: قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠] فمن شاء انتشر، ومن شاء لم ينتشر. اهـ(١).

* ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قالا: معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾: أى: لا يحملنكم بغض قوم. اهـ(٢).

* ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾:

المعنى: لا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء عليهم بالقتل وأخذ أموالهم لأنهم صدوكم عن المسجد الحرام.

* ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾:

المعنى: ليعن بعضكم بعضا على فعل البِّر وهو ما أمرك به النبى ﷺ.

والتقوى: ترك ما نهاك عنه سيد الوجود ﷺ.

* وقد قال بهذا المعنى الربيع بن أنس. اهـ(٣).

* ويشهد لصحة هذا المعنى الحديث التالى:

* أخرج أحمد، وعبد بن حميد فى هذه الآية والبخارى فى تاريخه عن وابصة قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا لا أريد أن أدع شيئًا من البرِّ والإثم إلا سألته عنه، فقال لى: «يا وابصة أخبرك عما جئت تسأل عنه أم تسأل؟» قلت: يا رسول الله أخبرنى. قال: «جئتَ لتسأل عن البرِّ والإثم» ثم جمع أصابعه الثلاثة فجعل ينكت بها فى صدرى ويقول: «يا وابصة استفت قلبك، استفت نفسك، البرُّ: ما اطمأنَّ إليه القلب، واطمأنَّت إليه النفس، والإثم: ما حاك فى القلب وتردَّد فى الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك». اهـ(٤).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٥١).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٨).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٥١).

* ﴿ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾:

اختلف العلماء في تأويل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ على قولين:

* الأول: قيل: الإثم: الكفر، والعدوان: الظلم.

* الثاني: قيل: الإثم: المعصية، والعدوان: البدعة(١).

* ومن يقرأ السنة المطهرة يجد الكثير من الأحاديث التي تنهى عن التعاون على الإثم والعدوان، وتبين عقوبة ذلك وقد اقتبستُ من ذلك الحديثين التاليين:

* الحديث الأول: أخرج الطبراني في الأوسط، والحاكم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما): أن رسول الله ﷺ قال: «من أعان ظالمًا بباطل ليدحض به حقًّا فقد برئ من ذمَّة الله ورسوله» اهـ(٢).

* الحديث الثاني: أخرج البخاري في تاريخه، والطبراني، والبيهقي في شعب الإيمان عن أوس بن شرحبيل قال: قال رسول الله ﷺ: «من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام» اهـ(٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ شَنَآنُ ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ﴾ [المائدة: ٢]، ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا ﴾ [المائدة: ٨].

قرأ ابن عامر، وشعبة، وابن وردان، وابن جمّاز بخُلْف عنه ﴿ شنْآن ﴾ في الموضعين بإسكان النون، على أنه صفة مثل «عطشان، وسكران».

وقرأ الباقون: ﴿ شنَآن ﴾ بفتح النون، وهو الوجه الثاني لابن جمّاز، وهو مصدر «شنأ» مثل: «الطيران» والشنآن معناه: البغض(٤).

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٨).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٤٥٢).

(٤) انظر: المغني في توجيه القراءات (٢/ ٥).

* ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [رقم: ٢]

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿إن صدوكم﴾ بكسر الهمزة، على أنّ «إنْ» شرطية.

وقرأ الباقون بفتح الهمزة على أنّ «أنْ» مصدرية، وأنْ ما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول لأجله(١).

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ ﴾:

* أخرج ابن أبى حاتم، وابن مردويه، والحاكم وصححه عن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ قال: بعثنى رسول الله ﷺ إلى قومى أدعوهم إلى الله ورسوله وأعرض عليهم شعائر الإسلام، فأتيتهم فبينما نحن كذلك إذْ جاءوا بقصعة دمٍ، واجتمعوا عليها يأكلونها، قالوا: هلمّ يا صَدىّ فكل، قلتُ: ويحكم إنما أتيتكم من عند من يُحرم هذا عليكم، وأنزل الله عليه، قالوا: وما ذاك؟ قال: فتلوت عليهم هذه الآية: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ إلخ(٢).

* وأخرج عبد الرزاق فى المصنَّف عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: إذا أكل لحم الخنزير عُرِضَتْ عليه التوبة، فإن تاب وإلا قُتِلَ. اهـ(٣).

* وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى سننه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ قال: ما أهلّ للطواغيت به، ـ أى ما ذكر على ذبحه غير اسم الله ـ تعالى ـ.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٧)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٧٩).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٥٣).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿الْمُنْخَنِقَةُ﴾، قال: التى تخنق فتموت.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾، قال: التى تضرب بالخشبة فتموت.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾، قال: التى تتردّى من الجبل فتموت.

* وأقول: أو التى تتردّى من مكان مرتفع، أو فى بئر فتموت.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾، قال: الشاة تنطح الشاة فتموت.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾، قال: ما أخذ السبع فماتت.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾، قال: ما ذبحتم من ذلك وبه روح فكلوه.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾، قال: النصب مفرد وجمعه أنصاب، كانوا يذبحون ويهلون عليها[١].

* وقال مجاهد بن جبر المفسّر (١٠٤هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قالا: كانت حول البيت ثلاثمائة وستون حجراً منصوبة، وكان أهل الجاهلية يعبدونها، ويعظمونها، ويذبحون لها، وليست هى بأصنام إنما الأصنام هى المصوّرة المنقوشة. اهـ[٢].

* وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ﴾ قال: هى القداح كانوا يستقسمون بها فى الأمور[٣].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾، قال: من أكل من ذلك كله ـ أى المذكور من المحرمات من أول الآية ـ فهو فسق. اهـ[٤].

* ومن الأحاديث الواردة فى تحريم التكهّن، أو الاستقسام، أو التطيّر الحديث التالى:

* أخرج الطبرانى، وابن مردويه عن أبى الدرداء (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يلج الدرجات العلى من تكهّن، أو استقسم، أو رجع من سفر تطيّراً» اهـ[٥].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٥٣).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٩).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٥٣).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٥٥).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾:

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: يئس أهل مكة أن ترجعوا إلى دينهم أبدًا، أى إلى عبادة الأوثان[١].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾، قال ابن جُرَيْج عبد الملك ابن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) قال: فلا تخشوهم أن يظهروا عليكم. اهـ[٢].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾:

قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: أخلص الله لهم دينهم، ونفى المشركين عن البيت، ثم قال: وبلغنا أنها أنزلت يوم عرفة، ووافقت يوم جمعة[٣].

• تنبيه مهم:

ورد فى فضل قوله ـ تعالى ـ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ عدد من الأخبار اقتبست منها الخبرين التاليين:

* أولا: أخرج ابن جرير عن قبيصة بن أبى ذؤيب قال كعب الأحبار: لو أن غير هذه الأمّة نزلت عليهم هذه الآية لنظروا اليوم الذى أنزلت فيه عليهم فاتخذوه عيدًا يجتمعون فيه، فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ: وأىّ آية يا كعب؟ فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ لقد علمتُ اليوم الذى أنزلت فيه، والمكان الذى نزلت فيه: نزلت فى يوم جمعة، ويوم عرفة، وكلاهما بحمد الله لنا عيد. اهـ[٤].

* ثانيًا: أخرج الطيالسى، وعبد بن حميد، والترمذى وحسّنه وابن جرير، والطبرانى، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أنه قرأ هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فقال يهودى: لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيدًا، فقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: فإنها نزلت فى يوم عيدين اثنين: فى يوم جمعة، ويوم عرفة. اهـ[٥].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٥٥).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٥٦).

(٤ ـ ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٥٧).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ ﴾ قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: يعنى: إلى ما حرم مما سمّى فى صدر هذه الآية(١).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فِي مَخْمَصَةٍ ﴾، قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: يعنى: مجاعة(٢).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ﴾، قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: أى: غير معتدٍ لإثم. اهـ(٣).

* وقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): أى: غير متعرّض لإثم. اهـ(٤).

* ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾:

* **المعنى:** ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ﴾ فأكله، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

* وقد قال بهذا قتادة بن دعامة السدوسى(٥).

* ومن الأحاديث التى تشهد لصحة هذا المعنى الحديث التالى:

* أخرج أحمد، والحاكم وصححه عن أبى واقد الليثى، أنهم قالوا: يا رسول الله، إنا بأرض تصيبنا بها المخمصة فمتى تحلّ لنا الميتة؟ قال: «إذا لم تصطبحوا، ولم تغتبقوا، ولم تحتفئوا بقْلا فشأنكم بها» اهـ(٦).

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزول هذه الآية عدد من الأقوال، وقد اخترت السبب التالى حرصًا على عدم الإطناب:

(١ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٥٨).

* أخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) أن عديًا بن حاتم، وزيادًا بن المهلهل الطائيين وهو زيْد الخيل الذى سمّاه رسول الله ﷺ «زيد الخير» قالا: يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فما يحلّ لنا منها؟ فنزلت هذه الآية. اهـ(١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾:

* قال القرطبى فى تفسيره: المراد: الحلال، وكل حرام فليس بطيب(١).

* وأقول: يشهد لصحة هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

* وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾:

* يوضح معنى ذلك أفضل توضيح الحديثان التاليان:

* الحديث الأول: أخرج ابن أبى حاتم عن عدىّ بن حاتم ـ رضى الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله، إنا قوم نصيد بالكلاب، والبزاة، فما يحلّ لنا منها؟ قال: «يحلّ لكم ﴿ ما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ﴾» ثم قال: «ما أرسلتَ من كلب وذكرتَ اسم الله فكل ما أمسك عليك» قلتُ: وإن قتل؟ قال: «وإن قتل، ما لم يأكل هو الذى أمسك». قلت: إنا قوم نرمى، فما يحلُّ لنا؟ قال: «ما ذكرتَ اسم الله وخزقت فكل» اهـ(٢).

* الحديث الثانى: أخرج البخارى، ومسلم عن عدىّ بن حاتم ـ رضى الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله، إنِّى أرسل الكلاب المعلَّمة وأذكر اسم الله؟. فقال: «إذا أرسلتَ كلبك المعلّم وذكرتَ اسم الله فكل ما أمسكن عليك»، قلت: وإن قتلن؟

---

(١) انظر: أسباب النزول للقاضى ص٨٧، وأسباب النزول للواحدى ص١٩٣، وتفسير القرطبى ٦/ ٤٤)، وتفسير البغوى (٢/ ١١)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٥٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٦٠).

قال: «وإن قتلن ما لم يشركها كلب ليس منها، فإنك إنما سمَّيت على كلبك ولم تُسمِّ على غيره»(١).

* وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾: قال: ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): هى الكلاب المعلمة، والبازى يعلّم الصيد، والجوارح يعنى: الفهود، والصقور، وأشباهها، و«المكلبين»: أى: الضوارى(٢).

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ سُئِلَ عن المسلم يأخذ كلب المجوسىّ المعلّم، أو بازه، أو صقره، مما علّمه المجوسىّ، فيرسله فيأخذه.

قال: لا تأكله وإن سمَّيت، لأنه من تعليم المجوسىّ، وإنما قال ـ أى الله تعالى ـ: ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ﴾(٣).

* وأخرج عبد بن حميد عن مكحول قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أمسك عليك الذى ليس بمكلب ـ أى بمعلّم ـ فأدركت ذكاته فكل، وإن لم تدرك ذكاته فلا تأكل» اهـ(٤).

* ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾: ختم الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذه الآية بالأمر بالتقوى، وبيان أنه سريع الحساب، فيجازى كل واحد بعمله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦) ﴾ [فصلت: ٤٦].

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾:

المراد هنا: الذبائح التى تذكى ذكاة شرعية ويذكر عليها اسم الله ـ تعالى ـ أثناء الذبح، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٦٠). (٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٦١).

* ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾:

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)، وإبراهيم النَّخَعىّ (ت ٩٦هـ) قالوا: المراد ذبائحهم. اهـ(١).

* ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾:

قال الزجَّاج إبراهيم بن السَّرِى (ت ٣١١هـ)، معناه: حلال لكم أن تطعموهم، فيكون خطاب الحِلّ مع المسلمين. اهـ(٢).

* ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾:

* أخرج ابن جرير عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ - رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «نتزوّج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا» اهـ(٣).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ قال: المراد مهورهنّ(٤).

* وأخرج عبد بن حميد عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى الآية قال: أحل الله لنا محصنتين: محصنة مؤمنة، ومحصنة من أهل الكتاب ونساؤنا عليهم حرام، ونساؤهم لنا حلال. اهـ(٥).

* ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾:

* عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: المراد: تنكحوهنّ بالمهر والبينة، غير معلنين بالزنا. اهـ(٦).

* وفى قوله - تعالى -: ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾، قال ابن عباس: يعنى يسررن بالزنا. اهـ(٧).

* وقال الزجاج إبراهيم بن السَّرى: حرّم الله الجماع على جهة السفاح، وعلى جهة اتخاذ الصديقة، وأحلّه على جهة الإحصان وهو التزوّج. اهـ(٨).

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٦١).
(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٣).
(٣ : ٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٦١).
(٨) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٤).

* ﴿ومن يَكْفُر بِالإيمانِ فَقَدْ حبِطَ عَمَلُهُ وَهُو فِي الآخِرَةِ مِن الْخَاسِرِينَ﴾: اختلف العلماء فى تأويل ذلك على قولين:

* الأول: قال مقاتل بن حيّان البلخىّ (ت ١١٠هـ) المراد: ومن يكفر بما أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن. اهـ(١).

* والثانى: قال الكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ) المراد بالإيمان: كلمة التوحيد وهى شهادة أن لا إله إلا الله(٢).

* وأقول: يلزم من شهادة أن لا إله إلا الله، الشهادة بأن نبينا «محمداً» ﷺ رسول الله، ويعمل بمقتضى ذلك أى بالشريعة التى جاء بها سيد الوجود ﷺ.

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦)﴾

معانى المفردات:

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ﴾:

المعنى: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وأنتم على غير طهر.

ويشهد لصحة هذا المعنى الحديث، والخبر التاليان:

* أولا: أخرج أبو داود، والترمذى عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): أن رسول الله ﷺ خرج إلى الخلاء، فَقُدِّم إليه طعام فقالوا: ألا نأتيك بوضوء؟ فقال: «إنما أمرت بالوضوء إذا قمت إلى الصلاة» اهـ(٣).

* ثانيا: أخرج ابن جرير عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قال: المراد: إذا قمتم ـ إلى الصلاة ـ وأنتم على غير طهر(٤).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٤).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى ٢/ ٤٦٣).

* ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾: وحدُّ الوجه: من منابت شعر الرأس إلى منتهى الذقن طولا، وما بين الأذنين عرضًا، يجب غسل جميعه فى الوضوء.

* ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾: أى: مع المرافق، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢] ـ أى مع أموالكم ـ.

قال البغوى فى تفسيره: وأكثر العلماء على أنه يجب غسل المرفقين، وفى الرِّجلين يجب غسل الكعبين. اهـ(١).

* ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾:

* قال البغوىّ فى تفسيره: اختلف العلماء فى قدر الواجب من مسح الرأس:

* أولا: قال الإمام مالك: يجب مسح جميع الرأس، كما يجب مسح جميع الوجه فى التيمم.

* ثانيًا: قال الإمام أبو حنيفة: يجب مسح ربع الرأس.

* ثالثًا: قال الإمام الشافعى: يجب قدر ما يطلق عليه اسم المسح. اهـ(٢).

* ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾: ستأتى القراءتان فى ﴿أَرْجُلَكُمْ﴾ وتوجيه كل قراءة على حدة.

* والكعبان: هما العظمان الناتئان من جانبى القدمين، وهما مجمع مفصل الساق والقدم، فيجب غسلهما مع القدمين.

* وفرائض الوضوء التى دلّت عليها الآية الكريمة أربعة وهى المبينة فى الحديث التالى:

* أخرج البيهقى فى سننه عن رفاعة بن رافع: أن رسول الله ﷺ قال للمسىء صلاته: «إنها لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله: يغسل وجهه، ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه، ورجليه إلى الكعبين ـ أى: ويغسل رجليه إلى الكعبين. اهـ(٢).

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٥).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٥ ـ ١٦).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٦٣).

بشرى لكل مؤمن:

من يقرأ السنة المطهرة ينشرح صدره بالأحاديث الواردة فى فضل الوضوء، وقد اقتبست منها الحديث التالى حرصًا على عدم الإطناب:

* أخرج أحمد، والطبرانى بسند حسن عن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أيما رجل قام إلى وضوئه يريد الصلاة فغسل كفّيه نزلت كل خطيئة من كفّيه. فإذا مضمض واستنشق واستنثر نزلت كل خطيئة من لسانه، وشفتيه مع أوّل قطرة، فإذا غسل وجهه نزلت كل خطيئة من سمعه وبصره مع أوّل قطرة، وإذا غسل يديه إلى المرفقين، ورجليه إلى الكعبين، سلم من كل ذنب كهيئته يوم ولدته أمّه. فإذا قام إلى الصلاة رفع الله درجته، وإن قعد قعد سالمًا»(١).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾:

قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): أى: اغتسلوا(٢).

* واعلم أخى المسلم أن الغسل من الجنابة من الواجبات التى أوجبتها تعاليم الإسلام.

ومن الأدلة على ذلك الحديث التالى:

* أخرج ابن أبى شيبة عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه رجل جيِّد الثياب، طيِّب الريح، حسن الوجه، فقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال: «وعليك السلام» قال: أدنو منك؟ قال: «نعم» فدنا حتى ألصق ركبته بركبة رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «تقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ إلى بيت الله الحرام، وتغتسل من الجنابة» قال: صدقت، فقلنا: ما رأينا كاليوم قط رجلا ـ والله ـ لكأنه يُعلِّم رسول الله ﷺ؟. اهـ(٣).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾، قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): إن أعياك الماء فلا يُعْيِيك

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٦٧).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٦٦).

الصعيد أن تضع فيه كفَّيك ثم تنفضهما فتمسح بهما يديك ووجهك، لا تعدو ذلك لغسل جنابة، ولا لوضوء صلاة، ومن تيمَّم بالصعيد فصلّى ثم قدر على الماء فعليه الغسل، وقد مضت صلاته التى كان صلاها. ومن كان معه ماء قليل وخشى على نفسه الظمأ فليتيمَّم الصعيد، ويتبلّغ بمائه، فإنه كان يؤمر بذلك والله أعذر بالعذر. اهـ(١).

* ومن الأدلّة على مشروعية التيمم عند فقد الماء الحديث التالى:

* أخرج عبد الرزاق، وأحمد، وعبد بن حميد، وابن ماجه عن عمّار بن ياسر ـ رضى الله عنهما ـ: أن رسول الله ﷺ عرَّس بأولات الجيش ومعه «عائشة» أم المؤمنين، فانقطع عِقْد لها، من جِزْع ظفَار، فجلس ابتغاء عقدها ذلك حتى أضاء الفجر وليس مع الناس ماء، فأنزل الله على رسول ﷺ رخصة الطهر بالصعيد الطيب، فقام المسلمون مع رسول الله ﷺ فضربوا بأيديهم إلى المناكب(٢).

* فإن قيل: ما هى صفة التيمم؟ أقول: روى عن الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ ـ رحمه الله): أن المسنون للتيمم ضربة واحدة، فإن تيمم بضربتين جاز. اهـ(٣).

والدليل على ذلك الحديث الذى رواه عمار بن ياسر ـ رضى الله عنهما ـ إذْ قال: إن النبى ﷺ قال فى التيمّم: «ضربة للوجه واليدين» اهـ(٤).

* وقال الإمام الشافعى (ت ٢٠٤هـ ـ رحمه الله): لا يجوز التيمّم إلا بضربتين للوجه واليدين إلى المرفقين. وروى ذلك عن: ابن عمر، والحسن البصرى، والثورى، وأصحاب الرأى ـ أى الأحناف ـ(٥).

والدليل على ذلك ما رواه ابن الصّمة: أن النبى ﷺ تيمَّم فمسح وجهه وذراعيه. اهـ.

وروى ابن عمر، وجابر بن عبد الله، وأبو أمامة: أن النبى ﷺ قال: «التيمُّم ضربة للوجه، وضربة لليدين إلى المرفقين» اهـ(٦).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٦٦).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٦٧).

(٤) رواه أحمد، وأبو داود، انظر: نيل الأوطار (١/ ٣٠٨).

(٥ ـ ٦) انظر: المغنى لابن قدامة (١/ ٢٤٤)، والعبادات فى ضوء الكتاب والسنة للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (١/ ١٢٧).

* فإن تيمَّم بضربة واحدة فإنه يمسح وجهه بباطن أصابع يديه، وظاهر كفّيه إلى الكوعين بباطن راحتيه.

* وإن تيمَّم بضربتين: فإنه يمسح بالأولى وجهه، ويمسح بالثانية يديه إلى المرفقين، فيضع بطون أصابع يده اليسرى على ظهور أصابع يده اليمنى ويمرّها على ظهر الكفّ فإذا بلغ الكوع قبض أطراف أصابعه على حرف الذراع ويمرّها إلى مرفقه، ثم يدير بطن كفّه إلى بطن الذراع ويمرّها عليه فإذا بلغ الكوع أمرّ الإبهام على ظهر إبهام يده اليمنى، ويمسح بيده اليمنى يده اليسرى كذلك، ويمسح إحدى الراحتين بالأخرى، ويخلّل بين أصابعهما(١).

* ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾، أي: بما فرض عليكم من الوضوء، والغسل، والتيمّم، من ضيق.

* ﴿وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾: من الأحداث، والجنابات، والذنوب.

* ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

* أخرج ابن عديّ عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تتمّ على عبد نعمة إلا بالجنة» اهـ(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [رقم: ٦]

قرأ نافع، وابن عامر، وحفص، والكسائي، ويعقوب: ﴿وأرجلكم﴾ بالنصب، عطفًا على الوجوه والأيدي، وحينئذ يكون حكم «الأرجل» الغل.

وقرأ الباقون وهم ابن كثير، وأبو عمرو، وشعبة، وحمزة، وأبو جعفر، وخلف البزّار بالخفض، عطفًا على ﴿برءوسكم﴾، وحينئذ يكون حكم «الأرجل» المسح، وذلك حالة لبس الخفين(٣).

---

(١) انظر: العبادات للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (١/ ١٢٨).

(٢) انظر: الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٦٨).

(٣) انظر: المغني في توجيه القراءات (٢/ ٩ ـ ١٠).

* ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [رقم: ٦]

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿أو لمستم﴾ بحذف الألف التى بين اللام والميم.

وقرأ الباقون: ﴿لامستم﴾ بإثبات الألف.

والقراءتان بمعنى اللمس، وهو الجسُّ باليد.

قاله ابن عمر - رضى الله عنهما -، وعليه الإمام الشافعى - رحمه الله - وألحق به الجسُّ بباقى البشرة.

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما -: المراد به الجماع(١).

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: المراد: نعم الله - تعالى - التى أنعم بها على عباده وهى لا حصر لها، قال - تعالى -: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وذكر هذه النعم: شكرها باللسان والعمل، قال - تعالى -: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)﴾ [إبراهيم: ٧].

* ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾:

اختلف المفسرون فى تأويل ذلك على قولين:

* أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما)، والسدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) وغيرهما من المفسرين، قالوا: المراد: العهد والميثاق الذى جرى لهم مع النبى ﷺ على السمع والطاعة فى المنشط، والمكرَه إذ قالوا: سمعنا وأطعنا، كما حدث تحت الشجرة ليلة العقبة، قال - تعالى -: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨)﴾ [الفتح: ١٨] اهـ(٢).

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٨٠).
(٢) انظر: تفسير القرطبى ٦/ ٧٢).

* ثانيًا: قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)، ومقاتل بن حيَّان البلخيّ (ت ١١٠هـ) قالا: المراد: الميثاق الذى أخذه الله عليهم حين أخرجهم من صلب أبيهم «آدم» - عليه السلام - قال - تعالى -: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف: ١٧٢](١).

* ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾: فيجازى كل واحد بعمله إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وما ربك بظلام للعبيد.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾:

✱ **المعنى:** هذا أمر من الله - تعالى - لعباده المؤمنين بأن يكونوا قائمين له بالعدل والصدق فى جميع أقوالهم وأفعالهم.

* ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾:

✱ **المعنى:** ولا يحملنكم بغض قوم على عدم العدل.

* ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾:

✱ **المعنى:** هذا أمر من الله - تعالى - لعباده بالعدل فى جميع الأحوال، سواء كان مع الأصدقاء، أو الأعداء، والأمر هنا للوجوب، ولأن عدم العدل ظلم وجور، وقد حرّم الله الظلم فى كل من الكتاب والسنة، قال - تعالى -: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) ﴾ [الكهف: ٢٩].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٨).

* ﴿ واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾:

✻ **المعنى:** ختم الله الآية بالأمر بالتقوى لما لها من الأهمية فى حياة الإنسان، ثم بين أنه خبير بجميع الأعمال، ومعنى ذلك: أنه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا له - عزّ وجلّ - أمّا المنافقون فإنه سيحبط أعمالهم، قال - تعالى - فى شأنهم: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣) ﴾ [الفرقان: ٢٣].

﴿ وعد اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٠) ﴾

✻ **المعنى:**

* اعلم أخى المسلم أن وعد الله - عزّ وجل - محقّق الوقوع، ولا يتخلّف أبدًا، وقد وعد الله عباده المؤمنين فى هذه الآية بأمرين عظيمين:

* الأمر الأول: أن يغفر لهم ذنوبهم، بمعنى أنه يسترها ولا يعذبهم بها، والسعيد من غفر الله له، قال - تعالى -: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) ﴾ [طه: ٨٢].

* والأمر الثانى: سيتفضل عليهم ويعطيهم الأجر العظيم، على العمل القليل، قال - تعالى -: ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) ﴾ [السجدة: ١٧].

* أمّا الآية رقم: ١٠ فقد أخبر - عزّ وجل -، وخبره متمحّض للصدق دائمًا: بأن الذين كفروا، وكذبوا بآيات الله، أولئك أصحاب الجحيم، والويل ثم الويل لمن كانت نهايته النار وبئس القرار، قال - تعالى -: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) ﴾ [النساء: ٥٦].

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نعْمتَ اللَّه عَلَيْكُمْ إذْ همَّ قَوْمٌ أن يبْسُطُوا إلَيْكُمْ أيْديهمْ فكفَّ أيْديهمْ عنكُمْ واتَّقُوا اللَّه وعلى اللَّه فلْيتوكَّل الْمُؤْمنُون (١١) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* ورد فى سبب نزولها عدد من الأقوال وقد اخترت السبب التالى حرصًا على عدم الإطناب:

* أخرج أبو نعيم فى الدلائل من طريق عطاء عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: إنّ عمرًا بن أميّة الضمرىّ حين انصرف من بئر معونة لقى رجلين كلابيَّيْن معهما أمان من رسول الله ﷺ فقتلهما ولم يعلم أن معهما أمانا من رسول الله ﷺ، فذهب رسول الله ﷺ إلى بنى النضير ومعه: أبو بكر، وعمر، وعلىّ. فتلقاه بنو النضير فقالوا: مرحبًا يا أبا القاسم، لماذا جئتَ؟ قال: «رجل من أصحابى قتل رجلين من بنى كلاب، معهما أمان منّى، طلب منّى ديتهما، فأريد أن تعينونى».

قالوا: نعم، اقعد حتى نجمع لك، فقعد تحت الحصن وأبو بكر، وعمر، وعلىّ.

وقد تآمر بنو النضير أن يطرحوا عليه حجرًا، فجاء «جبريل» ـ عليه السلام ـ فأخبره بما همُّوا به، فقام بمن معه، وأنزل الله هذه الآية(١).

معنى الآية:

* مما هو معروف لدى المشتغلين بالتفسير أن سبب النزول يلقى الضوء على المعنى المستفاد من الآية. ومع ذلك فإنّى أضيف إليه الخبر التالى:

* أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى الآية قال: هم يهود، دخل عليهم النبى ﷺ حائطًا لهم، وأصحابه من وراء جداره، فاستعانهم فى مغرم فى دية غرمها، ثم قام من عندهم، فائتمروا بينهم على قتله. فخرج يمشى القهقرى معترضًا ينظر إليهم، ثم دعا أصحابه رجلا رجلا حتى تقاوموا إليه. اهـ(٢).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٧٠)، وأسباب النزول للقاضى ص٨٨.

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٧٠).

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾: «الميثاق» العهد.

* «والنقيب»: كبير القوم، القائم بأمورهم الذى يُنقِّب عنها، وعن مصالحهم فيها.

* قال البغوىّ فى تفسيره: وذلك أن الله وعد «موسى» ـ عليه السلام ـ أن يورثه وقومه الأرض المقدّسة وهى الشام. وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون، وقد أمرهم الله ـ تعالى ـ بالخروج من مصر والسير إلى أريحاء من أرض الشام، وقال: يا «موسى» إنى كتبتها لكم داراً وقراراً، فاخرج إليها وجاهد مَنْ فيها من العدوّ فإنى ناصرك عليهم، وخذ من قومك اثنى عشر نقيبًا، من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما أمروا به.

فاختار «موسى» النقباء، وسار «موسى» ببنى إسرائيل حتى قربوا من أريحاء وهى مدينة الجبارين، فبعث هؤلاء النقباء يتحسَّسُون له الأخبار، ويعلمون علمها، فلقيهم رجل من الجبّارين يقال له: (عوج بن عنق) وكان عوج ضخم الجثة، طويل القامة..... فرجع النقباء، وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى. اهـ(١).

•• وأقول:

لقد كان من أخبار هؤلاء النقباء الاثنى عشر، وغيرهم من بقيّة بنى إسرائيل: الرفض والعصيان، وعدم دخول الأرض المقدّسة، فكانت نتيجة ذلك أن غضب الله عليهم وكتب عليهم أن يتيهوا فى الأرض لمدّة أربعين سنة.

---

(١) انظر: تفسير البغوى باختصار (٢/ ٢٠).

وقد صوّر لنا هذه المشاهد كلها أبلغ تصوير قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦) ﴾ [المائدة: ٢٠ ـ ٢٦].

* ﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ﴾، أي: ناصركم على عدوكم.

* ﴿ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾:

✳ **المعنى:** هذا كلام مستأنف يفيد أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ سيتفضل على بنى إسرائيل بمكافأتين عظيمتين:

* المكافأة الأولى: أنه سيكفر عنهم سيئاتهم.

* والمكافأة الثانية: أنه سيدخلهم يوم القيامة جنات تجرى من تحت قصورها الأنهار.

ولكن هاتان المكافأتان مشروطتان بتنفيذهم ـ أى بنى إسرائيل ـ الأمور الأربعة المذكورة فى الآية الكريمة أفضل تنفيذ وهى:

* أولا: يقيموا الصلاة، أى يؤدّونها تامّة بشروطها وأركانها.

* ثانيًا: يؤدوا زكاة أموالهم وفقًا لما أمرهم الله على لسان نبيهم.

* ثالثًا: أن يؤمنوا بجميع أنبياء الله ورسله وفى مقدمتهم نبينا «محمد» ﷺ.

* رابعًا: أن يوقّروا أنبياء الله، ويطيعوهم، وينصروهم.

* ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾.

* **المعنى:** الكلام لا زال مع بنى إسرائيل، وقد أخبر العزيز الحميد بأن من كفر منهم بعد هذه النعم التى أنعم بها عليهم فقد أخطأ الطريق المستقيم، وسيكون مصيره جهنم وبئس المصير.

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ ﴾: الباء سببيّة، والميم مصدريّة وحينئذ يكون المعنى: بسبب نقضهم ـ أى بنى إسرائيل ـ العهد الذى أخذته عليهم لعنتهم وجعلت قلوبهم قاسية.

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: نقضوه من وجوه:

١ ـ لأنهم كذبوا الرسل الذين جاءوا بعد «موسى» ـ عليه السلام ـ.

٢ ـ وقتلوا أنبياء الله بغير حق ـ مثل: «زكريا ويحيى».

٣ ـ ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ـ أى تركوا العمل بما جاء فيه ـ.

٤ ـ وضيّعوا فرائضه ـ إذْ تركهم العمل بها تضييع لها ـ(١).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَعَنَّاهُمْ ﴾ قولان للمفسرين:

* الأول: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، ومقاتل بن حيّان البلخى (ت ١١٠هـ) قالا: عذبناهم بالمسخ(٢).

* والثانى: قال عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ): أبعدناهم من رحمتنا(٣).

* ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾:

* ﴿ قَاسِيَةً ﴾ اسم فاعل من «قسا يقسو» ومعنى قاسية: غليظة قد نزعت منها الرحمة والرأفة وأصبحت لا تؤثر فيها المواعظ، ولا تقبل ما يقال لها من نصح وإرشاد.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢٠).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢١).

إذْ القسوة: غلظ القلب، وأصله من حَجَر قاس.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ قَستْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسوةً﴾ [البقرة: ٧٤].

* ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِم عَن مَّوَاضِعِهِ﴾، أي: يتأوّلونه على غير مراد الله ـ تعالى ـ مثل: تبديلهم نعت نبينا «محمد» ﷺ.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: المراد: أنهم يحرفون حدود الله فى التوراة[١] ـ أى يغيرونها ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُم يَسْمَعُون كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُم يَعْلَمُون (٧٥)﴾ [البقرة: ٧٥].

* ﴿ونسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): معنى ذلك: أنهم نسوا كتاب الله ـ تعالى ـ المنزل على نبيهم ـ عليه السلام ـ. اهـ[٢].

أى: نسوا العهود التى أخذها الله عليهم فى كتابهم، ونسوا أوامره التى أمرهم بها، وضيعوا فرائضه، وعطلوا حدوده، وقتلوا بعض أنبيائه ورسله.

* ﴿وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ، و «لا» للنفى، و «زال» للنفى، ونفى النفى إثبات.

وحينئذ يكون المعنى: خيانة هؤلاء اليهود وبخاصة لك يا «محمد» لا تنتهى، لأنهم فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا، مثال ذلك:

١ ـ خيانتهم بنقضهم العهود والمواثيق.

٢ ـ ومظاهرتهم وتحريضهم المشركين على قتال الرسول ﷺ.

٣ ـ ومن خيانتهم: همّهم بسمّ الهادى البشير ﷺ.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٧٣).

(٢) انظر: تفسير الدرّ المنثور للسيوطى (٢/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤).

* ﴿ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ ﴾: هذا استثناء من الذى قبله: أى: من اليهود الذين لم يخونوا وهم قليلون أمثال: عبد الله بن سلام ـ رضى الله عنه ـ وأصحابه الذين أسلموا.

* ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى معنى ذلك قال: لم يُؤْمر ـ أى النبى ﷺ ـ يومئذ بقتالهم، فأمره الله أن يعفو عنهم ويصفح.

ثم نسخ ذلك فى براءة فقال ـ تعالى ـ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ الآية [التوبة: ٢٩][١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [رقم: ١٣]

قرأ حمزة، والكسائى: ﴿ قسيَّة ﴾ بحذف الألف التى بعد القاف، وتشديد الياء، على وزن «فعيلة» صفة مشبهة، إذ أصلها «قسيية» ثم أدغمت الياء فى الياء.

وذلك للمبالغة فى وصف قلوب الكفار بالشدّة والقسوة، لأن فى صيغة «فعيل» معنى التكرير والمبالغة.

وقرأ الباقون ﴿ قاسية ﴾ بإثبات الألف وتخفيف الياء، اسم فاعل من «قسا يقسو» ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٢].

ومعنى قاسية: غليظة قد نزعت منها الرحمة والرأفة وأصبحت لا تؤثر فيها المواعظ، ولا تقبل ما يُقال لها من نصح وإرشاد.

يقال: قسا قلبه يقسو، قسْوًا، وقسْوة، وقساوة: صلب وغلظ، فهو قاس[٢].

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١٤) ﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٧٤).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ١١ ـ ١٢)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٤٠).

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾، قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): كانوا بقرية يقال لها «ناصرة» نزلها «عيسى» ـ عليه السلام ـ، وهو اسم تسمّوا به ولم يؤمروا به. اهـ[١].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، قال قتادة: نسوا كتاب الله بين أظهرهم، وعهد الله الذى عهد لهم، وأمر الله الذى أمر به وضيّعوا فرائضه. اهـ[٢].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، قال إبراهيم[٣]: أغرى بعضهم بعضا بالخصومات، والجدال فى الدين. اهـ[٤].

* ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ أى: فى الآخرة، وسيعاقبهم على السيئات التى اقترفوها.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ⑮﴾

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾، قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): هو نبينا «محمد» ﷺ. اهـ[٥].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، قال قتادة: يبين لكم رسولنا «محمد» ﷺ كثيراً مما كنتم تكتمونه الناس، ولا تبينونه لهم، مما فى كتابكم، وكان مما يخفونه من كتابهم، وبينه رسول الله ﷺ للناس: رجم الزانيين المحصنين. اهـ[٦].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٣٧٣).

(٣) لا أدرى هل هو إبراهيم النخعى (ت ٩٦هـ)، أو إبراهيم بن أبى عبلة (ت ١٥١هـ)، أو إبراهيم الزهرى (ت١٨٣هـ) الله أعلم.

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور (٢/ ٤٧٤).

(٥ ـ ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٧٥).

* ﴿ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾:

* **المعنى:** من صفات نبينا «محمد» ﷺ أنه يعرض عن كثير مما أخفيتم فلا يتعرض له، ولا يؤاخذكم به.

* ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ ﴾، قيل: هو نبينا «محمد» ﷺ. وقيل: هو الإسلام(١).

* ﴿ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾، المراد به: القرآن الكريم.

﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦) ﴾

معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾، قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ): سبيل الله الذى شرعه لعباده، ودعاهم إليه، وابتعث به رسله، هو الإسلام الذى لا يُقْبَلُ من أحد عملٌ إلا به، لا اليهوديّة، ولا النصرانية، ولا المجوسيّة، والله ـ تعالى ـ أعلم. اهـ(٢).

* ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ﴾، أى: يخرجهم نبينا «محمد» ﷺ من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، بتوفيق الله ـ تعالى ـ وهدايته.

* ﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾: وهو الإسلام.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ رِضْوَانَهُ ﴾ [رقم: ١٦]

قرأ شعبة: ﴿ رضوانه ﴾ بضم الراء وكسرها.

وقرأ الباقون بكسرها، وهما لهجتان(٣).

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٧٦).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٨٣).

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾، قال البغوى فى تفسيره: هم اليعقوبيّة من النصارى يقولون: المسيح هو الله(١).

* ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾، أى: قل لهم يا «محمد» ﷺ: من يقدر أن يدفع من أمر الله شيئًا إذا قضاه؟ الجواب: لا أحد.

* ﴿ إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾:

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ هو القاهر فوق عباده، وهو الذى بيده ملكوت كل شىء يقول للشىء كن فيكون.

* ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾:

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦١) ﴾ [يونس: ٦١].

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨) ﴾

❀ سبب نزول هذه الآية:

ورد فى ذلك عدد من الأقوال، وقد اخترت السبب التالى حرصًا على عدم الإطناب:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: أتى رسول الله ﷺ ابنَ أُبَىّ، وبحرى بن عمرو، وشاس بن عدىّ، فكلمهم وكلموه، ودعاهم إلى الله، وحذّرهم

(١) انظر: تفسير البغوى ٢/ ٢٢.

نقمته، فقالوا: ما تُخوِّفا يا «محمد» نحن أبناء الله وأحباؤه، كقول النصارى، فأنزل الله فيهم: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ ﴾ الآية. اهـ(١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾:

* قال البغوى فى تفسيره: قيل: أرادوا أن الله - تعالى - لنا كالأب فى الحنوّ والعطف ونحن كالأبناء له فى القرب والمنزلة. اهـ(٢).

* ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾، أى: قل لهم: «يا محمد» هذا.

* ولهذا أخرج أحمد فى الزهد عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) أن النبى ﷺ قال: «والله لا يُعذّبُ اللهُ حبيبه، ولكن يبتليه فى الدنيا» اهـ(٣).

* ﴿ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾، أى: أنتم أيها اليهود والنصارى كسائر بنى آدم ممن خلقهم الله - تعالى -، فمن عمل صالحًا فلنفسه، ومن أساء فعليها.

* ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴾: تفضلا منه وكرما وإحسانا.

* ﴿ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾: عَدْلا منه - عزّ وجل - ولا يظلم ربنا أحدا.

* ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾، قال - تعالى -: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) ﴾ [مريم: ٨٨ : ٩٥].

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٩) ﴾

---

(١) انظر: أسباب النزول للشيخ القاضى ص٨٩، وتفسير القرطبى (٦/ ٨٠)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٧٦).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢٢).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٧٦).

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى الدلائل، عن ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) قال: دعا رسول الله ﷺ يهودًا إلى الإسلام، ورغبهم فيه وحذرهم فأبوا عليه، فقال لهم معاذ بن جبل، وسعد بن عبادة، وعقبة بن وهب: يا معشر يهود اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه لنا بصفته. فقال رافع بن حريملة، ووهب بن يهودا: ما قلنا لكم هذا، وما أنزل الله من كتاب من بعد «موسى»، ولا أرسل بشيرًا ولا نذيرًا بعده، فأنزل الله ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ الآية. اهـ[١].

معانى المفردات:

* ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨ هـ) قال: هو نبينا «محمد» ﷺ فصل به بين الحق والباطل[٢].

ومعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾ أى: على انقطاع بين الرسل.

* وقد اختلف المفسرون فى مقدار هذه الفترة على أربعة أقوال:

١ ـ فقال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥ هـ): كانت الفترة بين نبىّ الله «عيسى» ـ عليه السلام ـ ونبينا «محمد» ﷺ أربعمائة سنة، وبضعا وثلاثين سنة.

٢ ـ وقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨ هـ): كان بين نبىّ الله «عيسى» ـ عليه السلام ـ ونبينا «محمد» ﷺ خمسمائة سنة، وستون سنة.

٣ ـ وقال الكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦ هـ): كان بينهما خمسمائة سنة، وأربعون سنة.

٤ ـ وقال ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠ هـ): كان بينهما خمسمائة سنة[٣].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٧٦).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢٣)، انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٧٧).

* ﴿أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾، أى: لكيلا تقولوا هذا.

* ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾، وهو نبينا «محمد» ﷺ، قال الله ـ تعالى ـ فى شأن النبى ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦)﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦].

* ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أى: لا يعجزه شىء فى السموات ولا فى الأرض.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٠)﴾

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قالا: كان الرجل من بنى إسرائيل إذا كانت له الزوجة، والخادم، والدار يسمّى ملكا. اهـ(١).

* وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى سعيد الخدْرىّ ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم، ودابة، وامرأة كُتبَ ملكا» اهـ(٢).

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ ـ رضى الله عنهما): أنه سأله رجل: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ قال: ألك امرأة تأوى إليها؟ قال: نعم، قال: ألك مَسْكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: إن لى خادمًا، قال: فأنت من الملوك. اهـ(٣).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر المفسّر (١٠٤هـ) قالا: المنّ، والسّلْوى(٤).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٧٧).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٧٨).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٧٨).

﴿ يا قومِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كتب اللَّهُ لَكُمْ ولا ترتدُّوا علىٰ أَدْبارِكُمْ فتنقلبوا خاسِرِين (٢١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* فى قوله - تعالى -: ﴿ الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ﴾:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر قال: هى المباركة[١].

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى قال: هى الشام[٢].

* وفى قوله - تعالى -: ﴿ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾:

* عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قال: أى: أمركم الله بها. اهـ[٣].

* ﴿ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ ﴾، أى: على أعقابكم مخالفة لأمر الله - تعالى -.

* ﴿ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾، أى: إذا رجعتم على أعقابكم مخالفة لأمر الله - تعالى - رجعتم وقد خسرتم الدنيا والآخرة.

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* فى قوله - تعالى -: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: هم أطول منّا أجساما، وأشدّ قوّة. اهـ[٤].

* وقال الزجّاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): الجبّار من الآدميين: العاتى، وهو الذى يجبر الناس على ما يريد اهـ[٥].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٧٨).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٧٩).

(٥) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٨٣).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾:

* قال القرطبى فى تفسيره: المراد: البلدة «أريحاء، أو إيلياء» لن ندخلها حتى يخرجوا منها: أى حتى يسلموها لنا من غير قتال، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون. اهـ[1].

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) هما: يوشع بن نون، وكالب. اهـ[2].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾، قال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): أنعم الله عليهما بالهدى فهداهما فكانا على دين «موسى». اهـ[3].

* ﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ﴾، المراد: باب قرية الجبارين وهى: أريحاء، أو إيلياء.

* ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾: لعلّ السبب فى قولهم ذلك: ثقتهم فى وعد الله ـ تعالى ـ بأنه سينصر عباده المؤمنين، ولذا قالوا:

* ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

ويشهد لصحة المعنى الذى ذكرته قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) ﴾ [الحج: ٤٠].

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦) ﴾

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٨٤).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٧٩).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٨٠).

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَاذْهَبْ أَنت وَرَبُّكَ فَقَاتِلا﴾:

* قال القرطبى فى تفسيره: المعنى: اذهب أنت فقاتل وليُعِنْك ربك. اهـ[١].

* ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): افصل بيننا وبينهم. اهـ[٢].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾، قال المفسرون: هنا تمّ الكلام، وما بعده كلام مستأنف جديد.

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: حرمت عليهم القرى، فكانوا لا يهبطون قرية ولا يقدرون على ذلك أربعين سنة، ثم استطرد قائلا: وذكر لنا أن «موسى» ـ عليه السلام ـ توفى فى الأربعين سنة ـ وكذا «هارون» ـ[٣].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: تاهوا أربعين سنة ومات «موسى، وهارون» ـ عليهما السلام ـ فى التيه. فلما مضت الأربعون سنة ناهضهم «يوشع بن نون» وهو الذى قام بالأمر بعد «موسى» ـ عليه السلام ـ. اهـ[٤].

* وعن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قال: تاهت بنو إسرائيل أربعين سنة، يصبحون حيث أمسوا، ويمسون حيث أصبحوا فى تيههم. اهـ[٥].

* وأخرج ابن جرير عن الربيع بن أنس قال: ظلّل الله عليهم الغمام فى التيه قدر خمسة فراسخ أو ستّة، كلما أصبحوا ساروا غادين، فإذا أمسوا إذا هم فى مكانهم الذى ارتحلوا منه، فكانوا كذلك أربعين سنة، وهم فى ذلك ينزل عليهم المنّ والسلوى ... ... ومعهم حجر من حجارة الطور يحملونه معهم، فإذا نزلوا ضربه «موسى» ـ عليه السلام ـ بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا. اهـ[٦].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٨٤).
(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٨١).
(٥ ـ ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٨٢).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: لا تحزن عليهم. اهـ(١).

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧)﴾

* المعنى:

* يلقى الضوء على معنى هذه الآية الخبر التالى:

* أخرج ابن جرير عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) أنه كان لا يولد «لآدم» مولود إلا وُلِدَ معه جارية. فكان يُزَوِّج غلام هذا البطن لجارية البطن الآخر، حتى ولد له ابنان يقال لهما: قابيل، وهابيل. وكان قابيل صاحب زرع، وكان هابيل صاحب ضرع. وكان قابيل أكبرهما، وكانت له أخت أحسن من أخت هابيل. وإن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل فأبى عليه وقال: هى أختى ولدت معى، وهى أحسن من أختك، وأنا أحقّ أن أتزوّج بها.

فأمره أبوه أن يتزوجها هابيل فأبى، وإنهما قرَّبا قربانا إلى الله أيهما أحقّ بالجارية، وكان «آدم» ـ عليه السلام ـ قد غاب عنهما إلى «مكة» ينظر إليها، فلما انطلق «آدم» قربا قربانا: قرب «هابيل» جذعة سمينة، وقرب «قابيل» حزمة سنبل، فنزلت النار فأكلت قربان «هابيل» وتركت قربان «قابيل» فغضب، وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختى، فقال: «هابيل»: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧)﴾ إلى قوله: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [رقم: ٢٩]. اهـ ببعض تصرّف(٢).

﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠)﴾

* معانى المفردات:

* ﴿لَئِن بَسَطتَ﴾، أى: مددت.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٨٢).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٨٣).

* ﴿ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾:

* قال عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما): وايم الله إن كان المقتول لأشدّ الرجلين، ولكن منعه التحرّج أن يبسط إلى أخيه يده. اهـ(١).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾:

قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)، والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قالوا: بإثمى: أى بقتلك إياى وإثمك: أى بما كان منك قبل ذلك. اهـ(٢).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ﴾:

* قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): فزيَّنت له نفسه(٣).

* وقال ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) لما قصد قابيل قتل أخاه هابيل لم يدر كيف يقتله، تمثّل له إبليس وأخذ طيرًا فوضع رأسه على حَجَر ثم شدخ رأسه بحجر آخر، وقابيل ينظر إليه فعلّمه القتل، فرضخ قابيل رأس هابيل بين حجرين: قيل: اغتاله وهو فى النوم فقتله. اهـ(٤).

* تحذير لجميع المسلمين، يوضحه الأحاديث التالية:

* الحديث الأول:

أخرج الحاكم بسند صحيح عن أبى بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إنها ستكون فتن، ألا ثم ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشى، والماشى فيها خير من الساعى إليها. فإذا نزلت فمن كان له إبل فليلحق بإبله. ومن كان له أرض فليلحق بأرضه. فقيل: أرأيت يا رسول الله إن لم يكن له

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٨٥).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢٩).

ذلك؟ قال: فليأخذ حجرًا فليدقّ به على حدّ سيفه، ثم لينج إن استطاع النجاة، اللهمّ هل بلغتُ» ثلاثًا، فقال رجل: يا رسول الله أرأيتَ إن أكرهتُ حتى ينطلق بى إلى أحد الصفين، فيرمينى رجل بسهم، أو يضربنى بسيف فيقتلنى؟ قال: «يبوء بإثمه وإثمك فيكون من أصحاب النار، قالها ثلاثًا» اهـ(١).

* الحديث الثانى: أخرج أحمد، والحاكم عن خالد بن عرفطة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا خالد إنه سيكون بعدى أحداث وفتن واختلاف، فإن استطعتَ أن تكون عبد الله المقتول لا القاتل فافعل» اهـ(٢).

* الحديث الثالث: أخرج ابن أبى شيبة عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «تكون فتنة النائم فيها خير من المضطجع، والمضطجع خير من القاعد، والقاعد خير من الماشى، والماشى خير من الساعى، قتلاها كلها فى النار». قال: يا رسول الله فيم تأمرنى إن أدركتُ ذلك؟ قال: «ادخل بيتك» قلتُ: أفرأيتَ إن دخل علىّ؟ قال: «قل بُؤْ بإثمى وإثمك وكن عبد الله المقتول» اهـ(٣).

﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾، قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): قتله على جبل ثور وقيل: عند عقبة حراء، فلما قتله تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لأنه كان أوّل ميت على وجه الأرض من بنى آدم، فحمله فى جراب على ظهره: سنة حتّى أروح، وعكفت عليه الطير والسباع تنتظر متى يرمى به فتأكله، فبعث الله غرابين فاقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره، وبرجليه حتى مكّن له ثم ألقاه فى الحفرة وواراه، وقابيل ينظر إليه، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾ فلما رأى «قابيل» ذلك قال:

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٨٧).

* ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾[1].

* ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾: على حمله على عاتقه لا على قتله.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢)﴾

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾:

* قال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): من أجل ابن آدم الذى قتل أخاه ظلما. اهـ[2].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾:

قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): هذه مثل قوله ـ تعالى ـ فى سورة النساء: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣)﴾ [النساء: ٩٣].

ثم استطرد قائلا: لو قتل الناس جميعا لم يزد على مثل ذلك من العذاب. اهـ[3].

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى الآية قال: فى الوزر[4].

* وفى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾:

* قال الحسن البصرى: ومن أحياها من غرق، أو حرق، أو هدم، أو هلكة. اهـ[5].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾:

* قال الحسن البصرى: أى فى الأجر. اهـ[6].

* وأخرج ابن جرير عن الحسن البصرى أنه قيل له فى هذه الآية: أهى لنا كما كانت لبنى إسرائيل؟ قال: نعم والذى لا إله غيره. اهـ[7].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٠)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٨٩).
(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى ٢/ ٤٩٠).
(٤ : ٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٩١).

* ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾: الضمير فى ﴿جاءَتْهُمْ﴾ عائد على بنى إسرائيل المتقدم ذكرهم فى نفس الآية.

والمراد بالبينات: الدلالات الواضحات، والمعجزات، ولكنهم مع ذلك لم يؤمنوا، بل أكثرهم كافرون، ومسرفون فى كفرهم، وفسادهم، وقتلهم الأنبياء بغير حق.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ [رقم: ٣٢]

قرأ أبو جعفر: ﴿إِجل﴾ بكسر الهمزة، ونقل حركتها إلى النون التى قبلها، وإذا ابتدأ بـ «إجل» ابتدأ بهمزة قطع مكسورة.

وقرأ الباقون: ﴿أجل﴾ بهمزة قطع مفتوحة(١).

* ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [رقم: ٣٢].

وكذا حيثما وقعت فى القرآن الكريم مثل: رسلهم، رسلكم: قرأ أبو عمرو جميع هذه الألفاظ بإسكان السين.

وقرأ الباقون بضم السين، وهما لهجتان، والإسكان هو الأصل، وهو لهجة تميم وأسد.

والضم لمجانسة ضم الحرف الأول، وهو لهجة الحجازيين(٢).

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣)﴾

سبب نزول هذه الآية:

* اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية وقد اخترت السبب التالى حرصًا على عدم الإطناب:

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ١٢).
(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ١٤)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٢/ ٤٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٤٢.

* أخرج عبد الرزاق، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، والنحّاس فى ناسخه، والبيهقى فى الدلائل عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: إن نفراً من «عكل» قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا وآمنوا، واجتروا المدينة، فأمرهم النبى ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها، وألبانها، ففعلوا فصحوا، فارتدوا، وقتلوا راعيها واستاقوا الإبل، فبعث النبى ﷺ فى طلبهم، فأتى بهم، فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم، ولم يحسمهم، وتركهم حتى ماتوا، فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية. اهـ(١).

* المعنى:

يلقى الضوء على معنى الآية ما يأتى:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى معنى الآية قال: إذا خرج المحارب فأخذ المال ولم يقتل يقطع من خلاف. وإذا خرج فقتل ولم يأخذ المال قتل. وإذا خرج فقتل وأخذ المال قتل وصلب. وإذا خرج فأخاف السبيل، ولم يأخذ المال، ولم يقتل نفى. اهـ(٢).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا﴾، قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): أى: بالزنا، والسرقة، وقتل النفس، وإهلاك الحرث، والنسل(٣).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾، قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): من أخاف سبيل المؤمنين نفى من بلد إلى غيره. اهـ.

* وبهذا قال أيضًا الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)(٤).

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٤)﴾

* عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) فى الآية قال: إن جاء تائبا إلى الإمام قبل أن يقدر عليه، فأمَّنه الإمام فهو آمن. فإن قتله إنسان بعد أن يعلم أن الإمام قد أمَّنه قُتِل به، فإن قتله ولم يعلم أن الإمام قد أمَّنه كانت الدِّية. اهـ(٥).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٩١)، وتفسير القرطبى (٦/ ٩٧)، وتفسير البغوى (٢/ ٣٢).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٩٣).
(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٩٤).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٩٥).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾، قال حذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ): القربة. اهـ[١].

وقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): تقربوا إلى الله بطاعته، والعمل بما يرضيه. اهـ[٢].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦) يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ الآية:

أخبر الله ـ عز وجل ـ فى هذه الآية بأن الكافر لو ملك الدنيا كلها ومثلها معها، ثم فدى بذلك نفسه من العذاب لم يُقبل منه ذلك الفداء.

* وفى تأويل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ ﴾ الآية قولان:

* أحدهما: أنهم يريدون الخروج منها، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠)﴾ [السجدة: ٢٠].

* والآخر: أنهم يتمنون ذلك ويطلبون الخروج، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) ﴾

[المؤمنون: ١٠٧ ـ ١٠٨].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٩٥).

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) ﴾

✵ المعنى:

* هذه الآية الكريمة من أدلّة الأحكام فى الحدود، وهى خاصة بحدّ السرقة، والكلام فى ذلك يحتاج إلى معرفة ثلاثة أمور:

* الأمر الأول: قال البغوى فى تفسيره: اختلف العلماء فى القدر الذى يجب فيه حدّ السرقة على أربعة أقوال:

القول الأول: ذهب أكثر أهل العلم إلى أنه لا يقطع فى أقلّ من ربع دينار، فإن سرق ربع دينار، أو متاعًا قيمته ربع دينار ينفذ حدّ السرقة وهو القطع.

وهو قول أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلىّ ـ رضى الله عنهم ـ.

* وبه قال عمر بن عبد العزيز، والشافعى، والأوزاعى ـ رحمهم الله ـ[(١)].

* ومن الأدلة على هذا القول الحديث التالى:

* أخرج البخارى، ومسلم عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ): أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقطع يد السارق إلا فى ربع دينار فصاعدًا» اهـ[(٢)].

* القول الثانى: مروى عن الإمام مالك ـ رحمه الله ـ أنه يقطع فى ثلاثة دراهم[(٣)].

* ومن الأدلّة على هذا القول الخبر التالى:

* روى عن عثمان ـ رضى الله عنه ـ أنه قطع سارقًا فى أترجّة قُوِّمت بثلاثة دراهم. اهـ[(٤)].

* القول الثالث: أنه لا قطع فى أقلّ من دينار، أو عشرة دراهم.

وهو مروى عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ.

وإليه ذهب سفيان الثورى، والأحناف. اهـ[(٥)].

* القول الرابع: أنه لا قطع إلا فى خمسة دراهم. وهو مروى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ وبه قال ابن أبى ليلى. اهـ[(٦)].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٤).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٩٧).

(٣ ـ ٦) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٥).

* الأمر الثانى: أنه يشترط فى المال المسروق الذى فيه حدّ القطع أن يكون قد سُرِق من حرْز مثله، ومن الأدلّة على ذلك: ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لا قطع فى ثمر معلق»(١).

* الأمر الثالث: فى كيفية القطع بعد استيفاء شروط القطع:

قال البغوى فى تفسيره: إذا سرق السارق أوّل مرّة تقطع يده اليمنى من الكوع.

ثم إذا سرق ثانيًا تقطع رجله اليسرى من مفصل القدم.

ثم قال البغوى: واختلفوا فيما إذا سرق ثالثًا: فذهب أكثرهم إلى أنه تُقْطع يده اليسرى.

وإذا سرق رابعًا تقطع رجله اليمنى.

ثم إذا سرق بعده شيئًا يعزّر، ويحبس حتى تظهر توبته.

وهو المروى عن أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ وقول قتادة بن دعامة السدوسى وبه قال مالك، والشافعى(٢).

ومن الأدلّة على ذلك الحديث التالى:

* عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه): أن رسول الله ﷺ قال فى السارق: «إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله، ثم إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله» اهـ(٣).

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ (٣٩)﴾

* يلقى الضوء على معنى هذه الآية الحديث التالى:

* أخرج أحمد، وابن جرير، وابن أبى حاتم عن عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما): أن امرأة سرقت على عهد رسول الله ﷺ فقطعت يدها اليمنى، فقالت: هل لى من توبة يا رسول الله؟ قال: «نعم أنتِ اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك»(٤).

(١ : ٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٥).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٩٧).

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ من يشاءُ ويغفرُ لمن يشاءُ واللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): يعذب من يشاء على الصغيرة، ويغفر لمن يشاء على الكبيرة[1].

* وقال السدى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) والكلبى محمد ابن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ) قالا: يعذب من يشاء من مات على كفره، ويغفر لمن يشاء من تاب من كفره. اهـ[2].

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) ﴾

❁ سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزولها عدد من الأقوال وقد اخترت السبب التالى حرصًا على عدم الإطناب:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقى فى سننه عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه): أن أحبار اليهود اجتمعوا فى بيت المِدْراس حين قدم رسول الله ﷺ المدينة.

وقد زنى رجل بعد إحصانه بامرأة من اليهود وقد أحصنت، فقالوا: ابعثوا هذا الرجل، وهذه المرأة، إلى محمد ﷺ فاسألوه كيف الحكم فيهما، وولوه الحكم فيهما، فإن حكم بعملكم من التجبية، والجلد بِحَبْل من ليف مطلىّ بقارّ، ثم يسوِّد وجوههما،

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٦).

ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل أدبار الحمار، فاتبعوه فإنما هو مَلكٌ سيِّد قوم، وإن حكم فيهما بالنفى فإنه نبىٌّ فاحذروه على ما فى أيديكم أن يسلبكم.

فأتوه فقالوا: يا «محمد» هذا رجل قد زنى بعد إحصانه بامرأة قد أحصنت، فاحكم فيهما فقد وليناك الحكم فيهما.

فمشى رسول الله ﷺ حتى أتى أحبارهم فى بيت المِدْراس فقال: يا معشر يهود، أخرجوا إلىّ علماءكم.

فأخرجوا إليه عبد الله بن صوريا، وياسر بن أخطب، ووهب بن يهودا فقالوا: هؤلاء علماؤنا.

فسألهم رسول الله ﷺ، ثم حصر أمرهم إلى أن قالوا لعبد الله بن صوريا: هذا أعلم من بقى بالتوراة.

فخلا رسول الله ﷺ به وشدّد المسألة وقال: «يا ابن صوريا، أنشدك الله، وأذكِّرك أيامه عند بنى إسرائيل هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم فى التوراة؟» فقال: اللهم نعم، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك مرسل ولكنهم يحسدونك. فخرج رسول الله ﷺ، فأمر بهما فرجما عند باب المسجد.

ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا وجحد نبوّة رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ﴾ الآية(١).

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾.

* قال ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما): هم اليهود(٢).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: هم المنافقون(٣).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾:

* قال جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما): هم يهود المدينة. اهـ(٤).

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٩٨).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٩٩).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾:

* قال جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ: هم يهود فدك[1].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ﴾.

* قال جابر بن عبد الله: أى: يقول يهود فدك ليهود المدينة: إن أوتيتم هذا الجلد فخذوه، وإن لم تؤتوه فاحذروا الرجم[3].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما: ومن يرد الله ضلالته، فلن تغنى عنه شيئًا. اهـ[4].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾:

* قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) معنى ذلك: يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون. اهـ[5].

* ﴿ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾: وهو الخلود فى النار.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ﴾ [رقم: ٤٠]

قرأ نافع: ﴿لا يحزنك﴾ بضم الياء وكسر الزاى، مضارع أحزن الرباعى.

وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الزاى، مضارع «حزن» الثلاثى[6].

﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢) ﴾

الناسخ والمنسوخ:

* أخرج أبو عبيد القاسم بن سلام، وابن المنذر، وابن مردويه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ قال: نسختها هذه الآية: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٩]. اهـ[7].

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٠٠).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٠١).

(٦) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٨٧).

(٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٠٤).

* وفى رواية أخرى: كان رسول الله ﷺ مخيَّرًا، إن شاء حكم بينهم، وإن شاء أعرض عنهم فردّهم إلى أحكامهم، فنزلت: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [المائدة: ٤٩].

ثم قال: فأُمِرَ رسولُ الله ﷺ أن يحكم بينهم بما فى كتابنا. اهـ(١).

❀ معانى المفردات:

* قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾: يلقى الضوء على معنى ذلك الأخبار التالية:

* أولا: عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قال: تلك حُكّام اليهود يسمع كذبه، ويأخذ رشوته. اهـ(٢).

* ثانيًا: أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: من شفع لرجل ليدفع عنه مظلمته، أو يردّ عليه حقًا فأهدى له هديّة فقبلها فذلك السحت، فقيل: يا أبا عبد الرحمن إنا كنا نعدّ السحت الرشوة فى الحكم، فقال عبد الله: ذلك الكفر، ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] اهـ(٣).

* وروى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ مثل ذلك(٤).

* ثالثًا: أخرج ابن المنذر عن مسروق بن الأجدع (ت ٦٣هـ) قال: قلت لعمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه): أرأيتَ الرشوة فى الحكم أمن السحت هى؟ قال: لا، ولكن كفرًا، إنما السحتُ: أن يكون للرجل عند السلطان جاه ومنزلة، ويكون إلى السلطان حاجة، فلا يقضى حاجته حتى يُهْدِى إليه هديّة. اهـ(٥).

* رابعًا: أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن مردويه، عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به» قيل: يا رسول الله وما السحت؟ قال: «الرشوة فى الحكم» اهـ(٦).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٠٣).	(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٠٢).

(٣ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٠٢).

* خامسًا: أخرج ابن مردويه، والديلمى عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ستّ خصال من السحت: رشوة الإمام، وهى أخبث ذلك كله، وثمن الكلب، وعسب الفحل، ومهر البغىّ، وكسب الحجّام، وحلوان الكاهن» اهـ(١).

* سادسًا: أخرج الخطيب فى تاريخه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «من السحت كسب الحجّام، وثمن الكلب، وثمن القرد، وثمن الخنزير، وثمن الخمر، وثمن الميتة، وثمن الدَّم، وعسب الفحل، وأجر النائحة، وأجر المغنِّية، وأجر الكاهن، وأجر الساحر، وأجر القائف، وثمن جلود السباع، وثمن جلود الميتة، فإذا دبغت فلا بأس بها، وأجر صور التماثيل، وهديَّة الشفاعة، وجعلة الغزو» اهـ(٢).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾:

* أخرج ابن أبى حاتم عن مالك قال: المعْدِلين فى القول، والفعل(٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [رقم: ٤٢]

قرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، وخلف البزّار: ﴿للسحت﴾ بإسكان الحاء.

وقرأ الباقون بضمها، وهما لهجتان(٤).

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٣)﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن مردويه عن البراء بن عازب (ت ٦٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: مرّ على رسول الله ﷺ يهودىّ مُحمَّم قد جُلِدَ، فسألهم: «ما شأن هذا؟» قالوا: زنى، فسأل رسول الله ﷺ اليهودَ: «ما تجدون حدّ الزانى فى كتابكم؟» قالوا: نجد حدّه التحميم

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٠٣).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٠٥).

(٤) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٨٧).

والجلد، فسألهم: «أيكم أعلم»؟ قالوا: فلان، فأرسل إليه فسأله، قال: يجد التحميم والجلد، فناشده رسول الله ﷺ: «ما تجدون حدّ الزانى فى كتابكم؟» قال: نجد الرجم، ولكنه كثر فى عظمائنا، فامتنعوا بقومهم ووقع الرجم على ضعفائنا، فقلنا: نضع شيئًا يصلح بينهم حتى يستووا فيه فجعلنا التحميم والجلد.

فقال النبى ﷺ: «اللهم إنى أوّل من أحيا أمرك إذْ أماتوه» فأمر به فرُجم.

قال أى البراء بن عازب ـ: ووقع اليهود بذلك الرجل الذى أخبر النبىَّ ﷺ وشتموه، وقالوا: لو كنا نعلم أنك تقول هذا ما قلنا إنك أعلمنا.

قال ـ أى البراء ـ: ثم جعلوا بعد ذلك يسألون النبى ﷺ: ما نجد فيما أنزل إليك حدّ الزانى؟ فأنزل الله: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ يعنى: حدود الله، فأخبره الله بحكمه فى التوراة. اهـ(١).

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾:

* قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): عندهم بيان ما تشاجروا فيه. اهـ(٢).

* وقال مقاتل بن حيان البلخىّ (ت ١١٠هـ): فى التوراة الرجم للمحصن والمحصنة، والإيمان بمحمد ﷺ، والتصديق به. اهـ(٣).

* ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾:

* عن مقاتل بن حيان قال: المراد اليهود. اهـ(٤).

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص١٩٧، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٩١، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٠٥).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٠٥).

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾:

* قال مقاتل بن حيّان البلخى (ت ١١٠هـ): المراد: هدى من الضلالة، ونور من العمى. اهـ[١].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ ﴾:

* قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): أمّا الربانيون: ففقهاء اليهود، وأما الأحبار فعلماؤهم.

ثم قال: وذكر لنا أن النبى ﷺ قال لما أنزلت هذه الآية: «نحن نحكم على اليهود، وعلى من سواهم من أهل الأديان» اهـ[٢].

* ومعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ أى: بما استودعوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء أنه كذلك.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾:

قال السدى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ): أى: لا تكتموا ما أنزلت عليكم فى التوراة خوفًا من الناس، بل اخشونى أى خافوا عقابى.

وقال فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾: على أن تكتموا ما أنزلت فى التوراة. اهـ[٣].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾:

* قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): نزلت فى اليهود، وهى علينا واجبة. اهـ[٤].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٠٦). (٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٠٧).

• موعظة مهمة:

أقدمها للذين يتهافتون على الإمامة، أو على القضاء، فى الخبر التالى:

* أخرج ابن سعد: أن عثمان بن عفان قال لعبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ: اقْض بين الناس، قال: لا أقضى بين اثنين ولا أؤمّ اثنين، ثم قال: بلغنى أن القضاة ثلاثة:

١ ـ رجل قضى بجهل فهو فى النار.

٢ ـ ورجل حاف ومال به الهوى فهو فى النار.

٣ ـ ورجل اجتهد فأصاب فهو كفاف لا أجر له ولا وزر عليه.

ثم قال ـ أى عثمان رضى الله عنه ـ: إن أباك كان يقضى. قال: إنّ أبى كان إذا أشكل عليه شىء سأل النبى ﷺ وإذا أشكل على النبى ﷺ شىء سأل «جبريل» ـ عليه السلام ـ وإنى لا أجد مَنْ أسأل، أما سمعت النبى ﷺ يقول: «من عاذ بالله فقد عاذ بمعاذ؟» فقال عثمان: بلى، قال: فإنى أعوذ بالله أن تستعملنى، فأعفاه، وقال: لا تخبر بهذا أحدًا. اهـ[1].

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى سننه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ قال: تقتل بالنفس، ﴿ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ﴾ قال: تفقأ بالعين، ﴿ وَالأَنفَ بِالأَنفِ ﴾ قال: يقطع الأنف بالأنف، ﴿ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ قال: وتقتص الجراح بالجراح. اهـ[2].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٠٨). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥١٠).

* وأخرج عبد الرزاق عن سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ) قال: كتب الله ذلك على بنى إسرائيل، فهذه الآيات لنا ولهم. اهـ[١].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ﴾:

* أخرج الديلمي عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ﴾: الرجل تكسر سنّه، أو يجرح من جسده فيعفو عنه فيحطّ من خطاياه بقدر ما عفا من جسده: إن كان نصف الدِّية فنصف خطاياه، وإن كان ربع الدية فربع خطاياه، وإن كان ثلث الدية فثلث خطاياه، وإن كانت الدية كلها فخطاياه كلها» اهـ[٢].

* ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾:

* قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) ﴾ [الأنعام: ٩٣].

القراءات وتوجيهها:

* (والعين، والأنف، والأذن، والسنّ، والجروح) من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ [رقم: ٤٥].

قرأ الكسائى: (والعينُ، والأنفُ، والأذنُ، والسنّ، والجروحُ) هذه الأسماء الخمسة بالرفع، وذلك على الاستئناف والواو لعطف جملة إسميّة على أخرى، على تقدير أنَّ «أنَّ» وما فى حيزها من قوله ـ تعالى ـ: ﴿أن النفس بالنفس﴾ فى محلّ رفع باعتبار المعنى، كأن الله ـ تعالى ـ قال: وكتبنا على بنى إسرائيل فى التوراة: النفس تقتل بالنفس، والعين تفقأ بالعين، والأنف يجدع بالأنف، والأذن تقطع بالأذن، والسنّ تقلع بالسنّ، والجروح قصاص، أى يُقتص فيها إذا أمكن: كاليد، والرجل، ونحو ذلك.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٠٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١١٠).

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عـامر، وأبو جعفر: بنصب الأربعة الأول، عطفًا على اسم «أنَّ» وقـرأوا برفع ﴿والجـروح﴾ قطعًـا لها عـمـا قبلهـا، على أنهـا مـبتـدأ و﴿قصاص﴾ خبر.

وقـرأ البـاقون بنصـب الكلمـات الخمس، عطـفـًا على اسم «أنّ» لفظًا، والجـار والمجرور بعده خبر، و﴿قصاص﴾ خبر أيضًا وهو من عطف الجمل.

* ﴿ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ ﴾ [رقم: ٤٥]

* وكذا «أذن» حيثما وقع نحو: ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ [التوبة: ٦١].

* وكذا «أذنيه» من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ [لقمان: ٧].

قرأ نافع هذه الألفاظ الثلاثة حيثما وقعت بإسكان الذال.

وقرأ الباقون بضم الذال، وهما لهجتان(١).

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ الآية:

﴿ وَقَفَّيْنَا ﴾ مـعناها: أتبعنا، والضـمـيـر فى ﴿ آثَارِهِم ﴾ يعود على ﴿ النَّبِيُّونَ ﴾ المتقدم ذكرهم فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾ [رقم: ٤٤].

وحينئذ يكون المعنى: أتبـعنا من بعد النبيين عيسى ابن مريم، حـالة كونه مصدِّقًا لمـا بين يديه من التوراة وأنـزل الله ـ سبـحانه وتعـالى ـ على نبـيه «عـيسى» الإنجـيل متضمنًا الهداية إلى الطريق المستقيم، والنور الذى يفرق الله به بين الحقّ والباطل.

كما أن الإنجيل جاء مصدقًا للتوراة التى أنزلها الله على نبيه «موسى» ـ عليه السلام ـ.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ١٧ ـ ١٨)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٤١)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٨٧).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾:

* قال مقاتل بن حيّان (ت ١١٠هـ): أمر الله القسِّيسين والرهبان أن يحكموا بما فى الإنجيل، ثم بين عقوبة من لم يحكم بما أنزل الله، بأنهم هم الخارجون عن أمر الله ـ تعالى ـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ ﴾ [رقم: ٤٧]

قرأ حمزة: ﴿وليحكمَ﴾ بكسر اللام، ونصب الميم، وذلك على أن اللام لام كيْ، و﴿يحكمَ﴾ منصوب بأن مضمرة بعد لام كي.

وقرأ الباقون: ﴿وليحكمْ﴾ بسكون اللام، وجزم الميم، على أن اللام لام الأمر وسكنت تخفيفًا لأن أصلها الكسر(٢).

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ﴾:

* الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ، والمراد بـ ﴿ الْكِتَابَ ﴾: (القرآن)، و﴿ مُصَدِّقًا ﴾ حال من الكتاب، والمراد بقوله: ﴿ مِنَ الْكِتَابِ ﴾: جميع الكتب المنزلة على الأنبياء السابقين.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾: اختلف المفسرون فى تأويل ذلك على ثلاثة أقوال:

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٢).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ١٨)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٤١)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٨٨).

* أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): المهيمن: الأمين، والقرآن أمين على كل كتاب قبله(١).

* ثانيًا: قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ): قالا: مؤتمنًا عليه. اهـ(٢).

* ثالثًا: قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): «محمد» ﷺ مؤتمن على القرآن، والمهيمن: الشاهد على ما قبله من الكتب. اهـ(٣).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾:

الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ، وحينئذ يكون المعنى: احكم يا «محمد» بين أهل الكتاب إذا ترافعوا إليك بالمنهج الذى أنزله الله عليك فى القرآن الكريم.

* وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: احكم بينهم بحدود الله(٤).

* ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾:

المعنى: لا تترك يا «محمد» الحكم بما بين الله فى القرآن، اتباعًا لأهواء اليهود والنصارى، فالحق أحق أن يتبع

* ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾: اختلف المفسرون فى تأويل ذلك على قولين:

* أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قالوا: معنى ذلك، سبيلا وسنة، فالشرعة والمنهاج: الطريق الواضح، وكل ما شرعت فيه فهو شريعة وشرعة، وأراد بهذا أن الشرائع مختلفة، ولكل أهل ملّة شريعة. اهـ(٥).

* ثانيًا: قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): الخطاب للأمم الثلاثة:

١ ـ أمّة موسى ـ عليه السلام ـ.

٢ ـ أمّة عيسى ـ عليه السلام ـ.

٣ ـ أمّة محمد ﷺ أجمعين.

فالتوراة شريعة، والإنجيل شريعة، والفرقان شريعة(٦).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥١٢).
(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٢).
(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور (٢/ ٥١٣).
(٥ ـ ٦) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٣).

* وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾:

* قال البغوى فى تفسيره: أى على ملّة واحدة(١).

* ﴿ وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ أى: ليختبركم ﴿ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ من الكتاب وبيّن لكم من الشرائع، فيظهر المطيع من العاصى.

ومن عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد.

* ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ أى: بادروا إلى الأعمال الصالحة.

* ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾، أى: يوم القيامة.

* ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾:

وحينئذ يظهر من كان على الحق فيثيبهم الله ـ تعالى ـ. ومن كان على خلاف ذلك فيعاقبهم الله ـ عزّ وجلّ ـ.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ [الزلزلة: ٦ ـ ٨].

﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) ﴾

سبب نزول هاتين الآيتين:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبى حاتم، والبيهقىّ فى الدلائل عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال كعب بن أسيد، وعبد الله بن صوريا، وشاس بن قيس: اذهبوا بنا إلى «محمد» ﷺ لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا: يا «محمد» إنك عرفت أنَّا أحبار يهود وأشرافهم وسادتهم، وإنا إن اتبعناك اتَّبعنا يهود ولم يخالفونا وإن بيننا وبين قومنا خصومة، فنحاكمهم إليك، فتقضى لنا عليهم،

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٣).

ونؤمن بك ونصدِّقك، فأبى ذلك وأنزل الله ـ عز وجلّ ـ فيهم: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ إلى قوله: ﴿ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ . اهـ(١).

•• الناسخ والمنسوخ:

* أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: نسخت من هذه السورة ﴿ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ [المائدة: ٤٢] قال: فكان ـ أى النبى ﷺ ـ مخيَّرًا حتى أنزل الله: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ فأمر رسول الله ﷺ أن يحكم بينهم بما فى كتاب الله. اهـ(٢).

* وقد وافق ابن عباس فى هذا القول كل من:

١ ـ مجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت١٠٤هـ).

٢ ـ وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)(٣).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أى: أعرضوا عن الإيمان والحكم بالقرآن.

* ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾، أى: فاعلم يا محمد ﷺ أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يعجّل لهم العقوبة فى الدنيا ببعض ذنوبهم.

* ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾: قال البغوى فى تفسيره: المراد اليهود(٤).

* ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾:

* أخرج عبد بن حميد عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: هذا فى قتيل اليهود، إن أهل الجاهلية كان يأكل شديدهم ضعيفهم، وعزيزهم ذليلهم. اهـ(٥).

* وأخرج البخارى عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «أبغض الناس إلى الله مبتغ فى الإسلام سنة جاهليّة» اهـ(٦).

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٢٠٠، وللقاضى ص٩٢، وتفسير البغوى (٢/ ٤٣)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥١٣).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥١٤).

(٤) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٣).

(٥ ـ ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥١٤).

* وأخرج أبو الشيخ عن السّدّى (ت ١٢٧هـ) قال: الحكم حكمان: حكم الله، وحكم الجاهلية، ثم تلا هذه الآية: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ إلخ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [رقم: ٥٠]

قرأ ابن عامر: ﴿تبغون﴾ بتاء الخطاب، والمخاطب اليهود، وقد تقدم ذكرهم فى أكثر من آية.

والمعنى: قل لهم يا «محمد» ﷺ: أفحكم الجاهلية تبغون، أى تطلبون.

وقرأ الباقون: ﴿يبغون﴾ بياء الغيبة، وذلك على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة(٢).

قال الطبرى (ت ٣١٠هـ) فى تفسيره: معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾: أيبغى هؤلاء اليهود الذين احتكموا إليك فلم يرضوا بحكمك، وقد حكمت فيهم بالقسط حكم الجاهليّة، يعنى أحكام عبدة الأوثان من أهل الشرك، وعندهم كتاب الله فيه بيان حقيقة الحكم الذى حكمت به فيهم، وإنه الحق الذى لا يجوز خلافه. اهـ(٣).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزول هذه الآية وما بعدها عدد من الأقوال، وقد اخترت السبب التالى حرصًا على عدم الإطناب:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقى فى الدلائل، وابن عساكر عن عبادة بن الوليد: أن عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبد الله ابن سلول

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥١٤).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ١٩)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٤٢)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤١١)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٨٨).

(٣) انظر: تفسير الطبرى (٥/ ٢٧٤).

وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله، وإلى رسوله من حلفهم ـ وكان أحد بنى عوف بن الخزرج ـ وله من حلفهم مثل الذى كان لهم من عبد الله بن أبىّ، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ وقال: أتولّى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ إلى الله ورسوله من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم، وفيه وفى عبد الله بن أبىّ نزلت الآيات فى المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)﴾ [رقم: ٥٦][(١)].

❀ معانى المفردات:

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾.

✵ المعنى: نهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن موالاة اليهود والنصارى، والنهى هنا للوجوب، ثم علّل الله ذلك بقوله:

* ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أى: فى العون والنصرة، ويدهم واحدة على المسلمين.

* ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، وصدق الله إذْ قال: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ قال: هم المنافقون فى مصانعة اليهود، وملاحاتهم، واسترضاعهم أولادهم إياهم.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ قال ـ أى مجاهد ـ: أن تكون الدائرة لليهود بالفتح حينئذ.

---

(١) انظر: أسباب النزول للشيخ القاضى ص٩٣، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥١٥).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ﴾، قال مجاهد: على الناس عامّة.

* ﴿ فَيُصْبِحُوا ﴾ أى: المنافقون.

* ﴿ عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾(١).

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ قال: أناس من المنافقين كانـوا يوادّون اليهود، ويناصحونهم دون المؤمنين، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ﴾ أى: بالقضاء، ﴿ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾(٢).

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى: يقول المؤمنون وقت إظهار الله ـ تعالى ـ نفاق المنافقين:

* ﴿أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أى: حلفوا بالله ـ تعالى ـ.

* ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: أى: حلفوا بأغلظ الأيْمان.

* ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ أى: يقول المؤمنـون تعجبًا من كذبهم وحلفـهم بالباطل، أى: هؤلاء الذين كانوا يحلفون أنهم مـؤمنون فقد هتك الله اليوم سترهم، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ أى: بطل كل خير عملوه بسبب نفاقهم.

* ﴿ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾ أى: خسـروا الدنيا بافـتضاحـهم، وخسـروا الآخرة بالعذاب، وفوات الثواب.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [رقم: ٥٣]

قرأ نافع، وابن كـثير، وابن عامـر، وأبو جعفر ﴿يقـول﴾ بحذف الواو، ورفع اللام، وجه حذف الواو أنه جـواب على سؤال مقدّر تقـديره: ماذا يقول المؤمنون حـينئذ، أى:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥١٦). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥١٧).

حينئذ ترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة.. إلخ.

ووجه رفع اللام أنَّ ﴿يقول﴾ إلخ كلام مستأنف.

وقرأ أبو عمرو، ويعقوب: ﴿ويقول﴾ بإثبات الواو ونصب اللام، وذلك عطفًا على قوله ـ تعالى ـ قبل:

﴿ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ [رقم: ٥٢]

لأن ﴿فيصبحوا﴾ منصوب لأنه معطوف على ﴿أن يأتى﴾.

وقرأ الباقون: ﴿ويقولُ﴾ بـإثبات الواو، ورفع اللام، فالواو لعطف الجمل، ورفع اللام على الاستئناف[١].

•• تنبيه:

كلمة ﴿ويقول﴾ رسمت فى مصاحف الكوفة، والبصرة بإثبات الواو وتمشيًا مع قراءتهم.

ورسمت فى مصاحف أهل المدينة، ومكة، والشام بحذف الواو تمشيًا مع قراءتهم[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) ﴾

سبب النزول:

* أخرج ابن جرير، وعبد بن حميد، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقى فى الدلائل عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ قال: هم الذين قاتلوا أهل الرِّدّة من العرب بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ وأصحابه. اهـ[٣].

* وقد وافق الحسن البصرى فى هذا كل من:

١ - الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ).

٢ - وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)[٤].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٢٠)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٤٢)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤١١).

(٢) قال ابن عاشر: واو يقول للعراقىّ فزد.

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥١٧).

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾:

* أخرج ابن سعد، وابن أبى شيبة فى مسنده، وعبد بن حميد، والحكيم الترمذى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، والطبرانى، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقى فى الدلائل عن عياض الأشعرى قال: لما نزلت ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «هم قوم هذا» وأشار إلى أبى موسى الأشعرى. اهـ(١).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾:

أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) قال: رحماء بينهم.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ قال ابن جريج: أشداء عليهم.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال ابن جريج: يسارعون فى الحرب. اهـ(٢).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾:

* أخرج ابن سعد، وابن أبى شيبة، وأحمد، والطبرانى، والبيهقى فى الشعب عن أبى ذرّ (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: أمرنى رسول الله ﷺ بسبع: «بحبّ المساكين وأن أدنو منهم، وأن لا أنظر إلى من هو فوقى، وأن أصل رحمى وإن جفانى، وأن أكثر من قول: لا حول ولا قوّة إلا بالله فإنها من كنز تحت العرش، وأن أقول الحق وإن كان مرّا، ولا أخاف فى الله لومة لائم، وأن لا أسأل الناس شيئًا» اهـ(٣).

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ [رقم: ٥٤]

قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: ﴿يرتدد﴾ بدالين: الأولى مكسورة، والثانية ساكنة مع فكّ الإدغام، وذلك لأن حكم الفعل المضعّف الثلاثى إذا دخل عليه الجازم جاز فيه الإدغام وفكه، والإدغام لهجة تميم، وفك الإدغام لهجة أهل الحجاز.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥١٨).

وقرأ الباقون: ﴿ يَرْتَدَّ ﴾ بدال واحدة مفتوحة مشدّدة، على الإدغام(١).

●● **تنبيه:** كلمة ﴿يرتد﴾ رسمت فى مصاحف أهل المدينة والشام هكذا ﴿يرتدد﴾ بدالين تمشّيا مع قراءتهم. ورسمت فى بقية المصاحف هكذا ﴿يرتد﴾ بدال واحدة تمشيا مع قراءتهم(٢).

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزولها عدد من الروايات وكلها تدلّ على أنها نزلت فى علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠ هـ - رضى الله عنه) وقد اخترت الرواية التالية طلبًا للاختصار:

* أخرج الطبرانى فى الأوسط، وابن مردويه عن عمّار بن ياسر - رضى الله عنه - قال: وقف بعلىّ - رضى الله عنه - سائل وهو راكع فى صلاة تطوّع، فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول الله ﷺ فأعلمه ذلك، فنزلت على النبى ﷺ هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) ﴾ فقرأ رسول الله ﷺ على أصحابه، ثم قال: «من كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» اهـ(٣).

●● **تنبيه:** سبب نزول هذه الآية يوضح معناها.

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾، أى: من فوّض أمره إلى الله، وامتثل أمر رسوله، ووالى المسلمين، فهو من حزب الله.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٢٠).

(٢) قال ابن عاشر: والمدنيان وشام يرتدد.

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٢٠١، وتفسير القرطبى (٦/ ١٤٣)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥١٩).

وقيل: من يتولى القيام بطاعة الله ـ تعالى ـ ونصرة رسوله، والمؤمنين، فهو من حزب الله.

* ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾، قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): حزب الله: جند الله. اهـ[1].

وقال غيره: حزب الله: أنصار الله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٥٧) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كان رفاعة بن زيد بن التابوت، وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ونافقا، وكان رجال من المسلمين يوادّونهما، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ إلخ. اهـ[2].

معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾، أى: بإظهار ذلك بألسنتهم قولا وهم مستبطنون الكفر.

* ﴿ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾، المراد: اليهود.

* ﴿ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ﴾، أى: لا تتخذوا الكفار نصراء.

* ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

* ومثل هذه الآية قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ﴾ [المائدة: ٥١].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ١٤٤).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٢٠٢، وتفسير البغوى (٢/ ٤٨)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٢١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَالْكُفَّارَ ﴾ [رقم: ٥٧]

قرأ أبو عمرو، والكسائى، ويعقوب: ﴿والكفارِ﴾ بخفض الراء عطفًا على ﴿الذين﴾ المجرور بمن.

وقرأ الباقون بنصب الراء، عطفًا على ﴿الذين﴾ الأول الواقع مفعولا[(١)].

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ (٥٨) ﴾

المعنى:

* أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ قال: كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المنادى ينادى: أشهد أن محمدًا رسول الله، قال: أحرق الله الكاذب، فدخل خادمه ذات ليلة من الليالى بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فأحرقت البيت، واحترق هو وأهله. اهـ[(٢)].

* وقال القرطبى فى تفسيره: إن اليهود كانوا إذا أذّن المؤذن للصلاة تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السّخف والمجون، تجهيلا لأهلها، وتنفيرًا للناس عنها وعن الداعى إليها. اهـ[(٣)].

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) قال: أتى رسول الله ﷺ نفر من يهود فيهم: أبو ياسر بن أحطب، ونافع بن أبى نافع، وغازى بن عمرو، وزيد بن خالد، وإزار بن أبى إزار، وأسقع؛ فسألوه عمّن يؤمن به من الرسل؟

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٢٢)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٤٣)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤١٣).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٨)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٢١).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ١٤٦).

قال: «أؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون»، فلمّا ذكر «عيسى» ـ عليه السلام ـ جحدوا نبوّته وقالوا: لا نؤمن بعيسى، فأنزل الله: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا ﴾ الآية. اهـ(١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا ﴾، أى: تكرهون منّا.

* ﴿ إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾، أى: هل تكرهون منّا إلا إيماننا وفسقكم، أى: إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أنا على حق، لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لحبّ الرياسة والأموال.

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ ﴾، أى: يا «محمد» ﷺ. * ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُم ﴾، أى: أخبركم.

* ﴿ بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ ﴾، أى: الذى ذكرتم، والمراد قولهم: لم نر أهل دين أقلّ حظًا فى الدنيا والآخرة منكم، ولا دينًا شرًا من دينكم.

* ﴿ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ﴾: قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): أى: ثوابًا عند الله ـ تعالى ـ اهـ(٢).

* ﴿ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾، وهم اليهود.

* ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾، أى: مسخهم الله قردة وخنازير.

* أخرج مسلم، وابن مردويه عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهى مما مسخ الله؟ فقال: «إن الله لم يهلك قومًا، أو يمسخ قومًا فيجعل لهم نسلا ولا عاقبة، وإن القردة والخنازير قبل ذلك» اهـ(٣).

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٢٠٣، وتفسير القرطبى (٦/ ١٥١)، وتفسير البغوى (٢/ ٤٨)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٢٢).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٢٢).

* ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾، أى: جعل منهم من عبد الطاغوت، أى: أطاع الشيطان فيما سوّل له.

* ﴿ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ لأن مكانهم النار، أمّا المؤمنين فلا شرّ فى مكانهم، لأنه سيكون الجنة بإذن الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾، أى: عن طريق الحق، وهو الإيمان بالنبى محمد ﷺ وبما جاء به.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ عَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ [رقم: ٦٠]

قرأ حمزة ﴿ وعَبُدَ ﴾ بضم الباء، وفتح الدال، و﴿ الطاغوت ﴾ بجرّ التاء، على أن (عبُد) مثل (كرم) فهو بناء للمبالغة والكثرة، والمراد به واحد وليس بجمع «عَبْد» و«الطاغوت» مجرور بالإضافة، والمعنى: وجعل منهم عبُد الطاغوت، والمراد بالطاغوت: الشيطان.

وقرأ الباقون: ﴿ وعبَد ﴾ بفتح الباء والدال، على أنه فعل ماض، والمعنى: وجعل منهم عبد الطاغوت(١).

﴿ وإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وهُمْ قَدْ خرجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦١) ﴾

المعنى:

* أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا ﴾ الآية، قال: هؤلاء أناس من اليهود، كانوا يدخلون على النبى ﷺ فيخبرونه أنهم مؤمنون راضون بالذى جاء به، وهم متمسكون بضلالتهم والكفر، فكانوا يدخلون بذلك ويخرجون به من عند رسول الله ﷺ(٢).

* وقد وافق قتادة فى هذا المعنى السدّى (ت ١٢٧هـ)(٣).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٢٣)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٤٣)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤١٤)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٩١).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٢٤).

﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (٦٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾، قال ابن زيد: هؤلاء اليهود(١).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): هم الفقهاء والعلماء(٢).

* وقال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): هم العلماء والأحبار(٣).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾، قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: حيث لم ينهوهم عن قولهم الإثم وأكلهم السحت(٤).

* وأخرج ابن أبى حاتم أنّ عليّا (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) أنه قال فى خطبته: أيها الناس إنما هلك من هلك قبلكم بركوبهم المعاصى، ولم ينههم الربانيون والأحبار، فلما تمادوا فى المعاصى، ولم ينههم الربانيون والأحبار، أخذتهم العقوبات، فمُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، فإن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يقطع رزقًا، ولا يقرِّب أجلا. اهـ(٥).

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤) ﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

* أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: نزلت هذه الآية فى فنحاص رأس يهود قينقاع. اهـ(٢).

(١ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٢٤).	(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٢٥).

وقد وافق ابن عباس فى هذا عكرمة مولى ابن عباس(١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾:

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قالوا: إن الله ـ تعالى ـ كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا، وأخصبهم ناحية، فلما عصوا الله فى «محمد» ﷺ وكذبوا به كفّ الله عنهم ما بسط عليهم من السعة، فعند ذلك قال فنحاص ابن عازوراء: يد الله مغلولة، أى: محبوسة ومقبوضة من الرزق، نسبوه إلى البخل، ولما قال فنحاص هذه المقالة، ولم ينهه الآخرون ورضوا بقوله أشركهم الله فيها(٢).

* ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، أى: أمسكت أيديهم عن فعل الخيرات.

* وقال الزجاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): لما قالوا ذلك، أجابهم الله ـ تعالى ـ فقال: أنا الجواد وهم البخلاء، وأيديهم هى المغلولة الممسكة. اهـ(٣).

* ﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾، أصل اللعن: الطرد من رحمة الله ـ تعالى ـ.

* وقال البغوى فى تفسيره: عُذبُوا بما قالوا: فمن لعنهم أنهم مسخوا قردة وخنازير، وضربت عليهم الذلة والمسكنة فى الدنيا وفى الآخرة بالنار(٤).

* ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع، والبصر، والوجه، قال الله ـ تعالى ـ:

* ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٦].

* وقد قال النبى ﷺ: «كلتا يديه يمين»(٥).

وأقول: الله أعلم بصفاته، فعلى المسلمين الإيمان بها والتسليم بدون تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل لأنه ليس كمثله شىء.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى(٢/ ٥٢٥).

(٢ : ٤) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٥٠).

(٥) رواه الإمام مسلم فى صحيحه فى كتاب الإمارة ص١٨، انظر: تفسير البغوى (٢/ ٥٠).

* ﴿ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ أي: يرزق كما يريد. قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧) ﴾ [الشورى: ٢٧]

* ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾:

* أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ) قال: حملهم حسد نبينا «محمد» ﷺ، والعرب على أن تركوا القرآن، وكفروا بنبينا «محمد» ﷺ ودينه، وهم يجدونه عندهم مكتوبًا[١].

* ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾:

* قال مجاهد بن جبر المفسِّر (ت ١٠٤هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قالا: ألقى الله بين اليهود والنصارى العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة. اهـ[٢].

وقيل: ألقى الله بين طوائف اليهود العداوة والبغضاء بأن جعلهم مختلفين في دينهم متباغضين.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾: قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ): أولئك أعداء الله اليهود، كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله، فلن تلقى اليهود ببلد إلا وجدتهم من أذلّة أهله، لقد جاء الإسلام حين جاء وهم تحت أيدي المجوس، وهم أبغض خلق الله. اهـ[٣].

* وقال السّدى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ): كلما أجمعوا أمرهم على شيء فرقه الله، وأطفأ نارهم، وقذف فى قلوبهم الرعب. اهـ[٤].

* ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) ﴾

* المعنى:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾: قال قتادة: آمنوا بما أنزل الله ـ أى على نبينا «محمد» ﷺ ـ واتقوا ما حرَّم الله ـ تعالى ـ[٥].

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٢٦).
(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٥٠).
(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٢٦).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٢٧).

* ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦)﴾

المعنى:

* أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد بن جبر المكى المفسر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ الآية قال: أمّا إقامتهم التوراة والإنجيل فالعمل بهما. وأمّا ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ فمحمد ﷺ، وما أنزل عليه، وأمّا ﴿لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ﴾ فأرسلت عليهم مطرًا، وأمّا ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ يقول أى الله ـ تعالى ـ: لأنبت لهم من الأرض من رزقى ما يغنيهم، وأمّا ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ هم مسلمة أهل الكتاب. اهـ(١).

* وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ يقول الله ـ تعالى ـ: لأعطتهم السماء بركاتها، والأرض نباتها، وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ أى: على كتاب الله قد آمنوا، ثم ذمَّ أكثر القوم فقال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾. اهـ(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)﴾

معانى المفردات:

* أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قال: لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ قال ـ أى النبى ﷺ ـ: «يا رب إنما أنا واحد كيف أصنع ليجتمع علىّ الناس؟» فنزلت: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ اهـ(٣).

* وأخرج ابن أبى حاتم عن عنترة أنه قال: لعلىٍّ ـ رضى الله عنه ـ: هل عندكم شىء لم يبده رسول الله ﷺ للناس؟ فقال: ألم تعلم أن الله قال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ والله ما ورّثنا رسول الله ﷺ سوداء فى بيضاء. اهـ(٤).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٢٧). (٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٢٨).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾: أخرج ابن مردويه، والضياء فى المختارة عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: سئل رسول الله ﷺ أىّ آية أنزلت من السماء أشدُّ عليك؟ فقال: «كنت بمنى أيام موسم واجتمع مشركو العرب وأفناء الناس فى الموسم فنزل علىَّ جبريل فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ قال: فقمت عند العقبة فناديت: يا أيها الناس من ينصرنى على أن أبلغ رسالة ربى ولكم الجنة؟ أيها الناس قولوا لا إله إلا الله، وأنا رسول الله إليكم، تنجحوا ولكم الجنة».

قال ـ أى النبى ﷺ ـ: «فما بقى رجل ولا امرأة ولا صبىّ إلا يرمون علىَّ بالتراب والحجارة، ويبصقون فى وجهى ويقولون: كذّاب صابئ، فعرض علىَّ عارض فقال: يا «محمد» إن كنت رسول الله فقد آن لك أن تدعو عليهم كما دعا «نوح» على قومه بالهلاك، فقال النبى ﷺ: «اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون، وانصرنى عليهم أن يجيبونى إلى طاعتك» فجاء العباس عمُّه فأنقذه منهم وطردهم عنه. اهـ(١).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾:

* أخرج عبد بن حميد، والترمذى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم، وأبو نعيم، والبيهقى كلاهما فى الدلائل، وابن مردويه عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) قالت: كان النبى ﷺ يحرس حتى نزلت ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فأخرج رأسه من القبة، فقال: «أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله» اهـ(٢).

* وأخرج الطبرانى، وأبو الشيخ، وأبو نعيم فى الدلائل، وابن مردويه، وابن عساكر عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كان النبى ﷺ يُحرس، وكان يرسل معه عمُّه أبو طالب كل يوم رجلا من بنى هاشم يحرسونه، فقال: «يا عمُّ إن الله قد عصمنى لا حاجة لى إلى من تبعث» اهـ(٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [رقم: ٦٧]

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٢٨). (٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٢٩).

قرأ نافع، وابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ رسالاته ﴾ بإثبات ألف بعد اللام مع كسر التاء، على الجمع، وذلك أنه لما كان الرسل يأتى كل واحد منهم بضروب مختلفة من الشرائع المرسلة معهم، حسن الجمع ليدلّ على ذلك، إذ ليس ما جاءوا به رسالة واحدة، فحسن الجمع لمّا اختلفت الأجناس.

وقرأ الباقون: ﴿ رسالته ﴾ بحذف الألف، ونصب التاء على الإفراد، وذلك لأن الرسالة مع انفراد لفظها تدلّ على ما يدلّ عليه لفظ الجمع، مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، والنعم كثيرة، والمعدود لا يكون إلا كثيراً(١).

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: جاء رافع بن حارثة، وسلام بن مشكم، ومالك بن الصيف، ورافع بن حرملة فقالوا: يا «محمد» ألست تزعم أنك على ملة «إبراهيم» ودينه، وتؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها حقّ من الله؟

فقال النبى ﷺ: «بلى، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق: كتمتم منها ما أمرتم أن تبينوا للناس فبرئتُ من أحداثكم».

قالوا: فإنا نأخذ مما فى أيدينا فإنا على الهدى والحق، ولا نؤمن بك ولا نتبعك، فأنزل الله فيهم: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية. اهـ(٢).

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٢٤)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٤٣)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤١٥)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٩٣).

(٢) انظر: أسباب النزول للشيخ القاضى ص٩٥، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٣١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ ﴾، أى: لستم على شىء من الدين حتى تعلموا بما فى الكتابين: التوراة، والقرآن، من الإيمان بالنبى «محمد» ﷺ، وتعملوا بما يوجبه ذلك منهما.

* ﴿ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وما أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾، أى: تقيموا أحكامهما، وما يجب عليكم فيهما.

* ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾، الطغيان: تجاوز الحدّ فى الظلم، والغلوّ فيه. أى: يتجاوزون الحدّ فى الخروج عن الحق، وهذا هو الكفر.

* ﴿ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ أى: لا تحزن عليهم يا «محمد» فهم قوم كافرون، وهذا الأسلوب فيه تسلية من الله ـ تعالى ـ لنبيه وحبيبه «محمد» ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

وله نظائر فى القرآن منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) ﴾ [الكهف: ٦].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ الآية:

* جاء فى تفسير القرطبى: قال الخليل بن أحمد الفراهيدى (ت ١٧٠هـ)، وسيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ): الرفع ـ أى فى والصابئون ـ محمول على التقديم والتأخير، والتقدير: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصابئون والنصارى كذلك. اهـ[1].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ١٥٩).

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ على التوحيد، والإيمان بالأنبياء.

* ﴿ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً ﴾ فنقضوا العهود والمواثيق.

* ﴿ كُلَّمَا جَاءَهُمْ﴾ أى: اليهود. * ﴿رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ﴾، أى: لا يوافق هواهم.

* ﴿ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾، أى: كذبوا فريقا، وقتلوا فريقًا: فممن كذبوه نبى الله «عيسى» ـ عليه السلام ـ، ونبينا «محمد» ﷺ.

وممن قتلوه «زكريا»، «ويحيى» وغيرهما من الأنبياء.

﴿ وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَحَسِبُوا ﴾ أى: ظن اليهود.

* ﴿أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أى: ظن هؤلاء اليهود الذين أخذ الله عليهم الميثاق أنه لا يقع من الله ـ عز وجل ـ ابتلاء واختبار بالشدائد، وسبب اغترارهم قولهم: ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة: ١٨].

* ﴿ فَعَمُوا ﴾، أى: عن الحق والهدى فلم يبصروه.

* ﴿ وَصَمُّوا ﴾، أى: عن سماع الحق، لأنهم لم ينتفعوا بما رأوه، ولا سمعوه.

* ﴿ ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾: وفى الكلام إضمار تقديره: أوقعت بهم الفتنة فتابوا فتاب الله عليهم.

* ﴿ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ وذلك بكفرهم بالنبى «محمد» ﷺ.

* ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ لأنه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [رقم: ٧١]

قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ تكونُ ﴾ برفع النون، على أنّ «أنْ» مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف، أى أنه، و﴿ لا ﴾ نافية و﴿ تكونُ ﴾ تامَّة تكتفى بمرفوعها، و﴿ فتنة ﴾ فاعلها، والجملة خبر «أنْ» وهى مفسرة لضمير الشأن، و﴿ حسب ﴾ حينئذ لليقين لا للشك، لأنَّ ﴿ أنْ ﴾ المخففة من الثقيلة لا تقع إلا بعد اليقين.

والمعنى: لقد بالغ بنو إسرائيل فى كفرهم وعنادهم بألوان شتّى مختلفة، منها: أنهم تيقنوا أن لا تحدث، ولا تقع فتنة فعموا عن رؤية الحقيقة، وصمّت آذانهم عن قبول نصيحة أنبيائهم.

وقرأ الباقون: ﴿ تكونَ ﴾ بنصب النون، على أنّ ﴿ أنْ ﴾ حرف مصدرى ونصب، دخلت على فعل منفىّ بلا، و﴿ حسب ﴾ حينئذ على بابها للظنّ، لأنّ ﴿ أنْ ﴾ الناصبة لا تقع إلا بعد الظنّ، و﴿ تكون ﴾ تامّة أيضًا و﴿ فتنة ﴾ فاعلها.

والمعنى: شك هؤلاء اليهود ألا تحدث فتنة فعموا وصمّوا(١).

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾: وهذا قول اليعقوبية، فردّ الله ذلك بحجة قاطعة فقال:

* ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾.

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٢٥)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٤٤)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤١٦)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٩٣).

* **المعنى:** إذا كان المسيح ـ عليه السلام ـ يقول: يا ربّ ويا الله فكيف يدعو نفسه أو كيف يسألها؟ مما لا ريب فيه هذا محال، وصدق الله إذْ قال: ﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢)﴾ [النساء: ١٧٢].

* ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾:

* قيل: هذا من قول نبى الله «عيسى» ـ عليه السلام ـ.

* وقيل: هو ابتداء كلام من الله ـ تعالى ـ.

والإشراك بالله ـ تعالى ـ: هو أن يعتقد الإنسان مع الله ـ تعالى ـ موجدًا، أو أن يشرك مع الله ـ عز وجل ـ غيره سواء كان مَلَكا، أو إنسانًا، أو شمسًا، أو قمرًا، أو حجرًا أو غير ذلك.

* ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾: لأن النصر إنما يكون من عند الله ـ تعالى ـ، والظالمون محرومون من نصر الله.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤)﴾

معانى المفردات:

* ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾: قال القرطبى فى تفسيره: وهذا قول فِرَق النصارى من المَلْكيّة، والنُّسْطوريّة، واليعقوبية[1].

* وقال البغوى فى تفسيره: وهو قول «المرقسيّة» وفيه إضمار معناه: ثالث ثلاثة الآلهة، لأنهم يقولون: الإلهيّة مشتركة بين: الله ـ تعالى ـ، ومريم، وعيسى، وكل واحد من هؤلاء إله، فهم ثلاثة آلهة، يبيّن هذا قوله ـ عزّ وجل ـ للمسيح ـ عليه السلام ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾؟ [المائدة: ١١٦][2].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ١٦١).
(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٥٤).

وقد ردّ الله عليهم قولهم هذا الباطل فقال:

* ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾، أى: أن الإله لا يتعدد.

* وصدق الله إذ قال: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

* ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾:

* **المعنى:** إن لم يكفوا عن القول بالتثليث ليصيبنّهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة.

* ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾:

* قال أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ): هذا أمر بلفظ الاستفهام ـ أى الإنكارى ـ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١]، أى: انتهوا، والمعنى: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يأمركم بالتوبة والاستغفار من هذا الذنب العظيم: وهو القول بالتثليث، والله غفور رحيم.

وصدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨) ﴾ [النساء: ٤٨].

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾:

* **المعنى:** ما المسيح وإن ظهرت الآيات على يديه فإنها كانت بإذن الله ـ تعالى ـ وإرادته، يوضح ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٤٩] إذًا فالمسيح ليس بإله، بل هو كسائر الرسل، ولم يكونوا آلهة.

* ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ أى: كثيرة الصدق.

وقيل: سميت صدِّيقة لأنها صدَّقت بآيات الله، كما قال ـ عزّ وجل ـ في وصفها: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢) ﴾ [التحريم: ١٢].

* ﴿ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ ﴾، أي: كان كل من «عيسى» وأمّه يعيش على الطعام كسائر الآدميين.

إذًا كيف يكون إلها من لا يقيمه إلا أكل الطعام؟ وهذا كناية عن الحدث، وذلك أن من أكل وشرب لا بدّ له من البول والغائط، ومن كانت هذه صفته كيف يكون إلها؟

* ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ﴾، أي: الدلالات على وحدانيتنا.

* ﴿ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾، أي: كيف يصرفون عن الحق بعد هذا البيان؟ يقال: أفكه يأفكُه: إذا صرفه.

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا ﴾:

✳ **المعنى:** هذا زيادة في البيان، وإقامة الحجة على اليهود، أي: أنتم مقرون أيها اليهود أن «عيسى» كان جنينا في بطن أمّه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرّا، وإذْ قد أقررتم أن «عيسى» كان في حال من الأحوال لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم ولا ينفع ولا يضر، فكيف اتخذتموه إلها؟

* ﴿ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾، أي: لم يزل الله سميعًا عليمًا لا يخفى عليه شيء، وصدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ (٥) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦) ﴾ [آل عمران: ٥ ـ ٦].

ومن كانت هذه صفاته فهو الإله على الحقيقة لا ريب في ذلك، وصدق الله إذ قال في وصف نفسه: ﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ

أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢) ﴾ [الشورى: ١١ ـ ١٢].

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾، أي: لا تتجاوزوا الحدّ، ولا تفرطوا كما أفرطت اليهود والنصارى، قال الله ـ تعالى ـ مخبراً عن غلوهما: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠].

* ﴿ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ ﴾، الأهواء: جمع هوى، وهو ما تدعو إليه شهوة النفس، وسمِّي الهوى هوًى لأنه يهوى بصاحبه فى النار.

* ﴿ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ ﴾، المراد: رؤساء الضلالة من فريقى اليهود والنصارى، والخطاب للذين كانوا فى عصر النبيّ ﷺ، نهوا عن اتباع أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم.

* ﴿ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ أى: أضلوا كثيراً من الناس ممن اتبعهم على أهوائهم.

* ﴿ وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾، أي: عن قصد طريق نبينا «محمد» ﷺ، وتكرير ضلوا على معنى أنهم ضلوا من قبل وأضلّوا من بعد. والضلال الأول من الضلالة.

والإضلال الثانى: بإضلال من اتبعهم.

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) ﴾

المعنى:

* أخرج عبد بن حُمَيْد، وأبو الشيخ، والطبرانى، وابن مردويه عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بنى إسرائيل لما عملوا الخطيئة نهاهم علماؤهم تعزيراً، ثم جالسوهم وآكلوهم وشاربوهم كأن لم يعملوا بالأمس خطيئة، فلما رأى الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض، ولعنهم على لسان نبيّ من

الأنبياء»، ثم قال رسول الله ﷺ: «والله لتأمرنّ بالمعروف، ولتنهنّ عن المنكر، ولتأطرنهم على الحق أطرا، أو ليضربنّ الله بقلوب بعضكم على بعض، وليلعنكم كما لعنهم» اهـ[١].

* وأخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ عن قتادة بن دعامة السدوسى فى الآية قال: لعنهم الله على لسان داود فجعلهم قردة خاسئين، ولعنهم فى الإنجيل على لسان عيسى فجعلهم خنازير. اهـ[٢].

* وأخرج أحمد، والترمذى وحسنه والبيهقى عن حذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ - رضى الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال: «والذى نفسى بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر أو ليوشكنّ أن يبعث الله عليكم عقابًا من عنده، ثم لتدعنّه فلا يستجيب لكم» اهـ[٣].

﴿ ترىٰ كَثيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذين كَفرُوا لَبِئْس مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خالِدُونَ (٨٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ تَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ ﴾: اختلف المفسرون فى المراد بالضمير فى ﴿ منهم ﴾ على قولين:

* الأول: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قالوا: ﴿ منهم ﴾، أى: من المنافقين يتولون اليهود.

والثانى: قيل: من اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه، ﴿ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾: من مشركى العرب[٤].

﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾، أى: بئس ما قدّموا من العمل لمعادهم فى الآخرة.

* ﴿ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾، أى: غضب الله عليهم. و﴿ أَن ﴾ فى موضع رفع على إضمار مبتدأ، كقولك: بئس رجلا زيد. * ﴿ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٣٣).
(٢ - ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٣٥).
(٤) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٥٦).

﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾:

✱ **المعنى:** هذه الآية تدلّ على أن من اتخذ كافراً وليّا فليس بمؤمن إذا اعتقد ما يعتقده.

* ﴿ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾، أى: خارجون عن الإيمان بنبيهم لتحريفهم ما أنزله الله إليه من الكتب المقدّسة. أو خارجون عن الإيمان بنبينا «محمد» ﷺ لنفاقهم، وصدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) ﴾ [النساء: ١٤٥].

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾:

* أخرج النسائى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والطبرانى، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن عبد الله بن الزبير (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: نزلت هذه الآية فى النجاشىّ وأصحابه. اهـ[1].

* وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كان رسول الله ﷺ وهو بمكة يخاف على أصحابه من المشركين، فبعث جعفر بن أبى طالب، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون فى رهط من أصحابه إلى النجاشىّ ملك الحبشة، فلما بلغ المشركين ذلك بعثوا عمراً بن العاص فى رهط منهم.

روى أنهم سبقوا أصحاب النبى ﷺ إلى النجاشىّ فقالوا: أيها الملك إنه قد خرج فينا رجل سفّه عقول قريش وأحلامها، زعم أنه نبىّ، وأنه بعث إليك رهطا ليفسدوا عليك قومك، فأحببنا أن نأتيك ونخبرك خبرهم.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٣٧).

قال ـ أى النجاشى ـ رحمه الله ـ تعالى ـ: إن جاءونى نظرتُ فيما يقولون.

فلما قدم أصحاب رسول الله ﷺ أتوا إلى باب «النجاشى» فقالوا: استأذن لأولياء الله؟ فقال ـ أى النجاشى ـ: ائذن لهم فمرحبًا بأولياء الله، فلمّا دخلوا عليه سلموا، فقال الرهط من المشركين: ألم تر أيها الملك أنا صدقناك، وأنهم لم يحيوكِ بتحيتك التى تحيّى بها؟

فقال لهم: ما يمنعكم من أن تحيونى بتحيَّتى؟

قالوا: إنَّا حييناك بتحيّة أهل الجنة تحية الملائكة.

فقال لهم: ما يقول صاحبكم فى «عيسى ابن مريم» وأمّه؟

قالوا: يقول: عبد الله ورسوله، وكلمة من الله، وروح منه ألقاها إلى مريم، ويقول فى «مريم»: إنها العذراء الطيبة البتول.

قال: فأخذ ـ أى النجاشىّ ـ عودًا من الأرض فقال: ما زاد «عيسى وأمّه» على ما قال صاحبكم هذا العود.

فكره المشركون قوله وتغير لون وجوههم.

فقال ـ أى النجاشىّ ـ: هل تقرأون شيئًا مما أنزل عليكم؟

قالوا: نعم، قال: فاقرأوا وحوله القسيسون والرهبان، وسائر النصارى، فجعلت طائفة من القسيسين والرهبان كلما قرأوا آية انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحقّ.

قال الله: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ اهـ[١].

* ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ﴾:

* أخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى الآية قال: هم أناس من أهل الكتاب، كانوا على شريعة من الحق مما جاء به «عيسى» ـ عليه السلام ـ يؤمنون به وينتهون إليه، فلما بعث الله «محمدًا» ﷺ صدّقوه وآمنوا به وعرفوا ما جاء به من الحق أنه من الله، فأثنى عليهم بما تسمعون[٢].

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٣٩).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ ﴾: قال قطرب محمد بن المستنير (ت ٢٠٦هـ): القسّ والقسِّيسين: العالم بلغة الروم. اهـ[1].

* ﴿ وَرُهْبَانًا ﴾: الرهبان العبّاد أصحاب الصوامع، واحدهم: راهب، مثل: فارس وفرسان، وراكب وركبان.

* ﴿ وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾، أى: لا يتعاظمون عن الإيمان، والإذعان للحق.

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ ﴾، المراد به نبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ ﴾، أى: تسيل. * ﴿ مِنَ الدَّمْعِ ﴾، أى: بالدمع.

* ﴿ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾، قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) المراد: النجاشىّ، وأصحابه، قرأ عليهم جعفر بن أبى طالب ﴿ كهيعص (١) ﴾ [مريم: ١] فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من قراءته[2].

* ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ قال: أمّة «محمد» ﷺ، وفى لفظ قال: يعنون بالشاهدين: «محمداً» ﷺ وأمته، أنهم قد شهدوا له أنه قد بلّغ، وشهدوا للمرسلين أنهم قد بلغوا. اهـ[3].

﴿ وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ ﴾: وذلك أن اليهود عيَّروهم وقالوا لهم: لم آمنتم؟ فأجابوهم بهذا.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٣٩).
(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٥٨).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٤٣).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾:

* أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم عن ابن زيد قال: القوم الصالحون: رسول الله ﷺ وأصحابه(١).

﴿ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ أَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾:

المعنى: أعطاهم الله ـ تعالى ـ على إخلاص إيمانهم وصدق مقالهم: ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾.

* ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾، أى: المؤمنين الموحدين.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من اليهود، والنصارى، ومن المشركين.

* ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾: والجحيم: النار الشديدة الانقياد. يقال: جحَم فلان النار: إذا شدّد إيقادها.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزولها عدد من الأقوال، وقد اخترت السبب التالى حرصًا على عدم الإطناب:

* قال البغوى فى تفسيره: قال أهل التفسير: ذكّر النبى ﷺ الناس يومًا ووصف القيامة فرقّ له الناس وبكوا، فاجتمع عشرة من أصحابه فى بيت عثمان بن مظعون

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٤٣).

الجمحيّ وهم: أبو بكر الصديق، وعلى بن أبى طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله ابن عمر، وأبو ذرّ الغفاريّ، وسالم مولى أبى حذيفة، والمقداد بن الأسود، وسلمان الفارسيّ، ومعقل بن مقرن، وعثمان بن مظعون ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ وتشاوروا واتفقوا على أن يترهبوا، ويلبسوا المسوح، ويجبُّوا مذاكيرهم، ويصوموا الدهر، ويقوموا الليل، ولا يناموا على الفرش، ولا يأكلوا اللحم و الودك، ولا يقربوا النساء والطيب، ويسيحوا فى الأرض.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه، فقال لامرأته: أم حكيم بنت أبى أميّة، واسمها: الخولاء: «أحقّ ما بلغنى عن زوجُك وأصحابه؟» فكرهت أن تكذب رسول الله ﷺ وكرهت أن تبدى على زوجها، فقالت: يا رسول الله إن كان أخبرك عثمان فقد صدق.

فانصرف رسول الله ﷺ، فلمّا دخل عثمان أخبرته بذلك، فأتى رسول الله ﷺ هو وأصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا؟». قالوا: بلى يا رسول الله، وما أردنا إلا الخير. فقال ﷺ: «إنى لم أؤمر بذلك»، ثم قال: «إن لأنفسكم عليكم حقّا فصوموا وأفطروا، وقوموا وناموا، فإنى أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآكل اللحم والدّسم، وآتى النساء، فمن رغب عن سنّتى فليس منى».

ثم جمع الناس وخطبهم فقال: «ما بال أقوام حرّموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات النساء؟ أما إنى فلستُ آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانًا، فإنه ليس فى دينى ترك اللحم والنساء، ولا اتخاذ الصوامع، وإنّ سياحة أمّتى الصوم، ورهبانيتهم الجهاد، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وحجّوا واعتمروا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، واستقيموا ليستقيم لكم، فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد، شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم، فأولئك بقاياهم فى الدير والصوامع، فأنزل الله ـ عزّ وجل ـ هذه الآية. اهـ[١].

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٥٨ ـ ٥٩).

❀ معاني المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾، المراد: اللذات التي تشتهيها النفوس، مما أحلّ الله من المطاعم الطيبة، والمشارب اللذيذة، وغير ذلك من كل ما أحلّه الله ـ عزّ وجلّ ـ.

* ﴿ وَلا تَعْتَدُوا ﴾، أي: لا تجاوزوا الحلال إلى الحرام.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾، أي: يغضب عليهم، ويعاقبهم بسبب اعتدائهم ومخالفتهم أوامر الله ـ تعالى ـ.

﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨) ﴾

✵ **المعنى:** قال عبد الله بن المبارك بن واضح (ت ١٨١هـ): الحلال: ما أخذته من وجهه، والطيب: ما غذّى وأنمى[١].

﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩) ﴾

❁ سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن جرير عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) قال: لما نزلت: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المائدة: ٨٧] في القوم الذين كانوا حرَّموا النساء، واللحم على أنفسهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ فأنزل الله: ﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ اهـ[٢].

❀ معاني المفردات:

* في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾:

* أخرج عبد بن حميد عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قال: هما الرجلان يتبايعان يقول أحدهما: والله لا أبيعك بكذا، ويقول الآخر: والله لا أشتريه بكذا. اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٥٩). (٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٥٥١).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ ﴾:

* أخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: ما تعمدت فيه المآثم فعليك فيه الكفارة. اهـ(١).

* وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو الشيخ عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ ﴾، قال: الرجل يحلف على الشىء وهو يعلمه. اهـ(٢).

* وأخرج أبو الشيخ عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) قالت: إنما اللغو فى المراء، والهزل، والمزاحة فى الحديث الذى لا يعقد عليه القلب.

وإنما الكفارة فى كل يمين حلف عليها فى جدٍّ من الأمر فى غضب أو غيره ليفعلنَّ أو ليتركنَّ، فذاك عقد الأيمان الذى فرض الله فيه الكفارة. اهـ(٣).

* وفى قوله ـ تعالى: ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ ﴾:

* أخرج ابن ماجه، وابن مردويه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كفّر رسول الله ﷺ بصاع من تمر، وأمر الناس به، ومن لم يجد فنصف صاع من برٍّ. اهـ(٤).

* وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما): أن رسول الله ﷺ كان يقيم كفارة اليمين مدًا من حنطة بمدّ الأول. اهـ(٥).

* وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ ﴾ قال: يغذيهم أو يعشيهم إن شئت خبزًا ولحمًا، أو خبزًا وزيتًا، أو خبزًا وسمنًا، أو خبزًا وتمرًا. اهـ(٦).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾:

* أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبى حاتم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: من عسركم ويسركم(٧).

* وفى رواية عنه: ليس بأرفعه ولا أدناه. اهـ(٨).

(١ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٥٢). (٦ : ٨) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٥٣).

* وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن ابن عمر (ت ٧٣هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ قال: من أوسط ما نطعم أهلينا الخبز والتمر، والخبز والزيت، والخبز والسمن، ومن أفضل ما نطعمهم الخبز واللحم. اهـ[١].

* وفى قوله - تعالى -: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾:

* أخرج الطبرانى، وابن مردويه عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ - رضى الله عنها) عن النبى ﷺ قال: «عباءة لكل مسكين» اهـ[٢].

* وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وأبو الشيخ، عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال: أدناه ثوب، وأعلاه ما شئت. اهـ[٣].

* وفى قوله - تعالى -: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾:

* أخرج ابن أبى شيبة، وأبو الشيخ عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قال: لا يجزئ الأعمى، ولا المقعد فى الرقبة. اهـ[٤].

* وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) قال: لما نزلت آية الكفارات قال حذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ): يا رسول الله نحن بالخيار؟

قال: «أنت بالخيار: إن شئتَ أعتقتَ، وإن شئتَ كسوتَ، وإن شئتَ أطعمت، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات. اهـ[٥].

* وفى قوله - تعالى -: ﴿ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾:

* أخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قال: «ذلك» أى: الذى ذكر من الكفارة هو كفارة أيمانكم إذا حلفتم، والمراد: اليمين العمد[٦].

* وفى قوله - تعالى -: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾:

* قال سعيد بن جبير المراد: لا تعمدوا الأيمان الكاذبة[٧].

* ﴿كَذَلِكَ﴾ أى: هكذا. * ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾: أى: ما ذكر من الكفارة.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٥٣).
(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٥٤).
(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٥٥).
(٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٥٦).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ قال سعيد بن جبير: فمن صام من كفارة اليمين يومًا أو يومين، ثم وجد ما يطعم فليطعم، وليجعل صومه تطوّعا اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ ﴾ [رقم: ٨٩]

قرأ شعبة، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ عقدتم ﴾ على وزن «قتلتم» وذلك على أصل الفعل.

وقرأ ابن ذكوان «عاقدتم» على وزن «قاتلتم» على أن المراد به المرة الواحدة من العقد فيكون بمعنى «عقدتم». وحينئذ تكون المفاعلة ليست على بابها فتتحد مع القراءة السابقة.

وقرأ الباقون: ﴿ عقّدتم ﴾ بحذف الألف، وتشديد القاف، وذلك للتكثير على معنى: عقد بعد عقد(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (٩٢) لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣) ﴾

سبب نزول هذه الآيات:

ورد فى سبب نزول هذه الآيات عدد من الروايات وقد اخترت الرواية التالية طلبًا للاختصار:

* أخرج أحمد عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: حرمت الخمر ثلاث مرات:

قدم رسول الله ﷺ ـ أى المدينة ـ وهم يشربون الخمر، ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله ﷺ عنهما؟ فأنزل الله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ الآية [البقرة: ٢١٩]

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٥٦).
(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٢٥ ـ ٢٦)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٤٤)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ١٤٧)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٩٥).

فقال الناس ما حرّم علينا، وإنما قال ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوم من الأيام صلّى رجل من المهاجرين وأمّ أصحابه فى المغرب، خلط فى قراءته، فأنزل الله أغلظ منها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

وكان الناس يشربون حتى يأتى أحدهم الصلاة وهو مغتبق ثم نزلت آية أغلظ من ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [رقم: ٩١]. فقالوا: انتهينا ربنا.

فقال الناس: يا رسول الله ناس قتلوا فى سبيل الله، وماتوا على فرشهم كانوا يشربون الخمر، ويأكلون الميسر، وقد جعله الله رجسًا من عمل الشيطان؟ فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾ إلى آخر الآية.

وقال النبى ﷺ: «لو حرم عليهم لتركوه كما تركتم» اهـ(١).

* وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ وابن مردويه والنحاس فى ناسخه عن سعد بن أبى وقاص (ت ٥١هـ ـ رضى الله عنه) قال: فيَّ نزل تحريم الخمر، صنع رجل من الأنصار طعامًا، فدعانا فأتاه ناس، فأكلوا وشربوا حتى انتشوا من الخمر، وذلك قبل أن تحرم الخمر، فتفاخروا: فقالت الأنصار: الأنصار خير، وقالت قريش: قريش خير. فأهوى رجل بلحى جزور فضرب على أنفى ففزره، فكان سعد مفزور الأنف، قال: فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فنزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ الآية. اهـ(٢).

* وأخرج عبد بن حميد، وأبو يعلى، وابن المنذر، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: كنت ساقى القوم فى منزل أبى طلحة فنزل تحريم الخمر، فنادى مناد، فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصوت؟ فخرجت فقلت: هذا مناد ينادى: ألا إن الخمر قد حرِّمت، فقال لى: اذهب فأهرقها. قال: فجرت فى سكك المدينة، قال: وكانت خمرهم يومئذ الفضيخ البسر والتمر.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٥٦ ـ ٥٥٧).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٥٧).

فقال بعض القوم: قتل قوم وهي في بطونهم، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ الآية(١).

* وأخرج مسلم، والبيهقي عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضي الله عنهما) أن رجلا قدم من اليمن، فسأل النبي ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر؟ فقال النبي ﷺ: «أوَيسكر هو؟» قالوا: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «كل مسكر حرام، إن الله عهد لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال»، قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: «عَرَق أهل النار، أو عصارة أهل النار» اهـ(٢).

* ومن يقرأ السنة المطهرة يجد الكثير من الأحاديث الصّحيحة التي تبين تحريم الخمر، وأن الله لعن كل من له صلة بشرب الخمر، وقد اقتبست من ذلك الأحاديث التالية لأهمية هذا الأمر:

* أولا: أخرج ابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لعن الخمر، ولعن غارسها، ولعن شاربها، ولعن عاصرها، ولعن مؤويها، ولعن مديرها، ولعن ساقيها، ولعن حاملها، ولعن آكل ثمنها، ولعن بائعها» اهـ(٣).

* ثانيًا: أخرج الحاكم وصححه عن أبي موسى الأشعري، أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع الرحم، ومصدِّق بالسحر، ومن مات مدمن الخمر سقاه الله من نهر الغوطة»، قيل: وما نهر الغوطة؟ قال: «نهر يخرج من فروج المومسات يؤذي أهل النار ريح فروجهن» اهـ(٤).

* ثالثًا: أخرج عبد الرزاق عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو مدمن خمر لقي الله وهو كعابد وثن» اهـ(٥).

* رابعًا: أخرج ابن أبي الدنيا، والبيهقي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «من شرب شرابًا يذهب بعقله فقد أتى بابًا من أبواب الكبائر» اهـ(٦).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٥٦٧).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٥٦٨ ـ ٥٦٩).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٥٦٨).
(٤ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٥٧٠).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْمَيْسِرِ ﴾:

* أخرج ابن أبى حاتم عن يزيد بن شريح: أن النبى ﷺ قال: «ثلاث من الميسر: الصفير بالحمام، والقمار، والضرب بالكعاب» اهـ(١).

* وأخرج ابن المنذر عن محمد بن كعب القرظى فى (الميسر) قال: كانوا يشترون الجزور فيجعلونه أجزاء، ثم يأخذون القداح فيلقونها، وينادى: يا ياسر الجزور يا ياسر الجزور، فمن خرج قدحه أخذ جزءًا بغير شىء، ومن لم يخرج قدحه غرم ولم يأخذ شيئًا. اهـ(٢).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ ﴾:

* أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: الأنصاب: حجارة كانوا يذبحون لها.

والأزلام: قداح كانوا يقتسمون بها الأمور(٣).

* وأخرج أبو الشيخ عن سلمة بن وهرام قال: سألت طاوس بن كيسان أبا عبد الرحمن اليمنى (ت ١٠٦هـ) عن الأزلام؟ فقال: كانوا فى الجاهلية لهم قداح يضربون بها: قدح معلّم يتطيرون منه، فإذا ضربوا بها حين يريد أحدهم الحاجة فخرج ذلك القدح لم يخرج لحاجته، وإن خرج غيره خرج لحاجته(٤).

* وأخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ من طريق سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ رِجْسٌ ﴾ قال: إثم. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾، قال: من تزيين الشيطان. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾، قال: حين شجّ الأنصارى رأس سعد بن أبى وقّاص. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾، قال: فهذا وعيد التحريم. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٦٥).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٦٦).

الرَّسُولَ﴾، قال: المراد فى تحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾، أى: أعرضتم عن طاعتهما. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا﴾. قال ـ أى سعيد بن جبير ـ: المراد نبينا «محمد» ﷺ. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾، قال: المراد أن يبين تحريم ذلك. اهـ(١).

* ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾، أى: أكلوا من مال الميسر، وشربوا من الخمر.

* ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا﴾، أى: الشرك بالله ـ تعالى ـ.

* ﴿وَّآمَنُوا﴾، أى: صدقوا بنبوة نبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا﴾، أى: الخمر والميسر بعد تحريمهما.

* ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾:

* أخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل بن حيّان (ت ١١٠هـ) قال: أنزلت هذه الآية فى عمرة الحديبية، فكان الوحش والطير والصيد يغشاهم فى رحالهم لم يروا مثله قط فيما خلا فنهاهم الله عن قتله وهم محرمون ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ اهـ(٢).

* وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أنه كان يقول فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أن يوسع ظهره وبطنه جلداً، ويسلب ثيابه. اهـ(٣).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٦٦).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٧٦).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٩٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾:

* أخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: نهى الله المحرم عن قتل الصيد فى هذه الآية وأكله(١).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾:

* أخرج ابن المنذر، وابن جرير، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى سننه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: إذا قتل المحرم شيئًا من الصيد حكم عليه فيه: فإن قتل ظبيًا أو نحوه فعليه شاة تذبح بمكة، فإن لم يجد فإطعام ستة مساكين، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام. فإن قتل إبلا ونحوه فعليه بقرة، فإن لم يجدها أطعم عشرين مسكينًا، فإن لم يجد صام عشرين يومًا. وإن قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه فعليه بدنة من الإبل، فإن لم يجد أطعم ثلاثين مسكينًا، فإن لم يجد صام ثلاثين يومًا، والطعام مدٌّ يشبعهم. اهـ(٢).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾، قال البغوى فى تفسيره: يحكم بالجزاء رجلان عدل، وينبغى أن يكونا فقيهين ينظران إلى أشبه الأشياء من النعم فيحكمان به. اهـ(٣).

* ﴿ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾، أى: يهدى تلك الكفارة إلى الكعبة، فيذبحها بمكة ويتصدّق بلحمها على مساكين الحرم.

* ﴿ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾، قال البغوى فى تفسيره: اختلف الفقهاء فى معنى ذلك على أربعة أقوال:

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٧٧).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٦٤).

* أولا: قال أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ): العَدْل بفتح العين: المثل من غير جنسه، وأراد به أنه فى جزاء الصيد مخيّر بين أن يذبح المثل من النعم فيتصدّق بلحمه على مساكين الحرم. وبين أن يُقوّم المثل دراهم، والدراهم طعامًا فيتصدق بالطعام على مساكين الحرم. أو يصوم عن كل مدّ من الطعام يومًا، وله أن يصوم حيث شاء لأنه لا نفع فيه للمساكين.

* ثانيًا: وقال الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ): إن لم يخرج المثل يقوّم الصيد ثم يجعل القيمة طعامًا فيتصدّق به، أو يصوم.

* ثالثًا: وقال الإمام أبو حنيفة (ت ١٥٠هـ): لا يجب المثل من النَّعَم، بل يقوَّم الصيد فإن شاء صرف تلك القيمة إلى شيء من النَّعَم، وإن شاء إلى الطعام فيتصدق به، وإن شاء صام عن كل نصف صاع من بُرٍّ، أو صاع من شعير يومًا.

* رابعًا: وقال الشعبى عامر بن شراحيل (ت ١٠٥هـ)، والنخعىّ إبراهيم بن يزيد ابن قيس الكوفى (ت ٩٥هـ) قالا: جزاء الصيد على الترتيب والآية حجة لمن ذهب إلى التخيير. اهـ(١).

* ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾، أى: جزاء معصيته.

* ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾، أى: قبل التحريم، ونزول الآية.

* ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾، أى: فى الآخرة.

* ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾، أى: غالب على أمره.

* ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾، وصدق الله إذ قال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢)﴾ [البروج: ١٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ [رقم: ٩٥]

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار بتنوين همزة ﴿جزاء﴾ ورفع لام ﴿مثل﴾ على أنّ «مثل» صفة لـ «جزاء»، و «جزاء» مبتدأ والخبر محذوف، والتقدير: فعلى القاتل جزاء مماثل لمقتول من الصيد فى القيمة، أو فى الخلقة.

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٦٥).

وقرأ الباقــون بحذف تنوين ﴿ جزاء ﴾ وخفض لام ﴿ مثل ﴾ وذلك على إضافة «جزاءِ» إلى «مثل».

وحينئـذ يكون المعنى على الإضافـة: فـجزاء المقـتـول مـن الصــيد يحكـم بـه ذوا عدل منكم[١].

* ﴿ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ﴾ [رقم: ٩٥]

قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: ﴿ كفارةُ ﴾ بغير تنوين، و﴿ طعامِ ﴾ بالخفض على الإضافة، وذلك على أنّ ﴿ كفارة ﴾ خبـر لمبـتدأ محـذوف، والتقـدير: أو عليه كفارة طعام مساكين.

وقرأ الباقون: ﴿ كفارةٌ ﴾ بالتنوين، و﴿ طعامُ ﴾ بالرفع، وذلك على أن «كفارة» خبـر لمبتـدأ محذوف، و«طـعام» عطف بيان على «كـفارة» لأن الكفـارة هى الطعام، والتقدير: أو عليه كفارة هى طعام مساكين[٢].

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾: المراد بالبحر جميع المياه.

قال البغوى فى تفسيـره: اختلف العلماء فى تأويل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ صَيْدُ الْبَحْرِ وطَعَامُهُ ﴾ على أربعة أقوال:

* الأول: قال عـمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ: صيـده ما اصطيد، وطعامـه ما رمى به ـ أى البحر ـ.

* ثانيًـا: وعن ابن عبـاس، وابن عـمر، وأبى هريرة: طعـامـه: ما قـذفه المـاء إلى الساحل ميتًا.

---

(١) انظر: تفسير المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٢٦ ـ ٢٧)، والنشـر فى القراءات العشـر بتحقـيقنا (٣/ ٤٤)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٩٥).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٢٧ ـ ٢٨)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٤٥).

* ثالثًا: وقال سعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وسعيد بن المسيب، وقتادة ابن دعامة السدوسى، والنخعىّ إبراهيم بن يزيد بن قيس الكوفى: طعامه: المالح منه.

* رابعًا: وقال مجاهد بن جبر المكى المفسّر: صيده: طريّه، وطعامه: مالحه. اهـ(١).

* ﴿ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾:

* عن مجاهد بن جبر قال: السيارة: أهل الأسفار وأجناس الناس كلهم. اهـ(٢).

* ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾:

قال البغوى فى تفسيره: صيد البحر حلال للمحرم، كما هو حلال لغير المحرم، أمّا صيد البرِّ فحرام على المحرم فى الحرم، والصيد: هو الحيوان الوحشىّ الذى يحلّ أكله. اهـ(٣).

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٩٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ﴾:

* قال مجاهد بن جبر المكى المفسِّر (ت ١٠٤هـ): سمِّيت كعبة لتربيعها، والعرب تسمِّى كل بيت مربع كعبة. اهـ(٤).

* وقيل: سميت كعبة لارتفاعها من الأرض، وأصلها من الخروج والارتفاع، وسمِّى الكعب كعبًا لنتوئه، وخروجه من جانبى القدم. اهـ(٥).

* وسمِّى البيت الحرام لأن الله ـ تعالى ـ حرّمه، وعظم حرمته، ففى الحديث الذى رواه البخارى أن النبى ﷺ قال: «إن الله ـ تعالى ـ حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض»(٦).

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٦٦).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٨٧).
(٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٦٧).
(٤) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٦٨).
(٥) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٠٩).
(٦) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٦٨).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ﴾:

* أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قيامًا لدينهم، ومعالم لحجهم.

* وفى رواية قال: قيامها أن يأمن من توجّه إليها[١].

* وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ ﴾، قال: حواجز أبقاها الله فى الجاهلية بين الناس، فكان الرجل لو فعل كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يتناول ولم يقرب.

وكان الرجل لو لقى قاتل أبيه فى الشهر الحرام لم يعرض له ولم يقربه.

وكان الرجل لو لقى الهدى مقلّدًا وهو يأكل العصب من الجوع لم يعرض له ولم يقربه.

وكان الرجل إذا أراد البيت تقلّد قلادة من شعر حمته ومنعته من الناس.

وكان إذا نفر تقلّد قلادة من الإذخر، أو من السمر فمنعته من الناس حتى يأتى أهله حواجز أبقاها الله بين الناس فى الجاهلية. اهـ[٢].

* ﴿ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾:

* ذلك إشارة إلى جعل الله هذه الأمور قيامًا للناس، وحينئذ يكون المعنى: فعل الله ذلك لتعلموا أن الله يعلم تفاصيل أمور السموات والأرض، ويعلم مصالحكم أيها الناس قبلُ وبعدُ، وأن الله بكل شىء عليم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ﴾ [رقم: ٩٧]

قرأ ابن عامر: ﴿ قيما ﴾ بحذف الألف التى بعد الياء، على أنه مصدر كالقيام.

وقرأ الباقون: ﴿ قياما ﴾ بإثبات الألف، مصدر قام[٣].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٨٨).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٨٩).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٩٦).

﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩٨) مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٩٩) قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾، أى: التبليغ، أى: ليس عليه الهداية والتوفيق ولا الثواب، لأن هذه الأمور من خصائص الألوهية وأصل البلاغ: البلوغ وهو الوصول، يقال: بلغ يبلغ بلوغًا، وأبلغه إبلاغًا.

* ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾، أى: تظهرونه، يقال بدا السرُّ وأبداه صاحبه يبديه.

* ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾، أى: ما تسرونه وتخفونه فى قلوبكم من الكفر والنفاق.

* ﴿ قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾:

* قال القرطبى فى تفسيره: اختلف العلماء فى تأويل ذلك على ثلاثة أقوال:

* أولا: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): الخبيث والطيب: الحلال والحرام.

* ثانيًا: وقال السدِّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسِّر (ت ١٢٧هـ): المؤمن والكافر.

* ثالثًا: وقيل: المطيع والعاصى.

* ثم استطرد قائلا: والصحيح أن اللفظ عام فى جميع الأمور، فالخبيث من هذا كله لا يفلح ولا ينجب، ولا تحسن له عاقبة وإن كثر، والطيب وإن قلّ نافع جميل العاقبة. ثم قال: ونظير هذه الآية قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) ﴾ [ص: ٢٨].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) ﴾ [الجاثية: ٢١].

فالخبيث لا يساوى الطيب: فالطيب يأخذ جهة اليمين، والخبيث يأخذ جهة الشمال، والطيب فى الجنة، والخبيث فى النار. اهـ(١).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢١١).

* ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾: الخطاب للنبى ﷺ والمراد أمته، فإن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا يعجبه الخبيث.

* ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزولها عدد من الروايات، وقد اخترت الرواية التالية طلبًا للاختصار:

* أخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس كتب الله عليكم الحجَّ» فقام عُكَّاشة بن محصن الأسدى فقال: أفى كل عام يا رسول الله؟ قال: «أما إنى لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ثم تركتم لضللتم، اسكتوا عنِّى ما سكت عنكم، فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم» فأنزل الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ الآية(١).

﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢) ﴾

المعنى: أخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن قومًا من قبلنا قد سألوا آيات مثلها، فلما أعطوها وفرضت عليهم كفروا بها، وقالوا: ليست من عند الله.

مثال ذلك: سؤال قوم «صالح» ـ عليه السلام ـ الناقة. و سؤال أصحاب «عيسى» ـ عليه السلام ـ المائدة. وهذا تحذير مما وقع فيه من سبق من الأمم.

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (١٠٣) ﴾

المعنى:

* أخرج البخارى، ومسلم، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، والنسائى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن سعيد بن المسيَّب (ت ٩٤هـ ـ رضى الله عنه) قال:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٩٢).

البحيرة: التى يمنع درّها للطواغيت، ولا يحلّها أحد من الناس.

والسائبة: كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شىء.

والوصيلة: الناقة البكر تبكر فى أول نتاج الإبل ثم تثنّى بعدُ بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر.

والحامى: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت، وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شىء، وسموه الحامى. اهـ[١].

* وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، وابن مردويه، عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: «إن أوّل من سيّب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر، وإنى رأيته يجر أمعاءه فى النار» اهـ[٢].

* وأخرج عبد الرزاق، وابن أبى شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير عن زيد بن أسلم (ت ١٣٠هـ) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى لأعرف أوّل من سيّب السوائب، ونصب النصب، وأوّل من غيَّر دين «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ، قالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: «عمرو بن لحى أخو بنى كعب، لقد رأيته يجرّ قصبه فى النار، يؤذى أهل النار ريح قصبه، وإنى لأعرف من بحر البحائر»، قالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: «رجل من بنى مدلج كانت له ناقتان فجدع آذانهما، وحرَّم ألبانهما وظهورهما، وقال: هاتان لله، ثم احتاج إليهما فشرب ألبانهما، وركب ظهورهما، قال: فلقد رأيته فى النار وهما يقضمانه بأفواههما، ويطآنه بأخفافهما» اهـ[٣].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾:

* أخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: لا يعقلون تحريم الشيطان الذى يحرّم عليهم. اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٩٥).

(٢ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٩٧).

﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلىٰ ما أنزل اللَّهُ وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئًا ولا يهتدون (١٠٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ ﴾، أى: فى بيان الشرائع والأحكام، والمباحات والمحظورات والحلالات والمحرمات، وغير ذلك مما هو مبين وموضح فى الشريعة الإسلامية.

* ﴿ قَالُوا حَسْبُنَا ﴾، أى: كافينا.

* ﴿ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ فردّ الله عليهم قولهم هذا بقوله:

* ﴿ أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾: الاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ وحينئذ يكون المعنى: أيتبعون آباءهم ولو كانوا لا يعلمون شيئًا ولا يهتدون؟ أى: لا ينبغى ذلك.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* قال القرطبى فى تفسيره: قال علماؤنا: وجه اتصال هذه الآية بما قبلها التحذير مما يجب أن يحذر منه، وهو حال من تقدمت صفته ممن ركن فى دينه إلى تقليد آبائه وأسلافه. اهـ[١].

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾: * ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ اسم فعل أمر، أى: احفظوا أنفسكم من المعاصى، تقول: عليك زيداً بمعنى الزم زيداً.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾: قال ابن المبارك: هذا خطاب لجميع المؤمنين، فكأنه قال: ليأمر بعضكم بعضًا، فهو دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولا يضركم ضلال المشركين والمنافقين وأهل الكتاب. اهـ[٢].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٢١). (٢) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٢٢).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾:

قال سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ): معنى ذلك: لا يضركم من ضل إذا اهتديتم بعد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. اهـ(١).

* ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾، أى: الضالّ والمهتدى.

* ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾:

✵ **المعنى:** إذا كان يوم القيامة ستجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء.

وصدق الله إذ قال: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) ﴾ [الكهف: ٤٩].

* أخرج الترمذى وصححه، وابن ماجه، وابن جرير، والبغوى فى معجمه، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والطبرانى، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقى فى الشعب عن أبى أميَّة الشيبانى قال: أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت له: كيف فى هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قال: قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾، قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحّا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذى رأى برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر، الصابر فيهنّ مثل القابض على الجمر، للعامل فيهنَّ مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم» اهـ(٢).

وفى رواية: قيل: يا رسول الله أجر خمسين منَّا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين منكم» اهـ(٣).

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. اهـ(٤).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٢٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٩٨).

(٣ : ٤) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٢١).

* وأخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، والعدنى، وابن منيع، والحميدى فى مسانيدهم، وأبو داود، والترمذى وصححه، والنسائى، وابن ماجه، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن حيَّان، والدارقطنى فى الأفراد، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقى فى شعب الإيمان، والضياء فى المختارة، عن قيس[١] قال: قام «أبو بكر» ـ رضى الله عنه ـ فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ وإنكم تضعونها فى غير موضعها، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب» اهـ[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الآثِمِينَ (١٠٦) فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧) ﴾

سبب نزول هاتين الآيتين:

* سبب نزول الآية رقم ١٠٦: ما روى أن تميمًا بن أوس الدارى، وعديًا بن زيد قد خرجا من المدينة للتجارة إلى أرض الشام وهما نصرانيان ومعهما (بديل) مولى عمرو بن العاص وكان مسلمًا، فلما قدموا الشام مرض (بديل) فكتب كتابًا فيه جميع ما معه من المتاع وألقاه فى جوالقه، ولم يخبر صاحبيه بذلك، فلما اشتدّ وجعه أوصى إلى (تميم وعدىّ) وأمرهما أن يدفعا متاعه إذا رجعا إلى أهله.

ومات (بديل) ففتشا متاعه وأخذا منه إناءً من فضة منقوشًا بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فضة فغيباه، ثم قضيا حاجتهما فانصرفا إلى المدينة فدفعا المتاع إلى أهل البيت، ففتشوا وأصابوا الصحيفة فيها تسمية ما كان معه، فجاءوا (تميمًا وعديًا) فقالوا: هل

---

(١) أقول: لعله قيس بن سعد بن عبادة (ت ٦٠هـ).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٥٩٨).

باع صاحبنا شيئًا من متاعـه؟ قالا: لا، قالوا: فهل تجر تجارة؟ قالا: لا، قالوا: هل طال مرضـه فأنفـق على نفسـه؟ قالا: لا، فقالـوا: إنا وجدنـا فى متاعـه صحيفة فيها تسمية ما معـه وإنا قد فقـدنا منها إناءً من فضة مموَّهًا بالذهب فيه ثلاثمائة مـثقال فضة، قالا: ما ندرى إنما أوصى لنا بشىء فأمرنا أن ندفعه إليكم فدفعناه وما لنا علم بالإناء.

فاختـصـمـوا إلى النبى ﷺ فأصـرًا على الإنـكار، وحلفا، فأنـزل الله ـ عز وجلّ ـ هـذه الآيـة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ﴾ الآية. اهـ(١).

* سبب نزول الآية رقم ١٠٧ :

لما نزلت الآية رقم ١٠٦ صلّى رسول الله ﷺ صلاة العصـر ودعا (تميما وعديًا) فاستـحلفهما عند المنبر بـالله الذى لا إله إلا هو أنهما لم يختانا شـيئًا مما دُفِع إليـهما فحلفا على ذلك، وخلّى رسول الله ﷺ سبيلهما. ثم ظهـر الإناء، فروى سعيد بن جبير عـن ابـن عبـاس ـ رضـى الله عنهمـا ـ أنـه وجدَ بمكة، فـقالوا: إنا اشتريناه من (تميم وعدىّ) فبلغ ذلك (بنى سـهم) فأتوهما فى ذلك فقالا: إنا كنا قد اشتـريناه منه، فقالوا لهما ألم تزعمـا أن صاحبنا لم يبع شيئًا من متـاعه؟ قالا: لم يكن عندنا بينة فكرهنا أن نقـرّ لكم بـه فكتـمنـاه لذلك، فرفـعـوهما إلى رسـول الله ﷺ فأنزل الله ـ عـز وجل ـ: ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ﴾ الآية. اهـ(٢).

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والنحاس من طريق «علىّ» عن أبى طلحـة عن ابن عبـاس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهمـا) قال: هذا لمن مـات وعنده المسلمون أمره الله أن يُشْهِد على وصيته عدلين من المسلمين.

* وفى قـوله ـ تـعـالى ـ: ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾:

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٧٣).

قال ابن عباس: فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين أمره الله بشهادة رجلين من غير المسلمين.

* وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾:

قال ابن عباس: فإن ارتيب بشهادتهما استحلفا بالله بعد الصلاة: ما اشترينا بشهادتنا ثمنًا قليلا. اهـ[(١)].

* وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ﴾ الآية:

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: إن اطلع على أن الكافريْن كذبا، قام الأوليان فحلفا أنهما كذبا، ذلك أدنى أن يأتى الكافران بالشهادة على وجهها. اهـ[(٢)].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ ﴾ [رقم: ١٠٧]

قرأ حفص: ﴿ استحق ﴾ بفتح التاء والحاء، مبنيّا للفاعل، وإذا ابتدأ كسر الهمزة.

وقرأ ـ أى حفص ـ: ﴿ الأوليان ﴾ بإسكان الواو، وفتح اللام، وكسر النون مثنى «أولى» أى: الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما، وهو مرفوع على أنه فاعل «استحق».

وقرأ شعبة، وحمزة، ويعقوب، وخلف البزَّار: ﴿ استحق ﴾ بضم التاء وكسر الحاء، مبنيّا للمفعول، وإذا ابتدأوا ضموا الهمزة، ونائب فاعل (استحق) (عليهم) أى: الجار والمجرور.

وقرأوا ﴿ الأولين ﴾ بتشديد الواو وفتحها، وكسر اللام، وبعدها ياء ساكنة وفتح النون، جمع «أوّل» المقابل لآخر، وهو مجرور صفة للذين، أو بدل منه، أو بدل من الضمير فى عليهم.

وقرأ الباقون: ﴿ استحق ﴾ بضم التاء، وكسر الحاء، مبنيّا للمفعول.

وقرأوا ﴿ الأوليان ﴾ مثنى «أولى» وهو مرفوع نائب فاعل «استحق»[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٧٤).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٦٠٣).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٢٨ ـ ٢٩)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٤٥).

﴿ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١٠٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا ﴾:

✷ **المعنى:** ذلك الذى حكمنا به من ردّ اليمين أجدر وأحرى أن يأتى الوصيان بالشهادة على وجهها.

* ﴿ أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾، أى: أقرب إلى أن يخافوا ردّ اليمين بعد يمينهم على المدعين، فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا، فلا يحلفون كاذبين إذا خافوا هذا الحكم.

* ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾: أن تحلفوا أيمانًا كاذبة وتخونوا الأمانة.

* ﴿ وَاسْمَعُوا ﴾ الموعظة.　* ﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾.

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١٠٩) ﴾

✷ المعنى:

* أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسِّر (ت ١٢٧هـ) فى الآية قال: ذلك أنهم نزلوا منزلا ذهلت فيه العقول، فلما سئلوا قالوا: لا علم لنا، ثم نزلوا منزلا آخر فشهدوا على قومهم. اهـ(١).

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ (١١٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* أخرج ابن أبى حاتم، وابن عساكر، وابن مردويه عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة دعى بالأنبياء وأممهم،

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٦٠٧).

ثم يدعى بعيسى فيذكره الله نعمته عليه فيقرُّ بها يقول: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ الآية، ثم يقول: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

فينكر أن يكون قال ذلك، فيؤتى بالنصارى فيُسألون؟ فيقولون: نعم، هو أمرنا بذلك، فيطول شَعَر عيسى حتى يأخذ كل مَلَك من الملائكة بشعرة من شعر رأسه وجسده، فيجاثيهم بين يدى الله مقدار ألف عام، حتى يوقع عليهم الحجة، ويرفع لهم الصليب، وينطلق بهم إلى النار(١).

* ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾:

* قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): ذكراً لنعمة شكرها، وأراد بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ نعمتى ﴾ أى: نعمى لفظة واحدة، ومعناها الجمع كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وإن تعدّوا نعمت الله لا تحصوها﴾ [إبراهيم: ٣٤](٢).

* ﴿وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ «مريم» ـ عليها السلام ـ ثم ذكر الله النعم فقال:

* ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾، أى: قويتك. * ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾، أى: «جبريل».

* ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾، أى: صبيًا ونبيًا.

* قال البغوى فى تفسيره: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما: أرسله الله وهو ابن ثلاثين سنة، فمكث فى رسالته ثلاثين شهراً ثم رفعه الله ـ تعالى ـ. اهـ(٣).

* ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾ المراد الخط.

* ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، المراد: العلم والفهم. * ﴿وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾.

* ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ﴾، أى: تجعل وتصوِّر.

* ﴿مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾، أى: كصورة الطير.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/٦٠٨).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/٧٦).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٢/٧٧).

* ﴿ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾، أى: بإرادتى وقدرتى.

* ﴿ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ ﴾، وهو الذى ولد أعمى. * ﴿ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾.

* ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾، أى: من قبورهم أحياء.

* ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾، أى: منعت وصرفت اليهود عنك حين هموا بقتلك.

* ﴿ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا ﴾، أى: ما هذا. * ﴿ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١١٠]

* ﴿ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾ [يونس: ٢].

* ﴿ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [هود: ٧].

* ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف: ٦].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزار: ﴿ ساحر ﴾ فى السور الأربع على أنه اسم فاعل من «سحر» الثلاثى المجرد.

وقرأ ابن كثير، وعاصم موضع يونس ﴿ ساحر ﴾ اسم فاعل.

وقرأوا المواضع الثلاثة الباقية: ﴿ سِحْر ﴾ على أنه مصدر «سحر».

وقرأ الباقون: ﴿ سِحْر ﴾ فى السور الأربع(١).

* جاء فى المفردات: السحر يقال: على معنيين:

الأول: الخداع، وتخيلات لا حقيقة لها، نحو ما يفعله المشعوذ، وعلى ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١١٦].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٣١ ـ ٣٢)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٤٦)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٨٦)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٩٩).

والثانى: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه، وعلى ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [البقرة: ١٠٢][١].

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (١١١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ﴾، أى: ألهمتهم وقذفت فى قلوبهم.

* وأخرج عبد بن حميد عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: أى: قذف فى قلوبهم، وليس بوحى نبوّة، والوحى وحيان: وحى تجىء به الملائكة، ووحى يقذف فى قلب العبد. اهـ[٢].

* والحواريون: خواصّ أصحاب «عيسى» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾.

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾، قال السدّىّ (ت ١٢٧هـ): قالوا: هل يطيعك ربك إن سألته، فأنزل الله عليهم مائدة من السماء فيها جميع الطعام إلا اللحم فأكلوا منها[٣].

والمائدة: هى الأطعمة للآكلين، وسُمِّى الطعام مائدة على الجواز، لأنه يؤكل على المائدة.

* قال ـ أى «عيسى» ـ عليه السلام ـ للحواريين مجيبًا لهم:

* ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، أى: لا تشكوا فى قدرة الله ـ تعالى ـ، فالله على كل شىء قدير، إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون.

---

(١) انظر: المفردات فى غريب القرآن ص٢٢٦.
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٦٠٩).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٦١٠).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ [رقم: ١١٢]

قرأ الكسائي: ﴿ تستطيع ﴾ بتاء الخطاب، والمخاطب نبى الله «عيسى» ـ عليه السلام ـ و﴿ ربَّك ﴾ بالنصب، على التعظيم، والمعنى: هل تستطيع سؤال ربك، وهو استفهام فيه معنى الطلب، أى: اسأل لنا ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء.

وقرأ الباقون: ﴿ يستطيع ﴾ بياء الغيب، و﴿ ربُّك ﴾ بالرفع فاعل «يستطيع»، والمعنى: هل يطيعك ربك ويجيبك على مسألتك. واستطاع حينئذ تكون بمعنى أطاع[١].

﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا ﴾، أى: قال الحواريون «لعيسى» ـ عليه السلام ـ: إنما سألنا لأنا نريد أن نأكل منها أكل تبرك لا أكل حاجة فنستيقن قدرة الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾، أى: نريد أن تسكن قلوبنا، ونعلم أن قد صدقتنا بأنك رسول الله، أى: نزداد إيمانًا ويقينًا.

* ﴿ وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾، أى: لله ـ تعالى ـ بالوحدانية والقدرة، ولك يا «عيسى» بالنبوة والرسالة.

﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ﴾:

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٣٢ ـ ٣٣)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٤٦)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٢٢)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٩٩).

* قال السدىّ (ت ١٢٧هـ): معناه نتخذ اليوم الذى أنزلت فيه عيدًا لأولنا وآخرنا، أى: نعظمه نحن ومن بعدنا(١).

* ﴿ وَآيَةً مِّنكَ ﴾، أى: دلالة وحجة. * ﴿ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾.

﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (١١٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ اللَّهُ ﴾، أى: مستجيبًا لدعاء «عيسى» ـ عليه السلام ـ. وصدق الله إذ قال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠].

* ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾، أى: المائدة.

* ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ ﴾، أى: بعد نزول المائدة.

* ﴿ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾:

* قال البغوى فى تفسيره: المراد عالمى زمان «عيسى» فجحدوا وكفروا بعد نزول المائدة فمسخهم الله ـ تعالى ـ قردة وخنازير(٢).

وصدق الله إذ قال: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦) ﴾ [الأعراف: ١٦٦]

وإذ قال: ﴿ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠) ﴾ [المائدة: ٦٠].

▩ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ [رقم: ١١٥]

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ منزلها ﴾ اسم فاعل من «أنزل» الرباعى.

وقرأ الباقون: ﴿ منزِّلها ﴾ اسم فاعل من «نزّل» مضعف الثلاثى(٣).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٧٨).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٣٤).

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾:

* أخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) أنه سمع النبى ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم ودعى كل أناس بإمامهم قال: ويدعى «عيسى» فيقول «لعيسى»: ﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ فيقول: ﴿ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ إلى قوله: ﴿ يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾»(١).

* وأخرج أبو الشيخ عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ٣١٦هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ والناس يسمعون، فراجعه بما قد رأيت، فأقر له بالعبودية على نفسه، فعلم من كان يقول فى «عيسى» ما كان يقول إنه كان يقول باطلا. اهـ(٢).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾، قال الزجاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): النفس عبارة عن جملة الشىء وحقيقته، يقول: ﴿ تعلم جميع ما أعلم من حقيقة أمرى، ولا أعلم حقيقة أمرك ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾، ما كان وما يكون(٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [رقم: ١٦]

قرأ شعبة، وحمزة: ﴿ الغيوب ﴾ بكسر الغين.

والباقون بضمها، وهما لهجتان(٤).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٦١٥).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٨١).

(٤) انظر: الإرشادات الجليّة فى القراءات السبع ص١٣٢.

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾، أي: وحده، ولا تشركوا به شيئًا.

* ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾، أي: أقمت فيهم.

* ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾، أي: قبضتنى إليك.

* ﴿ كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾، أي: الحفيظ عليهم تحفظ أعمالهم.

* ﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾، المراد: من مات منهم على الكفر.

* ﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾، أي: لمن تاب منهم ومات على الإيمان.

* ﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ ﴾، أي: الغالب على أمره.

* ﴿ الْحَكِيمُ ﴾، أي: الذى يضع الأمور كلها بحكمة.

* أخرج ابن أبى شيبة فى المصنّف، وأحمد، والنسائى، وابن مردويه، والبيهقى فى سننه عن أبى ذرّ ـ رضى الله عنه ـ قال: صلى رسول الله ﷺ ليلة فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ الآية.

فلما أصبح قلت: يا رسول الله ما زلتَ تقرأ هذه الآية حتى أصبحتَ؟

قال: «إنى سألتُ ربى الشفاعة لأمتى فأعطانيها، وهى نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئًا» اهـ[١].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٢/ ٦١٦).

﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾:

* أخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: يقول ـ أى الله تعالى ـ: هذا يوم ينفع الموحدين توحيدهم.

* ﴿ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾.

ثم عظّم الله ـ سبحانه وتعالى ـ نفسه فقال:

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠) ﴾

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [رقم: ١١٩]

قرأ نافع: ﴿ يومَ ﴾ بالنصب على الظرفية.

والتقدير: هذا القول واقع يومَ ينفع الصادقين صدقهم.

وقرأ الباقون: ﴿ يومُ ﴾ بالرفع، على أنه خبر، و«هذا» مبتدأ والجملة من المبتدأ والخبر فى محلّ نصب مقول القول(١).

* * *

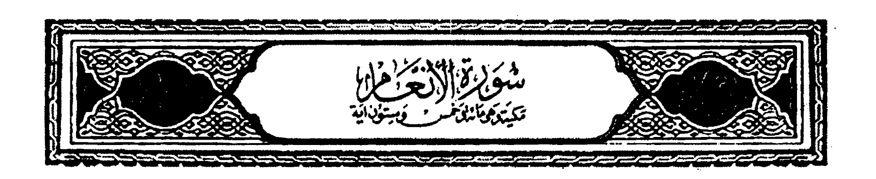
تم ولله الحمد والشكر تفسير سورة المائدة

ويلى ذلك ـ بإذن الله تعالى ـ

[تفسير سورة الأنعام]

● ● ●

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٣٤).



قال الثعلبى: سورة الأنعام مكية إلا ستّ آيات نزلت بالمدينة وهى:

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [رقم: ٩١] إلى آخر ثلاث آيات.

و: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [رقم: ١٥١] إلى آخر ثلاث آيات. اهـ(١).

* أخرج الطبرانى، وابن مردويه عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «نزلت سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك، لهم زجل بالتسبيح والتحميد» اهـ(٢).

* وأخرج الطبرانى، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقى فى شعب الإيمان عن أنس ابن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «نزلت علىَّ سورة الأنعام ومعها موكب من الملائكة يسدُّ ما بين الخافقين، لهم زجل بالتسبيح والتقديس والأرض ترتج» ورسول الله ﷺ يقول: «سبحان الله العظيم، سبحان الله العظيم» اهـ(٣).

* وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام، وابن الضريس فى فضائلهما، وابن المنذر، والطبرانى، وابن مردويه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا جملة، حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح. اهـ(٤).

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾، المعنى: بدأ ـ سبحانه وتعالى ـ فاتحة هذه السورة بالحمد على نفسه، وإثبات الألوهيّة، أى أنّ الحمد كله لله فلا شريك له.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٤٦).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٣).

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): افتتح الله الخلق بالحمد فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وختمه بالحمد فقال: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥)﴾ [الزمر: ٧٥] اهـ(١).

* ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾:

* قال القرطبى فى تفسيره: أخبر الله عن قدرته وعلمه وإرادته فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ أى: اخترع وأوجد وأنشأ.

والخلق يكون بمعنى الاختراع، ويكون بمعنى التقدير، وكلاهما مراد هنا، وذلك على حدوثهما، فرفع السماء بغير عمد، وجعلها مستوية من غير أَوَد، وجعل فيها الشمس والقمر آيتين، وزينها بالنجوم، وأودعها السحاب والغيوم علامتين، ويبسط الأرض وأودعها الأرزاق والنبات، وبث فيها من كل دابة آيات، وجعل فيها الجبال أوتادًا، وسبلا فجاجا، وأجرى فيها الأنهار والبحار، وفجّر فيها العيون من الأحجار دلالات على وحدانيته، وعظيم قدرته، وأنه هو الله الواحد القهار.

وبيّن بخلقه السموات والأرض أنه خالق كل شىء. اهـ(٢).

* خرّج مسلم قال: حدثنى سُرَيْج بن يونس، وهارون بن عبد الله قالا: حدثنا حجاج بن محمد قال: قال ابن جريج: أخبرنى إسماعيل بن أميّة عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أمّ سلمة، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدى فقال: «خلق الله ـ عزّ وجل ـ التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبثّ فيها الدوابَّ يوم الخميس، وخلق آدم ـ عليه السلام ـ بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل» اهـ(٣).

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٨٣).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٤٧).
(٣) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨).

* ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾:

* قال القرطبي في تفسيره: ذكر الله ـ تعالى ـ بعد خلق الجواهر خَلْق الأعراض لكون الجوهر لا يستغني عنه، وما لا يستغني عن الحوادث فهو حادث.

والجوهر في اصطلاح المتكلمين: هو الجزء الذي لا يتجزأ الحامل للعَرَض.

وسُمِّي العَرَض عرضًا، لأنه يعرض في الجسم والجوهر فيتغير به من حال إلى حال. اهـ(١).

* ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾:

المعنى: ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون، أي: يشركون.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ (٢)﴾

معاني المفردات:

* ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾: قال القرطبي في تفسيره: في معنى ذلك قولان:

أحدهما: وهو الأشهر، وعليه من الخلق الأكثر، أن المراد آدم ـ عليه السلام ـ والخلق نَسْله، والفرع يضاف إلى أصله فلذلك قال «خلقكم» بالجمع فأخرجه مخرج الخطاب لهم إذ كانوا ولده، وهذا قول الحسن، وقتادة، والسدّي، والضحاك وغيرهم.

والثاني: أن تكون النطفة خلقها الله من طين على الحقيقة ثم قلبها حتى كان الإنسان منها، ذكره النحاس. اهـ(٢).

* ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾: قال الحسن البصري (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ)، والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ):

الأجل الأول: من الولادة إلى الموت، والأجل الثاني: من الموت إلى البعث، وهو البرزخ.

* وقال مجاهد بن جبر المكي المفسر (ت ١٠٤هـ)، وسعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ): الأجل الأول: أجل الدنيا، والأجل الثاني: أجل الآخرة(٣).

* ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ أي: تشكون في البعث.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٦/ ٢٤٨).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٦/ ٢٤٩).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٨٤).

﴿ وهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُم وجَهْرَكُمْ ويَعْلَمُ ما تَكْسِبُونَ (٣) ﴾

❀ **معانى المفردات:**

* ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ ﴾: فى تأويل ذلك قولان:

الأول: وهو الله المعظَّم، والمعبود فى السموات وفى الأرض.

والثانى: وهو الله المنفرد بالتدبير فى السموات وفى الأرض(١).

* ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ويَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾، أى: ما تعملون من الخير والشرّ.

﴿ ومَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤) ﴾

❀ **معانى المفردات:**

* ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم ﴾، المراد: كفار مكة.

* ﴿ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾، الدالة على وحدانية الله ـ تعالى ـ، ونبوة نبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾، أى: تاركين لها مكذبين بها.

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٥) ﴾

❀ **معانى المفردات:**

* ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾.

✵ **المعنى:** أن كفار مكة كذبوا بالحق لما جاءهم، والمراد به القرآن، ونبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

✵ **المعنى:** هذا وعيد من الله ـ تعالى ـ للكفار بأنه سوف يأتيهم أخبار استهزائهم وجزاؤهم يوم القيامة، وذلك عندما يعاقبهم الله ـ تعالى ـ، وحينئذ يندمون ولكن لا ينفع الندم، وصدق الله إذْ قال:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) ﴾ [الأنعام: ٢٧]

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٥١).

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾﴾

معانى المفردات:

* ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾.

* **المعنى:** ألا يعتبرون بمن أهلكناهم من الأمم السابقة بسبب كفرهم وتكذيبهم أنبياءهم.

والقرن: الجماعة من الناس، وجمعه قرون، وحينئذ يكون المراد: أهل قرن، إذ القرن: المدة من الزمان، وقد اختلف فى مقداره:

١ ـ فقيل مائة سنة. ٢ ـ وقيل ثمانون سنة.

٣ ـ وقيل ستون سنة. ٤ ـ وقيل أربعون سنة.

٥ ـ وقيل ثلاثون سنة(١).

* ﴿مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾، أى: أعطيناهم من الدنيا وحطامها ما لم نعطكم.

* ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: أى متتابعًا فى أوقات الحاجات(٢).

* ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ﴾، أى: من تحت أشجارهم ومنازلهم.

* ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾، أى: بسبب ذنوبهم.

* ﴿وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾، فليحذر هؤلاء من الإهلاك.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾

سبب نزول هذه الآية:

قال مقاتل بن حيّان البلخى (ت ١١٠هـ)، والكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ) قالا: نزلت فى النضر بن الحارث، وعبد الله بن أميّة، ونوفل بن خويلد.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٨٥).

قالوا: يا «محمد» لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله، وأنك رسوله، فأنزل الله ـ عز وجل ـ: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا ﴾ الآية(١).

❀ معانى المفردات:

* قال القرطبى فى تفسيره: هذه الآية جواب لقولهم: ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ﴾ [الإسراء: ٩٣](٢).

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾:

* أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: يقول الله ـ تعالى ـ: «لو أنزلنا من السماء صحفا فيها كتاب فلمسوه بأيديهم لزادهم ذلك تكذيبا». اهـ(٣).

* وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ يقول: فعاينوه معاينة ولمسوه بأيديهم. اهـ(٤).

* وعن مجاهد بن جبر المكى المفسر (ت ١٠٤هـ) قال: فلمسوه ونظروا إليه لم يصدقوا به. اهـ(٥).

* وقال البغوى فى تفسيره: ذكر الله ـ تعالى ـ: «اللمس» ولم يذكر المعاينة، لأن اللمس أبلغ فى إيقاع العلم من المعاينة، فإن السحر يجرى على المرئى ولا يجرى على الملموس. اهـ(٦).

* ﴿ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

✵ **المعنى:** أنه لا ينفع معهم شىء لما سبق فيهم من علم الله ـ تعالى ـ.

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٢١٦، وتفسير القرطبى (٦/ ٢٥٣)، وتفسير البغوى (٢/ ٨٥، ٨٦).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٦٣).
(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٨).
(٦) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٨٦).

﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنظَرُونَ (٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالُوا ﴾، أى: كفار مكة. * ﴿ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ ﴾، أى: على «محمد» ﷺ.

* ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ﴾:

قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قالا: لأهلكوا بعذاب الاستئصال، لأن الله أجرى سننه بأنّ من طلب آية فأظهرت له فلم يؤمن أهلكه الله فى الحال. اهـ(١).

* ﴿ ثُمَّ لا يُنظَرُونَ ﴾، أى: لا يؤجلون، ولا يمهلون.

* وقال قتادة: لو أنزلنا ملكًا ثم لم يؤمنوا لعجل الله لهم العذاب ولم يؤخروا طرفة عين. اهـ(٢).

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ (٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً ﴾:

* أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: لو أتاهم ملَك ما أتاهم إلا فى صورة رجل لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾، قال ابن عباس: لخلطنا عليهم ما يخلطون. اهـ(٣).

﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (١٠) ﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن المنذر، وابن أبى حاتم عن محمد بن إسحاق (ت ٢٩٠هـ) قال: مرّ رسول الله ﷺ فيما بلغنى بالوليد بن المغيرة، وأميّة بن خلف، وأبى جهل بن هشام فهمزوه واستهزءوا به، فغاظه ذلك، فأنزل الله: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ الآية. اهـ(٣).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٥٣). (٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٨٦).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٩).

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ. وهذه الآية تعزية ومواساة من الله ـ تعالى ـ لنبيه وحبيبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

* ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، أى: نزل بهم من العذاب ما أهلكهم بسبب استهزائهم بأنبيائهم.

يقال: حاق بالشيء يحيق حَيْقًا، أى: نزل.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١١)﴾

✵ **المعنى:** أى قل يا «محمد» ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهؤلاء المستهزئين المستسخرين المكذبين: سافروا فى الأرض فانظروا واستخبروا لتعرفوا ما حلّ بالكفرة قبلكم من العقاب وأليم العذاب.

* وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى تأويل الآية قال: بئس ـ والله ـ ما كان عاقبة المكذبين، دمّر الله عليهم وأهلكهم ثم صيرهم إلى النار(١).

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (١٢)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾:

✵ **المعنى:** قل لهم يا «محمد» ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ﴿لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾؟ فإن قالوا: لمن هو؟ فـ ﴿قُل﴾: هو ﴿لِّلَّهِ﴾. المعنى: إذا ثبت أن لله ما فى السموات والأرض، وأنه خالق الكل إمّا باعترافهم أو بقيام الحجة عليهم فالله قادر على أن يعاجلهم بالعقاب، ويبعثهم بعد الموت، ولكنه ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، أى: وعد بها فضلا منه وكرمًا، فلذلك أمهل.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٠).

* ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، أى: فى يوم القيامة.

* ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾، أى: لا شك فيه.

* ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

**** بشرى للمؤمنين:**

من يقرأ السنة المطهرة يجد الكثير من الأحاديث الصحيحة التى تدلّ وتؤكد أن الله أرحم الراحمين. ونظرًا لأهمية ذلك فقد اقتبست الأحاديث التالية:

* أولا: أخرج ابن أبى شيبة، وابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة، فجعل فى الأرض منها رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها، والبهائم بعضها على بعض، وأخّر تسعًا وتسعين إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة مائة رحمة» اهـ(١).

* ثانيًا: أخرج ابن مردويه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فرغ الله من القضاء بين الخلق أخرج كتابًا من تحت العرش: إن رحمتى سبقت غضبى وأنا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة أو قبضتين فيخرج من النار خلق كثير لم يعملوا خيرًا، مكتوب بين أعينهم عتقاء الله»(٢).

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، أى: ما استقر فى الليل والنهار.

وقال البغوى فى تفسيره: أراد ما سكن وما تحرك، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، أى: الحرّ والبرد.

وقيل: إنما خصّ السكون بالذكر لأن النعمة فيه أكثر. ثم استطرد قائلا: وقال محمد بن جرير: كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار،

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١١).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٠).

والمراد منه جميع ما فى الأرض. وقيل معناه: وله ما يمرّ عليه الليل والنهار. اهـ[١].

* ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأصواتهم. * ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأسرارهم.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٤)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾، قال القرطبى فى تفسيره: لما دعوه ـ أى النبى عليه الصلاة والسلام ـ إلى عبادة الأصنام دين آبائه أنزل الله: ﴿قُلْ﴾ يا «محمد»: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾، أى: ربّا ومعبودًا وناصرا دون الله ـ تعالى ـ؟[٢].

* ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، أى: خالقهما، ومبتديهما، ومبدعهما، لا على غير مثال سبق.

* ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ﴾، أى: يَرزق ولا يُرْزق.

وصدق الله إذ قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

* ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾، أى: من هذه الأمّة، والإسلام بمعنى الاستسلام والانقياد لأوامر الله ـ تعالى ـ.

* ﴿وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، المعنى: وقيل لى: ولا تكونن من المشركين.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾، أى: إن عبدت غيره أن يعذبنى، والخوف: توقع المكروه.

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: ﴿أَخَافُ﴾ هنا بمعنى أعلم[٣].

* ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، المراد به عذاب يوم القيامة.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٨٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٥٥).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٥٦).

﴿مَن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾

معانى المفردات:

* ﴿مَن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ﴾، المعنى: من يصرف العذاب عنه يوم القيامة، وهذا لا يكون إلا بأمر الله ـ تعالى ـ.

* ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾، أى: الله ـ تعالى ـ. * ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿مَن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ [رقم: ١٦].

قرأ شبعة، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار ﴿يَصْرِف﴾ بفتح الياء، وكسر الراء، على البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر تقديره: هو، يعود على «الربِّ» المتقدم فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [رقم: ١٥].

ومفعول ﴿يَصْرِف﴾ محذوف لدلالة الكلام عليه وهو ضمير العذاب، والتقدير: من يَصْرِف الربُّ عنه العذاب يوم القيامة فقد رحمه.

وقرأ الباقون ﴿يُصْرَف﴾ بضم الياء، وفتح الراء، على البناء للمفعول ونائب الفاعل ضمير يعود على «العذاب» المتقدم، والتقدير: من يُصْرَف العذابُ عنه يوم القيامة، فقد رحمه الله بذلك(١).

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾:

المعنى: إن تنزل بك يا «محمد» ﷺ شدّة من فقر أو مرض فلا صارف له، ولا رافع له إلا الله ـ تعالى ـ، لأنه هو الذى بيده مقاليد جميع الأمور يقول للشىء كن فيكون.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٣٥)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٤٧)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٠٣).

* ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾:

✵ **المعنى:** وإن يصبك الله ـ تعالى ـ بعافية ورخاء ونعمة، فهذا ليس بعزيز على الله ـ تعالى ـ لأنه على كل شيء قدير.

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾، القهر: الغلبة، والقاهر: الغالب.

* قال القرطبي في تفسيره: ومعنى ﴿ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾: فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم، أي: هم تحت تسخيره، لا فوقية مكان. اهـ[(١)].

* ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴾: في أمره.

* ﴿ الْخَبِيرُ ﴾: بأعمال عباده، أي: من اتصف بهذه الصفات يجب ألا يُشرك به، ولا يُعبد سواه.

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١٩) ﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) قال: جاء النحَّام بن زيد، وقَرْدم بن كعب، وبُحْري بن عمرو فقالوا: يا «محمد» ـ ﷺ ـ ما تعلم مع الله إلهًا غيره؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا إله إلا الله بذلك بعثتُ وإلى ذلك أدعو» فأنزل الله: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ﴾ الآية[(٢)].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٦/ ٢٥٧).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي/ ٢١٦، وللقاضي/ ١٠٠، وتفسير البغوي (٢/ ٨٩)، وتفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ١٢).

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾.

* أخرج ابن آدم بن أبى إياس، وابن أبى شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن مجاهد بن جبر المفسر (ت ١٠٤هـ) قال: أمر الله ـ تعالى ـ نبينا «محمدًا» ﷺ أن يسأل قريشًا أىّ شىء أكبر شهادة؟ ثم أمره أن يخبرهم فيقول:

* ﴿اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ اهـ(١).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ﴾:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: المراد أهل مكة، وفى قوله ـ تعالى ـ: * ﴿وَمَن بَلَغَ﴾، قال: المراد من بلغه هذا القرآن فهو له نذير. اهـ(٢).

* وأخرج ابن مردويه، وأبو نعيم، والخطيب عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من بلغه القرآن فكأنما شافهته به، ثم قرأ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾» اهـ(٣).

* وأخرج البخارى، وابن مردويه عن عبد الله بن عمرو (ت ٦٥هـ ـ رضى الله عنهما) عن النبى ﷺ قال: «بلغوا عنى ولو آية، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علىَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» اهـ(٤).

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٢٠)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾، المراد: التوراة والإنجيل.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٢).
(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٣).

* ﴿ يَعْرِفُونَهُ ﴾، أي: نبينا «محمداً» ﷺ بنعته وصفته.

* ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ ﴾، أي: من بين الصبيان.

* ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾، لأنهم كفروا به بعد المعرفة.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾: مبتدأ وخبر، أي: لا أحد أظلم.

* ﴿ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾، أي: اختلق على الله كذبًا فأشرك به غيره.

* ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾، المراد: القرآن، والمعجزات التى يظهرها الله ـ تعالى ـ على يد نبينا «محمد» ﷺ لتكون من الأدلة على نبوته.

* ﴿ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾، أي: الكافرون لأن مصيرهم إلى النار خالدين فيها أبدا.

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾، المعنى: واذكر يا «محمد» يوم نحشرهم جميعًا يوم القيامة، والمراد: العابدين والمعبودين.

* ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾، أنهم يشفعون لكم عند ربكم، وهذا على سبيل التوبيخ لهم.

▦ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [الأنعام: ٢٢].

ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ ﴾ [سبأ: ٤٠].

قرأ يعقوب: ﴿ يحشرهم، يقول ﴾ فى السورتين بالياء التحتية على الغيبة، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله ـ تعالى ـ المتقدم فى قوله ـ تعالى ـ فى

سورة الأنعام: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ [رقم: ٢١]، وفى قوله ـ تعالىٰ ـ فى سورة سبأ: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ [رقم: ٣٩].

وقرأ حفص: ﴿ نحشرهم، نقول ﴾ فى سوة الأنعام بنون العظمة، وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

وفى سورة سبأ قرأ ـ أى حفص ـ: ﴿ يحشرهم، يقول ﴾ بياء الغيبة.

وقرأ الباقون: ﴿ نحشرهم، نقول ﴾ فى السورتين بنون العظمة(١).

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾، الفتنة: الاختبار، أى: لم يكن جوابهم حين اختبروا بهذا السؤال ورأوا الحقائق، وقامت عليهم الحجة.

* ﴿ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) ﴾ [المجادلة: ١٨].

▩ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ [رقم: ٢٣].

قرأ حمزة، والكسائى، ويعقوب، وشعبة فى أحد وجهيه: ﴿ يكن ﴾ بالياء التحتية على التذكير، ﴿ فتنتَهم ﴾ بالنصب، على أن ﴿ فتنتَهم ﴾ خبر ﴿ يكن ﴾ مقدم، و ﴿ إلا أن قالوا ﴾ إلخ. اسم يكن مؤخر.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وحفص: ﴿ تكن ﴾ بالتاء الفوقية على التأنيث، ﴿ فتنتُهم ﴾ بالرفع، لأن ﴿ فتنتُهم ﴾ اسم ﴿ تكن ﴾ و﴿ إلا أن قالوا ﴾ إلخ. خبر ﴿ تكن ﴾.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٣٦).

وقرأ الباقون وهم: نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وخلف البزّار وشعبة فى وجهه الثانى ﴿تكن﴾ بالتاء الفوقية على التأنيث، ﴿فتنتَهم﴾ بالنصب، على أنها خبر ﴿تكن﴾ مقدم، و﴿إلا أن قالوا﴾ إلخ اسم ﴿تكن﴾ مؤخر، وأنث الفعل ﴿تكن﴾ لتأنيث الخبر(١).

* ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا﴾ [رقم: ٢٣].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ربَّنا﴾ بالنصب على النداء.

وقرأ الباقون: ﴿ربِّنا﴾ بالجرِّ، على أنها بدل من لفظ الجلالة «الله» أو نعت، أو عطف بيان(٢).

﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾:

* قال القرطبى فى تفسيره: كذب المشركون قولهم: إنّ عبادة الأصنام تقربنا إلى الله زلفى، بل ظنّوا ذلك، وظنهم الخطأ لا يُعْذِرهم ولا يزيل اسم الكذب عنهم.

وكذب المنافقون: باعتذارهم بالباطل، وجحدهم نفاقهم.

* ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، أى: فانظر كيف ضلّ عنهم افتراؤهم أى تلاشى وبطل ما كانوا يظنونه من شفاعة آلهتهم. اهـ(٣).

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥)﴾

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٣٧)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٤٨).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٣٨)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٢٧)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٠٤).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٥٩).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾، المراد: كفار قريش.

* ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾: الأكنة: الأغطية، وهى جمع «كنان» مثل الأسنة جمع سنان. والوقر: الثقل، والصمم، وحينئذ يكون المعنى: يسمعونه بآذانهم ولا يعون منه شيئًا كمثل البهيمة التى لا تعى ما يقال لها.

* ﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾: هذا إخبار من الله ـ تعالى ـ عن كفار قريش بعنادهم لأنهم كانوا كلما رأوا آية من آيات الله ـ تعالى ـ مثل: انشقاق القمر، لا يؤمنوا بها ويقولون هذا سحر مبين، فأخبر الله ـ عزّ وجلّ ـ عنهم بكفرهم وردّهم الآيات بغير حجة.

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾، أى: أحاديثهم وأقاصيصهم، والأساطير: جمع أسطورة، مثل: أحاديث جمع أحدوثة، والأساطير: هى الترّهات والأباطيل.

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): قالوا للنضر بن الحرث: ما يقول «محمد»؟ قال: أرى تحريك شفتيه وما يقول إلا أساطير الأوّلين، مثل ما أحدثكم عن القرون الماضية، وكان النضر صاحب قصص وأخبار(١).

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

وردت عدّة روايات أنها نزلت فى أبى طالب(٢).

* قال القرطبى فى تفسيره فى سبب نزول هذه الآية:

روى أهل السِّير: كان النبى ﷺ قد خرج إلى الكعبة يومًا وأراد أن يصلى، فلما دخل فى الصلاة قال أبو جهل ـ لعنه الله ـ: من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته، فقام ابن الزِّبَعْرى فأخذ فَرْثًا ودمًا فلطّخ به وجه النبى ﷺ، فانفتل النبى ﷺ من

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٦١).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٥).

صلاته، ثم أتى عمّه أبا طالب فقال: «يا عمِّ ألا ترى إلى ما فُعِلَ بى» فقال أبو طالب: من فعل هذا بك؟ فقال النبى ﷺ: «عبد الله بن الزِّبَعْرى» فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم، فلما رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون، فقال أبو طالب: والله لئن قام رجل جلَّلْتُه بسيفى، فقعدوا حتى دنا إليهم فقال: يا بُنىَّ من الفاعل بك هذا؟ قال: «عبد الله بن الزِّبَعْرى» فأخذ أبو طالب فَرْثًا ودمًا فلطَّخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء لهم القول، فنزلت هذه الآية: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ فقال النبى ﷺ: «يا عمِّ نزلت فيك آية» قال: وما هى: قال: «تمنع قريشًا أن تؤذينى وتأبى أن تؤمن بى» فقال أبو طالب:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتّى أوسَّد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابْشر بذاك وقرّ منك عيونا
ودعوتنى وزعمتَ أنك ناصحى ... فلقد صدقتَ وكنتَ قبل أمينا
وعرضتَ دينا قد عرفتُ بأنه ... من خير أديان البريَّة دينا
لولا الملامة أو حِذار مسبَّة ... لوجدتنى سمحا بذاك يقينا

فقالوا: يا رسول الله هل ينفع أبا طالب نصرته؟ قال: «نعم دُفِعَ عنه بذاك الغُلّ ولم يُقرن مع الشياطين، ولم يَدْخُل فى جُبِّ الحيّات والعقارب، إنما عذابه فى نعلين من نار فى رجليه يغلى منهما دماغه فى رأسه وذلك أهون أهل النار عذابًا» اهـ(١).

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾، أى: عرضوا على النار، وقيل «على» بمعنى «فى»، أى: وقفوا فى النار، وجواب «لو» محذوف، أى: لو تراهم فى تلك الحال لرأيت أمرًا عجبًا، أو لرأيت أسوأ حال.

* ﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾: إلى الدنيا.

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٦١ ـ ٢٦٢).

* ﴿ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾، وصدق الله إذْ قال: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ (٩٥) ﴾ [الأنبياء: ٩٥].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [رقم: ٢٧]

قرأ حفص، وحمزة، ويعقوب: بنصب الباء فى ﴿ولا نكذب﴾، ونصب النون فى ﴿ونكون﴾ على أنّ ﴿ولا نكذبَ﴾ منصوب بأن مضمرة بعد واو المعية فى جواب التمنى، ﴿ونكونَ﴾ معطوف عليه.

وقرأ ابن عامر بالرفع فى ﴿ولا نكذبُ﴾ وذلك عطفًا على ﴿نردُّ﴾ والنصب فى ﴿ونكونَ﴾ بأن مضمرة بعد واو المعيّة.

وقرأ الباقون برفع الفعلين، وذلك عطفًا على ﴿نردُّ﴾ والتقدير: فقالوا يا ليتنا نردُّ إلى الدنيا مرّة ثانية ونوفق للتصديق والإيمان(١).

﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ بَلْ ﴾ إضراب عن تمنيهم وادعائهم الإيمان لو ردُّوا.

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسر (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ﴾: يقول: بدت لهم أعمالهم فى الآخرة التى اقترفوها فى الدنيا(٢).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾.

* أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: ولو ردّوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى كما حيل بينهم وبينه أوّل مرة وهم فى الدنيا. اهـ(٣).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٤٠)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٤٨)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٠٤).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٦).

﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩)﴾

✱ **المعنى:** هذا إخبار من الله ـ تعالى ـ عن إنكارهم البعث وهم فى الدنيا.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، أى: حبسوا على ما يكون من أمر الله فيهم، حيث لا سلطان فيه لغير الله ـ عزّ وجلّ ـ.

* ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾: هذا تقرير وتوبيخ، أى: أليس هذا البعث الذى أنكرتموه فى الدنيا كائنًا موجودًا؟

* ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، أى: بسبب كفركم.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣١)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾، أى: بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء والعقاب.

* ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾، أى: فجأة، وسميت القيامة بالساعة لسرعة الحساب فيها.

* ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا﴾، الحسرة: الندامة.

* وأخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، والطبرانى، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والخطيب بسند صحيح عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا حَسْرَتَنَا﴾ قال: «الحسرة أن يرى أهل النار منازلهم من الجنة فى الجنة، فتلك الحسرة» اهـ[١].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٧).

* ﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾، عن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قال: ضيعنا من عمل الجنة. اهـ[(١)].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾:

* أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم عن السدى قال: ليس من رجل ظالم يموت فيدخل قبره إلا جاءه رجل قبيح الوجه، أسود اللون، منتن الريح، عليه ثياب دنسة، حتى يدخل معه قبره، فإذا رآه قال له: ما أقبح وجهك، قال: كذلك كان عملك قبيحًا، قال: ما أنتن ريحك، قال: كذلك كان عملك منتنًا، قال: ما أدنس ثيابك، فيقول: إن عملك كان دنسًا، قال: من أنت؟ قال: أنا عملك، قال: فيكون معه فى قبره، فإذا بعث يوم القيامة قال له: إنى كنتُ أحملك فى الدنيا باللذات والشهوات فأنت اليوم تحملنى فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار، فذلك قوله: ﴿ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ اهـ[(٢)].

* ﴿ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾.

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٣٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾، أى: باطل وغرور لا بقاء لها، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وسُمِّيت الدنيا لدنوِّها، وسُمِّيت الآخرة لتأخرها عن الدنيا.

* ﴿ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾، أى: الكفر والشرك بالله ـ تعالى ـ.

* ﴿ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾: أن الآخرة خير وأفضل من الدنيا، فتعملون لها، وفى مقدمة كل ذلك توحيد الله ـ تعالى ـ والإيمان بنبينا «محمد» ﷺ.

وصدق الله إذ قال: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧) ﴾ [الأعلى: ١٦ ـ ١٧]

* وإذْ قال: ﴿ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ (٤) ﴾ [الضحى: ٤].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٧).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ ﴾ [رقم: ٣٢].

قرأ ابن عامر: ﴿ ولدار ﴾ بلام واحدة، كما هى مرسومة فى المصحف الشامى، وهى لام الابتداء، وقرأ كذلك بتخفيف الدال وخفض تاء ﴿ الآخرة ﴾ على الإضافة مع حذف الموصوف، والتقدير: ولدار الحياة الآخرة خير للذين يتقون.

وقرأ الباقون: ﴿ وللدار ﴾ بلامين: لام الابتداء، ولام التعريف، مع تشديد الدال بسبب إدغام لام التعريف فى الدال. كما قرءوا برفع تاء ﴿ الآخرة ﴾ على أنها صفة ﴿ للدار ﴾ و ﴿ خير ﴾ خبرها. وهذه القراءة موافقة لرسم جميع المصاحف عدا المصحف الشامى(١).

* ﴿ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [رقم: ٣٢].

قرأ نافع، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب بتاء الخطاب، على الالتفات.

وقرأ الباقون بياء الغيب، لمناسبة قوله ـ تعالى ـ: ﴿ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾(٢).

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج الترمذى، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والضياء فى المختارة، عن علىّ (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال أبو جهل للنبى ﷺ: إنّا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله: ﴿ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾(٣) اهـ.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٤٠ ـ ٤١)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٤٩)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٢٩)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٠٤).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٤٢ ـ ٤٣)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٢٩)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٠٥).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٧ ـ ١٨).

* قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ): التقى الأخنس بن شريق، وأبو جهل بن هشام فقال الأخنس لأبى جهل: يا أبا الحكم أخبرنى عن «محمد بن عبد الله» أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس هاهنا أحد يسمع كلامك غيرى.

قال أبو جهل: والله إنّ «محمدًا» لصادق وما كذب «محمد» قط، ولكن إذا ذهب بنو قصىّ باللواء، والسقاية، والحجابة، والندوة، والنبوّة فماذا يكون لسائر قريش، فأنزل الله ـ عز وجل ـ هذه الآية. اهـ(١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ مضارع «كذّب» مضعف الثلاثى، على معنى: أنهم لا ينسبونك إلى الكذب، كما يقال: «فسقّته، وخطّأته» أى: نسبته إلى الفسق، وإلى الخطأ.

* ﴿ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾:

✵ **المعنى:** إنهم لا يكذبونك فى السرّ لأنهم عرفوا صدقك مدّة حياتك، وإنما يكذّبون الوحى الذى جئت به، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ⑬ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٣ ـ ١٤].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ [رقم: ٣٣].

قرأ نافع، والكسائى: ﴿ لا يكذبونك ﴾ بضم الياء، وإسكان الكاف، وتخفيف الذال، مضارع «أكذب» على معنى: لا يجدونك كاذبًا لأنهم يعرفونك بالصدق، فهو من باب «أحمدت الرجل» أى: وجدته محمودًا.

وقرأ الباقون: ﴿ لا يكذبونك ﴾ بضم الياء، وفتح الكاف، وتشديد الذال مضارع «كذّب» مضعف الثلاثى، على معنى: أنهم لا ينسبونك إلى الكذب، كما يقال: خطّأته، أى: نسبته إلى الخطأ(٢).

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٩٣ ـ ٩٤).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٤٤)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٥٠)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٠٥).

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾، أي: كذبهم قومهم كما كذبتك قريش.

وهذه الآية تضمنت تعزية الله ـ تعالى ـ لنبيه وحبيبه نبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا ﴾، وحينئذ يكون المعنى قول الله: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

* ﴿ وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾، أي: فسيأتيك «يا محمد» ما وعدك الله به وهو النصر، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) ﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٢].

* ﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾، أي: لا ناقض لما حكم به الله ـ تعالى ـ، وقد حكم فى كتابه بنصر أنبياءه ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فقال عزّ من قائل: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ (٥١) ﴾ [غافر: ٥١].

* ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾، المعنى: يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه وحبيبه نبينا «محمد» ﷺ: لقد جاءك «يا محمد» فى القرآن من أخبار المرسلين أن نصرى كان لهم، إذًا فأنت مثلهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ [المجادلة: ٢١].

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ﴾، أي: عظم عليك إعراضهم وتوليهم عن الإيمان بك، وكان الهادى البشير ﷺ حريصًا على إيمان قومه أشدّ الحرص.

* ﴿ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ ﴾، أي: إن استطعت أن تتخذ نفقًا فى الأرض، أي: سربا. ومنه النافقاء لجحر اليربوع.

* ﴿ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ﴾.

✵ **المعنى:** إن استطعت أن تجعل درجا ومصعدًا فى السماء فتصعد عليه فتأتيهم بآية، أى: إن استطعتَ ذلك فافعل، وفى هذا أمر من الله لنبيه ﷺ ألا يشتدّ حزنه على عدم إيمان قومه، كما أنه لا يستطيع هداهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

* ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾. قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [يونس: ٩٩ ـ ١٠٠].

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾:

✵ **المعنى:** المؤمنون هم الذين يستمعون القرآن فيتبعونه وينتفعون به، دون من ختم الله على سمعه وقلبه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ (١٨) ﴾ [الزمر: ١٨].

* وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ قال: هذا مثل المؤمن سمع كتاب الله فانتفع به، وأخذ به، وعقله، فهو حيّ القلب حيّ البصيرة(١).

* ﴿ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾، قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، ومجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ) قالا: هم الكفار، أى هم بمنزلة الموتى فى أنهم لا يقبلون، ولا يصغون إلى حجّة. اهـ(٢).

* ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾: فيحاسبهم ويعاقبهم بكفرهم.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٦٩).

﴿ وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون (٣٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالُوا ﴾، أي: رؤساء قريش.

* ﴿ لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾: ﴿ لَوْلا ﴾ هنا بمعنى «هلَّا» فردّ الله عليهم بقوله:

* ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾، أي: لا يعلمون أن الله ـ عزّ وجلّ ـ إنما ينزل من الآيات ما فيه مصلحة العباد.

وقيل: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾، أن الله قادر على إنزال الآيات.

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾:

* ﴿ دَابَّةٍ ﴾: من دبَّ يدبّ فهو دابّ: إذا مشى مشيا فيه تقارب الخُطى.

وقيّد الطيران بالجناح تأكيداً، كما يقال: نظرتُ بعينى.

* ﴿ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾، أي: هم جماعات مثلكم فى أن الله ـ عزّ وجلّ ـ خلقهم، وتكفّل بأرزاقهم، فلا ينبغى أن تظلموهم، ولا تجاوزوا فيهم ما أمرتم به.

* وقال مجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾، قال: أصناف مصنفة تعرف بأسمائها يريد أن كل جنس أمّة، فالطير أمّة، والهوام أمّة، والذباب أمّة، والسباع أمّة... إلخ. تعرف بأسمائها مثل بنى آدم يعرفون بأسمائهم. اهـ[١].

* ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾: اختلف فى تأويل ذلك على قولين:

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٩٥).

* الأول: المراد بالكتاب: اللوح المحفوظ فإن الله أثبت فيه كل ما يقع من الحوادث.

* والثاني: المراد: القرآن، أي: ما تركنا شيئًا من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن: إمّا دلالة مبينة مشروحة، وإمّا مجملة يُتلقّى بيانها من الرسول ﷺ. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩]. وقال: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤].

* ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾:

* عن أبي هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضي الله عنه) قال: يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة: البهائم والدوابّ والطير، وكل شيء فيقتصّ للجماء من القرناء، ثم يقول: كوني ترابًا، فحينئذ يتمنّى الكافر ويقول: يا ليتني كنتُ ترابًا.. اهـ(١).

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٩) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ ﴾، أي: لا يسمعون الخير، ولا يتكلمون به، إذًا فهم عُدِموا الانتفاع بأسماعهم وأبصارهم، فكل أمة من الدوابٍّ وغيرها تهتدي لمصالحها، والكفار لا يهتدون.

* ﴿ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾، أي: في ظلمات الكفر وضلالته.

* ﴿ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾، أي: على دين الإسلام.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (٤١) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ ﴾، قال أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ): العرب تقول: أرأيتك، وهم يريدون أخبرنا، كما تقول: أرأيتك إن فعلتَ كذا ماذا تفعل؟، أي: أخبرني. اهـ(٢).

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٩٥).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٩٦).

* ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ أى: قبل الموت.

* ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾، المراد: القيامة.

* ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾:، أى: فى صرف العذاب عنكم، والمراد الكفار فهم يدعون الله فى أحوال الأضرار، ثم بعد ذلك يكفرون.

ومن الأدلّة على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)﴾ [العنكبوت: ٦٥].

* ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾: ﴿بَلْ﴾ إضراب عن الأوّل، وإيجاب للثانى، أى: تدعون الله وحده، ولا تدعون غيره.

* ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ﴾: قيّد الإجابة بالمشيئة والأمور كلها بمشيئة الله ـ تعالى ـ. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)﴾ [التكوير: ٢٩].

* ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾، أى: تتركون دعاء ما تشركون فى حالة الشدّة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أرأيتكم معا، أرأيتم﴾ قرأ قالون، وأبو جعفر، وورش من طريقيه بتسهيل الهمزة الثانية بين بين، ولورش من طريق الأزرق إبدالها حرف مدٍّ محضا مع المد المشبع للساكنين وقرأ الكسائى بحذف الهمزة الثانية، وقرأ الباقون بالهمزة(١).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: هذه الآية فيها تسلية للنبى ﷺ. والمعنى: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك رسلا فكذبوهم، فعاقبهم الله ـ تعالى ـ، وقد دلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾:

قال الكثيرون من المفسرين: البأساء: المصائب فى الأموال، والضراء: المصائب فى الأبدان(٢).

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٠٧).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٧٣).

* ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾، أى: يدعون الله ـ تعالى ـ ويذلّون له مأخوذ من الضراعة وهى الذلة.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)﴾ [الأعراف: ٥٥ ـ ٥٦].

﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿فَلَوْلا﴾: فهلا. * ﴿إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا﴾، أى: عذابنا. * ﴿تَضَرَّعُوا﴾ إلى الله ـ تعالى ـ ليكشف عنهم هذا العذاب. * ﴿وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: من الكفر والمعاصى.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)﴾

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال المراد: تركوا ما ذكروا به. اهـ(١).

وأقول: وذلك لأن التارك للشىء إعراضًا عنه قد صيره بمنزلة ما قد نُسِيَ.

* ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، أى: من النعم والخيرات، أى: كثرنا لهم ذلك.

* ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾، المراد: بطروا، وأشروا، وأعجبوا، وظنوا أن ذلك العطاء لا يبيد.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٢٢).

* ﴿ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً ﴾، أى: استأصلناهم فجأة، والمراد: الأخذ على غرَّة، ومن غير تقدم أمارة.

قال - تعالى -: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٣) ﴾ [الأعراف: ١٨٢ - ١٨٣].

* ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾: المبلس: الحزين الباهت الآيس من الخير الذى لا يُحير جوابًا لشدّة ما نزل به من سوء الحال.

* ﴿ قُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾، أى: استؤصلوا.

* ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾: على إهلاك الظالمين.

* أخرج أحمد، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وابن المنذر، والطبرانى فى الكبير، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقى فى الشعب عن عقبة بن عامر عن النبى ﷺ قال: «إذا رأيت الله يعطى العبد فى الدنيا وهو مقيم على معاصيه ما يحبّ فإنما هو استدراج، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ الآية، والآية التى بعدها» اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ [رقم: ٤٤].

قرأ ابن عامر، وابن وردان، وابن جماز، ورويس بخلف عنهما بتشديد الدال، للدلالة على التكثير.

وقرأ الباقون بتخفيفها وهو الوجه الثانى لابن جمّاز، ورويس وذلك على الأصل(٢).

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ ﴾، أى: أعلمتم.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٢٢).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٤٥)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٥٠)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٣٢)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٠٧).

* ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾: حتى لا تسمعوا شيئًا أصلا، ولا تبصروا شيئًا أصلا.

ووحَّد ﴿سَمْعَكُمْ﴾ لأنه مصدر يدلّ على القليل والكثير.

* ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾، أي: طبع عليها حتى لا تفقهوا شيئًا ولا تعرفوا ما تعرفون من أمور الدنيا شيئًا.

* ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾، فإن قيل: لِمَ لَمْ يقل بها لأنه ذكر أشياء؟

قيل: معناه: يأتيكم بما أخذ منكم.

* ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾، أي: نبين لهم العلامات الدالة على وحدانية الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾، أي: يعرضون.

يقال: صدف عن الشيء: إذا أعرض عنه، صَدْفًا وصُدُوفًا فهو صادف.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ (٤٧)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً﴾، أي: فجأة.

* ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾، أي: معاينة ترونه عند نزوله.

* ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾، أي: المشركون.

* ومن الأدلّة على أن الظلم بمعنى الشرك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)﴾ [لقمان: ١٣].

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾، أي: بالترغيب والترهيب.

* وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): مبشرين بسعة الرزق فى الدنيا، والثواب فى الآخرة، ومعنى: ﴿ وَمُنذِرِينَ ﴾، أى: مخوفين عقاب الله. اهـ[١].

* ﴿ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾: حين يخاف أهل النار.

* ﴿ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾: إذا حزنوا. قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) ﴾ [الأعراف: ٩٦].

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٤٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾، أى: بالقرآن، والمعجزات.

* ﴿ يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ ﴾، أى: يصيبهم العذاب.

* ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾، أى: بسبب فسقهم وكفرهم.

﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾: هذا جواب لقولهم: ﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ [الأنعام: ٣٧].

والمعنى: ليس عندى خزائن الله فأنزل ما اقترحتموه من الآيات.

* ﴿ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾، أيضًا ولا أعلم الغيب فأخبركم به.

* ﴿ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾، أى: لست بملك فأشاهد ما لا يشاهده البشر.

* ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾، أى: ما آتيكم به فمن وحى الله، وذلك غير مستحيل.

* ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾، أى: الكافر والمؤمن.

* ﴿ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ ﴾: أنهما لا يستويان.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٧٦).

﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢) ﴾

سبب نزول هاتين الآيتين:

ورد فى سبب نزولهما عدد من الروايات وقد اخترت الرواية التالية طلبًا للاختصار:

* أخرج أحمد، وابن جرير، وابن أبى حاتم، والطبرانى، وأبو الشيخ، وابن مردويه، وأبو نعيم فى الحلية عن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: مَرَّ الملأ من قريش على النبى ﷺ وعنده صهيب، وعمّار، وبلال وخبّاب ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا «محمد» أرضيت بهؤلاء من قومك مَنَّ الله عليهم من بيننا، أو نحن نكون تبعًا لهؤلاء؟ اطردهم عنك فلعلك إن طردتهم أن نتَّبعك. فأنزل الله فيهم: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ اهـ(١).

معانى المفردات:

* ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ﴾، أى: خوِّف بالقرآن، والإنذار: الإعلام مع تخويف.

* ﴿ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾، وذلك للبعث والجزاء.

* ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ ﴾، أى: من دون الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾، أى: ليس لهم من دون الله ـ تعالى ـ ولىّ أى: قريب ينفعهم، ولا شفيع يشفع لهم.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) ﴾ [طه: ١٠٩].

* ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾، أى: ينتهون عما نهوا عنه.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٧٨)، وتفسير البغوى (٢/ ٩٩)، تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٢٤).

* ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قالوا: المراد بالدعاء: المحافظة على الصلاة المكتوبة فى الجماعة. اهـ(١).

* ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾، أى: طاعة الله والإخلاص فيها، أى: يخلصون فى عبادتهم، وأعمالهم لله، ويتوجهون بذلك إليه لا لغيره، وخصَّ الغداة والعشىّ بالذكر، لأن الشغل فيهما غالب على الناس، ومن كان فى وقت الشغل مقبلا على العبادة كان فى وقت الفراغ من الشغل أقْبل.

* ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ ﴾، أى: جزاؤهم ورزقهم على الله، وجزاؤك ورزقك على الله لا على غيره، وإذا كان الأمر كذلك فأقبل عليهم وجالسهم ولا تطردهم مراعاة لطلب من ليس على مثل حالهم فى الدين.

وكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يصبر نفسه معهم كما أمره الله فى قوله:

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) ﴾ [الكهف: ٢٨].

* ﴿ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾:

المعنى: ولا تطرد الذين يدعون ربهم فتكون من الظالمين إن طردتهم. والظلم: أصله وضع الشىء فى غير موضعه.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ [الأنعام: ٥٢، والكهف: ٢٨].

قرأ ابن عامر: ﴿ بالغدوة ﴾ فى الموضعين بضم الغين، وإسكان الدال وبعدهما واو مفتوحة.

وقرأ الباقون: ﴿ بالغداة ﴾ بفتح الغين والدال، وألف بعدها. وهما لهجتان بمعنى واحد، والغداة: ظرف لأول النهار(٢).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٧٨).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٤٧)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٥١)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٠٨).

﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (٥٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾، المراد: ابتلى الغنى بالفقير، والشريف بالوضيع، وذلك أن الشريف إذا نظر إلى الوضيع قد سبقه بالإيمان امتنع من الدخول فى الإسلام بسببه فكان فتنة له، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا ﴾، فقال الله ـ تعالى ـ:

* ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾: وهو جواب لقولهم: ﴿ أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا ﴾ وهو استفهام بمعنى التقرير، أى: الله أعلم بمن شكر نعم الله عليه ودخل فى الإسلام إذ هداه الله ـ عزّ وجلّ ـ لذلك.

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ﴾:

* قال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ): نزلت فى الذين نهى الله ـ عزّ وجلّ ـ نبيه ﷺ عن طردهم فكان النبى ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام وقال: «الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرنى أن أبدأهم بالسلام»(١).

* ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾:

قال القرطبى فى تفسيره: فى تأويل ذلك قولان:

* الأول: أى أوجب ذلك بخبره الصدق، ووعده الحق، فخوطب العباد على ما يعرفونه من أنه من كتب شيئًا فقد أوجبه على نفسه.

* والثانى: كتب ذلك فى اللوح المحفوظ. اهـ.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٨٠).

* ﴿ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ﴾، أي: خطيئة من غير قصد.

* وقال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): لا يعلم حلالا من حرام، فمن جهالته ركب الذنب(١).

* ﴿ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾، أي: رجع عن ذنبه.

* ﴿ وَأَصْلَحَ ﴾، أي: عمل الصالحات.

* ﴿ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) ﴾ [طه: ٨٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَنَّهُ، فَأَنَّهُ ﴾ [رقم: ٥٤].

قرأ نافع، وأبو جعفر: ﴿ أنه ﴾ بفتح الهمزة، ﴿ فإنه ﴾ بكسر الهمزة.

وقرأ ابن عامر، وعاصم، ويعقوب بفتح الهمزة فيهما.

وقرأ الباقون بكسر الهمزة فيهما(٢).

﴿ وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين (٥٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ ﴾: التفصيل: التبيين الذى تظهر به المعانى.

المعنى: وكما فصّلنا لك فى هذه السورة دلائلنا، ومحاجتنا مع المشركين، كذلك نفصّل لكم الآيات فى كل ما تحتاجون إليه من أمر الدين، ونبين لكم أدلّتنا وحججنا فى كل حق ينكره أهل الباطل.

* ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾، أى: ليظهر ويتضح طريق المجرمين.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٦/ ٢٨٠).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٤٨)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٠٨).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [رقم: ٥٥].

قرأ نافع، وأبو جعفر: ﴿ ولتستبين ﴾ بتاء الخطاب، ونصب لام ﴿ سبيل ﴾ على أن ﴿ تستبين ﴾ فعل مضارع من «استبنت الشيء» المعدّى، و ﴿ سبيل ﴾ مفعول به.

* **والمعنى:** ولتستوضح يا «محمد» طريق المجرمين.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص، ويعقوب: ﴿ ولتستبين ﴾ بتاء التأنيث، ورفع لا «سبيلُ» على أن «تستبين» مضارع من «استبان» اللازم، نحو: «استبان الصبح» بمعنى ظهر. وبناء عليه يكون ﴿ تستبين ﴾ مضارع، «سبيلُ» فاعل. وجاز تأنيث الفعل لأن الفاعل مجازيًا.

وقرأ شعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف البزّار: ﴿ وليستبين ﴾ بياء التذكير، ورفع لام «سبيلُ».

وجاز تذكير الفعل لأن الفاعل مؤنث مجازيًا(١).

﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (٥٦) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾: ﴿ تَدْعُونَ ﴾ بمعنى تعبدون، وقيل: تدعونهم فى مهمات أموركم على جهة العبادة، والمراد بذلك: الأصنام.

* ﴿ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ﴾: فيما طلبتموه من عبادة هذه الأشياء، ومن طرد من أردتم طرده.

* ﴿ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا ﴾، أى: قد ضللت إن اتبعت أهواءكم.

* ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾، أى: لست على طريق رشد وهدى إن اتبعت أهواءكم.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٤٩)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٠٩).

﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾، أي: دلالة ويقين، وحجة وبرهان، منه البينة لأنها تبين الحق وتظهره.

* ﴿ وَكَذَّبْتُم بِهِ ﴾، أي: بالبينة، لأنها في معنى البيان.

* ﴿ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ﴾، أي: نزول العذاب بكم، مثل قولهم: كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ [الإسراء: ٩٢].

* ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾، أي: ما الحكم إلا الله وحده في تأخير العذاب وتعجيله، لأن كل شيء عنده بمقدار.

* ﴿ يَقُصُّ الْحَقَّ ﴾، أي: يقصّ القصص الحق، قال ـ تعالى ـ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) ﴾ [يوسف: ٣].

* ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾، وصدق الله إذ قال: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يَقُصُّ الْحَقَّ ﴾ [رقم: ٥٧].

قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم، وأبو جعفر: ﴿ يقصّ ﴾ بضم القاف وبعدها صاد مهملة مضمومة مشدّدة، على أنه مضارع من «القصص».

وقرأ الباقون: ﴿ يقض ﴾ بسكون القاف، وبعدها ضاد معجمة مكسورة مخففة، على أنه مضارع من «القضاء» و «الحق» صفة لمصدر محذوف مفعول به، والتقدير: يقض القضاء الحق[1].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٥٠)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٥٢)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٣٤)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٠٩).

﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عندي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (٥٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾:

✱ **المعنى:** لو أن عندى ما تستعجلون به من العذاب لأنزلته بكم حتى ينقضى الأمر الذى بينى وبينكم، ولكن هذا بقدر الله ـ تعالى ـ وإرادته، لأن الأمور كلها بيد الله ـ عزّ وجلّ ـ، إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فهو يكون.

والاستعجال: طلب حصول الشيء قبل وقته وحينه.

* ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾، أى: بالمشركين، وبوقت عقوبتهم.

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٥٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾:

* أخرج أحمد، والبخارى، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن ابن عمر (٧٣هـ ـ رضى الله عنهما): أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما فى غد إلا الله، ولا يعلم متى تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتى المطر أحد إلا الله، ولا تدرى نفس بأىِّ أرض تموت إلا الله، ولا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله ـ تبارك وتعالى ـ» اهـ(١).

* وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ قال: هنّ خمس: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان: ٣٤](٢).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٢٨).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾:

* أخرج مسدّد فى مسنده، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: ما من شجرة على ساق إلا موكل بها ملَك يعلم ما يسقط منها حين يحصيه، ثم يرفع علمه وهو ـ أى الله ـ أعلم منه[(١)].

* ﴿وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾، أى: فى اللوح المحفوظ لتعتبر الملائكة بذلك، لا أنه ـ سبحانه وتعالى ـ كتب ذلك لنسيان يلحقه، تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾:

* أخرج أبو الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «مع كل إنسان ملَك إذا نام يأخذ نفسه، فإن أذن الله فى قبض روحه قبضه، وإلا ردّ إليه، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾» اهـ[(٢)].

* ويشهد لصحة هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢)﴾ [الزمر: ٤٢].

* وأخرج عبد بن حميد، وابن أبى شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد بن جبر المفسّر (١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ الآية، قال: أمّا وفاتهم بالليل: فمنامهم، وأمّا ﴿مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾، فيقول: ما كسبتم بالنهار، ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ قال: فى النهار. اهـ[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٢٨).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٢٩).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٣٠).

* ﴿ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾، أي: ليستوفى كل إنسان أجلاً ضرب له.

* ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾، أي: فى الآخرة.

* ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم ﴾، أي: يخبركم. * ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) ﴾ [الكهف: ٤٩].

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾:

* قال القرطبى فى تفسيره: يعنى فوقيّة المكانة والرتبة، لا فوقيّة المكان والجهة. اهـ[1].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾:

* أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧ هـ)، قال: هم المعقبات من الملائكة يحفظونه ويحفظون عمله[2].

* ويشهد لصحة هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾:

* أخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وأبو الشيخ فى العظمة عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت١١٨ هـ) قال: إن ملك الموت له رسل، فيلى قبضها الرسل، ثم يدفعونها إلى ملك الموت[3].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ٦).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور (٣/ ٣٠).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور (٣/ ٣١).

* وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قال: جعلت الأرض لملك الموت مثل الطست يتناول من حيث شاء، وجعلت له أعوان يتوفون الأنفس ثم يقبضها منهم. اهـ[١].

* ﴿ وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴾، أي: لا يضيعون.

﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (٦٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾، المراد: جميع الأموات يردّهم الله ـ تعالى ـ بالبعث إلى الحساب.

* ﴿ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ ﴾، أي: خالقهم ورازقهم وباعثهم ومالكهم.

* ﴿ أَلا لَهُ الْحُكْمُ ﴾، أي: اعلموا وقولوا لله الحكم وحده يوم القيامة، والمراد هنا: القضاء والفصل بين العباد.

* ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾، أي: حسابه ـ عزّ وجل ـ سريع، لأنه لا يحتاج إلى فكرة ورويّة، إذْ من صفات الله ـ تعالى ـ أنه ليس كمثله شيء.

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾، أي: من شدائدهما وأهوالهما، كانوا إذا سافروا فى البرّ والبحر فضلوا الطريق، وخافوا الهلاك، دعوا الله مخلصين له الدين فينجيهم، فذلك قوله ـ تعالى ـ:

* ﴿ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾، أي: علانية وسرّاً.

* ﴿ لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾، أي: يقولون هذا، والشكر: معرفة النعمة مع القيام بحقها.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور (٣/ ٣٠).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾ [رقم: ٦٣].

* ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾ [رقم: ٦٤].

قرأ يعقوب بتخفيف الجيم فى الموضعين، مضارع «أنجا ينجى».

وقرأ الباقون بتشديد الجيم فيهما، مضارع «نجَّى ينجِّى»(١).

* ﴿وَخُفْيَةً﴾ [رقم: ٦٣].

ومن قوله ـ تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

قرأ شعبة ﴿خِفية﴾ فى الموضعين بكسر الخاء.

وقرأ الباقون بضمها، وهما لهجتان فى مصدر «خفى»(٢).

* ﴿لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ﴾ [رقم: ٦٣].

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائى، وخلف البزَّار: ﴿أنجانا﴾ بألف بعد الجيم، وذلك جريا على نسق ما قبله وما بعده، لأن قبله: ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ والهاء للغائب وبعده ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾ [رقم: ٦٤].

وقرأ الباقون ﴿أنجيتنا﴾ على الخطاب، وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب حكاية لدعائهم(٣).

﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾

معانى المفردات:

* ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم منها﴾: الضمير فى منها عائد على «الظلمات» المتقدم ذكرها فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ من يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [رقم: ٦٣].

* ﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾، «الكرب»: غاية الغمّ الذى يأخذ النفس.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٥٢ ـ ٥٣).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٥٦)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢١١).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٥٤)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢١١).

* ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾: هذا تقريع وتوبيخ للمشركين، لأن الحجة إذا قامت بعد المعرفة وجب الإيمان والإخلاص، إلا أنهم يقرون أنّ الذى يدعونه عند الشدّة هو الذى ينجيهم، ثم هم يشركون معه ويعبدون الأصنام التى قد علموا أنها لا تضرّ ولا تنفع.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا ﴾ [رقم: ٦٤].

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن ذكوان، ويعقوب بإسكان النون، وتخفيف الجيم، مضارع «أنجى».

وقرأ الباقون بفتح النون، وتشديد الجيم، مضارع «نجّى» مضعف العين، والتضعيف للتكثير(١).

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥) ﴾

معانى المفردات:

* أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ عذابا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ قال: من قبل أمرائكم، وأشرافكم، وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال: من قبل سفلتكم وعبيدكم. اهـ(٢).

* وأخرج أبو الشيخ أيضًا عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ قال: الصيحة، والحجارة والريح.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾، قال: الرجفة، والخسف وهما عذاب أهل التكذيب. اهـ(٣).

* وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾، قال: المراد بالشيع: الأهواء المختلفة.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٢١١). (٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٣٢).

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ قال: يسلط بعضكم على بعض بالقتل والعذاب. اهـ(١).

* ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ﴾، أى: نبين لهم الحجج والدلالات.

* ﴿ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾، أى: يفهمون، والمراد: بطلان ما هم عليه من الشرك والمعاصى.

﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (٦٦) ﴾

معانى المفردات:

* أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن السدى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾، قال: كذبت قريش بالقرآن وهو الحق لأنه من عند الله ـ تعالى ـ(٢).

* ﴿ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾: يوضح معنى ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧) ﴾

المعنى: أى: لكل شىء وقت يقع فيه من غير تقدّم، أو تأخر، إذْ كل شىء عنده بمقدار.

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨) ﴾

المعنى: أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى تأويل هذه الآية قال: نهى الله نبيه «محمداً» ﷺ أن يجلس مع الذين يخوضون فى آيات الله يكذبون بها، فإن نسى فلا يقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين. اهـ(٣).

* وأقول: إذا كان النهى موجهًا إلى نبينا «محمد» ﷺ، إلا أنّ أمته تبع له فى ذلك الحكم.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٣١).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٣٧).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ ﴾ [رقم: ٦٨]

قرأ ابن عامر ﴿ يُنَسِّيَنك ﴾ بفتح النون وتشديد السين، على أنه مضارع «نسَّى» مضعف الثلاثى.

وقرأ الباقون بإسكان النون، وتخفيف السين، على أنه مضارع «أنسى» الرباعى.

والمفعول الثانى على القراءتين محذوف، والتقدير: ما أمرتَ به من ترك مجالسة الخائضين فى آيات الله فلا تقعد معهم بعد التذكر(١).

﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٦٩) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): لما نزلت هذه الآية ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ [رقم: ٦٨].

قال المسلمون: كيف نقعد فى المسجد الحرام، ونطوف بالبيت وهم يخوضون أبدًا؟ ، فأنزل الله هذه الآية(٢).

معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾، أى: الخوض فى آيات الله، وهم المسلمون.

* ﴿ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾، أى: من إثم الخائضين.

* ﴿ وَلَكِن ذِكْرَىٰ ﴾، المعنى: إن قعد المؤمنون مع الخائضين فعليهم أن يذكروهم، ويخوفوهم عقاب الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾، أى: يخافون الله ويتركون الخوض.

* وأخرج النحّاس فى ناسخه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ، فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ قال: هذه مكيّة،

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٥٦ ـ ٥٧)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢١٢).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٠٥)، تفسير القرطبى (٧/ ١٢).

نسخت في المدينة بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ الآية [النساء: ١٤٠] اهـ(١).

﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾، أي: لا تعلّق قلبك بهم فإنهم أهل تعنت وإن كنت مأموراً بهم، والخطاب موجّه إلى نبينا «محمد» ﷺ.

* ومعنى ﴿ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾، أي: استهزاءً بالدين الذى تدعوهم إليه.

وقيل: استهزاءً بالدين الذى هم عليه فلم يعملوا به، لأن الاستهزاء ليس جائزًا فى أيِّ دين من الأديان.

* ﴿ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾، أي: فتنوا بزخارف الحياة الدنيا الفانية، وترتب على ذلك كفرهم، وعدم العمل للدار الآخرة الباقية.

وقد حذّر الله من الاغترار بالحياة الدنيا فقال ـ عزّ من قائل ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) ﴾ [فاطر: ٥].

* ﴿ وَذَكِّرْ بِهِ ﴾، أي: بالقرآن، أو بالحساب الذى يكون يوم القيامة.

* ﴿ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ ﴾، قال كل من:

١ ـ مجاهد بن جبر المفسِّر (ت ١٠٤هـ).

٢ ـ وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ).

٣ ـ والحسن البصرى (ت ١١٠هـ).

٤ ـ وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٣٨ ـ ٣٩).

٥ ـ والسدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ).

قالوا فى تأويل ذلك: أى تُرتهن، وتُسْلم للْهلكة. اهـ[١].

* ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ﴾: ليشفع لـهـا عند الله يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

* ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾:

* عن قتـادة بن دعامـة السدوسى، قال فى تأويل ذلـك: لو جاءت بملء الأرض ذهبًا لم يقبل منها. اهـ[٢].

* ويشهـد لصحة هــذا المعنى قـولـه ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦)﴾ [المائدة: ٣٦].

* ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾، أى: أخذوا، وأسلموا للهـلاك والعذاب بسبب كفرهم بآيات الله.

* ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾: وصـدق الله إذ قـال فـى وصـف شراب أهل النار: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥)﴾ [محمد: ١٥].

* وإذْ قال أيـضًا: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨)﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٨].

﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧١)﴾

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ١٣).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٠).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ ما لا ينفعنا ﴾، أى: ما لا ينفعنا إن دعوناه، وعبدناه.

* ﴿ ولا يضرُّنا ﴾: إن تركنا عبادته، المراد: الأصنام لأنها لا تنفع ولا تضر، ولا تغنى عن نفسها شيئًا فضلاً عن غيرها، وصدق الله إذ قال: ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) ﴾ [الزمر: ٣٨].

* ﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾، أى: نرجع إلى الشرك والضلال بعد هداية الله ـ تعالى ـ لنا، مما لا ريب فيه أن هذا لا يجوز.

وواحد «الأعقاب»: عقب، وهو مؤنث، وتصغيره «عقيبة».

قال أبو عبيدة معمر بن المثنّى (ت ٢١٠هـ)، يقال لمن ردّ عن حاجته ولم يظفر بها: قد ردّ على عقبيه[١].

* ﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حيران ﴾... إلخ:

* أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾، يقول: مثلكم إذ كفرتم بعد الإيمان كمثل رجل كان مع قوم على طريق فضل الطريق، فحيرته الشياطين واستهوته فى الأرض، وأصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه إليهم يقولون ائتنا فإنا على الطريق فأبى أن يأتيهم، فذلك مثل من تبعكم بعد المعرفة «بمحمد» ﷺ، و«محمد» ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو الذى يدعو إلى الطريق، والطريق هو الإسلام. اهـ[٢].

وصدق الله إذْ قال: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ﴾ [الزمر: ٢٩].

* ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ١٤).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٠).

* وصدق الله إذ قال: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧)﴾ [الكهف: ١٧].

* وإذ قال: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢)﴾ [الزمر: ١١ ـ ١٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ [رقم: ٧١].

قرأ حمزة: ﴿استهواه﴾ على تذكير الفعل لكون فاعله جمع تكسير وهو «الشياطين» فالتذكير على معنى الجمع، أي جمع الشياطين.

وقرأ الباقون ﴿استهوته﴾ على تأنيث الفعل، على معنى الجماعة، أي جماعة الشياطين[(١)].

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (٧٣)﴾

معاني المفردات:

* ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ﴾: هذا أمر من الله ـ تعالى ـ بأمرين هامَّين:

الأول: الأمر بإقام الصلاة، أي: الإتيان بها تامّة بشروطها، وأركانها، وسننها، وآدابها، وفي أوقاتها... إلخ.

والثاني: الأمر بتقوى الله ـ تعالى ـ، وهذا يستوجب امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، وفقًا لتعاليم الإسلام.

* ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، أي: تجمعون في الموقف للحساب.

* ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، أي: إظهارًا للحق، لأنه جعل صنعه دليلاً على وحدانيته.

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات (٢/ ٥٧ ـ ٥٨)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٥٢)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٣٥)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ٢١٢).

* وصدق الله إذ قال: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) ﴾ [ص: ٢٧].

* ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ﴾، أي: اتقوا يوم يقول كن فهو يكون، أي: خافوا ذلك اليوم بالإيمان والأعمال الصالحة.

* ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ ﴾: مبتدأ وخبر، أي: قوله الصدق وهو واقع لا محالة.

* ﴿ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ﴾: وذلك لأن الدنيا ستفنى، وسيزول مُلْك الملوك، وصدق الله إذ قال: ﴿ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) ﴾ [غافر: ١٦].

* ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾، أي: الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم ما غاب عن العباد، وما يشاهدونه، لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

* ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾، أي: يضع كل شيء بحكمة، وضع الحكيم الخبير.

*** تنبيه:**

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [رقم: ٧٣]. أجمع القراء العشرة على رفع نون ﴿ فيكون ﴾ لأنه من المستثنيات، قال ابن الجزرى فى الطيبة:

كن فيكون فانصبا   رفعا سوى الحق وقوله كبا

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٧٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ﴾: اختلف المفسرون فى اسم أبى إبراهيم:

أولا: قال محمد بن إسحاق بن وهب (ت ٢٩٤هـ)، والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)، والكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ) قالوا: آزر اسم أبى إبراهيم، وهو تارخ أيضًا مثل: إسرائيل ويعقوب. اهـ.

ثانيًا: قال مقاتل بن حيّان البلخىّ (ت ١١٠هـ): آزر لقب لأبى إبراهيم، واسمه تارخ. اهـ.

ثالثًا: قال سعيد بن المسيّب (ت ٩٤هـ)، ومجاهد بن جبر المفسِّر (ت ١٠٤هـ) قالا: آزر اسم صنم. اهـ(١).

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٠٨).

رابعًا: قال السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): اسم أبيه تارخ، واسم الصنم آزر. اهـ(١).

* ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾: مفعولان لـ «تتخذ»، وهو استفهام فيه معنى الإنكار.

* ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، أى: فى خطأ بيّن.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾ [رقم: ٧٤].

قرأ يعقوب: ﴿آزرُ﴾ بضم الراء، على أنه منادى حذف منه حرف النداء.

وقرأ الباقون: ﴿آزرَ﴾ بفتح الراء، على أنه بدل من «أبيه» وهو مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة(٢).

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾:

* ﴿مَلَكُوتَ﴾، أى: ملك، وزيدت الواو، والتاء للمبالغة، مثل: الجبروت، والرحموت، والرهبوت.

وقد اختلف المفسرون فى تأويل ذلك:

أولا: قال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ): إنما هو ملك السموات والأرض، ولكنه بلسان النبطية ملكوت(٣).

ثانيًا: قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): آيات فرجت له السموات السبع فنظر إلى ما فيهن حتى انتهى بصره إلى العرش، وفرجت له الأرضون السبع فنظر إلى ما فيهنّ. اهـ(٤).

* ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾، أى: أريناه ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٣).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٥٩)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٥٤)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢١٤).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٤).

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ﴾، أى: ستره بظلمته.

* ﴿ رَأَىٰ كَوْكَبًا ﴾: قال السّدى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): هو المشترى، وهو الذى يطلع نحو القبلة عند المغرب(١).

* وقال زيد بن على فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ رَأَىٰ كَوْكَبًا ﴾: هو الزهرة(٢).

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ ﴾، أى: ذهب(٣).

* وعن قتادة بن دعامة السدوسىّ (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾، أى: الزائلين(٤).

* ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾، «بازغًا» أى: طالعًا. يقال: بزغ القمر: إذا ابتدأ فى الطلوع.

* ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي ﴾، أى: لئن لم يثبتنى ربى على الهدى.

* ﴿ لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾.

* ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً ﴾، أى: طالعة.

* ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ﴾، أى: أكبر من الكوكب والقمر. ولم يقل «هذه» لأن الشمس مؤنثة، لأنه أراد هذا الطالع.

* ﴿ فَلَمَّا أَفَلَتْ ﴾، أى: غربت. * ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾.

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٧).

* ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾، أي: قصدت بعبادتى وتوحيدى لله ـ عزّ وجلّ ـ وحده، وذكر الوجْه لأنه أظهر ما يعرف به الإنسان صاحبه.

* ﴿حنيفًا﴾، أي: مائلا عن الأديان كلها إلى الدين الحق.

* ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، بل أنا من المؤمنين الموحدين.

* أخرج ابن أبى حاتم عن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قال: كان من شأن نبى الله «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ: أن أوّل مَلِك فى الأرض شرقها وغربها (نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح).

وكانت الملوك الذين ملكوا الأرض كلها أربعة:

١ ـ نمرود بن كنعان. ٢ ـ وسليمان بن داود.

٣ ـ وذو القرنين. ٤ ـ وبختنصر، مسلمين وكافرين.

وإنه طلع كوكب على (نمرود) ذهب بضوء الشمس والقمر، ففزع من ذلك، فدعا السحرة والكهنة والقافة فسألهم عن ذلك فقالوا: يخرج من ملكك رجل يكون على وجهه هلاكك وهلاك ملكك، وكان مسكنه ببابل الكوفة، فخرج من قريته إلى قرية أخرى، وأخرج الرجال، وترك النساء، وأمر أن لا يولد مولود ذَكَر إلا ذبحه، فذبح أولادهم. ثم إنه بدت له حاجة فى المدينة لم يأمن عليها إلا (آزر أبا إبراهيم) فدعاه فسأله فقال له: انظر لا تواقع أهلك.

فقال له «آزر»: أنا أضَنُّ بدينى من ذلك.

فلما دخل القرية نظر إلى أهله فلم يملك نفسه أن وقع عليها فقرّبها إلى قرية بين الكوفة والبصرة يُقَال لها (ادر) فجعلها فى سرب، فكان يتعهدها بالطعام وما يصلحها. وإن الملك نمرود، لما طال عليه الأمر قال: قول سحرة كذّابين ارجعوا إلى بلدكم، فرجعوا وَوُلِدَ إبراهيم. فكان فى كل يوم يمرّ به كأنه جمعة، والجمعة كالشهر من سرعة شبابه.

ونَسِيَ المَلِكُ ذلك، وكبُر إبراهيم، ولا يرى أن أحدًا من الخلق غيره وغير أبيه وأمّه.

فقال أبو إبراهيم لأصحابه: إنّ لى ابنًا وقد خبّأته أفتخافون عليه الملك إن أنا جئتُ به؟ قالوا: لا فأت به. فانطلق فأخرجه.

فلما خرج الغلام من السّرْب نظر إلى الدّوابّ، والبهائم، والخلق، فجعل يسأل أباه فيقول: ما هذا؟ فيخبره عن البعير أنه بعير، وعن البقرة أنها بقرة، وعن الفرس أنها فرس، وعن الشاة أنها شاة.

فقال: ما لهؤلاء بدّ من أن يكون لهم ربّ. وكان خروجه حين خرج من السّرب بعد غروب الشمس، فرفع رأسه إلى السماء فإذا هو بالكوكب وهو المشترى، فقال: هذا ربِّى، فلم يلبث أن غاب، قال: لا أحبّ ربّا يغيب، فلما كان آخر الليل رأى القمر بازغًا قد طلع، قال: هذا ربِّى، فلمّا أفل ـ أى: غاب ـ، قال: لئن لم يهدنى ربّى لأكوننّ من القوم الضالين.

فلما أصبح رأى الشمس بازغة، قال: هذا ربّى هذا أكبر فلما أفلت قال: يا قوم إنى برىء مما تشركون.

قال الله له: أسلم، قال: أسلمت لرب العالمين(١).

﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ﴾، أى: خاصموه فى توحيد الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴾، أى: أتخاصموننى فى وحدانية الله، وقد هدان ربّى إلى الحقيقة، فخوّفوه بآلهتهم أن يصيبه منها خبل، فقال:

* ﴿ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ﴾، أى: إلا أن يلحقنى شىء من المكروه بذنب عملتُه فتتمّ مشيئته.

* ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾: «عِلْمًا» تمييز محوّل عن الفاعل، أى: وسع علم ربى كل شىء.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٦ ـ ٤٧).

* ﴿أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾: هذا استفهام إنكارى بمعنى النهى، أى: تذكروا.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ﴾ [رقم: ٨٠].

قرأ نافع، وابن ذكوان، وأبو جعفر، وهشام بخلف عنه: ﴿ أتحاجونى ﴾ بتخفيف النون، لأن أصل الفعل «أتحاجوننى» بنونين: الأولى علامة رفع الفعل، والثانية نون الوقاية، وهى فاصلة بين الفعل والياء، فلما اجتمع نونان حذفت نون الوقاية للتخفيف، ولا يحسن حذف النون الأولى لأنها علامة رفع الفعل، وحذفها علامة النصب والرفع.

* وقرأ الباقون: ﴿ أتحاجونّى ﴾ بتشديد النون، وذلك على إدغام نون الرفع فى نون الوقاية للتخفيف، وبذلك قرأ هشام فى وجهه الثانى[1].

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ﴾: فى «كيف» معنى الإنكار، وحينئذ يكون المعنى: أنكر نبىّ الله «إبراهيم» على قومه تخويفهم إيّاه بالأصنام، وهم لا يخافون الله ـ عزّ وجلّ ـ أى: كيف أخاف أصنامًا لا تنفع ولا تضرّ، وأنتم لا تخافون الله القادر على كل شىء.

* ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾، أى: حجة وبرهانًا.

* ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أى: أىّ الفريقين أولى بالأمن أنا المسلم الموحّد، أم أنتم أيها الكفار المشركون، فقال الله قاضيًا بينهما:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) ﴾

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٦٠)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٥٥)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢١٥).

✵ المعنى:

* أخرج أحمد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والدارقطنى فى الأفراد، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على الناس فقالوا: يا رسول الله وأيّنا لا يظلم نفسه؟ قال: «إنه ليس الذى تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح ـ أى: «لقمان» عليه السلام ـ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)﴾ [لقمان: ١٣] إنما هو الشرك» اهـ(١).

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾:

* أخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن الربيع، عن أنس بن مالك الأنصارى (ت ٩١هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾، قال: ذلك فى الخصومة التى كانت بينه وبين قومه، والخصومة التى كانت بينه وبين الجبار الذى يسمّى نمرود. اهـ(٢).

* ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾، أى: بالإيمان، والعلم، والفهم، والإمامة، والعقل، كما رفعنا درجات «إبراهيم» حتى اهتدى إلى الحق والصواب، وحاجّ قومه فى التوحيد.

* ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: يضع كل شىء موضعه بالحكمة والعلم.

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ [الأنعام: ٨٣].

* ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ [يوسف: ٧٦].

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿درجات﴾ فى السورتين بالتنوين، على أنّ الفعل مسلّط على «مَنْ» لأن المرفوع فى الحقيقة هو صاحب

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥١).

الدرجات لا الدرجات، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ورفع بعضهم درجات﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وبناء عليه تكون «درجات» منصوبة على الظرفية و «مَنْ» مفعول «نرفع»، والتقدير: نرفع من نشاء مراتب ومنازل.

وقرأ يعقوب بالتنوين في موضع الأنعام فقط.

وقرأ الباقون «درجاتِ» بغير تنوين، على أن الفعل مسلط على «درجات» فتكون مفعول «نرفع»، و «درجاتِ» مضاف و «مَنْ» مضاف إليه.

وقرأ يعقوب بغير تنوين في موضع يوسف فقط(١).

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا﴾: التنوين في «كلا» عوض عن المضاف إليه، أي: كل واحد منهم مهتد، و «كلا» منصوب بـ «هدينا».

* ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾: «نوحًا» منصوب بـ «هدينا».

* ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ إلخ: الضمير في «ذريته» اختلف في العائد عليه على قولين:

الأول: قال الزجاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): الضمير عائد على «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ.

والثاني: قال أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ): الضمير عائد على «نوح» ـ عليه السلام ـ.

* وقد اعترض على قول الزجاج بأنه عدّ من هذه الذرّية: يونس، ولوطا، وما كانا من ذرّية إبراهيم، وكان لوط ابن أخيه، وقيل: ابن أخته(٢).

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات (٢/ ٦١ ـ ٦٢)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٥٥)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٣٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٢٢).

* وقال ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما): هؤلاء الأنبياء جميعًا مضافون إلى ذرّية «إبراهيم» وإن كان فيهم من لم تلحقه ولادة من جهته، أي: من جهة أب، ولا أمّ، لأن «لوطا» ابن أخى «إبراهيم»، والعرب تجعل العمّ أبًا.

كما أخبر الله عن ولد «يعقوب» أنهم قالوا جوابًا لقول «يعقوب» حينما حضره الموت، وقال لبنيه: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ أجابوه بقولهم: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وإسماعيل عمّ يعقوب.

وعدّ «عيسى» من ذرّية «إبراهيم» وإنما هو ابن البنت، فأولاد «فاطمة» ـ رضى الله عنها ـ ذرّية النبىّ ﷺ وبهذا تمسّك من رأى أنّ أولاد البنات يدخلون فى اسم الولد. اهـ. مع بعض تصرف فى العبارة(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَالْيَسَعَ﴾ [رقم: ٨٦].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: بلام مشدّدة مفتوحة وبعدها ياء ساكنة، على أن أصله «ليسع» كضيغم، قُدِّر تنكيره فدخلت عليه أهل للتعريف ثم أدغمت اللام فى اللام.

وقرأ الباقون بلام خفيفة ساكنة وبعدها ياء مفتوحة، على أن أصله «يسع» على وزن «يضع» ثم دخلت عليه الألف واللام كما دخلت على «يزيد»(٢).

﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾: «مِنْ» للتبعيض، أى: يقول الله ـ تعالى ـ: هدينا بعض آبائهم، وذرياتهم، وإخوانهم.

* ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾، أى: اخترناهم، واصطفيناهم.

* ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، أى: أرشدناهم إلى صراط مستقيم، وهو صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ٢٢).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٢١٦).

﴿ ذلك هُدى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ من يشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحبطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يعملُونَ (٨٨) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾، المراد: هؤلاء الذين سماهم الله ـ تعالى ـ من قبل فى الآيات المتقدمة.

* ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾: «لو» حرف امتناع لامتناع، أى: امتنع إحباط أعمالهم لامتناع شركهم.

وحينئذ يكون المعنى يقول الله ـ تعالى ـ: لو عبدوا غيرى لحبطت أعمالهم، ولكنّى عصمتهم، والحبوط: البطلان.

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾، المراد: الكتب التى أنزلها الله عليهم.

* ﴿ وَالْحُكْمَ ﴾، المراد: العلم والفقه.

* ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ ﴾، المراد: كفار قريش.

* ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، المراد: الأنصار من أهل المدينة، والمهاجرين من أهل مكة[(١)].

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِين هدى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (٩٠) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِين هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾:

* أخرج عبد بن حميد عن قتادة بن دعامة السدوسىّ (ت ١١٨هـ) قال: قصّ الله على نبيه «محمد» ﷺ ثمانية عشر نبيًا، ثم أمره أن يقتدى بهم. اهـ[(٢)].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١١٤)، وتفسير القرطبى (٧/ ٢٤).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٣).

* وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُم عليه أجرًا﴾، يقول: قال الله ـ تعالى ـ: قل لهم يا «محمد» لا أسألكم على ما أدعوكم إليه عرضًا من عرض الدنيا. اهـ(١).

* ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾، أي: ما هو الذى أدعوكم إليه إلا تذكرة وموعظة للعالمين.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿فبهداهم اقتده﴾ [رقم: ٩٠]

﴿اقتده﴾ اتفق القراء العشرة على إثبات هاء السكت وقفًا على الأصل، واختلفوا في إثباتها وصلا، فأثبتها وصلا ساكنة نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وأبو جعفر، إجراء للوصل مجرى الوقف.

وأثبتها مكسورة مقصورة هشام، وابن ذكوان بخُلف عنه، والوجه الثانى لابن ذكوان كسرها مع الإشباع. ووجه الكسر أنها ضمير الاقتداء المفهوم من «اقتده» أو ضمير «الهدى».

وحذفها وصلا، حمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار، على أن الهاء للسكت، وهاء السكت من خواصِّ الوقف(٢).

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾:

* أخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ قال: ما عظموه حق عظمته. اهـ(٣).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٣).
(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٢١٦).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٣).

* ﴿ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾: اختلف المفسرون فى قائل ذلك على ثلاثة أقوال:

* أولا: أخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد بن جبر قال: قالها مشركو قريش.

* ثانيًا: أخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قال: قال فنحاص اليهودىّ: ما أنزل الله على «محمد» من شىء.

* ثالثًا: أخرج ابن جرير، وابن المنذر عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قال: نزلت فى مالك بن الصّيّف. اهـ(١).

* ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قالت اليهود: يا «محمد» أنزل الله عليك كتابًا؟ قال: «نعم»، قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتابًا، فأنزل الله قل يا «محمد»: ﴿ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ﴾: أنزله. اهـ(٢).

* ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾: هذا لليهود، أى: تكتبون دفاتر وكتبًا، تبدون ما تحبون، وتخفون كثيرًا من نعت «محمد» ﷺ وآية الرجم.

* ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ﴾: عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: هم اليهود آتاهم الله علمًا فلم يقتدوا به، ولم يأخذوا به، ولم يعملوا به، فذمهم الله فى عملهم ذلك. اهـ(٣).

* ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾: هذا راجع إلى قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾. فإن أجابوا وإلا فقل أنت يا «محمد»: ﴿ اللَّهُ ﴾، أى: قل: أنزله الله. * ﴿ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٣ ـ ٥٤).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٣).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٤).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [رقم: ٩١].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿يجعلونه، يبدونها، يخفون﴾ الأفعال الثلاثة بياء الغيبة، وذلك لمناسبة الغيبة في قوله ـ تعالى ـ في صدر الآية: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، وقرأ الباقون الأفعال الثلاثة بتاء الخطاب، وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب[١].

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢)﴾

معاني المفردات:

* أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾، قال: هو القرآن الذي أنزله الله على نبيه «محمد» ﷺ[٢].

* وأخرج عبد بن حميد عن قتادة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، قال: أي من الكتب التي قد خلت قبله. اهـ[٣].

* وأخرج ابن مردويه عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «أم القرى»: مكّة[٤].

* وقال السّدّي إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): إنما سُمِّيت مكة أم القرى لأنها أول بيت وضع بها[٥].

* وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، قال: ما حولها من القرى إلى المشرق والمغرب. اهـ[٦].

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات (٢/ ٦٤)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٥٦)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٤٠). والمهذب في القراءات العشر (١/ ٢١٦).

(٢ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٥).

* ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾: الضمير في «به» عائد على القرآن، المفهوم من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ ﴾ إلخ.

* ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾، أي: يؤدونها تامّة في أوقاتها.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [رقم: ٩٢]

قرأ شعبة ﴿ ولينذر ﴾ بياء الغيبة، على أن الفعل مسند إلى ضمير الكتاب، والمراد به القرآن، كما قال ـ تعالى ـ في سورة إبراهيم: ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ﴾ [رقم: ٥٢].

وقرأ الباقون ﴿ ولتنذر ﴾ بتاء الخطاب، والمخاطب نبينا «محمد» ﷺ فهو فاعل الإنذار، كما قال ـ تعالى ـ في سورة النازعات: ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا (٤٥) ﴾ [رقم: ٤٥]، والإنذار: إخبار فيه تخويف، قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) ﴾ [الليل: ١٤][(١)].

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ مبتدأ وخبر، أي: لا أحد أظلم.

* ﴿ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾، أي: اختلق على الله كذبًا.

* ﴿ أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾: فزعم أنه نبيّ والحال أنه ﴿ لَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾.

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات (٢/ ٦٦)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٥٦)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٤٠)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ٢١٦).

* أخرج ابن أبى حاتم عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ومن أظلم ممن افترىٰ على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ﴾، قال: نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى السَّرح القرشىّ، أسلم وكان يكتب للنبى ﷺ، فكان إذا أتلى عليه ﴿سميعًا عليمًا﴾، كتب: «عليمًا حكيمًا» وإذا قال: ﴿عليمًا حكيمًا﴾، كتب «سميعًا عليما» فشك وكفر، وقال: إن كان «محمد» يوحى إليه فقد أوحى إلىّ. اهـ(١).

* وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ قال: نزلت فى مسيلمة الكذاب فيما كان يسجع ويتكهّن به(٢).

* عن عكرمة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ قال: نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى السّرْح، كان يكتب للنبى ﷺ فكان فيما يملى ﴿عزيز حكيم﴾، فيكتب «غفور رحيم» فيغيره، ثم رجع عن الإسلام ولحق بقريش(٣).

* ﴿ ولو ترىٰ ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾، أى: سكرات الموت، وشدّته.

والغمرة: الشدّة، وأصلها الشىء الذى يغمر الأشياء فيغطيها، ومنه غَمَره الماء، ثم وضعت فى معنى الشدائد، والمكاره، ومنه غمرات الحرب.

* ﴿ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ ﴾:

قال كل من: الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) قالا: باسطوا أيديهم بالعذاب ومطارق الحديد. اهـ(٤).

* وقيل: لقبض أرواحهم.

* قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ﴾ [الأنفال: ٥٠].

(١ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٦).
(٤) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ٢٩).

* ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾، أي: خلصوها من عذاب الله إن أمكنكم، وفي هذا توبيخ وتقريع لهم.

* وقيل: أخرجوا أرواحكم كرهًا، لأن روح المؤمن تنشط للخروج للقاء ربها، وروح الكافر تُنتزع انتزاعًا شديدًا، ويقال لها: أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة مسخوطًا عليك إلى عذاب الله وهوانه.

* ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾، أي: الهوان الدائم الشديد.

* ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤)﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قال: قال النضر بن الحارث: سوف تشفع لي اللات والعُزّى، فنزلت: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ الآية. اهـ(١).

معاني المفردات:

* أخرج ابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن «عائشة» أم المؤمنين (٥٨هـ ـ رضي الله عنها): أنها قرأت قول الله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، فقالت «عائشة» ـ رضي الله عنها ـ: يا رسول الله واسوأتاه إن الرجال والنساء سيحشرون جميعًا ينظر بعضهم إلى سوأة بعض؟

فقال رسول الله ﷺ: «لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه، لا ينظر الرجال إلى النساء، ولا النساء إلى الرجال، شُغِل بعضُهم عن بعض» اهـ(٢).

---

(١) انظر: أسباب النزول للشيخ القاضي ص١٠٣، وتفسير القرطبي (٧/ ٣٠)، وتفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٩).

* وأخرج ابن أبى حاتم عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة حشر الناس حفاة عراة غرلا» اهـ[١].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ ﴾، أى: وحدانًا لا مال معكم، ولا زوج، ولا ولد، ولا خدم.

وفرادى: جمع «فردان» مثل: «سُكارى» جمع سكران.

وفرادى: فى موضع نصب على الحال، ولم ينصرف لأن فيه ألف التأنيث المقصورة.

* ﴿ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾، أى: حفاة عراة غرلا، كما نصّ على ذلك الحديث المتقدم المروى عن جابر بن عبد الله.

* ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ ﴾، أى: أعطيناكم وملكناكم من الأموال والأولاد والخدم، وغير ذلك من حطام الدنيا.

* ﴿ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾، أى: خلفكم فى الدنيا.

* ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ﴾، أى: الأصنام التى عبدتموها وجعلتموها شركاء لله، وكان المشركون يقولون: الأصنام شركاء الله، وشفعاؤنا عنده.

* ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾، أى: لقد تقطع وصلكم بينكم. وصدق الله إذ قال: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) ﴾ [البقرة: ١٦٦].

* ﴿ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾، أى: ذهب عنكم الذى كنتم تكذبون به فى الدنيا.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ [رقم: ٩٤].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وشعبة، وحمزة، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ بينكم ﴾ بالرفع، على أن «بيْن» اسم غير ظرف معناه: الوصل، فأسند الفعل إليه.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٠).

وإنما استعملت «بيْن» بمعنى «الوصل» لأنها تستعمل كثيراً مع السببين المتلابسين بمعنى «الوصل». تقول بينى وبينه رحم وصداقة، أى: بينى وبينه صلة.

وقرأ الباقون: ﴿ بينكم ﴾ بالنصب، على أنها ظرف لـ «تقطع» والفاعل ضمير والمراد به «الوصل» لتقدم ما يدلّ عليه وهو لفظ «شركاء» ودلّ على حذف «الوصل» قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا نرىٰ معكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذين زعمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ﴾، فدلّ هذا على التقاطع بينهم وبين شركائهم إذ تبرءوا منهم ولم يكونوا معهم، فحسن إضمار «الوصل» بعد «تقطع» لدلالة الكلام عليه(١).

﴿ إنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٩٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ﴾، «الفلق»: الشقّ، و «الحبّ»: جمع حبّة، وهى اسم لجميع البذور والحبوب من البرِّ والشعير والذرة، وكل ما لم يكن له نوى.

و«النوى»: جمع النواة، وهى كل ما لم يكن له حبّ، كالتمر، والمشمش، والخوخ، ونحوها.

* وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسىّ (ت ١١٨هـ)، والسّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): معنى ذلك أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يشقّ الحبّة عن السنبلة، والنواة عن النخلة فيخرجها منها. اهـ(٢).

* وقال الزجّاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): يشقّ الحبّة اليابسة، والنواة اليابسة فيخرج منهما ورقًا أخضر. اهـ(٣).

* ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾: عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: يخرج البشر الحىّ من النطفة الميتة، والنطفة الميتة من البشر الحىّ. اهـ(٤).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٦٧)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٥٦)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٤٠)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢١٧).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١١٧).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ٣٠).

* ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ ﴾ مبتدأ وخبر.

* ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾:

* **المعنى:** أين تصرفون عن الحق مع ما ترون من قدرة الله ـ عزّ وجلّ؟ أى: لا مفرّ لكم.

وصدق الله إذْ قال: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ۝١٠ كَلاَّ لا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ ﴾ [القيامة: ٧ ـ ١٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾ [رقم: ٩٥].

قرأ نافع، وحفص، وحمزة، والكسائى، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ الميِّت ﴾ معًا بتشديد الياء المكسورة.

وقرأ الباقون بتخفيفها ساكنة، وهما لهجتان[١].

﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٩٦ ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ ﴾، أى: شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وكاشفه.

والإصباح: مصدر كالإقبال والإدبار، وهو الإضاءة والمراد به: الصبح وهو أوّل ما يبدو من النهار.

* ﴿ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ﴾: قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): يسكن فيه كل طير ودابة. اهـ[٢].

* ﴿ والشمس وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾. أى: جعل الله الشمس والقمر بحساب معلوم لا يجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما.

وحسبان: مصدر حَسَبْتُ الشىء أحْسبه حُسْبانا.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٢١٨). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١).

وقال بعض العلماء: جعل الله سير الشمس والقمر بحساب لا يزيد ولا ينقص، فدلّهم الله ـ عزّ وجلّ ـ بذلك على قدرته ووحدانيته.

* ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَجَعَلَ اللَّيلَ سَكَنًا ﴾ [رقم: ٩٦].

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف البزّار: ﴿ وجعل ﴾ بفتح العين واللام من غير ألف بينهما، على أنه فعل ماض، و ﴿ الليل ﴾ بالنصب مفعول به لـ «جعل».

وقرأ الباقون: ﴿ وجاعل ﴾ بالألف بعد الجيم، وكسر العين، ورفع اللام، و﴿ الليل ﴾ بالخفض، على أن ﴿ جاعل ﴾ اسم فاعل أضيف إلى مفعوله(١).

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾:

المعنى: الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلق النجوم لفوائد كثيرة ومتعددة، منها: ما ذكره الله فى هذه الآية: وهو أن راكب السفينة والسائر فى القفار يهتدى بها فى الليالى إلى مقاصده.

ومنها: أن الله زيّن بها السماء، يدلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) ﴾ [الصافات: ٦]، ومنها: أن الله جعلها رجومًا للشياطين.

يدلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ﴾ [الملك: ٥].

* ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ ﴾، أي: بيناها مفصلة لتكون أبلغ فى الاعتبار.

* ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾، خصهم الله بالذكر لأنهم هم المنتفعون بها دون غيرهم.

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٦٩)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٥٧)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢١٩).

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾، أى: خلقكم وابتدأكم من نفس واحدة وهى «آدم» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾: اختلف المفسّرون فى تأويل ذلك على أقوال أهمها ما يلى:

* أولا: قال عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه): فمستقرّ فى الرحم إلى أن يولد، ومستودع فى القبر إلى أن يبعث(١).

* ثانيًا: قال سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) وعطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ): فمستقرّ فى أرحام الأمهات، ومستودع فى أصلاب الآباء، وهى رواية عكرمة عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال سعيد بن جبير: قال لى ابن عباس: هل تزوّجْتَ؟ قلتُ: لا، قال أما إنه ما كان مستودعًا فى ظهرك فسيخرجه الله ـ عزّ وجل ـ. اهـ(٢).

* ثالثًا: روى عن أُبَىّ بن كعب (ت ٣٠هـ ـ رضى الله عنه) أنه قال: مستقر فى أصلاب الآباء، ومستودع فى أرحام الأمّهات. اهـ(٣).

* ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ ﴾: قال قتادة بن دعامة السدوسى، أى: بينا وقررنا(٤).

* ﴿ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ وقد خصهم الله بالذكر لأنهم هم المنتفعون بذلك دون غيرهم.

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فمستقر ﴾ [رقم: ٩٨].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وروح: ﴿ فمستقِر ﴾ بكسر القاف، اسم فاعل مبتدأ، والخبر محذوف، والتقدير: فمنكم مستقر فى الرحم، أى: قد صار إليها واستقر فيها، ومنكم من هو مستودع فى صلب أبيه.

وقرأ الباقون ﴿ فمستقَر ﴾ بفتح القاف، اسم مكان مبتدأ، والخبر محذوف والتقدير: فمنكم من هو قارّ فى الأرحام، ومنكم من هو مستودع فى صلب أبيه(٥).

(١ : ٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١١٨).		(٤) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ٣٢).

(٥) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٧٠)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٥٧)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢١٩).

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾، المراد به: المطر.

* ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾، أي: كل صنف من النبات.

* ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾، أي: ما كان رطبًا أخضر مثل: البرّ، والشعير، والأرز، وسائر الحبوب.

* ﴿ نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾، أي: متراكبًا بعضه على بعض، مثل: سنابل البرّ، والشعير، والأرز، وسائر الحبوب.

* ﴿ وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾، الطلع: أول ما يخرج من ثمر النخل، و﴿ قِنْوَانٌ ﴾ جمع قنو وهو العذق.

* ﴿ دَانِيَةٌ ﴾: اختلف المفسرون فى تأويل ذلك:

١ ـ قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، أي: متدلية.

٢ ـ وقال الضحاك بن مزاحم (١٠٥هـ)، أي: قصار ملتزمة بالأرض، وفيه اختصار، ومعناه: من النخل ما قنوانها دانية، ومنها ما هى بعيدة، فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة لسبقها إلى الأفهام، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ [النحل: ٨١].

المراد: تقيكم الحرّ والبرد، فاكتفى بذكر أحدهما(١).

* ﴿ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ ﴾، أي: وأخرجنا جنات من أعناب.

* ﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾:

* قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): وشجر الزيتون، وشجر الرمّان مشتبهًا ورقها، مختلفًا ثمرها، لأن ورق الزيتون يشبه ورق الرمان.

* وقيل: مشتبه فى المنظر مختلف فى الطعم(٢).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١١٨).

* ﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾، أي: نضجه وإدراكه.

* ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ ﴾ [رقم: ٩٩].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار بضم الثاء والميم، على أنه جمع «ثمرة» مثل: خشبة وخُشُب.

وقرأ الباقون بفتح الثاء والميم، جمع «ثمرة» مثل بقرة وبقر(١).

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾، ﴿ شُرَكَاءَ ﴾ مفعول ثان لـ «جعل» مقدّم، و﴿ الْجِنَّ ﴾ مفعول أول مؤخر، والتقدير: جعل الكفارُ لله الجنّ شركاء.

* ﴿ وَخَلَقَهُمْ ﴾: الواو للحال، والضمير فى «خلقهم» عائد على ﴿ الْجِنَّ ﴾، أى: والحال أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الخالق للجنّ، فكيف يكونوا شركاء لله ـ عزّ وجلّ ـ.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ (٢٧) ﴾ [الحجر: ٢٧].

* ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾، أى: اختلقوا لله ـ تعالى ـ بنين وبنات بغير علم، وذلك مثل قول اليهود: عزير ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابن الله، وقول كفار مكّة: الملائكة بنات الله.

وقد ردّ الله ـ تعالى ـ كذبهم ذلك ونزّه نفسه فقال:

* ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾، أى: عمّا يكذبون.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٧١)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢١٩).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وخرقُوا لَهُ بنين وبنات بغير علم ﴾ [رقم: ١٠٠].

قرأ نافع، وأبو جعفر: ﴿ وخرّقوا ﴾ بتشديد الراء، للتكثير، لأن المشركين ادعوا الملائكة بنات الله، واليهود ادعوا عزيرا ابن الله، والنصارى ادعوا المسيح ابن الله، وهذا كله كذب وافتراء.

وقرأ الباقون: ﴿ وخَرَقوا ﴾ بتخفيف الراء، على الأصل، ولأن الفعل يدلّ على القليل والكثير(١).

﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾، أي: مبدعهما وخالقهما لا على مثال سبق، فكيف يجوز أن يكون له ولد، ـ سبحانه وتعالى ـ عما يقولون علوّا كبيرًا.

و ﴿ بَدِيعُ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: هو بديع السموات والأرض.

* ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ﴾، أي: كيف يكون له ولد، وولد كل شيء شبيهه، والله ـ عزّ وجلّ ـ لا شبيه له، لأنه ليس كمثله شيء.

* ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ﴾، أي: زوجة، وصدق الله إذْ قال: ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا (٣) ﴾ [الجن: ٣].

* ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾، أي: خلق العالم كله.

* ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾: لأنه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء، ويعلم السرّ وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٧٤)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٥٨)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٤٣)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٢٠).

﴿ ذلكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾، أى: بالحفظ، والتدبير.

* ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾: بيّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى الكثير من الآيات القرآنية أنه منزّه عن سمات الحدوث، ومنها الإدراك بمعنى الإحاطة والتحديد، كما تدرك سائر المخلوقات.

ومن الأدلّة على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

* ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾: قال الزهرى محمد بن مسلم (ت ١٢٤هـ): معنى «اللطيف»: الرفيق بعباده[١].

وقيل: اللطيف: الموصّل الشىء باللين والرفق.

﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤) وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٠٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾، أى: آيات وبراهين تبصرون بها الهدى من الضلال، والحقّ من الباطل.

* ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾:

* أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن قتادة بن دعامة السدوسى فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ﴾، أى: من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٢٠).

* ﴿ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾، أي: من ضلّ فعليها[(١)].

* ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾: برقيب أحصى عليكم أعمالكم، إنما أنا رسول أبلغكم رسالات ربى، وهو الحفيظ عليكم الذى لا يخفى عليه شيء من أفعالكم.

* ﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ﴾: نفصلها ونبينها فى كل وجه.

* ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾: التاء فى «درسْتَ» خطاب للنبى ﷺ، والمعنى: أن الكفار يقولون للنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: هذه الآيات التى جئتنا بها كانت نتيجة أنك درسْتَ وحفظت كتب الأمم السابقة، وهم كاذبون فى ذلك، ومن الأدلّة على كذبهم قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وما كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

* ﴿ وَلِنُبَيِّنَهُ ﴾، أى: القرآن. * ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ [رقم: ١٠٥].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿ دارسْتَ ﴾ بألف بعد الدال، وسكون السين، وفتح التاء، على وزن «قابلت» على أن المفاعلة من الجانبين، أى: وليقولوا دارسْت أهل الكتب السابقة كاليهود والنصارى وهم دارسوك من المدارسة، ودلّ على هذا المعنى قولهم فى سورة الفرقان: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾ [الفرقان: ٤].

وقرأ ابن عامر، ويعقوب: ﴿ درسَتْ ﴾ بحذف الألف، وفتح السين، وسكون التاء، وذلك على إسناد الفعل إلى الآيات فأخبر الله عن الكفار أنهم يقولون: هذه الآيات التى جئتنا بها يا «محمد» قد قدمت، وبليت ومضت عليها دهور، وكانت من أساطير الأولين فجئتنا بها.

وقرأ الباقون: ﴿ درسْتَ ﴾ بغير ألف، وإسكان السين، وفتح التاء، على إسناد الفعل إلى النبىّ ﷺ، والمعنى: أن هذه الآيات التى جئتنا بها يا «محمد» كانت نتيجة أنك درسْتَ وحفظت كتب الأمم السابقة[(٢)].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٧٠).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٧٦ ـ ٧٧)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٢٠).

﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (١٠٧) وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾:

✳ **المعنى:** هذا أمر من الله ـ تعالى ـ لنبيه وحبيبه «محمد» ﷺ باتباع الوحى الذى أنزله عليه وهو «القرآن» ولا يشغل قلبه وخاطره بهؤلاء الكفار بل عليه أن يشتغل بعبادة الله الذى لا إله إلا هو.

* ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾، أى: لا تجادلهم.

* ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾، أى: لو شاء لجعلهم مؤمنين.

* ﴿ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾، قال عطاء[١]: وما جعلناك عليهم حفيظًا تمنعهم منّى، أى: لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب، إنما بعثت مبلغًا[٢].

* ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾.

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [رقم: ١٠٨].

قرأ يعقوب: ﴿ عُدُوًّا ﴾ بضم العين والدال، وتشديد الواو، مثل «عُلُوًّا» على وزن «فعول» فأدغمت الواو المديّة فى الواو التى هى لام الكلمة.

وقرأ الباقون: ﴿ عَدْوًا ﴾ بفتح العين وإسكان الدال، وتخفيف الواو، على وزن «فَعْل».

والقراءتان لهجتان فى المصدر بمعنى واحد، وهو: الاعتداء بغير علم[٣].

---

(١) هل هو عطاء بن يسار (ت ١٠٢هـ)، أو عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ)، أو عطاء بن السائب الثقفى (ت ١٣٦هـ) الله أعلم.

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢١).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٧٨)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٥٨)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٢٠).

﴿ وأَقْسَمُوا باللَّه جهْدَ أَيْمَانهمْ لَئن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمنُنَّ بها قُلْ إنَّما الآيَاتُ عند اللَّه وما يُشْعرُكُمْ أَنَّهَا إذا جاءَتْ لا يُؤْمنون (١٠٩) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: كلّم رسول الله ﷺ قريشًا فقالوا: يا «محمد» تخبرنا أن «موسى» كان معه عصا يضرب بها الحجر، وأن «عيسى» كان يحيي الموتى، وأن ثمود كان لهم ناقة، فائتنا من الآيات حتى نصدقك، فقال رسول الله ﷺ: «أيّ شيء تحبون أن آتيكم به؟» قالوا: تجعل لنا الصفا ذهبًا، قال: «فإن فعلت تصدّقوني؟» قالوا: نعم، والله لئن فعلتَ لنتبعنّك أجمعون. فقام رسول الله ﷺ يدعو، فجاء «جبريل» ـ عليه السلام ـ فقال له: إن شئتَ أصبح ذهبًا، فإن لم يصدقوا عند ذلك لنعذبنهم، وإن شئتَ فاتركهم حتى يتوب تائبهم؟ فقال: بل يتوب تائبهم، فأنزل الله: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ الآية(١).

معاني المفردات:

* ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾، أي: حلفوا بالله جهد أيمانهم، قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)، والكلبي محمد بن السائب (ت ١٤٦هـ): إذا حلف الرجل بالله، فهو جهد يمينه. اهـ(٢).

و﴿ جَهْدَ ﴾ منصوب على المصدر، والعامل فيه «أقسموا».

و «الجَهْد» بفتح الجيم: المشقة.

ومعنى ﴿ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾، أي: بأغلظ الأيمان عندهم.

* ﴿ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾:

المعنى: إذا جئتهم يا «محمد» بآية مثل الآيات التي جاء بها الأنبياء من قبل ليؤمنن بها، ويؤمنون بنبوتك.

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص ٢٢٥، وأسباب النزول للشيخ القاضي ص١٠٤، وتفسير البغوي (٢/ ١٢٢)، وتفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٧٢).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/ ١٢٢).

* ﴿قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾، أي: قل لهم يا «محمد»: الله وحده هو القادر على الإتيان بالآيات، وإنما يأتي بها وفق إرادته، ومشيئته.

* ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾: الخطاب للمشركين الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم، وحينئذ يكون المعنى: وما يدريكم أيها المشركون أنها إذا جاءت الآيات آمنتم.

فردّ الله على دعواهم الكاذبة بقوله: ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾، أي: حكم الله عليهم بأنهم لا يؤمنون.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أنها إذا جاءت لا يُؤمِنون﴾ [رقم: ١٠٩].

قرأ نافع، وابن عامر، وحفص، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وشعبة بخُلف عنه: ﴿أنها﴾ بفتح الهمزة.

وقرأ الباقون: ﴿إنها﴾ بكسر الهمزة، وهو الوجه الثاني لشعبة، وذلك على الاستئناف إخبارٌ عنهم بعدم الإيمان لأن الله طبع على قلوبهم(١).

* ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [رقم: ١٠٩].

قرأ ابن عامر، وحمزة: ﴿لا تؤمنون﴾ بتاء الخطاب، وذلك لمناسبة الخطاب في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وما يشعركم﴾ وهو للكفار، وعليه يكون المعنى: وما يدريكم أيها الكفار المقترحون مجيء الآيات الدالة على نبوّة سيدنا «محمد» ﷺ أنها إذا جاءتكم تؤمنون، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ طبع على قلوبكم، وبناء عليه تكون «لا» زائدة، وليست نافية.

وقرأ الباقون: ﴿لا يؤمنون﴾ بياء الغيبة، والخطاب في «يشعركم» للمؤمنين، وحينئذ يكون المعنى: وما يدريكم أيها المؤمنون أن لو أنزل الله الآيات التي طلبها المشركون أنهم يؤمنون، إذًا فعدم إيمانهم مقطوع به لأن الله ختم على قلوبهم(٢).

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٨١ ـ ٨٢)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٥٩)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ٢٢١).

(٢) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٨٣)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٦٠)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٤٦)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ٢٢١).

﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون (١١٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴾:

✳ **المعنى:** يخبر الله ـ تعالى ـ بأنه يحول بينهم وبين الإيمان، فلو جئناهم بالآيات التى سألوا ما آمنوا بها، كما لم يؤمنوا بما قبلها من الآيات مثل: انشقاق القمر وغيره، ومثل: معجزات الأنبياء السابقين «كموسى وعيسى» ـ عليهما السلام ـ.

* ﴿ ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾، أى: نخذلهم وندعهم فى ضلالاتهم يتحيرون.

﴿ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون (١١١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة ﴾: فرأوهم عيانًا.

* ﴿ وكلمهم الموتى ﴾: بعد إحيائنا إياهم فشهدوا لك يا «محمد» بالنبوّة كما سأل كفار قريش.

* ﴿ وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ﴾: «قُبُلا» بضم القاف والياء جمع «قبيل» مثل: «رغيف ورُغُف» ونصبه على الحال، والمعنى: وحشرنا عليهم كل شىء فوجًا فوجًا، ونوعًا نوعًا من سائر المخلوقات.

* ﴿ ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ﴾: ذلك.



* ﴿ ولكن أكثرهم يجهلون ﴾، أى: يجهلون الحق.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ﴾ [الأنعام: ١١١].

ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أو يأتيهم العذاب قبلا ﴾ [الكهف: ٥٥].

قرأ عاصم، وحمزة والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ قُبُلا ﴾ فى السورتين بضم القاف والباء، جمع «قبيل» مثل: رغيف ورُغُف، ونصبه على الحال.

والمعنى: وحشرنا عليهم كل شىء فوجًا فوجًا، ونوعًا نوعًا من سائر المخلوقات.

وقرأ نافع، وابن عامر: ﴿ قِبَلا ﴾ فى السورتين بكسر القاف وفتح الباء، بمعنى مقابلة، أى معاينة، ونصبه حينئذ على الحال، وقيل: بمعنى ناحية ووجهة، ونصبه على الظرف.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب موضع الأنعام بضم القاف والباء، وموضع الكهف بكسر القاف وفتح الباء.

وقرأ أبو جعفر موضع الأنعام بكسر القاف، وفتح الباء، وموضع الكهف بضم القاف والباء[١].

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾: هذه الآية فيها تسلية للنبى ﷺ وحينئذ يكون المعنى: كما ابتليناك يا «محمد» بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبىّ قبلك أعداء.

* ﴿ شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾: ﴿ شَيَاطِينَ ﴾ مفعول أوّل لـ «جعلنا» و «عدوّا» مفعول ثان.

وحينئذ يكون المعنى: وكذلك جعلنا شياطين الإنس والجن عدوّا لكل نبىّ.

* ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾: وهذا عبارة عمّا يوسوس به شياطين الجنّ إلى شياطين الإنس.

وسُمِّى وحيًا لأنه إنما يكون خفية.

وجعل تمويههم زخرفًا لتزينهم إيّاه، ومنه سُمِّى الذهب زخرفًا، وكل شىء حسن مموّه فهو زخرف.

و ﴿ غُرُورًا ﴾ نصب على المصدر، والغرور: الباطل.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٨٤)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٦٠ ـ ١٦٣)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٤٦)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٢٢ ـ ٤٠٣).

* ﴿ ولو شاء ربك ما فعلوه ﴾، أى: ما فعلوا إيحاء القول بالغرور.

* ﴿ فذرهم وما يفترون ﴾، أى: دعهم وكذبهم.

﴿ ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون (١١٣) ﴾

المعنى:

* أخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ:

* ﴿ ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾، قال: لتميل إليه قلوب الكفار.

* ﴿ وليرضوه ﴾، قال: يحبوه.

* ﴿ وليقترفوا ما هم مقترفون ﴾، قال: ليعملوا ما هم عاملون(١).

﴿ أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين (١١٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ أفغير الله أبتغي حكما ﴾، أى: قل لهم يا «محمد» أفغير الله ﴿ أبتغي ﴾: أطلب ﴿ حكما ﴾، أى: قاضيًا بينى وبينكم، وذلك أنهم كانوا يقولون للنبى ﷺ: اجعل بيننا وبينك حكمًا فأجابهم بهذه الآية.

و «غيرَ» منصوب بـ «أبتغى»، و «حكما» نصب على البيان، وحينئذ يكون المعنى: أفغير الله أطلب لكم حاكما وهو كفاكم مؤونة المسألة فى الآيات بما أنزله إليكم من الكتاب المفصّل.

* ﴿ وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا ﴾، أى: مبينًا فيه أمره ونهيه، والمراد بالكتاب: القرآن.

* ﴿ والذين آتيناهم الكتاب ﴾، المراد: علماء اليهود والنصارى الذين آتاهم الله التوراة والإنجيل.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٧٤).

* ﴿ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾: الضمير فى «أنه» عائد على «الكتاب» المراد به: القرآن.

* ﴿ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾، أى: الشاكين فى أنهم يعلمون ذلك.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ ﴾ [رقم: ١١٤].

قرأ ابن عامر، وحفص: ﴿ منَزَّل ﴾ بفتح النون، وتشديد الزاى، اسم مفعول من «نزّل» مضعف العين.

وقرأ الباقون: ﴿ منْزَل ﴾ بإسكان النون، وتخفيف الزاى، اسم مفعول من «أنزل» المزيد بالهمزة(١).

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥) ﴾

معانى المفردات:

* أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً ﴾، قال: صدقا فيما وعد، وعدلا فيما حكم. اهـ(٢).

* ﴿ لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾: المراد بالكلمات: القرآن الكريم، وحينئذ يكون المعنى: لا مبدّل له، أى: لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون.

وعن ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) فى تأويل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ قال: لا رادَّ لقضائه، ولا مغير لحكمه، ولا خُلْف لوعده. اهـ(٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً ﴾ [رقم: ١١٥].

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٢٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٧٥).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٢٥).

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿كلمت﴾ بغير ألف بعد الميم، على التوحيد، والمراد بها الجنس.

وقرأ الباقون: ﴿كلمات﴾ بألف بعد الميم على الجمع، لأن كلمات الله ـ تعالى ـ متنوعة أمرًا ونهيًا، وغير ذلك.

* **تنبيه:** «كلمت» مرسومة بالتاء فى جميع المصاحف العثمانية، فمن قرأها بالجمع وقف بالتاء. ومن قرأها بالإفراد: فمنهم من وقف بالتاء وهم عاصم، وحمزة، وخلف البزّار. ومنهم من وقف بالهاء وهما: الكسائى، ويعقوب[1].

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١١٧)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ﴾، أى: الكفار، والخطاب موجّه إلى نبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أى: عن الطريق التى تؤدى إلى ثواب الله، وهى طريق الإيمان بالله الواحد القهار.

* ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾، «إنْ» بمعنى «ما» النافية، وذلك أن دينهم الذى هم عليه ظنّ وهوى لم يأخذوه عن بصيرة، وعلم حقيقى.

* ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾، «إنْ» بمعنى «ما» النافية. أى: ما هم إلا يَحْدِسُون ويقدرون. لأن الخارص: هو الذى يقطع بما لا يجوز القطع به، إذْ لا يقين معه.

* ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ﴾: «مَنْ» اسم موصول بمعنى الذى، وهو فى محلّ نصب بـ «أعلم» وحينئذ يكون المعنى: إنّ ربك أعلم أىّ الناس يضل عن سبيله.

* ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، أى: أن الله أعلم بالفريقين: الضالين، والمهتدين، فيجازى كلا بما يستحقه.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٢٣).

﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين (١١٨) وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين (١١٩)﴾

سبب نزول هاتين الآيتين وما بعدهما:

* أخرج أبو داود، والترمذى وحسَّنه، والبزّار، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: جاءت اليهود إلى النبى ﷺ فقالوا: أنأكل مما قتلنا ولا نأكل ممّا قتل الله؟ فأنزل الله: ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ إلى قوله: ﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ [رقم: ١٢١] اهـ(١).

معانى المفردات:

* ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾، أى: كلوا ممّا ذبح على اسم الله ـ تعالى ـ.

* ﴿إن كنتم بآياته مؤمنين﴾: أحلّوا ما أحلّ الله، وحرّموا ما حرّم الله.

* ﴿وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾:

المعنى: ما المانع لكم من أكل ما سميتم عليه بذكر اسم الله ـ تعالى ـ عند الذبح.

* ﴿وقد فصل لكم ما حرم عليكم﴾، أى: بيّن لكم الحلال من الحرام فى قوله ـ تعالى ـ فى سورة المائدة: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب﴾ [المائدة: ٣].

وفى قوله ـ تعالى ـ فى سورة البقرة: ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم (١٧٣)﴾ [البقرة: ١٧٣].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٧٤)، تفسير البغوى (٢/ ١٢٥).

* ﴿إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾: من هذه الأشياء التى حرمها الله عليكم كالميتة وغيرها فإنها حلال لكم عند الاضطرار، وبقدر ما يسدّ جوعة الإنسان فقط.

* ﴿وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: حين امتنعوا من أكل ما ذكر اسم الله عليه، ودعوا إلى أكل الميتة.

* ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾: الذين يجاوزون الحلال إلى الحرام.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وقد فصّل لكم ما حرّم عليكم﴾ [رقم: ١١٩].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿فُصِّل﴾ بضم الفاء وكسر الصاد، و﴿حُرِّم﴾ بضم الحاء، وكسر الراء، وذلك على بناء الفعلين للمفعول، ونائب فاعل «فُصِّل» «ما» ونائب فاعل «حُرِّم» ضمير مستتر جوازًا تقديره: «هو» يعود على «ما».

وقرأ نافع، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿فَصَّل﴾ بفتح الفاء والصاد، و﴿حَرَّم﴾ بفتح الحاء والراء، على بناء الفعلين للفاعل، والفاعل ضمير مستتر جوازًا تقديره «هو» يعود على «الله» المتقدم ذكره.

وقرأ شعبة، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿فَصَّل﴾ بالبناء للفاعل، و﴿حُرِّم﴾ بالبناء للمفعول(١).

* ﴿إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [رقم: ١١٩].

قرأ ابن وردان بخلف عنه: ﴿اضطِررتم﴾ بكسر الطاء، وذلك لمجانسة الراء.

وقرأ الباقون بضم الطاء، وهو الوجه الثانى لابن وردان، وذلك على الأصل، وهما لهجتان(٢).

* ﴿وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [رقم: ١١٩].

* ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾ [يونس: ٨٨].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٩٠)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٢٣).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٩١)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٢٣)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٥٣.

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائى، وخلف البزار: ﴿ لِيُضلون، لِيُضلوا ﴾ بضم الياء، على أنه مضارع «أضلّ» الرباعى، والواو فاعل، والمفعول محذوف، والتقدير: لِيُضلوا غيرهم.

وقرأ الباقون الفعلين بفتح الياء، على أنهما مضارع «ضَلّ» الثلاثى، وهو فعل لازم، والواو فاعل، يقال: ضلّ فلان، وأضلّ غيره(١).

﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾: ظاهر الإثم ما كان بالبدن، وسائر الجوارح مما نهى الله عنه. وباطنه ما عُقِدَ بالقلب من مخالفة أمر الله فيما أمر به ونهى.

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)، قال: ظاهر الإثم: علانيته، وباطنه: سرّه. اهـ(٢).

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ ﴾: يوم القيامة.

* ﴿ مَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾، أى: يكسبون فى الدنيا.

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١) ﴾

❀ سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزولها عدد من الأقوال، وقد اخترت السبب التالى طلبًا للاختصار.

* أخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ عن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) قال: قال المشركون لأصحاب النبى ﷺ: هذا الذى تذبحون أنتم تأكلونه، فهذا الذى يموت مَنْ قتله؟ قالوا: الله، قالوا: فما قتل الله تحرّمونه، وما قتلتم أنتم تُحلّونه؟ فأنزل الله: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ الآية. اهـ(٣).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٩١)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٤٢٦).

(٢ - ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٧٨).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾: اختلف العلماء فى تأويل ذلك:

١ - فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): الآية فى تحريم الميتات وما فى معناها من المنخنقة وغيرها.

٢ - وقال عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ): الآية فى تحريم الذبائح التى كانوا يذبحونها على اسم الأصنام(١).

* وأقول: الآية تشمل ما ذكره ابن عباس، وعطاء بن أبى رباح.

* قال البغوى فى تفسيره: اختلف أهل العلم فى ذبيحة المسلم إذا لم يذكر اسم الله عليها:

* أولا: ذهب قوم إلى تحليلها، يروى ذلك عن ابن عباس - رضى الله عنهما -، وهو قول مالك، والشافعى، وأحمد - رحمهم الله - تعالى -(٢).

* وأقول: هذا القول هو الذى تؤيده الأحاديث والأخبار الصحيحة أذكر منها ما يلى:

١ - أخرج عبد بن حميد عن راشد بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «ذبيحة المسلم حلال سمَّى أو لم يُسمِّ ما لم يتعمد والصيد كذلك»(٣).

٢ - وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد عن عروة بن الزبير (ت ٩٣هـ) قال: كان قوم أسلموا على عهد النبى ﷺ فقدموا بلحم إلى المدينة يبيعونه، فتحنّثت أنفس أصحاب النبى ﷺ فقال: «سمّوا أنتم وكلوا» اهـ(٤).

٣ - وأخرج سعيد بن منصور، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) قال: من ذبح فنسى أن يُسمّى فليذكر اسم الله عليه وليأكل، ولا يدعه للشيطان إذا ذبح على الفطرة، فإن اسم الله فى قلب كل مسلم. اهـ(٥).

* ثانيًا: وذهب قوم إلى أنه إن ترك التسمية عامدًا لا تحلّ، وإن تركها ناسيًا تحلّ.

(١ - ٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٢٧).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٧٩).

حكى الخرقىّ من أصحاب أحمد أن هذا مذهبه. وهو قول الثورىّ، وأصحاب الرأى. اهـ[١].

* ثالثًا: وذهب قوم إلى تحريمها سواء ترك التسمية عامدًا، أو ناسيًا، وهو قول ابن سيرين والشعبى واحتجوا بظاهر هذه الآية. اهـ[٢].

* ﴿ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾: قال البغوى فى تفسيره: الفسق فى ذكر اسم غير الله، كما قال ـ تعالى ـ فى آخر السورة: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٤٥] اهـ[٣].

* ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾:

المعنى: إن الشياطين ليوسوسون إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم، وذلك أن المشركين قالوا: يا «محمد» أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال: «الله قتلها»، قالوا: أفتزعم أنّ ما قتلتَ أنت وأصحابك حلال، وما قتله الكلب، والصقر، والفهْد حلال، وما قتله الله حرام؟.

* ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ ﴾: فى تحليل الميتة. * ﴿ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾:

قال الزجاج (٣١١هـ): فيه دليل على أن من أحلّ شيئًا مما حرّم الله أو حرّم ما أحلّ الله فهو مشرك. اهـ[٤].

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)﴾

معانى المفردات:

* أخرج عبد بن حميد، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ قال: هذا المؤمن معه من الله بيّنة، وبها يعمل، وبها يأخذ، وإليها ينتهى، وهى كتاب الله.

(١ : ٤) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٢٧).

* ﴿ كمن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْس بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾، قال: مثل الكافر فى ضلالته متحير فيها متسكع فيها، لا يجد منها مخرجًا ولا منفذًا. اهـ(١).

* ﴿ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾،أى: زيّن لهم الشيطان عبادة الأصنام، وأوهمهم أنهم أفضل من المسلمين.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أوَ من كانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ [رقم: ١٢٢].

قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ ميِّتا ﴾ بتشديد الياء.

وقرأ الباقون بياء ساكنة خفيفة، وهما لهجتان(٢).

﴿ وكذلك جعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكابر مُجرميها ليمْكُرُوا فيهَا وما يمكُرُون إلاَّ بأنفُسهم وما يشعُرُون (١٢٣) وإذا جاءَتهم آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مثل ما أُوتي رُسُلُ اللَّه اللَّهُ أعْلَمُ حيْثُ يجعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أجْرَمُوا صَغَارٌ عند اللَّهِ وَعَذَابٌ شَديدٌ بِمَا كَانُوا يمْكُرُونَ (١٢٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ﴾، ﴿ أَكَابِرَ ﴾ مفعول ثان لـ «جعل» مقدم، ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ مفعول أوّل مؤخر، و «جعل» بمعنى: صيّر، و«الأكابر» جمع «الأكبر».

وقد اختلف المفسرون فى تأويل ﴿ أكابر مُجْرِميها ﴾:

١ ـ فقال مجاهد بن جبر المفسّر (١٠٤هـ): المراد: العظماء.

٢ ـ وقيل: الرؤساء والعظماء(٣).

وخصهم الله بالذكر لأنهم أقدر على الفساد. قال مجاهد بن جبر: كانوا يجلسون على كل عَقَبة أربعة ينفرون الناس عن اتباع النبى ﷺ، كما فعل من قبلهم من الأمم السالفة بأنبيائهم. اهـ(٤).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٨١). (٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٢٤).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ٥٢).

* ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ﴾: لأن وبال مكرهم راجع إليهم، وهو العذاب الأليم يوم القيامة.

* ﴿وما يَشْعُرُونَ﴾، الواو للحال، أي: والحال أنهم لايشعرون أن وبال مكرهم عائد إليهم لفرط جهلهم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [رقم ١٢٤].

قرأ ابن كثير، وحفص: ﴿رسالته﴾ على الإفراد. والرسالة على انفراد لفظها تدلّ على الكثرة. بمعنى أنها تدلّ على ما يدلّ عليه لفظ الجمع، وبناء عليه فهذه القراءة تتحد في المعنى مع القراءة التالية.

وقرأ الباقون: ﴿رسالاته﴾ على الجمع. وذلك أنه لما كان الرسل يأتي كل واحد بضروب من الشرائع المرسلة حسن الجمع ليدلّ على ذلك(١).

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (١٢٥)﴾

معاني المفردات:

* ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾، أي: يفتح الله قلبه وينوّره حتى يقبل الإسلام.

* أخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والحاكم، والبيهقي في الشعب من طرق عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ - رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ حين نزلت هذه الآية: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾، قال: «إذا أدخل الله النورَ القلب انشرح وانفسح»، قالوا: فهل لذلك من آية يُعرف بها؟ قال: «الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت» اهـ(٢).

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٩٢)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٦١)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٤٩)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ٢٢٤).

(٢) انظر: تفسير الدرّ المنثور للسيوطي (٣/ ٨٣).

* ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾، أي: يجعل قلبه ضيقًا حتى لا يدخله الإيمان.

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): إذا سمع ذكر الله اشمأزّ قلبه، وإذا ذكر شيءٌ من عبادة الأصنام ارتاح إلى ذلك. اهـ(١).

* ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾، أي: يشق عليه الإيمان كما يشق عليه صعود السماء. ﴿ يَصَّعَّدُ ﴾: أصلها «يتصعّد» فأدغمت التاء فى الصاد. وأصل الصعود: المشقة، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) ﴾ [المدثر: ١٧].

* ﴿ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: الرجس هو الشيطان، أى: يسلّط عليه. اهـ(٢).

* وقال الزجّاج إبراهيم بن السّرى (٣١١هـ): الرجس: اللعنة فى الدنيا والعذاب فى الآخرة. اهـ(٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يجعل صدره ضيِّقًا ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

* ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا ﴾ [الفرقان: ١٣].

قرأ ابن كثير: ﴿ ضَيْقا ﴾ بسكون الياء مخففة فى السورتين.

وقرأ الباقون: ﴿ ضيِّقا ﴾ فى الموضعين بكسر الياء مشدّدة. والتخفيف، والتشديد لهجتان بمعنى واحد مثل: «ميْت وميّت» مخففا ومشدّدًا. والضيق: ضدّ السعة(٤).

* ﴿ يجعلْ صدْره ضَيِّقًا حرجًا ﴾ [رقم: ١٢٥].

قرأ نافع، وشعبة، وأبو جعفر: ﴿ حَرِجًا ﴾ بكسر الراء، على وزن «دَنِق» على أنه صفة «ضيقا».

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٢٩). (٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٣٠).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٩٢)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٦٢)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٥٠)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٢٤).

وقرأ الباقون ﴿ حَرَجًا ﴾ بفتح الراء، على أنه مصدر، وصف به[١].

* ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [رقم: ١٢٥].

قرأ ابن كثير: ﴿ يصْعَد ﴾ بإسكان الصاد، وتخفيف العين بلا ألف، على أنه مضارع «صَعِد» بمعنى ارتفع.

* وقرأ شعبة: ﴿ يصَّاعد ﴾ بتشديد الصاد، وألف بعدها، وتخفيف العين، مضارع «تصاعد» وأصله «يتصاعد» أي: يتعاطى الصعود ويتكلفه، ثم أدغمت التاء فى الصاد.

وقرأ الباقون: ﴿ يصَّعَّد ﴾ بتشديد الصاد والعين، مضارع «تصعّد» وأصله «يتصعّد» فأدغمت التاء فى الصاد، ومعنى يتصعّد: يتكلف ما لا يطيق شيئًا بعد شيء[٢].

﴿ وهذا صراطُ ربِّك مستقيماً قد فصَّلْنا الآياتِ لِقومٍ يذَّكَّرُون (١٢٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ﴾، أي: الذى أنت عليه يا«محمد» طريق ربك ودينه مستقيمًا لا اعوجاج فيه وهو الإسلام.

* ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾.

﴿ لهُم دارُ السَّلامِ عِند ربِّهِمْ وهُوَ ولِيُّهُم بِمَا كانُوا يعْمَلُونَ (١٢٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لهُمْ دَارُ السَّلامِ ﴾:

* أخرج أبو الشيخ عن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قال: السلام هو الله، وداره الجنّة. اهـ[٣].

وسمِّيت دار السلام، لأن كل من دخلها سلم من البلايا والرزايا.

وقيل: سميت بذلك لأن جميع حالاتها مقرونة بالسلام، فقال ـ تعالى ـ فى الابتداء: ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِين (٤٦) ﴾ [الحجر: ٤٦].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٩٤).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٩٦).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٨٤).

وقال: ﴿ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) ﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤].

وقال: ﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ (٢٣) ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

* ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾، أي: مضمونة لهم عند ربهم يوصلهم إليها بفضله وكرمه وإحسانه.

* ﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾، أي: يتولاهم فى الدنيا بالتوفيق، وفى الآخرة بالثواب والجزاء.

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾، أي: الجنّ والإنس يجمعهم الله فى الموقف يوم القيامة فيقول:

* ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ ﴾، أي: استكثرتم من الإنس بالإضلال والإغواء، أي: أضللتم كثيرًا منهم.

* ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ ﴾، المراد: أولياء الشياطين الذين أطاعوهم من الإنس.

* ﴿ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾، المراد من استمتاع الإنس بالجنّ: ما كانوا يلقون إليهم من الأراجيف والسحر، والكهانة، وتزيينهم لهم الأمور حتى يسهل فعلها عليهم.

واستمتاع الجنّ بالإنس: طاعة الإنس لهم فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصى. ويتلخّص ذلك فى طاعة بعضهم بعضًا، وموافقة بعضهم لبعض.

* ﴿ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ أي: بالموت.

* ﴿ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ ﴾، أي: موضع مقامكم، إذ المثوى: المُقام.

* ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾، قال الزجاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): الاستثناء منقطع، وهذا يرجع إلى يوم القيامة، أى: خالدين فى النار إلا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم، ومقدار مدّتهم فى الحساب. اهـ(١).

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): الاستثناء يرجع إلى قوم سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون فيخرجون من النار. اهـ(٢).

* ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ ﴾، أى: فى عقوبتهم بل فى جميع أفعاله.

* ﴿ عَلِيمٌ ﴾: بمقدار مجازاتهم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ [رقم: ١٢٨].

قرأ حفص: ﴿ يحشرهم ﴾ بالياء التحتية، على أن الفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره: «هو» يعود على «ربهم» فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [رقم: ١٢٧].

وقرأ الباقون: ﴿ نحشرهم ﴾ بالنون، على الالتفات من الغيبة إلى التكلم(٣).

﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٢٩) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣٠) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾:

المعنى: يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: كما فعلنا بهؤلاء ما وصفته لكم من استمتاع بعضهم ببعض، أجعل بعض الظالمين أولياء بعض، ثم يتبرّأ بعضهم من بعض غدًا، أى: يوم القيامة، وصدق الله إذ قال: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

(١) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ٥٦).
(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٣١).
(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٩٩).

* وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن ابن زيد في قوله - تعالى -: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾، قال: نسلط ظلمة الجنّ على ظلمة الإنس. اهـ(١).

ويشهد لصحة هذا المعنى قوله - تعالى -: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) ﴾ [الزخرف: ٣٦].

* ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾: اختلف العلماء في أن الجنّ هل أرسل الله إليهم رسلاً:

* أولا: قال الكلبي محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ): كانت الرسل من قبل أن يبعث نبينا «محمد» ﷺ يبعثون إلى الجنّ والإنس، و«محمد» الرسول ﷺ بعث إلى الجنّ والإنس كافة(٢).

* ثانيًا: أخرج ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): أنه سئل عن الجنّ هل كان فيهم نبيّ قبل أن يبعث النبيّ ﷺ؟ قال: ألم تسمع إلى قول الله - تعالى -: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ يعني بذلك أن رسلاً من الإنس، ورسلاً من الجنّ. اهـ(٣).

* ثالثًا: أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قال: ليس في الجنّ رسل إنما الرسل في الإنس، والنذارة في الجنّ، وقرأ قوله - تعالى -: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) ﴾ [الأحقاف: ٢٩](٤).

* ﴿ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ﴾، أي: شهدنا أنهم بلّغوا.

* ﴿ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾، أي: أن هؤلاء قد خدعتهم الحياة الدنيا، وظنوا أنها تدوم.

* ﴿ وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾، أي: اعترفوا بكفرهم.

قال مقاتل بن حيّان البلخيّ (ت ١١٠هـ): هذا حين شهدت عليهم الجوارح بالشرك، وبما كانوا يعملون. اهـ(٥).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٨٥).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/ ١٣١).
(٣ - ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٨٦).
(٥) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٥٧).

ويشهد لصحة هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يوزعون (١٩) حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون (٢٠) ﴾ [فصلت: ١٩ ـ ٢٠].

﴿ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١) ﴾

* **المعنى:** يقول الله ـ تعالى ـ: إنما فعلنا هذا بهم لأني لم أكن أهلك القرى بظلم، أي: بشركهم قبل إرسال الرسل إليهم، فيقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير.

وصدق الله إذ قال: ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (١٥) ﴾ [الإسراء: ١٥].

﴿ ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون (١٣٢) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾: التنوين في «لكلٍّ» عوض عن المضاف إليه، أي: لكل من الجنّ والإنس، المتقدم ذكرهم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ [رقم: ١٣٠].

وحينئذ يكون المعنى: لكل عامل بطاعة درجات في العقاب.

* ويشهد لصحة هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ في سورة الأحقاف: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (١٨) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (١٩) ﴾ [الأحقاف: ١٨ ـ ١٩].

* قال القرطبي في تفسيره: وفي هذا ما يدلّ على أن المطيع من الجنّ في الجنّة، والعاصي منهم في النار، كالإنس سواء، وهو أصحّ ما قيل في ذلك فاعلمه. اهـ[١].

* وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) قال: الخلق أربعة:

١ ـ فخلق في الجنة كلهم.   ٢ ـ وخلق في النار كلهم.

٣ ، ٤ ـ وخلقان في الجنة والنار:

* فأما الذين في الجنة كلهم: فالملائكة.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٥٨).

* وأما الذين فى النار كلهم: فالشياطين.

* وأما الذين فى الجنة والنار: فالجنّ والإنس، لهم الثواب، وعليهم العقاب. اهـ(١).

* وأخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن الحسن البصرى (ت ١١٠ هـ) قال: الجنّ ولد إبليس، والإنس ولد آدم، ومن هؤلاء مؤمنون، ومن هؤلاء مؤمنون، وهم شركاء فى الثواب والعقاب: ومن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنًا فهو ولىّ الله، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرًا فهو شيطان. اهـ(٢).

* ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾، أى: ليس ربك بلاه ولا ساه عمّا يعملون.

والغفلة: أن يذهب الشىء عنك لاشتغالك بغيره.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

* ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣) ﴾ [هود: ١٢٣].

* ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣) ﴾ [النمل: ٩٣].

قرأ ابن عامر: ﴿ تعملون ﴾ بتاء الخطاب فى المواضع الثلاثة، وجه الخطاب فى سورة الأنعام لمناسبة الخطاب فى قوله - تعالى - قبل: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ [رقم: ١٣٠].

ووجه الخطاب فى موضع النمل: لمناسبة الخطاب فى قوله - تعالى - قبل فى نفس الآية: ﴿ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وشعبة، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ يعملون ﴾ بياء الغيبة فى المواضع الثلاثة، وجه الغيبة فى موضع الأنعام: لمناسبة الغيبة فى قوله - تعالى - قبل فى نفس الآية: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾.

ووجه الغيبة فى موضع هود: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

ووجه الغيبة فى موضع النمل: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

(١ - ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٢٧).

وقرأ نافع، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ يعملون ﴾ بالغيبة فى الأنعام فقط، و﴿ تعملون ﴾ بالخطاب فى هود، والنمل، وقد سبق توجيه ذلك.

ومن يمعن النظر فى لفظ «يعملون» الذى جاء فيه الخلاف بين الغيبة والخطاب يجده مسبوقًا دائمًا بلفظ «عمّا»(١).

﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (١٣٣) إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (١٣٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وربُّك الْغنيُّ ﴾، أى: عن خلقه، وعن أعمالهم.

* ﴿ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾، أى: بأوليائه، وأهل طاعته.

* ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾: بالإماتة، والاستئصال بالعذاب.

* ﴿ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ ﴾، أى: خلقًا آخر أمثل منكم وأطوع.

* ﴿ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾، أى: يستخلف من بعدكم ما يشاء استخلافًا مثل ما أنشأكم من ذرّية قوم آخرين.

* ونظير هذه الآية فى المعنى قوله ـ تعالى ـ:

١ ـ ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا (١٣٣) ﴾ [النساء: ١٣٣].

٢ ـ ﴿ وإِن تتولَّوْا يستبْدِلْ قَوْمًا غيْركُمْ ثُمَّ لا يكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨) ﴾ [محمد: ٣٨].

* ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ﴾، أى: ما توعدون من مجىء الساعة والجزاء والعقاب: بالجنة والنار.

* ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾، أى: فائتين. يقال: أعجزنى فلان، أى: فاتنى وغلبنى.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٠١)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٦٣).

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (١٣٥)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، أى: على ناحيتكم. اهـ[١].

* وقال الزجّاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ)، أى: على تمكنكم فى الدنيا. اهـ[٢].

* ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾: على مكانتى، فحذف لدلالة الأوّل عليه.

وحينئذ يكون المعنى: يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه «محمد» ﷺ: اعملوا على ما أنتم عليه، إنى عامل ما أمرنى به ربى ـ عزّ وجلّ ـ.

* ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾، أى: الجنّة.

* ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، أى: لا يفوزون برضوان الله، بل سيكون مصيرهم النار وبئس القرار.

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [رقم: ١٣٥].

قرأ شعبة: ﴿مكاناتكم﴾ بالجمع، وهى جمع «مكانة» وهى الحالة التى هم عليها، ولما كانوا على أحوال مختلفة من أمر دنياهم جمع لاختلاف الأنواع.

وقرأ الباقون: ﴿مكانتكم﴾ على الإفراد، وهو مصدر يدلّ على القليل والكثير من صنفه من غير جمع ولا تثنية، والأصل فى المصدر أن لا يثنى ولا يجمع مثل الفعل. إلا إذا اختلفت أنواعه فحينئذ يشبه المفعول به فيجوز جمعه[٣].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ٢٩).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٠٢).

﴿ وجعلوا لله ممَّا ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون (١٣٦) ﴾

✳ **المعنى:** يلقى الضوء على تأويل هذه الآية الخبر التالي:

* أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في سننه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وجعلوا لله ممَّا ذرأ ﴾ الآية، قال: جعلوا لله من ثمارهم ومائهم نصيبًا، وللشيطان والأوثان نصيبًا، فإن سقط من ثمرة ما جعلوا لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن سقط مما جعلوا للشيطان في نصيب الله ردّوه إلى نصيب الشيطان....

فهذا ما جعل لله من الحرث وسقى الماء، وأمّا ما جعلوه للشيطان من الأنعام فهو قول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ ﴾ [المائدة: ١٠٣] الآية[1].

﴿ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون (١٣٧) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ ﴾:

✳ **المعنى:** كما زيّن الشيطان لهؤلاء المشركين أن جعلوا لله نصيبًا مما ذرأ من الحرث والأنعام، ولأصنامهم نصيبًا، كذلك زيّن لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم مخافة الفقر.

يؤيد هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ في سورة الإسراء: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) ﴾ [الإسراء: ٣١].

* ﴿ لِيُرْدُوهُمْ ﴾، أي: ليهلكوهم، واللام لام كيْ. «الإرداء»: الإهلاك.

* ﴿ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾، أي: ليخلطوا عليهم دينهم.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٨٩).

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): ليدخلوا عليهم الشكّ فى دينهم وكانوا على دين «إسماعيل» - عليه السلام - فرجعوا عنه بلَبْس الشياطين. اهـ[١].

* ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ﴾، أى: لو شاء الله لعصمهم من تحريم الحرث والأنعام، وقتل الأولاد، وغير ذلك.

* ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾، أى: يختلقون من الكذب.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وكَذلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ ﴾ [رقم: ١٣٧].

قرأ ابن عامر: ﴿ زُيِّن ﴾ بضم الزاى، وكسر الياء، بالبناء للمفعول، و ﴿ قتلُ ﴾ برفع اللام نائب فاعل ﴿ زين ﴾، و﴿ أولادَهم ﴾ بالنصب مفعول به للمصدر وهو ﴿ قتل ﴾، و﴿ شركائهم ﴾ بالخفض، وذلك على إضافة ﴿ قتل ﴾ إليه وهى من إضافة المصدر إلى فاعله.

وقرأ الباقون: ﴿ زَيَّن ﴾ بفتح الزاى والياء مبنيًا للفاعل، و﴿ قتلَ ﴾ بالنصب مفعول به، و﴿ أولادهم ﴾ بالخفض على الإضافة إلى المصدر، و﴿ شركاؤهم ﴾ بالرفع فاعل ﴿ زَيَّن ﴾.

والمعنى: زين لكثير من المشركين شركاؤهم قتل أولادهم بالوأد خوف العار، أو الفقر[٢].

* **تنبيه:** طعن بعض القاصرين فى قراءة ابن عامر بحجة أنه لا يجوز الفصل بين المضافين إلا بالظرف وفى الشعر خاصة، لأنهما كالكلمة الواحدة. وأقول لهؤلاء الجاحدين: هذا الكلام لا قيمة له، واعتراض لا وجه له، لأنه ورد من لسان العرب ما يشهد لصحة قراءة ابن عامر: نثرًا، ونظمًا، فقد نقل بعض الأئمة الفصلَ بالجملة فضلاً عن المفرد. ومن ذلك قولهم: «غلام إن شاء الله أخيك»، وقال النبى ﷺ - وهو أفصح العرب على الإطلاق -: «فهل أنتم تاركوا لى صاحبى» ففصل بالجارّ والمجرور.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٣٤).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٠٦)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٦٤)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٥٣)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٢٦).

ومن الشعر قول الأخفش سعيد بن مسعدة (٢١٥هـ): «فزججتها بمزجّة زجّ القلوصَ أبى مزادة»، أى: زجّ أبى مزادة القلوصَ. فالقلوص مفعول به للمصدر، وفصل به بين المضافين وهو غير ظرف.

إذًا فقراءة ابن عامر صحيحة، وثابتة بطريق التواتر حتى وصلت إلينا. وقد تلقيتها وقرأت بها على مشايخى ـ رحمهم الله ـ وهى أيضًا موافقة لرسم المصحف الشامى. ولقواعد اللغة العربية نثرًا ونظمًا، والله أعلم.

﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾، أى: قال المشركون: هذه أنعام وحرث حِجْر أى حرام، والمراد: ما جعلوا لله ولآلهتهم من الحرث والأنعام، والمراد بالأنعام: البحيرة السائبة، والوصيلة، والحام.

* ﴿ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ ﴾، قال السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ)، يقولون: حرام أن نطعم إلا من شئنا. اهـ(١).

* قال ابن زيد: يحتجزونها عن النساء، ويجعلونها للرجال، وقالوا: إن شئنا جعلنا للبنات فيه نصيبًا، وإن شئنا لم نجعل، وهذا أمر افتروه على الله. اهـ(٢).

* ﴿ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ﴾، المراد: ما يسيبونه لآلهتهم، وهى الحوامى كانوا لا يركبونها.

* ﴿ وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ﴾، أى: يذبحونها باسم الأصنام، لا باسم الله ـ تعالى ـ. وقال أبو وائل: لم يكن يحجّ عليها وهى البحيرة(٣).

* ﴿ افْتِرَاءً عَلَيْهِ ﴾، أى: أنهم يفعلون ذلك ويزعمون أن الله أمرهم به افتراء.

* ﴿ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾، وذلك بالعذاب الأليم يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

(١ : ٣) انظر: الدر المنثور فى التفسير المنثور (٣/ ٩٠).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ ﴾ [رقم: ١٣٨].

قرأ الكسائى: ﴿ بزُعمهم ﴾ بضم الزاى، وهى لهجة بنى سعد.

وقرأ الباقون بفتح الزاى، وهى لهجة أهل الحجاز(١).

﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما)، وقتادة بن دعامة السدوسىّ (ت ١١٨هـ)، والشعبى عامر بن شراحيل (ت ١٠٥هـ): أرادوا أجنّة البحائر والسوائب، فما ولد منها حيًا فهو خالص للرجال دون النساء، وما ولد ميّتا أكله الرجال والنساء جميعًا. اهـ(٢).

* ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾، أى: كذبهم وافتراءهم، بمعنى أن الله سيعذبهم على ذلك. وانتصب «وصفهم» بنزع الخافض، أى: بوصفهم، أو على وصفهم الكذب على الله.

* ﴿ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾، أى: يضع الأمور كلها بحكمة وعلم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وإن يكُن مَّيْتَةً ﴾ [رقم: ١٣٩].

قرأ نافع، وأبو عمرو، وحفص، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ يكن ﴾ بالياء على التذكير، و ﴿ ميتة ﴾ بالنصب واسم «يكن» ضمير مستتر يعود على «ما» ونصب «ميتة» على أنها خبر «يكن» والتقدير: وإن يكن ما فى بطون الأنعام ميتة فهم - أى الرجال والنساء - فى أكله شركاء.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٩٠).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٣٤).

وقرأ ابن ذكوان، وأبو جعفر، وهشام بخلف عنه ﴿ تكن ﴾ بالتاء على تأنيث الفعل، و﴿ ميتة ﴾ بالرفع، وأبو جعفر على قاعدته في تشديد ياء «ميتة».

ووجه هذه القراءة: أن تأنيث «تكن» لتأنيث لفظ «ميتة» و«يكن» تامّة بمعنى حدث ووقع لا تحتاج إلى اسم وخبر بل تحتاج إلى فاعل، فـ «ميتة» فاعل «تكن».

وقرأ ابن كثير، وهشام في وجهه الثاني «يكن» بالياء على تذكير الفعل، و﴿ ميتة ﴾ بالرفع فاعل «يكن» وذكّر الفعل لأن تأنيث «ميتة» غير حقيقيّ، لأنه يقع على المذكر والمؤنث من الحيوان.

وقرأ شعبة: ﴿ تكن ﴾ بالتأنيث، و ﴿ ميتة ﴾ بالنصب خبر «تكن» واسمها ضمير يعود على «ما»[١].

﴿ قد خسر الَّذين قتلوا أولادهم سفهًا بغير علمٍ وحرموا ما رزقهم اللَّه افتراء على اللَّه قد ضلُّوا وما كانوا مهتدين (١٤٠) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾: قال البغويّ في تفسيره: نزلت في ربيعة، ومضر، وبعض من العرب من غيرهم، كانوا يدفنون البنات أحياء مخافة السبّي والفقر[٢].

* ﴿ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ﴾، المراد: البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، افتراء على الله، حيث قالوا: إن الله أمرهم بذلك.

* ﴿ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾: هذا حكم الله عليهم، وهو أحكم الحاكمين.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ ﴾ [رقم: ١٤٠].

قرأ ابن كثير، وابن عامر: ﴿ قتّلوا ﴾ بتشديد التاء، إشارة إلى كثرة القتل ظلمًا وعدوانًا.

وقرأ الباقون بتخفيف التاء على الأصل[٣].

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٦٧)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ٢٢٧)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٥٤).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/ ١٣٤).

(٣) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ٢٢٨).

﴿ وهُو الَّذي أَنشأَ جنَّات مَّعْرُوشَات وغَيْرَ مَعْرُوشَات والنَّخْل والزَّرْع مُخْتلفًا أُكُلُهُ والزَّيْتُونَ والرُّمَّانَ مُتشابهًا وغَيْرَ مُتَشابه كُلُوا من ثمره إذا أثْمرَ وآتُوا حقَّهُ يوْمَ حصاده ولا تُسْرفُوا إنَّهُ لا يُحبُّ الْمُسْرفين (١٤١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وهُو الَّذي أَنشأَ جنَّات ﴾، أي: بساتين.

* ﴿ مَّعْرُوشَات وغَيْرَ مَعْرُوشَات ﴾:

* أخرج ابن المنذر، وابن أبى حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: المعروشات: ما عرش الناس، وغير معروشات. قال: ما خرج فى الجبال والبرِّيَّة من الثمرات. اهـ(١).

* ﴿ والنَّخْل والزَّرْع ﴾، أي: وأنشأ النخل والزرع.

* ﴿ مُخْتلفًا أُكُلُهُ ﴾، أي: ثمره، وطعمه، منها الحلو والحامض، والجيِّد والردىء.

* ﴿ والزَّيْتُونَ والرُّمَّانَ مُتشابهًا ﴾: فى النظر.

* ﴿ وغَيْرَ مُتَشابه ﴾: فى الطعم مثل الرمَّانتين لونهما واحد، وطعمهما مختلف.

﴿ كُلُوا من ثمره إذا أثْمرَ وآتُوا حقَّهُ يوْمَ حصاده ﴾:

* قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): كان هذا قبل أن تنزل الزكاة الرجل يعطى من زرعه: اليتامى والمساكين(٢).

وعن أبى العالية الرياحىّ (ت ١٩٠هـ) قال: كانوا يعطون شيئًا سوى الزكاة، ثم إنهم تباذروا وأسرفوا، فأنزل الله: ﴿ ولا تُسْرفُوا إنَّهُ لا يُحبُّ الْمُسْرفين ﴾(٣).

* وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبى شيبة، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والنحاس، والبيهقى فى سننه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وآتُوا حقَّهُ يوْمَ حصاده ﴾. قال: نسخها العشر، ونصف العشر. اهـ(٤).

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٩٢).

* وقال علىّ بن الحسين، وعطاء، ومجاهد، وحمّاد: فى المال حقّ سوى الزكاة، أمر الله بإتيانه لأن الآية مكيّة، وفرضت الزكاة بالمدينة. اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وآتوا حقّه يوم حصاده ﴾ [رقم: ١٤١].

قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، ويعقوب: ﴿ حَصاده ﴾ بفتح الحاء.

وقرأ الباقون بكسر الحاء، وهما لهجتان فى مصدر «حصد»(٢).

قال الراغب الأصفهانى: أصل الحصد قطع الزرع زمن الحصاد(٣).

﴿ ومنَ الأَنْعَام حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا ممَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلا تَتَّبعُوا خُطُوَات الشَّيْطَان إنَّهُ لَكُمْ عدوٌ مُّبين (١٤٢) ثمانية أَزواجٍ مّن الضَّأن اثنين ومن المعز اثنين قُل آلذَّكرين حرَّم أَم الأُنثيين أَمَّا اشتملت عليه أَرحامُ الأُنثيين نبِّئوني بعلمٍ إن كُنتُم صادقين (١٤٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾: هذا معطوف على ماقبله، أى: وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشًا.

* أخرج الفريابى، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، والطبرانى، والحاكم وصححه، عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ - رضى الله عنه) قال: الحمولة ما حمل عليه من الإبل، والفرش صغار الإبل التى لا تحمل. اهـ(٤).

وقد روى عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) مثل ما روى عن ابن مسعود(٥).

* ﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾، أى: لا تسلكوا آثار الشيطان فى تحريم الحرث والأنعام.

* ﴿ ثمانيةَ أَزْواجٍ ﴾: يجوز أن تكون منصوبة بفعل مضمر والتقدير: وأنشأ ثمانية أزواج. ويجوز أن تكون منصوبة على البدل من: حمولة وفرشا، أى: وأنشأ من الحمولة والفرش ثمانية أزواج.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٣٦).
(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٠٩).
(٣) انظر: المفردات فى غريب القرآن ص١٢٠.
(٤ - ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٩٤).

* ﴿ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ﴾، أى: الذكر والأنثى، فالذكر زوج، والأنثى زوج، والعرب تسمى الواحد زوجًا إذا كان لا ينفك عن الآخر.

والضأن: هى ذوات الصوف من الغنم. والذكر ضأن، والأنثى ضائنة، والجمع ضوائن.

* ﴿ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ﴾، وهى ذوات الشعر من الغنم، والأذناب القصار، وهى اسم جنس. وواحد المعْز: ماعِز، مثل: صَحْب وصاحب. والأنثى ماعزة، وهى العَنز، والجمع مواعز.

* ﴿ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ ﴾: آلذكرين منصوب بحرّم، أى: قل يا«محمد» آلذكرين حرّم الله عليكم، والمراد: ذكر الضأن والمعز.

* ﴿ أَمِ الأُنثَيَيْنِ ﴾: معطوف على «آلذكرين»، والمراد: أنثى الضأن والمعز.

* ﴿ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ ﴾: منهما، أى: من الضأن والمعز، فإنها لا تشتمل إلا على ذكر أو أنثى.

* ﴿ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾، أى: أخبرونى بعلم أن الله حرّم هذا.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ [رقم: ١٤٢].

قرأ نافع، وأبو عمرو، وشعبة، وحمزة، وخلف البزّار، والبزِّى بخُلْف عنه، بإسكان الطاء، للتخفيف.

وقرأ الباقون بضمها على الأصل، وهو الوجه الثانى للبزِّى[١].

* ﴿ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ﴾ [رقم: ١٤٣].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن ذكوان، ويعقوب، وهشام بخُلْف عنه، بفتح العين.

وقرأ الباقون بإسكانها، وهو الوجه الثانى لهشام، وهما لهجتان فى جمع «ماعز»[٢].

* ﴿ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ ﴾ [رقم: ١٤٣ ـ ١٤٤].

(١ ـ ٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٢٩).

اجتمع فى هذه الكلمة همزة الاستفهام، وهمزة الوصل، وقد أجمع القراء العشرة على إبقاء همزة الوصل، وعلى تغييرها، ونقل عنهم فى كيفية هذا التغيير وجهان:

الأول: إبدالها ألفًا خالصة مع إشباع المدّ للساكنين.

والثانى: تسهيلها بينها وبين الألف، والوجهان صحيحان لجميع القراء(١)

* ﴿ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [رقم: ١٤٣].

قرأ أبو جعفر بحذف الهمزة، وضم ما قبل الواو فى الحالين(٢).

﴿ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٤٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ﴾:

* أخرج ابن أبى شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى سننه من طرق عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: الأزواج الثمانية: من الإبل، والبقر، والضأن، والمعز. اهـ(٣).

* وقال قتادة بن دعامة السدوسى (١١٨هـ): الذكر والأنثى زوجان. اهـ(٤).

* ﴿ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ﴾:

* قال البغوى فى تفسيره: وذلك أنهم كانوا يقولون: هذه أنعام وحرث حِجْر، وقالوا: ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرّم على أزواجنا، وحرّموا البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، كانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء، وبعضها على النساء دون الرجال(٥).

(١ ـ ٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٣٠).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٩٥).

(٥) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٣٧).

* ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا ﴾، أى: هل شاهدتم الله حرّم هذا؟ ولمّا لزمتهم الحجة أخذوا فى الافتراء فقالوا: كذا أمر الله، فقال الله ردّا عليهم وتكذيبًا لهم:

* ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ﴾: بيّن الله أنهم كذبوا على الله فى قولهم، إذ قالوا ما لم يقم عليه دليل، وقد ختم الله هذه الآية بقوله:

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾.

﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ ﴾ الآية:

* قال القرطبى فى تفسيره: أعلم الله - عزّ وجلّ - فى هذه الآية بما حرّم.

✷ والمعنى: قل يا «محمد» لا أجد فيما أوحى إلىّ محرّمًا إلا هذه الأشياء، لا تحرّمونه بشهوتكم.

والآية مكيّة، ولم يكن فى الشريعة فى ذلك الوقت محرّم غير هذه الأشياء، ثم نزلت سورة المائدة بالمدينة، وزيد فى المحرّمات: المنخنقة، والموقوذة، والمتردّية، والنطيحة، والخمر، وغير ذلك.

وحرّم رسول الله ﷺ بالمدينة: أكْل كلِّ ذى ناب من السباع، وكلّ ذى مخلب من الطير(١).

* وأخرج ابن المنذر، وابن أبى حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) أنه قرأ هذه الآية: ﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ إلى آخر الآية، وقال: إنما حرّم من الميتة ما يؤكل منها وهو اللحم، فأمّا الجلْد، والسنّ، والعظم، والشعر، والصوف، فهو حلال. اهـ(٢).

(١) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ٧٦).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٩٧).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾:

* أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبى حاتم، عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: حرّم الدم ما كان مسفوحًا، فأمّا لحم يخالطه الدم فلا بأس به. اهـ[١].

* وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) قال: المسفوح: الذى يهراق، ولا بأس بما كان فى العروق[٢].

* وعن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال له: آكل الطحال؟ قال: نعم، قال: إنّ عامّتها دم؟ قال: إنما حرّم الله الدم المسفوح. اهـ[٣].

* ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾:

المعنى: أباح الله أكل هذه المحرمات عند الاضطرار فى غير عدوان، وبقدر ما يسدّ الجوعة فقط.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً ﴾ [رقم: ١٤٥].

قرأ نافع، وأبو عمرو، وعاصم، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ يكون ﴾ بالياء، على تذكير الفعل، واسم «يكن» ضمير تقديره «هو» أى: الموجود، و ﴿ ميتةً ﴾ بالنصب، خبر «يكون».

وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر: ﴿ تكون ﴾ بالتاء، على تأنيث الفعل، و﴿ ميتة ﴾ بالرفع فاعل «تكون» لأنها تامّة لا تحتاج إلا إلى فاعل، وأبو جعفر على قاعدته وهى: تشديد الياء فى ﴿ ميتة ﴾.

وقرأ ابن كثير، وحمزة: ﴿ تكون ﴾ بالتاء على تأنيث الفعل، و﴿ ميتة ﴾ بالنصب خبر «تكون»[٤].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٩٧).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١١٢)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٦٨).

* ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ ﴾ [رقم: ١٤٥].

قرأ أبو عمـرو، وعاصم، وحمزة، ويعقوب بـكسر النون وصلا، على الأصل فى التخلص من التقاء الساكنين.

وقرأ الباقون بضمها، اتباعًا لضم ثالث الفعل.

وقرأ أبو جعفر بضم النون وكسر الطاء(١).

﴿ وعلى الَّذين هادوا حرمنا كُلَّ ذي ظُفُرٍ ومن البقر والغنم حرَّمنا عليهم شُحُومَهُما إلاَّ ما حملَت ظُهورُهُما أَوِ الْحوايا أَوْ ما اخْتلَطَ بِعَظْمٍ ذَلك جَزيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصادِقُونَ (١٤٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وعلى الَّذين هادُوا حرمنا كُل ذي ظُفُرٍ ﴾:

١ ـ قال ابن عـباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): هو الذى ليس بمنفـرج الأصابع، يعنى ليس بمشقوق الأصابع منها الإبل والنعام. اهـ(٢).

٢ ـ وقـال ابن جريج عـبد الملك بن عـبـد العزيز (ت ١٥٠هـ): كل شىء لم تفـرج قوائمه من البـهائم، وما انفرجت قـوائمه أكلوه، ولا يأكلون البعيـر، ولا النعامة، ولا البط، ولا الوز، ولا حمار الوحش. اهـ(٣).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ومِن الْبَقرِ والْغنمِ حرَّمْنا عليْهِم شُحُومهُما ﴾:

* أخـرج البخـارى، ومسلـم، وابن ماجــه، وابن مردويه عن عمـر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قـال رسول الله ﷺ: «لعن الله اليهود، حُـرِّمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها» اهـ(٤).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إلاَّ مَا حمَلَتْ ظُهُورُهُما ﴾، قال ابن عـباس ـ رضى الله عنهما ـ: يعنى ما علق بالظهر من الشحم. اهـ(٥).

* وفى قوله ـ تـعالى ـ: ﴿ أَوِ الْحوايَا ﴾، قـال ابن عـباس ـ رضى الله عنـهمـا ـ، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قالا: هو المبعر(٦).

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٣٠). (٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٠٠).
(٥ ـ ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٠١).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: الإلية اختلط شحم الإلية بالعصعص فهو حلال، وكل شحم القوائم، والجنب، والرأس، والعين، والأذن، يقولون: قد اختلط ذلك بعظم فهو حلال لهم. إنما حرّم عليهم شحم الكلية، وكل شىء كان كذلك ليس فيه عظم. اهـ[(١)].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾:

* قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨ هـ): إنما حرّم الله ذلك عليهم عقوبة ببغيهم، فشدّد عليهم بذلك وما هو بخبيث. اهـ[(٢)].

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١٤٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ ﴾، المراد: اليهود، والخطاب لنبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾، أى: من سعة رحمة الله ـ تعالى ـ حلم عنكم فلم يعاقبكم فى الدنيا، ثم أخبر بما أعدّه لهم فى الآخرة من العذاب فقال:

* ﴿ وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾، وقيل: ولا يردّ بأسه عن القوم المجرمين إذا أراد حلوله فى الدنيا.

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ (١٤٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾:

* أخرج ابن أبى شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن مجاهد بن جبر المفسّر (١٠٤ هـ) قال: هذا قول كفار قريش. اهـ[(٣)].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٠١). (٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٠٢).

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾:

* قال القرطبى فى تفسيره: هذا قول كفار قريش يريدون البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، أخبر الله ـ عزّ وجلّ ـ بالغيب عمّا سيقولونه، وظنوا أن هذا مُتمسَّك لهم لما لزمتهم الحجة وتيقنوا باطل ما كانوا عليه.

* **والمعنى:** لو شاء الله لأرسل إلى آبائنا رسولا فنهاهم عن الشرك، وعن تحريم ما أحلّ لهم فينتهوا فاتبعناهم على ذلك. فردّ الله عليهم ذلك فقال: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾، أى: أعندكم دليل على أن هذا كذلك؟

* ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ فى هذا القول.

* ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾: التوهّم ضعفتكم أن لكم حجة. اهـ(١).

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩)﴾

معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ الآية:

* قال القرطبى فى تفسيره: الحجة البالغة: التى تقطع عذر المحجوج، وتزيل الشكّ عمن نظر فيها، فحجته البالغة على هذا تبيينه أنه الواحد، وإرساله الرسل والأنبياء ،فبيَّن التوحيد بالنظر فى المخلوقات، وأيّد الرسل بالمعجزات، ولزم أمرُه كلّ مكلّف. فأمّا علمه، وإرادته، وكلامه فغيب لا يطّلع عليه العبد إلا من ارتضى من رسول، ويكفى فى التكليف أن يكون العبد بحيث لو أراد أن يفعل ما أمره به لأمكنه. اهـ(٢).

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١٥٠)﴾

معانى المفردات:

* ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ وحينئذ يكون المعنى: قل لهؤلاء المشركين أحضروا شهداءكم على أن

(١ ـ ٢) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ٨٤).

الله حرّم ما حرّمتم. و﴿ هَلُمَّ ﴾ كلمة دعوة إلى شيء، يستوى فيه الواحد، والجماعة، والذكر والأنثى على لغة أهل الحجاز، أي: تلزم حالة واحدة، وعلى لغتهم جاء القرآن الكريم ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ [الأحزاب: ١٨].

* ﴿ فَإِن شَهِدُوا ﴾، أي: شهد بعضهم لبعض.

* ﴿ فلا تشهد معهم ﴾، أي: لا تصدّق شهادتهم لأنهم كاذبون، ولا دليل معهم على ذلك.

* ﴿ ولا تَتَّبِعْ أهواء الَّذين كَذَّبوا بآياتنا والَّذين لا يُؤْمنونَ بالآخرةِ وَهُم بربِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾، أي: يشركون.

﴿ قُلْ تعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُم عليكُمْ أَلاَّ تُشرِكُوا به شَيْئًا وَبالْوَالدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُم وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم به لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* أخرج الترمذىّ وحسّنه، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والطبرانى، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: من سرّه أن ينظر إلى وصية نبينا «محمد» ﷺ التى عليها خاتمًا فليقرأ هؤلاء الآيات: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ اهـ[1].

* وأخرج عبد بن حُمَيد، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والحاكم وصححه عن عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيكم يبايعنى على هؤلاء الآيات الثلاث؟ ثم تلا: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ إلى ثلاث آيات، ثم قال: فمن وفى بهن فأجره على الله، ومن انتقص منهن شيئًا

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/١٠٣).

فأدركه الله في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء أخذه، وإن شاء عفا عنه» اهـ(١).

* وفي قوله - تعالى -: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضي الله عنهما)،: أي خشية الفقر(٢).

* وفي قوله - تعالى -: ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: كانوا في الجاهلية لا يرون بالزنا بأساً في السر، ويستقبحونه في العلانية، فحرّم الله الزنا في السرّ والعلانية. اهـ(٣).

* وفي قوله - تعالى -: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾:

* قال سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ): المراد نفس المؤمن التي حرّم الله قتلها إلا بالحق. اهـ(٤).

* عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ - رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلّ دم امرئ يشهد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيّب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة» اهـ(٥).

* ﴿ذَلِكُمْ﴾: الذي ذكرت لكم.

* ﴿وصّاكُم بِهِ﴾، أي: أمركم به. * ﴿لعَلَّكُمْ تعقلون﴾.

* وفي قوله - تعالى -: ﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

* قال ابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالي ١٧٠هـ): ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: أن يأكل بالمعروف إن افتقر، وإن استغنى فلا يأكل، قال الله - تعالى -: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦]. فسئل - أي ابن زيد - عن الكسوة؟ فقال: لم يذكر الله كسوة وإنما ذكر الأكل. اهـ(٦).

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ١٠٣).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ١٠٤).

(٥) انظر: تفسير البغوي (٢/ ١٤١).

(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ١٠٥).

* وعن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قال: ليس له أن يلبس من مال اليتيم قلنسوة، ولا عمامة. اهـ[١].

* وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾:

* قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن: الأشدّ: الحلم، فقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾ [النساء: ٦][٢].

* وقال محمد بن قيس: حتى يبلغ خمس عشرة سنة[٣].

* وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾:

* قال سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ): يعني بالعدل[٤].

* وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾:

* قال سعيد بن جبير: يعني إلا طاقتها[٥].

* وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾:

* قال سعيد بن جبير: ولو كان قرابتك فقل فيه الحق[٦].

* ﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾، أي: تتعظون.

* ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾:

* يوضح معنى هذه الآية الحديث التالي:

* أخرج أحمد، وعبد بن حميد، والنسائي، والبزّار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والحاكم وصححه عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضي الله عنه) قال: خطّ رسول الله ﷺ خطًا بيده ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيمًا» ثم خطّ خطوطًا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال: «وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ اهـ[٧].

(١ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ١٠٥). (٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ١٠٦).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [رقم: ١٥٢].

اختلف القراء العشرة فى تخفيف الذال، وتشديدها من لفظ «تذكرون» إذا كان بالتاء، وكان أصله «تتذكرون» بتاءين حيثما وقع فى القرآن الكريم.

وقد قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزار جميع الألفاظ بتخفيف الذال، على حذف إحدى التاءين.

وقرأ الباقون جميع الألفاظ بتشديد الذال، وذلك على إدغام التاء فى الذال(١).

* ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً ﴾ [رقم: ١٥٣].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ وإنّ ﴾ بكسر الهمزة، وتشديد النون، فكسر الهمزة على الاستئناف و«هذا» اسم «إنّ» و«صراطى» خبرها و«مستقيمًا» صفة.

وقرأ ابن عامر، ويعقوب: ﴿وأن﴾ بفتح الهمزة وتخفيف النون، وذلك على أنّ «أنْ» مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف، و«هذا» مبتدأ و«صراطى» خبر المبتدأ، والجملة من المبتدأ والخبر خبر «أنْ» المخففة.

وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وأبو جعفر: ﴿ وأنّ ﴾ بتشديد النون وفتح الهمزة، وذلك على تقدير اللام، أى ولأنّ هذا... إلخ، و«هذا» اسم أنّ و«صراطى» خبرها و«مستقيمًا» صفة(٢).

﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤) ﴾

معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾:

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١١٣)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٦٨)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٣١).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١١٤)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٦٩)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٥٧)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٣١).

* قال مجاهد بن جبر المفسّر (١٠٤هـ): تمامًا على المؤمنين المحسنين. اهـ[١].

* وقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): من أحسن فى الدنيا تمّم الله ذلك له فى الآخرة[٢].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾:

* قال مجاهد بن جبر: ما أمروا به، وما نهوا عنه[٣].

* وقال قتادة بن دعامة: تبيانًا لكل شىء، وفيه حلاله وحرامه[٤].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): لكى يؤمنوا بالبعث، ويصدّقوا بالثواب والعقاب[٥].

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾:

* قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): هو القرآن أنزله الله على نبيه «محمد» ﷺ[٦].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾:

* قال قتادة: فاتبعوا ما أحلّ الله فيه، واتقوا ما حرّم الله فيه، لعلكم ترحمون[٧].

* وأخرج ابن أبى شيبة، وأحمد فى الزهد، وابن الضريس، والطبرانى عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: إن هذا القرآن شافع مشفع، وما حل مصدّق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار. اهـ[٨].

(١ ـ ٢) انظر: الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٠٦).
(٣ ـ ٤) انظر: الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٠٧).
(٥) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٤٣).
(٦ : ٨) انظر: الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٠٧).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: هما اليهود والنصارى(١).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: أى عن تلاوتهم(٢).

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (١٥٧)﴾

معانى المفردات:

* ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾: كان جماعة من كفار العرب قالوا: لو أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى لكنا خيراً منهم، فقال الله ردّاً عليهم: ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾، أى: قد جاءتكم حجة واضحة بلغتكم، وهى القرآن الذى أنزله الله على نبيه «محمد» ﷺ.

* ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾، أى: أعرض عنها ولم يؤمن بها.

* ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾، أى: بسبب إعراضهم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿يَصْدِفُونَ﴾ معًا [رقم: ١٥٧].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار، ورويس بخُلْف عنه بالإشمام.

وقرأ الباقون بالصاد الخالصة، وهو الوجه الثانى لرويس، وهما لهجتان(٣).

(١ ـ ٢) انظر: الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٠٨).

(٣) انظر المهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٣٢).

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٥٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾، أى: هل ينتظرون بعد تكذيبهم الرسل وإنكارهم القرآن.

* ﴿ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ ﴾: لقبض أرواحهم، أو بالعذاب.

* ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): أى: يأتى أمر ربك فيهم بالقتل أو غيره(١).

* **تنبيه مهم:**

قد يذكر المضاف إليه، والمراد به المضاف، كما فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾، أى: أمر ربك.

ونظير ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢]، والمراد: أهل القرية.

ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ [البقرة: ٩٣]، أى: حبّ العجل.

* ﴿ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾:

* أخرج أحمد، وعبد بن حميد فى مسنده، والترمذى، وأبو يعلى، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ قال: «طلوع الشمس من مغربها» اهـ(٢).

* ﴿ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ الآية:

* أخرج عبد بن حميد، وعبد الرزاق، وأحمد، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والنسائى، وابن ماجه، وابن المنذر، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقى فى البعث عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ٩٤).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٠٨).

حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها»، ثم قرأ الآية. اهـ[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ ﴾ [الأنعام: ١٥٨، والنحل: ٣٣].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزار: ﴿ يأتيهم ﴾ فى الموضعين بالياء، على تذكير الفعل.

وقرأ الباقون: ﴿ تأتيهم ﴾ فى الموضعين بالتاء، على تأنيث الفعل، وجاز تذكير الفعل وتأنيثه لأن الفاعل وهو «الملائكة» جمع تكسير، وإذا كان الفاعل جمع تكسير جاز فى فعله التذكير والتأنيث[٢].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٥٩) ﴾

معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾:

* أخرج الحكيم الترمذى، وابن جرير، والطبرانى، والشيرازى فى الألقاب، وابن مردويه عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾ قال: «هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة» اهـ[٣].

* وأخرج عبد بن حميد عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قال: رأيت يوم قتل «عثمان» (ت ٣٥هـ ـ رضى الله عنه) ذراع امرأة من أزواج النبى ﷺ قد أخرجته من بين الحائط والستر، وهى تنادى: ألا إن الله ورسوله بريئان من الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا. اهـ[٤].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾:

* أخرج عبد بن حميد، وابن أبى شيبة، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن أبى الأحوص قال: برئ منهم نبيكم ﷺ. اهـ[٥].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٠٩). (٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٣٢).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١١٧). (٤ ـ ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١١٨).

* ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾: وذلك يوم القيامة، فيعاقبهم على ما صدر منهم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

* ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم ﴾ [الروم: ٣٢].

قرأ حمزة، والكسائى: ﴿ فارقوا ﴾ بألف بعد الفاء من المفارقة وهى الترك، والمعنى: أنهم تركوا دينهم القيّم وكفروا به بالكلية.

وقرأ الباقون: ﴿ فرّقوا ﴾ بتشديد الراء من «التفريق» على معنى أنهم فرّقوا دينهم فآمنوا بالبعض، وكفروا بالبعض(١).

﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون (١٦٠) ﴾

* **المعنى:** يوضّح معنى هذه الآية الأحاديث التالية:

* أولا: أخرج أحمد، والبخارى، ومسلم، والنسائى، وابن مردويه، والبيهقى فى الأسماء والصفات، عن ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) عن النبى ﷺ فيما يروى عن ربّه: «من همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا إلى سبعمائة، إلى أضعاف كثيرة، ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له واحدة أو يمحوها الله»(٢).

* ثانيًا: أخرج أحمد، ومسلم، وابن ماجه، وابن مردويه، والبيهقى عن أبى ذرّ (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن عمل سيئة فجزاؤها مثلها أو أغفر، ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقينى لا يشرك بى شيئًا جعلت له مثلها مغفرة، ومن اقترب إلىّ شبرًا اقتربت إليه ذراعًا، ومن اقترب إلىّ ذراعًا اقتربت إليه باعًا، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة» اهـ(٣).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١١٦)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٦٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١١٩). (٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٢٠).

* ثالثًا: أخرج الترمذى وصححه عن أبى هريرة (ت ٥٩ هـ ـ رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: قال الله ـ تعالى ـ وقوله الحق: «إذا همّ عبدى بحسنة فاكتبوها له حسنة، وإذا عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها، وإذا همّ بسيئة فلا تكتبوها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، فإن تركها فاكتبوها له حسنة»، ثم قرأ ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ اهـ[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [رقم: ١٦٠].

قرأ يعقوب بتنوين ﴿عشر﴾ ورفع لام ﴿أمثالها﴾ صفة لـ «عشر».

وقرأ الباقون بغير تنوين ﴿عشر﴾ وخفض لام ﴿أمثالها﴾ على الإضافة[٢].

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١)﴾

معانى المفردات:

* ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: الخطاب موجّه إلى نبينا «محمد» ﷺ، والمعنى: لما بيّن الله أن الكفار تفرّقوا، بيّن الله أنه هدى نبيه «محمد» ﷺ إلى الدين المستقيم وهو دين «إبراهيم».

* ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ نصب «دينا» بـ «هدانى»، و«قيما» صفة لـ «دينا» ومعناه: دينًا مستقيمًا لا عوج فيه. * ﴿مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾: بدل من الدين القيم.

* ﴿حَنِيفًا﴾: حال من «إبراهيم»، أى: حالة كون «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ حنيفًا، أى: مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم وهو الإسلام.

* ﴿وما كان من المُشركين﴾.

وصدق الله إذ قال: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢)﴾ [البقرة: ١٣٢].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٢٠).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٣٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ دينًا قيمًا ﴾ [رقم: ١٦١].

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ قَيِّما ﴾ بفتح القاف، وكسر الياء مشدّدة، على أن «قيِّما» صفة لـ «دينا».

وقرأ الباقون: ﴿ قِيمًا ﴾ بكسر القاف، وفتح الياء مخففة، على أنها صفة لـ «دينا»(١).

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾

معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي ﴾:

* قال مقاتل بن حيّان البلخىّ (ت ١١٠هـ): ﴿ صَلاتِي ﴾: المفروضة، ونسكى، المراد: الحج(٢).

* وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): ﴿ وَنُسُكِي ﴾: ذبيحتى(٣)

* وقال مجاهد بن جبر (١٠٤هـ): ﴿ ونُسُكِي ﴾: ذبيحتى فى الحج والعمرة(٤).

* ﴿ ومحْيَاي ومماتِي ﴾، أى: حياتى ووفاتى.

* ﴿ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾: قال قتادة بن دعامة السدوسى (١١٨هـ): ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾: من هذه الأمة(٥).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ ومحيّاي ﴾ [رقم: ١٦٢].

قرأ قالون، والأصبهانى، وأبو جعفر، والأزرق بخلف عنه، بإسكان ياء الإضافة مع المدّ المشبع للساكنين.

وقرأ الباقون بفتحها مع عدم المدّ وهو الوجه الثانى للأزرق(٦).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١١٧)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٧٠)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٥٨)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٣٣).

(٢ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٢٣).

(٦) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٣٤).

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾، أي: مالكه.
* ﴿ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا ﴾، أي: لا تؤاخذ كل نفس بما أتت من المعصية، وارتكبت من الخطيئة سواها.
* ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾، أي: لا يؤاخذ أحد بذنب غيره.
* ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾: فيجازى كل واحد بعمله، فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره.
* ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ ﴾: «خلائف» جمع خليفة، أي: جعلكم خَلَفًا للأمم الماضية.
* ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾، أي: فى الرزق، والقوّة، والبسطة، والفضل، والعلم... إلخ.
* ﴿ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾: اللام لام كى. أى: ليختبركم ليظهر منكم من تكون غايته الثواب والجزاء، أو الحرمان والعقاب.
* ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾: لمن عصاه وخالف أوامره.
* ﴿ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾: لمن أطاعه وامتثل أوامره.

* * *

تم ولله الحمد والشكر تفسير سورة الأنعام

ويلى ذلك - بإذن الله تعالى -

[تفسير سورة الأعراف]

● ● ●

فهرس المحتويات